RAĞIP P.
Ka. Nu.
69

سورة الفاتحة ١	سورة البقرة ٥	سورة آل عمران ٨٠	سورة النساء ١٠٧
سورة المائدة ١٣٠	سورة الأنعام ١٥٥	سورة الأعراف ١٧٤	سورة الأنفال ١٩٥
سورة التوبة ٢٠٥	سورة يونس ٢٢١	سورة هود ٢٣٢	سورة يوسف ٢٤٥
سورة الرعد ٢٥٩	سورة إبراهيم ٢٦٥	سورة الحجر ٢٧٢	سورة النحل ٢٧٨
سورة الإسرى ٢٩١	سورة الكهف ٣٠٢	سورة مريم ٣١٤	سورة طه ٣٢١
سورة الأنبياء ٣٣١	سورة الحج ٣٣٩	سورة المؤمنون ٣٤٢	سورة النور ٣٥٤
سورة الفرقان ٣٦٤	سورة الشعراء ٣٧١	سورة النمل ٣٧٩	سورة القصص ٣٨٦

سورة العنكبوت ٣٩٤	سورة الروم ٣٩٩	سورة لقمان ٤٠٤	سورة السجدة ٤٠٧
سورة الأحزاب ٤٠٩	سورة سبأ ٤١٧	سورة فاطر ٤٢٣	سورة يس ٤٢٧
سورة الصافات ٤٣٢	سورة ص ٤٤١	سورة الزمر ٤٤٦	سورة المؤمن ٤٥٤
سورة فصلت ٤٥٩	سورة شورى ٤٦٤	سورة الزخرف ٤٦٨	سورة دخان ٤٧٣
سورة الجاثية ٤٧٦	سورة الأحقاف ٤٧٨	سورة القتال ٤٨١ ٤٨٤	سورة الفتح ٤٨٤
سورة الحجرات ٤٨٧	سورة ق ٤٩٠	سورة الذاريات ٤٩٣	سورة الطور ٤٩٥
سورة النجم ٤٩٧	سورة القمر ٥٠٠	سورة الرحمن ٥٠٢	سورة الواقعة ٥٠٤
سورة الحديد ٥٠٧	سورة المجادلة ٥١٠	سورة الحشر ٥١٢	سورة الممتحنة ٥١٥
سورة الصف ٥١٦	سورة الجمعة ٥١٧	سورة المنافقون ٥١٨	سورة التغابن ٥١٩
سورة الطلاق ٥٢٠	سورة التحريم ٥٢٢	سورة الملك ٥٢٤	سورة ن ٥٢٥

سورة الحاقة ٥٢٧	سورة المعارج ٥٢٩	سورة نوح ٥٣١	سورة الجن ٥٣٢
سورة المزمل ٥٣٤	سورة المدثر ٥٣٥	سورة القيامة ٥٣٧	سورة الانسان ٥٣٩
سورة المرسلات ٥٤١	سورة النبأ ٥٤٢	سورة النازعات ٥٤٤	سورة عبس ٥٤٦
سورة التكوير ٥٤٧	سورة الانفطار ٥٤٨	سورة المطففين ٥٤٨	سورة الانشقاق ٥٤٩
سورة البروج ٥٥٠	سورة الطارق ٥٥١	سورة الاعلى ٥٥٢	سورة الغاشية ٥٥٢
سورة الفجر ٥٥٣	سورة البلد ٥٥٤	سورة الشمس ٥٥٥	سورة الليل ٥٥٦
سورة الضحى ٥٥٦	سورة الانشراح ٥٥٧	سورة التين ٥٥٧	سورة العلق ٥٥٧
سورة القدر ٥٥٨	سورة البينة ٥٥٨	سورة الزلزال ٥٥٩	سورة العاديات ٥٥٩
سورة القارعة ٥٦٠	سورة التكاثر ٥٦٠	سورة العصر ٥٦٠	سورة الهمزة ٥٦٠
سورة الفيل ٥٦١	سورة قريش ٥٦١	سورة الماعون ٥٦١	سورة الكوثر ٥٦٢

سورة الكافرون ٥٦٢	سورة النصر ٥٦٢	سورة تبت ٥٦٢	سورة الاخلاص ٥٦٣
	سورة الفلق ٥٦٤	سورة الناس ٥٦٤	

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 55

٧٠

حسبی الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذی المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقفي ١١٧٥

١١٦

تفسیر قاضی با خط نسخ من اول القرآن الى آخره
مجدول ومحشی مسطر یکرمی طقوز قطعه متوسطه
عدد ورق درتیوز التمش
دردر
م

٧٠

RAĞIP P.
Ka. Nu.
69

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى
لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا
ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر
اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق
ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت
ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات
والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد فهو فى الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه واطفا نبراسه
يعش ذميما ويصل سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية
كل مقصود صل عليه صلوة توازى غناءه وتجازى عناءه وعلى من
اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك
كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا اما بعد فان اشرف العلوم
مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية
ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم
فيه الا من برع فى العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق فى الصناعات
العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسى بان اصنف فى
هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوى على نكت بارعة ولطايف رايعة
استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه
القراآت المشهورة المعزية الى الايمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء

1 قوله وتسمى ام القرآن عطف على مقدر اى تسمى لفاتحة او على سورة الفاتحة باعتبار المعنى والتقدير هذه فاتحة الكتاب
وتسمى اه وعطف العلمية على الاسمية شايع كعكسه والمراد بالتسمية وضع العلم لا الاطلاق وقال الفاضل الشريف
فاتحة الكتاب صارت علما بالغلبة للسورة وقد ذكره في الكشف ايضا وفي اجتماع الغلبة والتجوز نظر مع انه مناف
لما ترى من النقل قيل وفيه خفاء ايضا لان القول بعلمية الجنس ضروري لمنع الصرف ونحوه من الاحكام وجب
العلمية الشخصية تشخص المعين ولا تشخص هنا والاصح ان اسماء السور موضوعة لتلك الالفاظ المقروة فكون
واحده بالنوع كما في التلويح وشرح المقاصد الا ان يقال يشكل هذا المؤلف بحسب العرف بعد تشخصا واما جعلها
وامثالها من قبيل اسماء الاشارة في عموم الوضع وخصوص الموضوع له فبعيد جدا وما ذكر في عدم اعتباره فيها
من انها لو كانت موضوعة لواحد من الخصوصيات كان في غيره مجازات وان كانت موضوعة لكل منها كانت مشتركة
بين معان غير محصورة وان كانت موضوعة لمعنى كلية لزم كونها مجازات لا حقايق لها والكل فاسد لا يتأتى
هنا اذ قلما يستعمل في شخص والاكثر استعمالها في الكل فلا يلزم ما ذكر والتفصيل في شروح الرسالة الوضعية اقول
الذي عليه المعول في اسماء السور واسماء العلوم والكتب ونحوها انها اعلام شخصية لتلك الالفاظ المخصوصة لا للصور
الذهنية ولا للنقوش ولا المركب منها وهي تعد في العرف شيئا واحدا شخصيا واختلاف الالفاظ وتعددها كتعدد
الكتاب زيد لا يغير تشخصه لانه غير معتبر فيه ومما يشهد له شهادة تزكيها الاستقراء تسميتها بالجمل كقل هو الله
احد وانا اعطيناك الكوثر ومثله معروف معهود في الاعلام كتأبط شرا وبرق نحره وصرح
دون اسماء الاجناس فانه وان لم يكن مفقودا فيها لكنه نادر واما الاستدلال بدخول اللام كالكافية والشافية
فليس بشيء لانه ليس مما يستدل بمثله وما قيل من ان العلمية الجنسية ضرورية مما تفرد به الرضي وهو غير مسلم
عند النحاة ودلالة الموصول على ماهية نوعية او جنسية لا يرد عليه نقضا وفي شرح الفوائد الغياثية اسماء
العلوم كاسماء الكتب اعلام اجناس عند التحقيق وضعت لانواع واعراض تتعدد محالها القائمة بها
كزيد وعمرو وقد تجعل اعلاما شخصية باعتبار ان المتعدد باعتبار المحل يعد واحدا في العرف وهو تكلف
ثم اذا لم يكن موضوعة للمفهوم الاجمالي انتهى وتردد السبكي في اسماء العلوم بل هي اعلام بالغلبة او منقولة
عرفية كالدابة ورجح الثاني وسياتي تتمة هذا المبحث في تعريف الجلالة الكريمة
من حاشية الشهاب

قوله ونعلمه [illegible]

اي على السؤال [illegible]

[illegible] حمد الله اولا [illegible] قال [illegible]

له ولا استغنى عن الاسم [illegible]

[illegible] عليه قوله والصلوة [illegible] روي ابو هريرة [illegible]

[illegible] الصلوة [illegible]

[illegible]

المعتبرين الآن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناوياً أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سول

سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي رحمهم الله وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن الشيباني عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول أم سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلها اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه وتقديم المعمول ههنا أوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعاً ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله

فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول
على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما
كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر
ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا
البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون
وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل ليقل اعلاله لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا
على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة
فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد
واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله
وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة
على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد
به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ
كما يجب تنزيه ذاته وصفاته تعالى عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن
الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى
ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما هو لا هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان
التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع
الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة
وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع لكنه يختص بالمعبود بالحق والاله
في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة
والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير
في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح
تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع
اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون
بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه
فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه وقيل اله كاعاء و
اشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا

وما يتعلق بلفظة الجلالة في التسمية الموصوفة بعد بيانه

[illegible]

قوله والاسم ان اريد به ان قد اشتهر في كتب الاصول ذكر الخلاف في ان الاسم هو عين المسمى او التسمية او غيرهما وقد تحير الناس في المراد من ذلك وذكروا لها تاويلات لم تظهر لها ثمرة ولم يتحرر الى الآن محل الخلاف ومقطعه وانت تر ان ذلك الاصل ولم يذكر القول بانه عين التسمية او غيرها وان كان قولا لبعض المعتزلة لانه في غاية الضعف والبعد والمراد بالتسمية ايضا العبارة المعبر بها عن المسمى كما نقل عن الاشعري وقوله فغير المسمى اه يعني انه لم يتحرر له محل النزاع لانه ان اريد بالاسم لفظه فهو غير المسمى بلا نزاع لانه يتالف من اصوات غير قارة او من هيئات وكيفيات للاصوات يتميز بها كل صوت من غيره والمسمى ليس كذلك دائما وان اتفق ذلك كالقرآن ونحوه مما اسمه ومسماه لفظ ايضا فان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لا يصلح محلا للنزاع ولا يناسبه ما ذكر في الاستدلال وان اريد به الصفة او الاعم لا يصح الجزم باحد طرفيه وقد اراد السيد رحمه الله في شرح المواقف تحرير البحث فلم يتم له الذي تشبث من الشهاب

[illegible]

قوله وقوله تعالى تبارك اسم ربك الخ وفي نسخة سبح اسم ربك وهو اشارة الى جواب سؤال مقدر ورد على قوله انه لم يشتهر بهذا المعنى او الى الرد على من ادعى ان الاسم هو الذات مستدلا بما ذكر كما فصله الامام واشار اليه المص لان المتبارك والمسبح هو الذات لا اللفظ الدال عليها فدفعه بان الاسم هنا المراد به لفظه وكما يجب تعظيم ذاته تعالى يجب تعظيم اسمائه وتنزيهها عما لا يليق بها وقوله عن الرفث اي الفحش وما يستهجن ذكره ولا يليق كالتاويلات الفاسدة واطلاقها على غيره قوله او الاسم فيه مقحم اي زائد من اقحمه اذا رماه او ادخله في شيء ثم تجوز به عن الزيادة وهذا جواب اخر عما استدلوا به من ان الاسم هو المسمى بما ورد في النص من نحو قوله سبح اسم ربك وتاخيره اشارة الى ان الاصل عدم الزيادة فالمراد باسم السلام نفسه وهو مسماه فاقحم الاسم المسماه كما يضاف المسمى الى الاسم في يوم الاحد ونحوه والاقحام كثير في كلام العرب والمقبول منه ما كان لنكتة كما في الابيات لانه اذا نزه اسمه فكيف بذاته او قوله الى الحول الخ

[illegible]

عن الموصوف كصفات الافعال من كونه خالقا ورازقا ومنها ما لا يقال انه عين ولا غير وهو ما يمتنع انفكاكه كالعلم والقدرة يدل على انه اراد بالصفة المعنى الثاني ومدلول الاسم المدلول المطابقي وبعد ما فسر الغيرية بما ذكر لا يرد عليه ان الصفة امر خارج عن الذات فكيف يكون عينه وانه يلزم منه تقسيم الشيء الى نفسه وغيره كما في حواشي الشهاب وفيه تفصيل قوله كما هو الخ ان كان نقل عن الشيخ في هذه المسئلة ان المراد بالاسم الصفة فالكاف متعلق باريد كما في بعض الحواشي والا فهو قيد للصفة كما ارتضاه اكثر ارباب الحواشي لكن قال بعض الفضلاء ان الظاهر ان الظرف متعلق بالارادة دون الصفة وهو الموافق لما نص عليه الشيخ في كتاب الصفات من ان الاسم هو الصفة فما ذكره مردود لانه ناشئ عن عدم الاطلاع ومن حفظ له حجة على من لم يحفظ وبقي في هذا البحث امور كثيرة قصر بسافتها البق بالراي السديد ثم ان السبكي رحمه الله قال في كتاب القواعد انهم بنوا على هذه المسئلة فروعا فقهية منها ما اذا قال اسمك طالق هل يقع به الطلاق ام لا ومنها ما لو قال باسم الله لا افعلن كذا هل يكون يمينا ام لا ومنه عرفت نكتة في تعقيب المص رحمه الله لهذه المسئلة بما بعدها وهو قوله وانما قال بسم الله الخ فقيل انه يحتمل لوجهين احدهما ان يراد لم يبدا باسم خاص من اسمائه وبدئ بما يدل عليها اجمالا والثاني انه لم يتبرك بذاته بل تبرك باسمه وفيه ان قوله لان التبرك الخ يعين الثاني وعلل بانه الذي يتلبس بالفعل حل ويأتي به دون الذات لتنزهها عن ان يتلبس بها احد ويأتي بها وقيل عليه ان التلبس بالذات من حيث هي غير ممكن لكنه من حيث الاستحضار بالذكر ممكن ورد بان مرجعه ايضا الى الاتيان بالاسم وهو اولى بالاعتبار وظواهر النصوص دالة على ان الابتداء بالاسم واما الاستعانة بالذات المقدس نحو بك نستعين فاكثر من ان تحصر وحقيقة الاستعانة كما مر التوسل بمدخولها لتشريف المشروع فيه والاعتداد به ولو كان فيه ترك ادب لم يجب الى الاسم ايضا غاية انه احترز عن اطلاق لفظ الالة وتخلص منه بان الشرع عين الاسم لذلك فاتبع وتعين الاسم له ليس بصحيح الاترى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا وانما جاءهم من عدم الفرق بين الاستعانة والالية وانما يقتضيها الابتداء وهو غلط نشأ من التمثيل بكتبت بالقلم والصواب ان الاستعانة طلب العون وهي تتعدى بنفسها كما في اياك نستعين وبالباء كما في استعينوا بالله والاستعانة تسند اليه حقيقة فيقال اعانني الله وهو خير معين فاحفظه فانه معين عليه كذا في مختصر الشهاب

[illegible]

قوله اوم الذى ... اى فلان اي سكنت اليه سكن اليه بمعنى استانس من السكون وعدم الاضطراب او هو مجاز من السكين ومنه السكن بفتحتين فانه ما يؤلف من نحو الصديق والاهل والحبيب والمنزل قوله لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن لمعرفته يقال اطمأن يطمئن اطمئنانا وطمأنينة بمعنى سكن وهو مطمئن الى كذا وذلك مطمأن اليه فهو حقيقة في المكان واطمئنان القلب والنفس مجاز ومنه النفس المطمئنة الا انه شاع حتى صار حقيقة في استقرارها بزوال القلق والاضطراب وهو لا يتاتى لغير الله تعالى فلذا قدم المتعلق للحصر في قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب اي لا بغيره وطمأنينة القلب والنفس بمعرفة الله به والتسليم له منقادة بزمام الطاعة وحينئذ تصل الروح بنور المعرفة الى المستقر بها في مقعد صدق

[illegible]

مقصد لا يوصل اليها ولا يطلع عليها او الى ارتفع واحتجب بنيه الا ان له معنيين كما في لباب التفاسير احدهما الاحتجاب كما قال الشاعر لاهت فما عرفت يوما بخارجة يا ليتها خرجت حتى رأيناها وثانيهما الارتفاع يقال لاه فلان اذا ارتفع فقوله لانه محجوب عن ادراك الابصار ناظر الى الاول قال الامام ان الحقيقة الصمدانية محجوبة عن العقول ولا يجوز ان يقال محجوب لان المحجوب مقهور لا يليق الا بالعبد اما الحق فقاهر فظهر ان في العبارة مسامحة وقوله مرتفع على كل شيء ناظر الى الثاني وهو مستعمل في ذلك استعلاء معنويا رتبيا وهو مرتفع ايضا اي متنزه عما لا يليق به من الاقوال والافعال والصفات

[illegible]

صفات في نفس الامر ولا يكون هناك ذات موصوفة بها وتحتاج في دفعه الى التكلفات ان شئت فارجع الى الحواشي البرقية
ولله در المحشي حيث جعله دليلا على اسمية لفظ الله ونفي كونه صفة ليفيد نفي الاختصاص كونه علما فلم يرد عليه
شيء مما ذكر والسيد السند حمل عبارة الكشاف في حواشيه على ذلك بتكلف **قوله** ولو كان وصفا الخ تقديره انه لو كان
وصفا لكان مثل الرحمن من الصفات الغالبة فلم يكن لا اله الا الله توحيدا مثل قولنا لا اله الا الرحمن لكنه باطل للاجماع على افادة
الاول التوحيد دون الثاني والسر في ذلك انه لو كان صفة كان مدلوله المعنى دون الذات المعينة فهو لا يمنع الشركة
وان اختص في الاستعمال بذاته تعالى بخلاف ما اذا كان علما فانه يكون مدلوله الذات المعينة وان كان تعقله على وجه كلي فان
تعقل الجزئي بوجه كلي لا يستلزم كلية المعلوم على ما بين في موضعه كيف وقد اعترفوا بعموم الوضع وخصوص الموضوع
فاندفع ما قيل انه لو كفى في التوحيد اختصاص المستثنى بذاته تعالى في الواقع فقولنا لا اله الا الرحمن ايضا توحيد وان لم
يكف واقتضى بالتقييد بحيث لا يجوز العقل فيه الشركة لم يكن لا اله الا الله ايضا توحيدا لان الله لا يحضر ذاته على
وجه التشخص فان عدم الاحضار على وجه التشخص يقتضي ان يكون آلة الاحضار امرا كليا لا ان يكون المحضر امرا كليا
ويجوز الشركة فيه انما ترتب على الثاني على انك قد عرفت ان الاستدلال بالاجماع فقول القائل لا اله الا الرحمن ايضا
توحيد مما لا وجه له فتدبر **قوله** والاظهر انه وصف الخ اثبات لكونه وصفا مشتقا على احد الوجوه السابقة مع
الجواب عن ادلة كونه علما لذاته وخلاصته الجواب ان الوجوه المذكورة لا تنفي كونه في الاصل وصفا لان الاعلام الغالبة
كالصعق والثريا جارية مجرى الاعلام القصدية في اجراء الاوصاف عليها وامتناع الوصف بها وعدم احتمال تطرق
الشركة اليها فالوجوه المذكورة لا تثبت المدعى اعني كونه علما لذاته المخصوصة ابتداء **قوله** بحيث لم يستعمل الخ

بذاته تعالى فهو في الاصل اما اسم او وصف والاظهر هو الثاني لما مر حاشيته عبد الحكيم السلكوتي من غير قصر واختصار
لما افاد ظاهر قوله وهو الله في السموات معنى صحيحا اي رجحت الطريقة المستحيلة على ذاته تعالى فتعين ان يكون فيه معنى الوصفية
اي المعبود في السموات وفي الارض والفرق بين الصفة واسمها واسم غيرها كما افاده السعد التفتازاني ان اللفظ ان وضع
للشيء باعتبار بعض معانيه واوصافه من غير ملاحظة لخصوصية الذات حتى ان اعتبار الذات عند ملاحظته لا يكون الا
لضرورة ان المعنى لا يقوم الا بالذات فهو صفة كالمعبود ولذلك فسروا الصفة بما دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود
او على ذات مبهم ومعنى معين واسم الصفة ما دل على ذات باعتبار معنى ليس مقصودا فلفظ الاله دال على الذات المعبودة
باعتبار معنى هو المعبودية بالحق والمقصود الذات المعبودة لا غير ولفظ المعبود بالحق دال على الذات المعبودة باعتبار
معنى هو المعبودية بالحق وهو المقصود لا غير فهذا هو نفس الصفة واسمها وان وضع له بدون ملاحظة ما فيه من المعاني
كرجل وفرس او مع ملاحظة بعض ذلك اي مع ملاحظة خصوصية الذات كالكتاب للشيء المكتوب والنبات لجسم النابت
وكجميع اسماء الزمان والمكان والآلة فهو اسم غير صفة ويستدل على ان الحق هو المعنى او الذات بان الاول لا يوصف
ويوصف به والثاني بالعكس ولا خفاء في ان الاله من قبيل الثاني اذ ثبت في الاستعمال آله واحد ولم يثبت شيء آله
فيكون اسما مع حاشيته قاضي زكريا الانصاري **قوله** والاظهر انه وصف الخ وفي نسخة والحق بدله ثم انه قيل انه مذهب

احتجب اوارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به
ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته
المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابد له من اسم يجري عليه صفاته ولا
يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه
بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف
عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا
اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه
لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان
معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه
وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة
وادخال اللام عليه وتفخم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف
الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا
لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا
للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة
البنا تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة
باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن
والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا
لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا
يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره
لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح
رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها
والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي
يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل
على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف
او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى

ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بالاغلب. وتخصيص التسمية بهذه
الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي
الذي هو مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب
القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره. الحمد لله الحمد
هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها. والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا
تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته. وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا. قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي
ولساني والضمير المحجبا. فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر. ولما كان الحمد
من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من
الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس
الشكر ما شكر الله من لم يحمده. والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر. ورفعه بالابتداء
وخبره لله. واصله النصب وقد قرئ به. وانما عدل به الى الرفع ليدل على عموم الحمد و
ثباته له دون تجدده وحدوثه. وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها. والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما
هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط
او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله. وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد
عالم. اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه. وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس
تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة. رب العالمين. الرب في الاصل
بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا. ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل
وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب. كقولك نم ينم فهو نم. ثم سمي به المالك لانه يحفظ
ما يملكه ويربيه. ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك. والعالم
اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع. وهو كل ما سواه من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده. وانما جمع ليشمل
ما تحته من الاجناس المختلفة. وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء والنون كسائر اوصافهم. وقيل
اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع. وقيل عني به الناس
ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم. ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون. وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه
الحمد. وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي

حال بقائها. الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره. مالك يوم الدين. قرأه
عاصم والكسائي ويعقوب. ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ
لله. وقرأ الباقون ملك وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه
من التعظيم. والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك. والملك هو المتصرف
بالأمر والنهي في المأمورين من الملك. وقرئ ملك بالتخفيف. وملك بلفظ الفعل. ومالكا بالنصب
على المدح أو الحال. ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف. وملك مضافا
بالرفع والنصب. ويوم الدين يوم الجزاء. ومنه كما تدين تدان. وبيت الحماسة. ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا. أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار. ومعناه ملك الأمور يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب
الجنة. أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة
للمعرفة. وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين. وتخصيص اليوم بالإضافة
إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه. وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه ربا
للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لأمورهم يوم
الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة
سواه. فإن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم
يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن يحمد فضلا عن أن يعبد ليكون دليلا على ما بعده.
فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية. والثاني والثالث للدلالة على أنه
متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب بالذات أو وجوب عليه قضية
لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد. والرابع لتحقيق الاختصاص فإنه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه
ما. وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين. إياك نعبد وإياك نستعين. ثم إنه لما
ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين
خوطب بذلك. أي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على
الاختصاص وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود. وكأن المعلوم صار
عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا. بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف
من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه
وباهر سلطانه. ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة
فيراه عيانا ويناجيه شفاها. اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين
للأثر. ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا
للسامع فيعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى وجرين

بهم وقوله تعالى والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العاير
الارمد وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن ابى الاسود وايا ضمير منصوب منفصل
وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها
من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه
عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل
هى الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل
به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى
غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية
الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما
ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره
وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر
للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف
والمراد طلب المعونة فى المهمات كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارى
ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته فى
تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا
شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به وللدلالة على الحصر ولذلك قال ابن
عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم فى الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث
انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه
حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة
اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن
خليله حيث قال ان معى ربى سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان
به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة لتتوافق رؤس الآى ويعلم منه ان تقديم
الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه
اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
على ان العبادة ايضا مما لا تتم ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال

والمعنى نعبدك مستعينين بك • وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف المضارعة
سوى الياء إذا لم ينضم ما بعدها • اهدنا الصراط المستقيم • بيان للمعونة المطلوبة • وكأنه
قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا • أو إفراد لما هو المقصود الأعظم • والهداية دلالة بلطف
ولذلك تستعمل في الخير • وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وارد على التهكم • ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها • والفعل منه هدى • وأصله أن يعدى باللام أو إلى فعومل
معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه • وهداية الله تتنوع أنواعا لا يحصيها
عد كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها • ولكنها تنحصر في أجناس مترتبة الأول
إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه
أشار حيث قال وهديناه النجدين • وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
والثالث الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب • وإياها عنى بقوله تعالى • وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا • وقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف عن قلوبهم السرائر ويريهم
الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات الصادقة • وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء
والأولياء • وإياه عنى بقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده • وقوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات
عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه • فإذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق
السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك
بنورك • والأمر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى • ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل
وقيل بالرتبة • والسراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما
لأنه يلتقمهم • والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق • وقد يشم الصاد
صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه • وقرأ ابن كثير ورويس برواية قنبل ورويس عن
يعقوب بالأصل وحمزة بالإشمام • والباقون بالصاد وهي لغة قريش والثابت في الإمام
وجمعه سرط ككتب • وهو كالطريق في التذكير والتأنيث • والمستقيم المستوي والمراد به
طريق الحق وقيل هو ملة الإسلام • صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الأول بدل الكل
من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة • وفائدته التوكيد والتنصيص
على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير
والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين
وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء • وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من أنعمت عليهم • والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان

فاطلقت لما يستلذ به من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل و تحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يعفو عما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين او صفة لهم مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين و الغضب ثوران النفس ارادة الانتقام واذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمز على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها

بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة مبينة او مقيدة على ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال نسخة

قوله أو الاستثناء لما قد تقرر في النحو أن غير يستثنى بها فتكون منصوبة عن تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد إلا عندهم واختاره ابن عصفور وعلى الحال عند الفارسي واختاره ابن مالك وعلى التشبيه بظرف المكان عند جماعة واختاره ابن البادش وقوله الاستثناء يجري على الأقوال والظاهر أنه على الأول منها والمراد بالفئتين في كلامه المؤمن والكافر لأن المطلق النعم يشملهما وقيل المغضوب عليهم والضالين والأول هو الصحيح وإنما قيده بذلك ليكون الاستثناء متصلا على الأصل وليس بلازم وقد ذهب جماعة هنا إلى أنه منقطع فلا حاجة غير بيان الراجح عنده وقد اعترض الفراء على الاستثناء بأن لا لا تزاد إلا إذا تقدمها نفي كقوله ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبو بكر ولا عمر ومنع مستنده إلا أنها وردت زائدة من غير تقدم نفي كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد وقوله ويلحينني في اللهو أن لا أحبه وللهو داع دائب غير غافل وغيره مما لا يحصى من الشواهد وكأنه أراد أنها لا تزاد بعد الواو العاطفة وحينئذ لا يتم السند فتأمل من الشهاب

أي لأن غير لتضمنه معنى النفي صار بمنزلة لا في جواز تقديم ما في حيزه عليه وإن كان المعمول إنما يجوز تقديمه إذا جاز تقديم عامله والمضاف إليه لا يجوز تقديمه على المضاف إلا أنه لما ذكر من كون إضافتها كلا إضافة جاز ذلك وإنما يمنع النفي تقديم ما بعده عليه إذا كان بما وإن لأنهما لدخولهما على الفعل والاسم أشبها الاستفهام فطلبا صدر الكلام بخلاف لم ولن فإنهما اختصا بالفعل وعملا فيه وصارا كالجزء منه فجاز أن يقال زيدا لم أضرب وعمرا لن أضرب وأما لا فإنها لدخولها على القبيلين جاز التقديم معها لأنها حرف متصرف فيه حيث عمل ما قبلها فيما بعدها كما في أريد أن تخرج وجئت بلا طائل فجاز أيضا أن يتقدم عليها معمول ما بعدها بخلاف ما إذا لا يتخطاها العامل أيضا وأن جوز الكوفيون تقديم ما في حيزها عليها قياسا على أخواتها مختصر من الشهاب وله هنا كلام

قوله العصاة أي مخالفوا الأوامر والنواهي والضالون الجاهلون بالله أي بذاته وصفاته وأفعاله وبالجملة بجاهل بما يجب عليه علمه ولا اعتقاده لأن المنعم عليهم المفهوم من أنعمت عليهم من وفق

فلا ينافي العفو تفضلا وكرما فسقط ما توهم من أن الغضب الانتقام أو إرادته وإرادة التعذيب لتخلف عن المراد فيلزمه القطع بتعذيب المؤمن العاصي وهو مخالف لما عليه أهل الحق والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال فإن الحق هو الاعتقاد الذي طابقه الواقع فالضلال المقابل له فالمنقسم الناس بحسب العلم بما ينبغي والعمل به إلى ثلاثة أقسام لأنه إما عالم به أو جاهل والعالم إما عامل أو مخالف فالعالم العامل هو المنعم عليه والعالم المتبع هواه هو المغضوب عليه والجاهل هو الضال فالناس لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة فلا يرد أن الاستثناء لأنه الواردة في القائل عمدا لا يتم فإن الغضب في المخل بالاعتقاد أيضا وارد على أنه لا يقتضي كون كل من أخل بالعمل مغضوبا عليه فتأمل مختصرا من الشهاب أي بين اسم للفعل الاصطلاحي الذي هو لفظ استجب من حيث يراد به معناه لا لفظه فإذا قلت أمين فهم منه لفظ استجب أو ما يرادفه مقصودا به طلب الاستجابة كما في قولك اللهم استجب لا مقصودا به نفس لفظ استجب كما في قولك استجب صيغة الأمر وبذلك صح كونه وكون سائر أسماء الأفعال أسماء وإن استفيد منها معاني الأفعال لأن مدلولاتها التي وضعت

قال ويرحم الله عبدًا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بُعدًا • وليس من القرآن وفاقا لكن يُسن ختم السورة به لقوله عليه الصلوة والسلام علمني جبريل آمين عند فراغي من الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب • وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية • لما روى عن وائل بن حجر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرئ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته • وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلوة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته • وعن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التنكير والتعريف والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها • وبه صرح الخليل وابو علي • وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها • لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف • فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه • فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي • ولعله سماه باسم مدلوله • ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع • واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها • وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل • ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء • ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب

قوله ابين فزاد الله في شرح الفصيح هو من شعر قاله جبير بن الاضبط وكان سأل الاسدي حمالة فحرمه والاسدي اسمه فطحل بفتح الفاء وسكون الطاء وفتح الحاء المهملة بجعفر وروي عنهما والمعنى تباعد لان سأله وما زائدة او موصولة وابين مقدم من تأخير للاهتمام بالاجابة او هو تأمين على دعاء معتقد لعلمه فحواه • وقيل الرواية فيه المد ايضا وما ههنا محرف وهو هكذا • تباعد مني فطحل وابن امه فآمين زاد الله ما بيننا بعدا • وروى سألته ولقيته بدل دعوته • قوله وليس من القرآن اي بالاجماع وما نقل في بعض الكتب لا ينبغي كما في التيسير اثباته في السورة عند ابن مجاهد ولعدم عنده والمصنف قال وفاقا وكذا استحسن الفصل عنه وبين السورة ولم يكتب في الامام ولا في غيره من المصاحف

وعن ابن عباس بينا رسول الله اصل بينا بين اشبعت الفتحة فصارت الفا تقول بين نحن بين رقبة اذا تانا اي بين رقبتنا اياه وبجمل مما تضاف اليها اسماء الزمان كقولك آتيك زمن الحجاج امير ثم حذف المضاف الذي هو الوقت وولي الظرف الذي هو بين الجملة التي اقيمت مقام المضاف اليها ورفعوا ما بعدها على الابتداء كما وقع ههنا والخبر محذوف وهو جالس ونحوه وكذا بينما وتقع بعدهما اذا واذ الفجائيتين قال الرضي الاكثر في جواب بينما اذ وبينا اذا والملك في الحديث غير جبريل عليه السلام كما في مسلم • وعن حذيفة بن يمان ان هذا الحديث اسنده الثعلبي وقال العراقي انه موضوع وقيل انه ضعيف والمعنى ان من الناس من يبعث الله عليه بشؤم معاصيه الموجبة للعقاب عذابا ثم تؤخر عنهم ببركة قراءة صبيانهم ما ذكر وحتما بمعنى واجبا ومقضيا بمعنى تعلق به قضاء الله ازلا اوقدر وسطر في اللوح المحفوظ وفيه دليل على ان القضاء غير مبرم فيتغير او يؤخر والمعنى برفعه تأخيره لا ازالته لقوله اربعين سنة ولولاه صار حشوا والكتاب لوزن رمان ههنا بمعنى المكتب وقد انكره الجوهري واستفاض استعماله وقيل اصله جمع كاتب مثل كتبة فاطلق على محله مجاز البلجاورة وليس موضوعا له ابتداء ملخصا من خسرو والشهاب

خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق
في فنه وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسماً هي نصف أسامي حروف المعجم إن لم يعد فيها
الألف حرفاً برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها إذا عد فيها الألف مشتملة على أنصاف
أنواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحاء والصاد والهاء والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن
يقطع أمر ومن الشديدة المجموعة في أجدت طبقك أربعة يجمعها أقطك ومن
البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد
والظاء نصفها الصاد والطاء ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب
عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الأقل لقلتها ومن اللينتين الياء لأنها أقل ثقلاً
ومن المستعلية وهي التي يتصعد بها الصوت في الحنك الأعلى وهي سبعة القاف والصاد
والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الأقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن
حروف البدل وهي أحد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها أجد طويت
منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها أهطمين وقد زاد بعضهم سبعة أخرى
وهي اللام في أصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في أجداف والعين في
أعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة
الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة
عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والضاد والطاء والفاء والميم والياء والخاء والغين
والظاء والشين والزاي والواو نصفها الأقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها
الأكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون واللام لما في الإدغام من الخفة والفصاحة
ومن الأربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء
نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب
منفل والحلقية التي هي الحاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر
ثلثيها ولما كانت أبنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم
تنساه سبعة أحرف منها تنبيهاً على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف
المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم إنه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية
وخماسية إيذاناً بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين
فصاعداً إلى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لأنها توجد في الأقسام الثلاثة
الاسم والفعل والحرف وأربع ثنائيات لأنها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف
كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الأقسام الثلاثة

الثنائية على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي
الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثنائيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في
ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء
وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل
وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه
الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى
به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق
الاكثر وسميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليها بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به
وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل
لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل
لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم
لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او
اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف
لا تحسبي انا نسينا الايجاف كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله
واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا
الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي
القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه الصلوة والسلام او الى مدد اقوام وآجال
بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه الصلوة والسلام لما اتاه اليهود
تلى عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا
فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل
على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها
بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها
من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها
الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد
الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول
هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من

حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل في
الاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان
هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من
كلمات متباينة لا تفسير بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ولا معنى ولا لحساب الجمل فتلحق
بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير
ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت
وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك واما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى
هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه
اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على مقصود العلمية وقيل
انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه
ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها
جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله وقيل انها
سر استأثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربع وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه
ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم ورموز لم يقصد
بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان
لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله
لأفعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك
وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف
من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة منها
منصوبا او مجرورا على منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية
عندهم غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم
آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم
به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار للبعيد وتذكيره متى اريد

بالم السورة لتذكير الكتاب فإنه خبره أو صفته الذي هو هو، أو إلى الكتاب فيكون الكتاب صفته
والمراد به الكتاب الموعود إنزاله بقوله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه، أو في الكتب
المتقدمة، وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة، أو فعال بني للمفعول كاللباس ثم أطلق
على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لأنه مما يكتب، وأصل الكتب الجمع، ومنه الكتيبة. لا ريب فيه
معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه
وحيا بالغا حد الإعجاز، لا أن أحدا لا يرتاب فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا الآية، فإنه ما أبعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو أن يجتهدوا في
معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة. وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين. وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي. والريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل
فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها، سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة
وفي الحديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة. ومنه ريب
الزمان لنوائبه. هدى للمتقين يهديهم إلى الحق. والهدى في الأصل مصدر كالسرى
والتقى ومعناه الدلالة. وقيل الدلالة الموصلة إلى البغية لأنه جعل مقابل الضلالة
قال تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين. ولأنه لا يقال مهدي إلا لمن اهتدى إلى المطلوب
واختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون المنتفعون بنصبه وإن كانت دلالته عامة لكل
ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال الله تعالى هدى للناس أو لأنه لا ينتفع بالتأمل
فيه إلا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فإنه كالغذاء
الصالح لحفظ الصحة فإنه لم يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة. وإليه أشار بقوله تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا. ولا يقدح ما فيه
من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه. والمتقي اسم فاعل من
قولهم وقاه فاتقى. والوقاية فرط الصيانة. وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما
يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب. الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه
قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى. والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى
الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا. والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته. وقد فسر قوله تعالى
هدى للمتقين على الأوجه الثلاثة. واعلم أن الآية الكريمة تحتمل أوجها من الإعراب أن
يكون الم مبتدأ على أنه اسم القرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها. وذلك خبره وإن كان

٨

حكم الاسم الواقع بعد اسم الاشارة

اخص من المؤلف مطلقاً والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبراً ثانياً او بدلاً والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يتقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد به ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستأهل ان يسمى كتاباً او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له جملة رابعة تؤكد كونه حقاً لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولاً على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذراً عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكراً للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقياً ايجازاً وتفخيماً لشانه. الذين يؤمنون بالغيب. اما موصول بالمتقي على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الطاعات النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالباً الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص

فرائد الوقف

قوله فيكون الوقف قال السجاوندي الوقف اما لازم وهو الذي اذا وصل غير المعنى المراد نحو وما هم بمؤمنين يخادعون الله لان القصد نفي الايمان ولو اتصل لم يفده او مطلق وهو ما يحسن الابتداء به وهو الذي عناه العلامة بقوله منقطع او جائز وهو ما يستوي وصله وفصله وهو المراد بقوله حسن غير تام لان اعتبار الوصفية يقتضي الوصل واعتبار الفاصلة يقتضي الفصل وفي الكشف اعتبار الفاصلة في الوقف لا يقول به السجاوندي والكواشي والظاهر ان مثله يجوز في الآيات اذا قصد البيان خاتمة لا ترمران التام عند القراء والزمخشري هو الوقف على جملة مستقلة لا ترتبط بما بعدها واما الحسن فقيل هو الوقف على جملة لها ارتباط بما بعدها ارتباطا لا يمنع الاستقلال وقيل الوقف على كلام مستقل بعده ما لا يستقل كالحمد لله وفي تسميته حسنا نظر وعلى القطع هو في المعنى وصف فلذا كان الوقف غير تام وغير

فلما انهى حمد الملك لا خلف فيه مع تجمه معنى الانهاء وقد دلت عليه بذكر صلته يعني الى اي احمد منهيا اليك حمد اياه كذا قالوا والاحسن ان يقال ويدل على ان نحو انا نذكر شي من متعلقاته كما تر او حذف شي من متعلقات الاول كما قال صاحب الكشف انهم يضمنون الفعل معنى فعل اخر فيجرونه مجراه فيقولون يتجنبي شوقا متعدي الى المفعولين بنفسه وان كان هو متعدي الى الثاني بالي يقال بتجه اليه كذا التضمينه مغنى ذكر ثم ان فائدة التضمين اعطاء مجموع المعنيين حقهما فالفعلان مقصودان معا قصدا وتبعا فتارة يجعل المذكور اصلا والمحذوف حالا كما قيل في قوله تعالى

ان المراد بالاخلال الجحود والعناد مدفوع بانه الراجح عند الاشاعرة فان الراجح عندهم ان الايمان مجرد التصديق والقول الاخر انه التصديق مع الاقرار وهو الراجح عند ما تعاشر الحنفية الى تريدية الا ان النسفي قال في العقائد ان الايمان هو التصديق بما صدق الرسول عليه السلام فيما جاء به فهو شي بينه وبين الله تعالى والاقرار شرط لاجرا الاحكام هو بعينه القول المختار عند الاشاعرة والمراد بالاحكام احكام الدنيا من الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ونحو ذلك قال ابن الهمام واتفق القائلون بعدم الاقرار على انه يلزم ان يعتقد انه متى طلب منه اتى به فان طولب فلم يقر فهو كفر عناد اختي فاحفظه بما ذكر على الزمخشري وجوابه للحنفية والمعتزلة لا وجه له والاما او رد وقع على ذلك من قبل

قوله مع ما فيه من قلة التغيير وقد وقع في اكثر النسخ هكذا اي فيه ان الايمان للتصديق بما ذكر وحده من قلة التغيير عن اصل الموضوع له لانه مقيد والاصل مطلق وقلة التغيير منهما ظاهرة بخلاف ما اذا جعل لمجموع الثلثة وانه اقرب الى الاصل لظهور القرب بين المطلق والمقيد وبعضها خالية عن قوله مع ما فيه من قلة التغيير وهذا اولى لان ما في الاولى حشو في البين يغني ما بعده غناءه ويدل على وجه رابع وفي بعضها فانه اقرب بالفاء فيكون تعليلا لقلة التغيير وهو اي التصديق متعين للارادة في الاية حتى لا يجوز ارادة المجموع اذ المعدي بالباء هو التصديق اي الايمان بمعنى التصديق لا المجموع فظهر انه المتعين والفصل اضافي بالنظر الى المجموع فلا ينافي قوله لا بل وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب وفاقا بيننا وبين المعتزلة اقول هذا التعين موقوف على تعين كون الباء للتعدية وليس كذلك لما سيأتي من جواز كونها للمصاحبة والالة ثم المتبادر من ظاهر العبارة ان يراد التصديق على انه معنى شرعي وليس كذلك كما قال الامام اجمعنا على ان الايمان المعدي بالباء يجري على طريق اصل اللغة واما اذا ذكر مطلقا غير معدى فقد اتفقوا على انه منقول عن المسمى اللغوي اي التصديق المطلق الى معنى اخر من الطاعة او غير ذلك من الامور

اختلاف فرق الاسلام ان المكلف وان كان مجموع الروح والبدن الا ان اكثر الاحكام متعلقة بالبدن لكن الخطاب مع الروح وانما البدن آلة للروح فمن نظر الى ظاهر المجموع جعل الايمان عبارة عن فعل المجموع ومن نظر الى ان المعتبر هو الروح جعله عبارة عن فعله فقط ومن نظر الى ان فعل الروح وان كان اصلا لكنه صفة بنئ عنه فعل اللسان جعله عبارة عن التصديق والاقرار ومن نظر الى ان الدال على الاصل والمعتبر في الظاهر ومورد الاحكام هو الاقرار جعله عبارة عن الاقرار ملا خسرو رحمه الله

الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهاراً لفضلها على سائر ما يدخل
تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين وامّا مفصول
عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تامّا والايمان في
اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأنّ المصدِّق امّن المصدَّق من التكذيب والمخالفة
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار
ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب وامّا
في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء او مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه
عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل
بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان
غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف
الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان
في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين
الارادة في الآية الكريمة اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
القلبي هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني
لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار
والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد
به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه
وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل
كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا اذا جعلته صلة
للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان
بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي
ابن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب
ثم قرأ هذه الآية الكريمة وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة

ويقيمون الصلوة اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود
اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة
قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت
كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها
من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه
على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من
الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر فى سياق المدح والمقيمين الصلوة وفى معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من
صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها
لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده
واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لا يقدح فى نقله عنه وانما سمى
الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق فى
اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص
الشىء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام
لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى
اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب
المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من
رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق
له بقوله عليه السلام فى حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله
عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به
طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
وانفق الشىء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه
فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير فرضا
كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية
عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى منحهم الله

الحرام رزق ام لا وليس الخلاف في معناه اللغوي فانه
ما ينتفع به مطلقا كما صرح به وهو ليس مما ينبغي ذكره في
علم الكلام وليس ايضا نزاعا لفظيا راجعا الى تفسيره
بل النزاع في معناه شرعا بعد الاتفاق على ان الاضافة
الى الله الرازق معتبرة في مفهومه ولذا فسر تارة بما اعطاه
الله عبده ومكنه من التصرف فيه بحيث لا يكون لغيره المنع منه
فلا يكون الحرام رزقا وتارة بما اعطاه الله لقوامه وبقائه
خاصة فقالت المعتزلة لما كانت الاضافة اليه تعالى معتبرة
في مفهومه لزم ان لا يصدق على الحرام بناء على اصلهم
الفاسد في عدم اسناد القبائح اليه واهل السنة قالوا
كل من عند الله والاضافة لا تمنع كون الحرام رزقا ومنع
استحالوا عدوه محالا لان الاقدار على القبيح قبيح كخلقه عندهم
واعترض على المص بان وصف التمكين ليس معتبرا عند اهل
السنة وبان التمكين لا ينافي المنع والزجر كما في سائر
المعاصي الا ترى انهم قالوا بارجاع المحامد اليه تعالى دون القبائح
باعتبار ان الاقدار على الحسن حسن والتمكين من القبيح ليس بقبيح
وقد اشتهر انه تعالى خالق القوى والقدر واجيب بان
الاقدار والتمكين على وجهين الاول اعطاء القدرة الصالحة
لصرفها الى الخير والشر وذلك غير قبيح وحاصل منه تعالى على
زعمهم والثاني جعل الشيء خاصا باحد وخلا عن تصرفه
فيه بانواع الانتفاع بالفعل وذلك غير واقع في زعمهم فلا

اشكال قوله الا ترى ان الكفار اسندوا
الى الله للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق
يستاهل ان يضاف الى الله تعالى
وقال قدس سره تمسك بالاسناد فقط
ان الرزق لغة يتناول الحرام ايضا وتخصيصه
بما عداه عرف شرعي كما ينبئ عنه قوله رزقا منه
بكسر الطاء وسكون اللام وقاف الحلال كما في النهاية
قوله فان الانفاق الخ بيان وتعليل للايذان المذكور
ولا يرد عليه قول الفقهاء اذا جمع عند احد مال لا
صاحبه ينبغي له ان يتصدق به فاذا وجد صاحبه دفع
قيمته او مثله اليه فهذا الانفاق مما يثاب عليه لانه
لما فعله باذن الشرع استحق المدح لانه لما لم يعرف
صاحبه كان في يده وله التصرف فيه وينتقل بالضمان
الى ملكه وتبدلت الحرمة بالحلية فتامل قوله
وذم المشركين عطف على قوله واسنده الخ وهذا دليل
ثان لهم بانهم ذموا بجعل الحرام رزقا فيقتضي ان ليس
كذلك ولا يخفى ضعفه فانهم انما ذموا على جرائتهم
على التحريم والتحليل وهو لا يليق بغير الشارع وتحريم
المجتهد وتحليله ليس من هذا القبيل لانه لا خذه من النص
واسناده اليه فانه قائم مقامه فكانه هو واشار الى جواب
ذلك بقوله والذم للتحريم ما لم يحرم ولم يتعرض لجواب الاول
لشهرته في علم الكلام لان استحالة التمكين من الحرام الممنوعة
لان قبح الحرام باعتبار اضافته الى المتصف به لا الى من
اوجده قوله واضح تبائه حاصله منع كون الاسناد
للايذان المذكور بل لامر اخر وهو تعظيم الرزق
لانه جل وعلا انما يضاف اليه ما يناسب تعظيمه
كبيت الله فانما يضاف اليه الافضل فالافضل وتعظيم

من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق
منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت
اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان
تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك
والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان
بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر
الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل
الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم
وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه
الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا
روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه عليه والمراد بما انزل
اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم تسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله
منزلا ح وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما
جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض
ولكن الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون
اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا
او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم
من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان
العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري ولا العلوم
الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت
كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب
الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه واقتت ونظيره لحب

لحبّ المُوقدانِ الى مُوسى وجَعدةَ اذا ضاءهما الوقودُ • أولئك على هدى من ربهم • الجملة
في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له • وكأنه لما قيل هدى
للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فأجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات • والا
فاستئناف لا محل لها • وكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة • او جواب سائل قال
ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى • ونظيره احسنت الى زيد صديقك
صديقك القديم حقيق بالاحسان • فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته
المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه
فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له • ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه • وقد صرحوا به في قولهم امتطى
الجهل وغوى • واقتعد غارب الهوى • وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر
فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل • ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به
ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره • ونظيره قول الهذلي • فلا وابي الطير المربة بالضحى •
على خالد لقد وقعت على لحم • واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له • وقد ادغمت النون
في الراء بغنة وبغير غنة • واولئك هم المفلحون • كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان
اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلاً منهما كاف في تميزهم بها عن
غيرهم • ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون • فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف • وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه • او مبتدأ والمفلحون خبره • والجملة
خبر اولئك • والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر
والظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق
والفتح • وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في
الآخرة • او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم • تنبيه تأمل
كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء
الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره • وتعريف الخبر • وتوسيط الفصل لاظهار
قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم • وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل
القبلة في العذاب • ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح
لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأساً • ان الذين كفروا • لما ذكر خاصة عباده
وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة

قلبت الشعر اذا فتحته للنظر ناحيته من الهوام او من فلوته بالسيف اذا ضربته وفيه منع الشق الى هنا مختصار الشهاب
وتعريف المفلحون يعني ان اللام فيه اما للعهد الخارجي او للتعريف الجنس اشار الى الاول بقوله للدلالة على ان المتقين
الا تري انهم المفلحون في الآخرة اعلم ان ههنا ضابطة وهي ان الشيء اذا كان له صفتان من صفات التعريف وعرف
السامع اتصافه باحديهما دون الاخرى حتى يجوز ان يكونا وصفين لشيئين متعددين في الخارج فايهما كان بحيث
يعرف السامع اتصاف الذات به وهو الطالب بحسب زعمك ان تحكم عليه بالاخرى يجب ان تقدم الدال عليه وتجعله
مبتداء وايهما كان بحيث يجهل اتصاف الذات به وهو الطالب ان تحكم بثبوته للذات او نفيه عنها يجب ان تؤخر اللفظ
الدال عليه وتجعله خبرا فاذا عرف السامع مثلا زيدا بعينه واسمه ولا يعرف اتصافه بانه اخوه واردت ان تعرفه ذلك
قلت زيد اخوك واذا عرف اخوته ولا يعرفه على التعيين واردت ان تعينه عنده قلت اخوك زيد ولا يصح زيد
اخوك ويوافقها قول الشيخ في دلائل الاعجاز في اوله وآخره حيث قال انك في قولك زيد منطلق وزيد المنطلق

فليراجع اليها قوله وتعريف الموصول في الكشاف والتعريف في الذين كفروا الخ وفي الحواشي الشريفية تعريف
تعريف الذي وتصاريفه من بين الموصولات كتعريف ذي اللام في كونه للعهد تارة وللجنس اخرى سواء جعلت من المعرف
باللام كما ذهبت اليه شرذمة اولا كما عليه المحققون والوجه في العهد ان هؤلاء اعلام الكفر المشهورون بما فهم لذلك
كالحاضرين في الاذهان والاخير ما فيه فان تخصيص الذي وتصاريفه دون من وما مما ليس فيه ال لا وجه له وانما دعاه اليه
ظاهر قول الكشاف والتعريف في الذين ولذا عدل عنه المص الى قوله وتعريف الموصول اشارة الى ان الزمخشري انما اقتصر
عليها لانها ام الباب وهذا مما ينبغي التنبيه عليه وهم مطبقون على ان تعريف الموصول بالعهد الذي في الصلة لانه
ال واو لا يلتفت اليه سواء قلنا انه موضوع للخصوصيات بوضع عام او لامر عام بشرط استعماله فيها وقدم التعريف
العهدي لانه الاصح رواية ودراية قوله او للجنس متناولا الخ هذا بناء على ما بينه شراح المفتاح من ان تعريف الموصول
كالالف واللام فيكون تارة للعهد وتارة للجنس وللاستغراق وقد صرح به بعض النحاة ايضا وقوله صمم على الكفر بمعنى اجمع
عليه الى موته وليس من الصميم بمعنى الخالص كما توهم مختصار الشهاب وههنا ابحاث وتحقيقات فمن اراد الاطلاع عليها
فليراجع الى اصل هذه الحاشية

قوله خبر ان اي المجموع خبر ان معنى سواء كان خبر لفظا ايضا كما في الوجه الثاني فان الجملة في محل الخبر اولا كما في الوجه الاول
حيث جرى الاعراب الذي يستحقه المجموع على الجزء الاول تنزيلا له مع فاعله منزلة المفردة فائدته على الوجه الاول التنبيه
على ان سواء خبر لفظا لا معنى وعلى الوجه الثاني عدل له لكونه اعتراضا على ما يجيء فاندفع الاشكال قوله سواء بمعنى الاستواء
اسم بمعنى المصدر قوله نعت به كما نعت بالمصادر اي جعل سواء وصفا معتوبا لما يتصف بالاستواء كما جعل المصادر كذلك
لتضمنه معناه فيجب توحيده قوله والعدول ترتفع به اجراء له مجرى المصدر
لفظا كما في كلمة سواء او لا كما في هذه الآية قوله او بانه خبر لما بعده قوله اسم الفاعل بتاويل انما يعمل
الفعل المسند الى الظاهر قوله مستو عليهم اشارة الى ان سواء جاز فيه الوجهان سواء ويكون التركيب
يكون ترك تثنيته لجهة المصدرية ولما كان كل من الوجهين مخالفا للظاهر والتاويل بالصفة يفوت المبالغة المطلوبة
من قبيل اقائم زيد اما الاول فلان الاصل في سواء ان لا يعمل لانه اسم غير صفة بان فاعله الذي يرتفع هم لم تنذرهم
واما الثاني فلتقدم الخبر على المبتداء مع عدم المطابقة قوله والفعل انما يحكم

الصادقين ليس بمطلق اذ التقدير ساعتك وتنفع الصدق قوله على الاتساع اي التجوز بذكر لفظ الكل وارادة الجزء
متعلق بالاخبر قوله وانما عدل ههنا جواب سؤال نشأ من باب صحة الاخبار عنه وهو انه لما كان بمعنى المصدر فلم
عدل عنه قوله لما فيه من ايهام التجدد اراد به الاستمرار التجددي وانما افاده لان هذا الماضي بمعنى المضارع بالقرينة
قوله لا يؤمنون وكما قال الرضي ان الماضي في مثله يفيد معنى المستقبل ولذا استحسن الاخفش وقوع الاسمية بعدها
الآية نظرا الى الصيغة فزاد لفظ الاسم يكون في الآية خلاف مقتضى الظاهر من وجهين التعبير عن المصدر بالمضارع
للاستمرار ثم التعبير عن المضارع بالماضي لتحقق الوقوع كما في قوله تع ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الآية
الى تمام حاشية عبد الحكيم السيالكوتي رحمه الله قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فتسمع فيه بمعنى السماع كما مر

والمردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم
على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما
في الغرض فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح
تمردهم وانهماكهم في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف
والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على
اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع
في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن اقتضاء الخبرية
الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف و
فائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الأجوبة وتذكر
في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا
له في الأرض وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك
عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله
لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب
وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص
عنهم غير المصرين بما أسند إليهم والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر
ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة
مجيء الرسول عليه السلام به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لأنها تدل
على التكذيب فإن من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لأنها كفر في
أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة
مخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم
سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبران وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما
نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر إن وما
بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه أو بأنه
خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد
به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا
على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كقوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما عدل
ههنا من المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير

ماضيا كان أو غيره لأن المفيد له مقارنة الزمان والحدوث في المستقبل مطلق وهو لاستمرار التجددي ويختص بالمضارع
والأول محقق والثاني لا وجود له رأسا فما الذي أراده المص قلت قيل أراد الأول والفعل إنما يدل عليه إذا بقي
على أصل معناه وأما إذا جرد عن الزمان للحدث كما هو ههنا لم يتحقق فيه ذلك وإنما يتوهم نظرا لظاهر الصيغة وقيل المراد
الثاني لأن الماضي بمعنى المضارع بقرينة قوله لا يؤمنون لكنه نظر إلى ظاهر الصيغة فذكر الإيهام والأول أوفق
بالمقام وكلام المص والثاني مناسب للاقتداء بالإمام إلا أنه لا يخلو من شيء لأن القول بأنه بمعنى المضارع مع القول
بتجرده للحدث جمع بين الضب والنون فإن قلت ما وجه إيهام التجدد ههنا قلت الدلالة على أنه أحدث ذلك وجدد
فأدى الأمانة وبلغ الرسالة وإنما لم يؤمنوا لسبق القضاء ودرك الشقاء لا لتقصير منه عليه السلام فهو وإن أفاد ليس
فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا فلا يخفى ما فيه من الفوائد السنية قوله وحسن دخول الهمزة وأم حسن لفظي

معنى الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف
النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة. والإنذار التخويف
أريد به التخويف من عذاب الله. وإنما اقتصر عليه لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في
النفس من حيث إن دفع الضر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم
النفع أولى. وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو
لحن لأن المتحركة لا تقلب ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده. وبتوسيط الألف بينهما
محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وإلقاء حركتها
على الساكن قبلها. لا يؤمنون جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها
أو حال مؤكدة أو بدل عنه أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم. والآية مما
احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان. والحق أن
التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث إن الأحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال
لكنه غير واقع للاستقراء. والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره
تعالى عما يفعل هو أو العبد باختياره. وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة
وحيازة الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الإبلاغ. ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل
سواء عليك كما قال لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون
وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من
المعجزات. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة. تعليل للحكم
السابق وبيان ما يقتضيه. والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم
عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه. والغشاوة
فعالة من غشاه إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة. ولا ختم ولا
تغشية على الحقيقة. وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر
والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن
النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها
مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق كما تجتليها
أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار. وسماه على الاستعارة
ختما وتغشية. أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها
وبين الانتفاع بها ختما وتغطية. وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم. وبالإغفال في قوله تعالى ولا تطع

١١

من اغفلنا قلبه • وبالإقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية • وهي من حيث ان
الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة
مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم
كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم
واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل • الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن
ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه • الثاني ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن • او قلوب مقدر ختم الله
عليها • ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته • الثالث ان
ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند
اليه اسناد الفعل الى السبب • الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق
طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن
تركه بالختم فانه سد لايمانهم • وفيه اشعار على تراميهم في الغي وتناهيهم انهماكهم في
الضلال والبغي • الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن
الذين كفروا الآية • السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن
وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما • السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم • وعلى هذا
المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما • وعلى سمعهم
معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه • وللوفاق على الوقف عليه • و
لانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي
يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها
الغشاوة المختصة بتلك الجهة • وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال
كل منهما بالحكم • ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر • والمصادر
لا تجمع • او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم • والابصار جمع بصر • وهو ادراك العين
وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع • ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد
مناسبة للختم والتغطية • وبالقلب ما هو محل العلم • وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب • وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير • وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه •
وبالجار والمجرور عند الاخفش • ويؤيده العطف على الجملة الفعلية • وقرئ بالنصب على تقدير

١١

قوله ونشأ عن ... المؤفة ... الحواس قوله ... لا تشعرون معناه لا تدركون بالحواس ...
جمع مشعر بفتح الميم وكسرها لانه محل الشعور او الته الا انه لا يعرف في الاستعمال كالجمع والمؤفة ...
... التي اصابتها الآفة ... وابطل احساسها وهي اسم مفعول من الآفة ... العامة اعل اعلال ...
الا ان فعله لازم وهو آف الزرع اذا اصابته آفة وقد سمع تعديه في قولهم ايف الزرع ...
المعقول على هذا ... وعلى ... خلاف القياس قوله وقد عبر عن احداث هذه الهيئة ... مأخوذ من كلام
الراغب ... اجرى الله عادته ان الانسان اذا تناهى في اعتقاد باطل وارتكاب محظور فلا يكون ...
تلتفت به الى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكانما يختم بذلك على قلبه وعلى ذلك
قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم ... وعلى هذا النحو استعارة الاغفال في قوله من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
واستعارة الكن في قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة واستعارة القساوة في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية انتهى

وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليست مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح الله سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة والمراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا

واخاطوا بفطرته وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون

بالنفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان

لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لم تمسهم

الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف

خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق

وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم

وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ

بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي

والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل

اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين

انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح

بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم

من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء

واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه

جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن

مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا

والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا

الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه او عما هو بصدده

من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله

عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان

لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره

لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله عليه

الصلوة والسلام على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث

انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون

الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله

معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار

استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام

عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون

يتخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل

للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا
مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك • وبعضده قراءة من قرا يخدعون وكان
غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم
ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم
ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد • وما يخادعون الا انفسهم
قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو • والمعنى ان دايرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق
بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك • وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم
بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية • وقرا الباقون وما
يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين • وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون • ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول • ونصب انفسهم بنزع
الخافض • والنفس ذات الشيء وحقيقته • ثم قيل للروح لان نفس الحي به • وللقلب لانه
محل الروح او متعلقه • وللدم لان قوامها به • وللماء لفرط حاجتها اليه • وللراي في
قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه • والمراد
بالانفس ههنا ذواتهم • ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم • وما يشعرون • لا يحسون
بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس
الذي لا يخفى الا على مؤف الحواس • والشعور الاحساس • ومشاعر الانسان حواسه •
واصله الشعر ومنه الشعار • في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا • المرض حقيقة
فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به • ويوجب الخلل في افعاله • ومجاز في
الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب
المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية •
والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا عما فات عنهم من الرياسة وحسدا على
ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شانه يوما فيوما • فزاد الله غمهم
بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره • ونفوسهم كانت مأوفة بالكفر وسوء الاعتقاد و
معاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بزيادة التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر • وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب
من فعله • واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا • ويحتمل ان
يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد
الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم • وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله
عليه السلام نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد • ولهم عذاب اليم • اي مؤلم يقال

يقال الم فهو اليم • كوجع فهو وجيع • وصف به العذاب للمبالغة • كقوله تحية بينهم
ضرب وجيع • على طريقة قوله جد جده • يكذبون • قراها عاصم والكسائي وحمزة • والمعنى
بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا • وقرا الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا
يكذبون الرسول عليه السلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم • او من كذب الذي هو
للمبالغة او التكثير • مثل بين الشيء وموتت البهائم • او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا
ووقف لينظر ما وراءه • فان المنافق متحير متردد • والكذب هو الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو
به • وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه • وما روي ان ابرهيم عليه
السلام كذب ثلث كذبات • فالمراد التعريض لكن لما شابه الكذب في صورته سمي به • واذا قيل
لهم لا تفسدوا في الارض • عطف على يكذبون او يقول • وما روي عن سلمان ان اهل
هذه الآية لم ياتوا بعد • فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون
من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها • والفساد
خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده • وكلاهما يعمان كل ضار ونافع • وكان
من فسادهم في الارض هيج الحروب • والفتن بمخادعة المسلمين • وممالأة الكفار عليهم
بافشاء الاسرار اليهم • فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب و
الحرث • ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين • فان الاخلال بالشرائع والاعراض
عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم • والقائل هو الله تعالى او الرسول
او بعض المؤمنين • قالوا انما نحن مصلحون • جواب لاذا • ورد للناصح على سبيل
المبالغة • والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح • وان
حالنا متمحضة عن شوائب الفساد • لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل
انما زيد منطلق • وانما ينطلق زيد • وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة
الصلاح لما في قلوبهم من المرض • كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا • الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون • رد لما ادعوه ابلغ رد
للاستيناف به • وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة
الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا • ونظيره اليس ذلك بقادر
ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم • واختها اما التي
هي من طلائع القسم • وان المقررة للنسبة • وتعريف الخبر • وتوسيط الفصل لرد ما في
قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين • والاستدراك بلا يشعرون • واذا قيل
لهم آمنوا • من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين • الاعراض عما لا ينبغي
وهو المقصود بقوله لا تفسدوا • والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا

كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام
في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس
كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه و
لذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب صم بكم ونحوه وقد
جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول عليه السلام
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا
بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق
وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم
وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد
الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم
على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل
فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم
فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ
الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى
واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم
اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي
بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم

المظهرون

المظهرون كفرهم واضافهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد
عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن
اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة
الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث
الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة و
صدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين
من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوا مع الكفار انما نحن مستهزءون تأكيد لما قبله
لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر او استيناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك
فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية و
الاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من
الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع
وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما
سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع
وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو
لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء
احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان
واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه
سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما
استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين
الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم
يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا بعد حال
ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال الله تعالى اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد
الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما
بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير
ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه
التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم

فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوائهم فزادهم طغيانا . اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة . ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى
الشياطين اطلق الغي وقال الله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم
بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت
اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا
وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم . والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد
في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء
حملناكم . والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار بها . قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه . اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به . واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب
من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون
ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع
ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء
كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل
للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر
الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على
الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له
صدري . والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك
سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه
من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها
سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة
السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح
فاقدين للاصل . مثلهم كمثل الذي استوقد نارا . لما جاء بحقيقة حالهم
عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه الامثال وفشت

وفشت في كلام الانبياء والحكماء . والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة
ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة
مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال
من استوقد نارا . والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع
الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء
منه فحقه ان لا يجمع كما لا تجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه
المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء مطلقا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار
وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا . فلما اضاءت
ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى
ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة
نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه
يدور . ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما
قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول
ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان
والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز
وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل
بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة
لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما
اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور
فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا
والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان . وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله
مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في

ظلمات. وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه. والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية. وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة
النفاق وظلمة يوم القيمة. يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و
بايمانهم. او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدى. او ظلمة شديدة
كأنها ظلمات متراكمة. ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد
والآية مثل ضربه الله تعالى لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم
الابد فبقى متحيرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عموم هؤلاء
المنافقين فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا
الى شياطينهم. ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن
ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار
الارادة. او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره و
انطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها. صم
بكم عمى. لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم و
يتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم. كقوله صم
اذا سمعوا خيرا ذكرت به. وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا. اصم عن الشئ الذى لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد. واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها
ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول
زهير. لدى اسد شاكى السلاح مقذف. له لبد اظفاره لم تقلم. ومن ثمة ترى المفلقين
السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا. كما قال ابو تمام. ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة فى السماء. وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدا لكنه فى حكم المنطوق
به. ونظيره. اسد على وفى الحروب نعامة. فتخاء تنفر من صفير الصافر. هذا اذا
جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته. وان جعلته للمستوقدين
فهى على حقيقتها. والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات
هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم. وثلاثتها قرئت بالنصب على
الحال من مفعول تركهم. والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء. ومنه قيل حجر اصم
وقناة صماء. وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن
الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه. والبكم الخرس والعمى عدم
البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة. فهم لا يرجعون. لا يعودون الى

الهدى الذى باعوه وضيعوه. او عن الضلالة التى اشتروها. او فهم متحيرون لا يدرون
ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون. والفاء فى فهم للدلالة
على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم. او كصيب من السماء.
عطف على الذى استوقد اى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم فى آذانهم. واو
فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن
او ابن سيرين. وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا. فانها تفيد التساوى فى حسن
المجالسة ووجوب العصيان. ومن ذلك قوله تعالى او كصيب من السماء. ومعناه ان قصة
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل
بهما او بايتهما شئت. والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب. قال
الشماخ. واسحم دان صادق الرعد صيب. وفى الآية يحتملهما. وتنكيره لانه اريد به نوع
من المطر شديد. وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان
كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء. قال. ومن بعد ارض بيننا وسماء.
امد به ما فى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير. وقيل المراد بالسماء السحاب
فاللام لتعريف الماهية. فيه ظلمات ورعد وبرق. ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة
بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه و
منحدره ملتبسين به. وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل
وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف. والرعد صوت يسمع من السحاب
والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد
والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون اصابعهم فى آذانهم. الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم
الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله. يسقون
من ورد البريص عليهم. بردى يصفق بالرحيق السلسل. حيث ذكر الضمير لان المعنى
ماء بردى. والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم
مع مثل ذلك فاجيب بها. وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة. من الصواعق
متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون. كقولهم سقاه من العيمة. والصاعقة قصفة رعد
هائل معها نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت. وقد تطلق على
كل هائل مسموع او مشاهد. ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة
الصوت. وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين فى التصرف
يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة. وهى فى الاصل اما صفة

لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية • او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره • والموت زوال الحياة
وقيل عرض يضادها • لقوله تعالى خلق الموت والحيوة • ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة • والله محيط بالكافرين • لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم
الخداع والحيل • والجملة اعتراضية لا محل لها • يكاد البرق يخطف ابصارهم • استيناف ثان
كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق • وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة
الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود مانع • وعسى موضوعة
لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرهما مشروط فيه ان يكون فعلا
مضارعا تنبيها على ان المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال • وقد تدخل
عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة
والخطف الاخذ بسرعة • وقرئ يخطف بكسر الطاء • ويخطف على انه يختطف فنقلت حركة
التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء • ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها
ويتخطف • كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا • استيناف ثالث كانه قيل
ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك • واضاء اما متعد والمفعول
محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه • او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره
وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل • ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام • هما اظلما حالي ثمت اجليا • ظلاميهما عن وجه امرد اشيب • فانه
وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما • ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها ولا كذلك التوقف • ومعنى قاموا وقفوا • ومنه قامت السوق اذا ركدت و
قام الماء اذا جمد • ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم • اي لو شاء الله ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما • فحذف المفعول لدلالة الجواب
عليه • ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله • ولو
شئت ان ابكي دما لبكيته • ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء
الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم • وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء
كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة • وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب
سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه • والتنبيه على ان تأثير الاسباب في مسبباتها
مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته • وقوله ان
الله على كل شيء قدير • كالتصريح به والتقرير له • والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل

الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة • وح يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله • وبمعنى مشيء اخرى • اي مشيء وجوده • وما شاء الله وجوده فهو
موجود في الجملة • وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير • الله خالق كل شيء فهما على عمومهما
بلا مثنوية • والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن • او ما يصح ان
يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل • والقدرة
هو التمكن من ايجاد الشيء • وقيل صفة تقتضي التمكن • وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل • وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه • والقادر هو الذي ان شاء فعل
وان لم يشأ لم يفعل • والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء • ولذلك قلما يوصف به
غير الباري تعالى • واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
او على مقدار ما تقتضيه مشيته • وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن
حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من
مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله
تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية • فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم
بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة • والغرض منهما تمثيل
حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او
بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من
الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التشبيه المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها
كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار
وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما
حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم
في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم
بالصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان
كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا
عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة
الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة

مع خوف أن يخطف أبصارهم خطوا خطى يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك
بهم وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الأبدية
بالصيب الذي به حيوة الأرض وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من
الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة
بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه
عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد
يدركونه أو رفد تطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم
وتوقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ونبه بقوله ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى
الهدى والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء
الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه على ما يشاء قدير ۞ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ۞ لما
عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات
هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة
المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء
فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لأنه
نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال يا عليه متعذر
لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود
بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء
التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه وإنما كثر النداء على هذه
الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من
حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها
غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام
للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله
تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس
يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام
أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل
وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني
إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فالمأمور به المشترك

بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها. فالمطلوب من الكفار هو
الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من
لوازم الشيء وجوب ما لا يتم الا به. وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر
لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه. ومن المؤمنين
ازديادهم وثباتهم عليها. وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية.
الذي خلقكم. صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل. ويحتمل التقييد والتوضيح
ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب الاعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها
اربابا. والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء. واصله التقدير. يقال خلق
النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس. والذين من قبلكم. متناول لكل ما
يتقدم الانسان بالذات وبالزمان معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم. والجملة
اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال الله تعالى ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله. ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر. وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول
وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله. يا تيم تيم عدي لا ابا لكم. تيم الثاني بين الاول
وما اضيف اليه. لعلكم تتقون. حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا
ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار
الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرؤ من كل شيء سوى الله
الى الله. وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء. كما قال تعالى يدعون
ربهم خوفا وطمعا. يرجون رحمته ويخافون عذابه. او من مفعول خلقكم والمعطوف
عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع
اسبابه وكثرة الدواعي اليه. وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم
جميعا. وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله. والآية تدل على ان الطريق الى معرفة
الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله
وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من
النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل. الذي جعل لكم الارض فراشا. صفة ثانية
او مدح منصوب او مرفوع. او مبتدأ خبره فلا تجعلوا لله. وجعل من الافعال العامة
على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله. فقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب. وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل

١٨

قوله في صورة من يرجى منه التقوى اشارة الى انه على هذا الوجه لا يمكن حمل لعل على حقيقتها لا بالنظر
الى المتكلم لاستحالة الترجي على علام الغيوب ولا بالنظر الى المخاطبين لانهم حين الخلق لم يكونوا اهل العلم
فكيف يتصور الرجاء منهم ولا يجوز جعلها حالا مقدرة لان المقدر والمنوي حال الخلق التقوى لا رجاؤها
كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا بد ان يحمل على المعنى المجازي بان يشبه طلب التقوى منهم
بعد اجتماع اسبابه ودواعيه بالترجي في ان متعلق كل واحد منهما مخير بين ان يفعل وبين ان لا يفعل مع
رجحان ما لجانب الفعل فيستعمل كلمة لعل الموضوع له فيه فيكون استعارة تبعية. او تشبه صورة منتزعة من حال
خالقهم بالقياس اليهم بعد ان مكنهم على التقوى وتركها مع رجحانه منهم بحال المرتجي بالقياس الى المرتجى منه العالم
على المرتجى وتركه مع رجحان وجوده فيكون استعارة تمثيلية الا انه ذكر من المشبه به ما هو العمدة فيه اعني كلمة
لعل او تشبه ذواتهم بمن يرجى منه التقوى فيثبت له بعض لوازمه اعني الرجاء فيكون استعارة بالكناية
وعبارة المص رحمه الله جامعة لجميع هذه الوجوه الا ان لفظ الصورة اظهر في الاستعارة التمثيلية لان اكثر
استعمالها في الهيئة المنتزعة تم حاشية عبد الحكيم السيالكوتي رحمه الله تعالى

لا مثل لعلكم تشكرون ولعلكم تتقون فرده المص بان جمهور ائمة العربية اقتصروا في بيان معناها على
الترجي والاشفاق وان عدم سلوكها المعنى العلية والغرضية مما اتفق عليه وحاصل كلامه بيان
غلطهم بانه لما كان ما بعد لعل الاطماعية صالحة للعلية توهموا انها مستعملة للتعليل والا فلا تجرد
ما بعدها للغرضية لا يصح كونها للتعليل بل لا بد من اثبات وضعها له غاية الامر انه يرجع المعنى الحاصل بعد ربطها
بما قبلها الى التعليل واين هذا من ذاك عبد الحكيم رحمه الله

١٩

الظلمات والنور. وبمعنى صيّر فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارةً وبالقول او العقد اخرى. ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيّرها متوسطةً بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهيّاءة لان يقعدوا وينا مواعليها كالفراش المبسوط. وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها.

والسماء بناء. قبة مضروبة عليكم. والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم. وقيل جمع سماءة. والبناء مصدر سمّي به المبنى بيتا كان او قبة او خباء. ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا.

وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم. عطف على جعل. وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته. ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما. او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرّجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدّد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة. ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء [illegible] فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا. ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات. واكتناف المنكّرين له اعني ماء ورزقا. كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا. او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا. وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه. ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد. او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلثة قروء. او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة. ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق. ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم.

فلا تجعلوا لله اندادا. متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه. او نفي منصوب باضمار ان جواب له. او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها

انها غير موجبة. والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا. او بالذي جعل ان استأنفت به على انه
نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا. والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ
معنى الشرط. والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به.
والند المثل المناوي. قال جرير: أتيما تجعلون الي ندا. وما تيم لذي حسب نديد. من ند
ندودا اذا نفر. وناددت الرجل خالفته. وخص بالمخالف المماثل في الذات كما خص
المساوي للمماثل في القدر. وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا. وما زعموا
انها تساويه في ذاته وصفاته. ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها
وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان
تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا
لمن يمتنع ان يكون له ند. ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل. أربا واحدا
ام ألف رب. ادين اذا تقسمت الامور. تركت اللات والعزى جميعا. كذلك يفعل
الرجل البصير. وانتم تعلمون. حال من ضمير فلا تجعلوا. ومفعول تعلمون مطروح
اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر
عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات
او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله. كقوله تعالى هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء. فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد
الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف. واعلم
ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى
ما هو العلة والمقتضي. وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا
بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون
اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس. فان الثمرة اعم من المطعوم
والرزق اعم من المأكول والمشروب. ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة
على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به. ولعله سبحانه وتعالى اراد من
الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق
الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل. فمثل البدن
بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء. وما افاض عليه من الفضائل العملية
والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية
بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا. وان كنتم في ريب

مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم
بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته
التي بذت فصاحة كل منطيق وإفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء
من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة
والمعارة وعرف ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله كما يدعيه النبي صلى
الله عليه وسلم وإنما قال مما نزلنا على عبدنا لأن نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما
نرى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه إزاحة للشبهة وإلزاما
للحجة وقرئ عبادنا يريد محمدا وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها
ثلث آيات وهي إن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة
من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد
ليس غرابها بمطار لأن السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ أو لها مراتب
في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن
السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا إفراد الأنواع
وتلاحق الأشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فإنه
إذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى بريدا والحافظ متى
حذقها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة فعظم
ذلك عنده وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة أي بسورة كائنة من
مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الأخفش أي بسورة مما
ثلة القرآن في البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله
من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد والرد إلى
المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولأن
الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولأن مخاطبة
الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم
ليأتوا بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولأنه معجز في نفسه لا بالنسبة إليه لقوله تعالى قل
لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن رده إلى عبدنا
يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من
دون الله فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد

بمعنى

وصاف العبد بالنفسه تنويها بذكره وتنبيها على أنه مختص به ومنقاد لحكمه

بنفسها

مطلب دون

بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام وكأنه سمي به لأنه يحضر النوادي
ويبرم بمحضره الأمور إذ التركيب للحضور إما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول
في سبيل الله شهيد لأنه حضر ما كان يرجوه أو الملائكة حضروه ومعنى دون أدنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ودونك هذا أي خذه من أدنى
مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم
اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية
يا نفس ما لك دون الله من واق أي إذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة
بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم
وجنكم وآلهتكم غير الله فإنه لا يقدر أن يأتي بمثله إلا الله أو وادعوا من دون الله
شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه من ديدن
المبهوت العاجز عن إقامة الحجة أو بشهدائكم الذين اتخذتموهم من دون الله
أولياء وآلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدي
الله على زعمكم من قول الأعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي
أمرهم أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من
دون الله أي من دون أوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
أن ما أتيتم به مثله فإن العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان
اختلاله إن كنتم صادقين أنه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
والصدق الإخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة لأنه تعالى
كذب المنافقين في قولهم إنك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب إلى قولهم نشهد لأن الشهادة إخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فإن لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون
به أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وما جاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه
ما هو كالفذلكة وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أو
يدانيه ظهر أنه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن
كذب فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان وغيره إيجازا أو نزل اللازم
الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا
بالوعيد مع الإيجاز وصدر الشرطية بإن التي للشك والحال يقتضي إذا الذي للوجوب
فإن القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء

تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم • وتفعلوا
جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا
صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع • وكانه قال فان تركتم الفعل و
لذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه
والخليل في احدى الروايتين عنه • وفي الرواية الاخرى اصله لا ان • وعند الفراء لا • فابدلت
الفها نونا • والوقود بالفتح ما توقد به النار • وبالضم المصدر • وقد جاء المصدر بالفتح •
قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا • والاسم بالضم ولعله مصدر
سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده • وقد قرئ به • والظاهر ان المراد به الاسم • وان اريد
به المصدر فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق الناس • والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع
جمل وهو قليل غير منقاس • والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها
طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم • ويدل عليه قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم • عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب
الكانزون بما كنزوه • او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسيرهم • وقيل الذهب والفضة
التي كانوا يكنزونهما ويغترون بها • وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه • وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال المقصود اذ الغرض
تهويل شانها • وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد بغيرها • والكبريت تتقد بكل نار وان
ضعفت • فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت
لسائر النيران • ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزلت بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة • وسمعوه صح تعريف النار • ووقوع الجملة صلة فانها
يجب ان تكون قصة معلومة • اعدت للكافرين • هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم
وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة • والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار
لا الضمير في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر • وفي الآيتين دليل على النبوة
من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن • ثم انهم
مع كثرتهم واشتهارهم في الفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة
والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج • والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به
فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة • سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر • والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته • وقوله تعالى اعدت للكافرين دل على ان

النار

النار مخلوقة معدة لهم الآن • وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
عطف على الجملة السابقة • والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال
من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب
تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل على الفعل
نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه • او على فاتقوا
لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه • واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب
العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء
وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم
ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا
ويهنأوا بما اعد لهم • وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا
والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة • ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه
فرادى عتق اولهم • ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا • واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم فعلى التهكم • او على طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • والصالحات جمع
صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة • قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة • من آل لام بظهر الغيب تاتيني • وهي من الاعمال ما
سوغه الشرع وحسنه • وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة • واللام فيها للجنس وعطف
العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع
الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس
واس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه • ولذلك قلما ذكرا مفردين
وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو
داخل فيه • ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه • او مجرور باضماره مثل
الله لافعلن • والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره • ومدار التركيب على
الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة لانه يستر ما تحته سترة واحدة
قال كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • اي نخلا طوالا • ثم
البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة • ثم دار الثواب لما فيها من الجنان
وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين • وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره
ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة

المأوى

مطلب الجنان سبع

ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال، واللام تدل على استحقاقهم إياها لأجل ما ترتب عليه من الإيمان والعمل الصالح لا لذاته لأنه لا يكافئ النعم السابقة فضلاً من أن يقتضي ثواباً وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده، ولا على الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم، وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها، تجري من تحتها الأنهار، أي من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها، وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود، واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري، أو للعهد والمعهود هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية، والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات، والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو على المجاز أو المجاري أنفسها، وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة، كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أم أجناس أخر فأزيح بذلك، وكلما نصب على الظرف، ورزقاً مفعول به، ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال، وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقاً مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة، فصاحب الحال الأولى رزقاً وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال، ويحتمل أن يكون من ثمرة بياناً تقدم كما في قولك رأيت منك أسداً، وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيراً إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه، فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة، من قبل أي من قبل هذا في الدنيا، جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس إليه أول ما رأت فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنساً لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك، أو في الجنة لأن طعامها متشابه الصورة، كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل منها فإن اللون واحد والطعم مختلف، وكما روي أنه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه

فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها، فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك، والأول أظهر لمحافظته على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا، والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ وأتوا به متشابهاً، اعتراض يقرر ذلك، والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل، ونظيره قوله تعالى إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير، وعلى الثاني إلى الرزق، فإن قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء، قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه هذا، وأن للآية محملاً آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها، فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة، فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد، ولهم فيها أزواج مطهرة، مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبيعة وسوء الخلق، فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال، وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل، قال وإذا العذارى بالدخان تقنعت، واستعجلت نصب القدور فملت، ودرت بأرزاق العفاة مغالق، بيدي من قمع العشار الجلة فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة، ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة، ومطهرة أبلغ من طاهرة، ومتطهرة للإشعار بأن مطهراً طهرهن وليس هو إلا الله عز وجل، والزوج يقال للذكر والأنثى وهو في الأصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف، فإن قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة، قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها، وهم فيها خالدون، دائمون والخلد والخلود في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم، ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد، وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله ما دام حياً خلد، ولو كان وضعه للدوام لكان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها أبداً لغواً، واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكاً أو مجازاً والأصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للأعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كإطلاق الجسم على

في الصورة

اللون م

للغائب القداح في الميسر والقمع جمع قمعة وهي قطعة السنام العظيم يعني إذا صار الزمان كذا أدرت القداح في الميسر بيدي لإقامة أرزاق العفاة من أسنمة النوق السمان الجياد و

الإنسان

مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد
له من الآيات والسنن • فإن قيل الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية إلى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان • قلت إنه تعالى يعيدها بحيث
لا تعتورها الاستحالة بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى
منها شيء على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن
هذا وإن قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة •
واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه
الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت
منغصة مكدرة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى
ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور • إن
الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة • لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من
التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه • وهو أن يكون على وفق الممثل له
من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فإن التمثيل إنما يصار
إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه
الوهم العقل ويصالحه عليه • فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من
طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة • ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات
البلغاء وإشارات الحكماء • فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان الممثل أعظم
من كل عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة • والقلوب القاسية بالحصاة • ومخاطبة
السفهاء بإثارة الزنابير • وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ
البعوض • لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب
الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها أقل من الذباب وأخس
قدرا منه الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال ويذكر الذباب والعنكبوت • وأيضا لما
أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن
به بعد ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها • والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم
وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا • واشتقاقه من الحياة لأنه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن
أفعالها • فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي إذا اعتلت نساه وحشاه • وإذا وصف به الباري
تعالى كما جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة أن يعذبه • إن الله حيي كريم يستحيي

يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا • فالمراد به الترك
اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه اللازمين
لمعنييهما • ونظيره قول من يصف إبلا إذا ما استحيين الماء يعرض نفسه • كرعن
بسبت في إناء من الورد • وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة • وتحتمل
الآية خاصة أن تكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة • وضرب المثل اعتماله
من ضرب الخاتم • وأصله وقع شيء على آخر • وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل
بإضمار من منصوب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه • وما إبهامية
تزيد النكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني كتابا ما أي أي
كتاب كان • أو مزيدة للتأكيد كالتي في قوله فبما رحمة • ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فإن
القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه • وإنما وضعت لأن تذكر مع غيرها
فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه • وبعوضة عطف بيان
لمثلا • أو مفعول ليضرب • ومثلا حال تقدمت عليه لأنه نكرة • أو هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل • وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ • وعلى هذا يحتمل ما وجوها أخر
أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي أحسن • وموصوفة
بصفة كذلك • ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين • واستفهامية هي المبتدأ
كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا
يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك • ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينار
ودينارين • والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع
كالخموش • فما فوقها عطف على بعوضة • أو ما إن جعلت اسما • ومعناه ما زاد عليها
في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه • والمعنى أنه لا يستحيي ضرب
المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه • أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فإنه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا • ونظيره في الاحتمالين ما روي
أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها
خطيئة • فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم كالخرور أو ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة
لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم • أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد
ما صدر به ويتضمن معنى الشرط • ولذلك يجاب بالفاء • قال سيبويه أما زيد فذاهب
معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب لا محالة فإنه منه عزيمة • وكان الأصل دخول الفاء على

الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاء ها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم وتعبير
في انه المثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين
كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل
قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية وذا بمعنى
الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان تكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء
منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب
على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور
اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته انه غير ساه ولا مكره
ولا فعل الغير امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام
الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على
الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهو اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله
تعالى هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال
كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده
والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم
لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى
وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا وكثير اذا شدوا وقال
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا
الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا
اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان

مطلب لفظ الحق

ماذا

الارادة

الفاسق درجات

ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان
من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم
المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق
والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة
الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم
عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل
به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ
يضل بالبناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين
للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان
اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه
فكنت وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر بالنظر الى
افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين
ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد
المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق
رسوله عليه السلام وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل
على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره
ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره
وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه الله تعالى على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته
وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي
الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام
والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ان يكون كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى
كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلوة والسلام
والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر

والهم

مطلب عهود الله ثلاثة

الحق ولا يكتمونه

فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو
واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب و
القصد قال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض
على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع
عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم
الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية
واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله
استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان
صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال
والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم
على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني
على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية
واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم
وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم
يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم نفخ الصور او للسؤال في
القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم
للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا
فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما
نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل
على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس باهون
عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم
على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح
صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية
المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى
الحياة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم
العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو

العلم

العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان
يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف
يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم
يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبئكم بما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة النامية
لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والقوة والايمان
من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل
الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف به الباري سبحانه اريد
بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي
ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة
بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم و
انتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط وامر دينكم
بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الآخرة والامها لا على وجه الغرض
فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه و
هو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة
فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا
اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني
ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء
واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه تعالى لانه من
خواص الاجسام وقيل استوى اي استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من
غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة
عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت
ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا
للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على
تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها
مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه ءانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر

في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبه سمي الحيوان حيوانا مجاز

بيال

تسبه

كفرهم معه

امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا التسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الا كمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدء خلقكم اذ قال وعلى هذا

هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه سبحانه وتعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم

اوخلقا يخلف • وفايدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان
بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما
فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه • وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان
ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك • قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء • تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها
او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكم التي
بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه
عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة
فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون • وانما عرفوا ذلك باخبار من الله • او تلق من اللوح • او استنباط عما ركز
في عقولهم ان العصمة من خواصهم • او قياس لاحد الثقلين على الآخر • والسفك والسبك
والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر
المذابة • والسفح في الصب من اعلى • والشن في الصب عن فم القربة ونحوها • وكذلك السن
وقرئ ويسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم • ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • حال
مقررة لجهة الاشكال كقولك احسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج • والمعنى
استخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك • والمقصود منه الاستفسار عما
رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
فكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره • شهوية وغضبية تؤديان
به الى الفساد وسفك الدماء • وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة
وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا
عن استخلافه • واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة
للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب
يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا • قال
اني اعلم ما لا تعلمون • والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض
والماء • وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد • ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده
عن الاقذار • وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا

لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم • ونقدس لك نطهر نفوسنا عن
الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح • وسفك الدماء
الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام • وقيل نقدسك • واللام مزيدة •
وعلم آدم الاسماء كلها • اما بخلق علم ضروري بها فيه • او القاء في روعه ولا يفتقر
الى سابقة اصطلاح ليتسلسل • والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا • ولذلك يقال علمته
فلم يتعلم • وآدم اسم اعجمي كآزر • وشالخ • واشتقاقه من الادمة • او الادمة بالفتح بمعنى
الاسوة • او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع
الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك تاتي بنوه اخيافا • او من الادم او الادمة
بمعنى الالفة تعسف • كاشتقاق ادريس من الدرس • ويعقوب من العقب • وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال • واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا
او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما • واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في
نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلث • والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو
يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني و
المعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع
المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات • والهمه معرفة
ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات و
كيفية آلاتها • ثم عرضهم على الملائكة • الضمير فيه للمسميات المدلول
عليها ضمنا • اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه
وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا • لان العرض للسؤال عن اسماء
المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء • سيما ان اريد به الالفاظ • والمراد به
ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ • وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء
وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها • فقال انبئوني باسماء
هؤلاء • تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة
المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال • والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك
يجري مجرى كل واحد منهما • ان كنتم صادقين • في زعمكم انكم احقاء بالخلافة
لعصمتكم • او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم
يصرح به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه

قد يتطرق اليه بعرض ما يلزم من مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاء قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراض بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله تعالى انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا

عليهم بيان

اوله
قد قلت لما جاء في فخر

ذلك

منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عليه السلام افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال فقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على

والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم صح

ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن
الملائكة نوعا. ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن لم يكن
ومنهم ابليس. ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه. او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة
لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد
والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به. والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
وكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس. وان من الملائكة من ليس بمعصوم
وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة
ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات
كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس
فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وجل الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه. لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن
من نار. لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور
وخلق الجان من مارج من نار. لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء
والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من
فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور. ومتى نكصت عادت
الى الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا
اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص [illegible] عند الله تعالى. ومن فوائد الاية
استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر. والحث على الائتمار لامره وترك
الخوض في سره. وان الامر للوجوب. وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر فهو
الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة
الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله. وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى
من السكون لانها استقرار ولبث. وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه. وانما
لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له. والجنة
دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها. ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه
بستان كان في ارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم
وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
وكلا منها رغدا. واسعا رافها صفة مصدر محذوف. حيث شئتما. اي مكان
من الجنة شئتما. وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها

عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر. ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين.
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه. وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب
ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم. فينبغي ان لا يحوما
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه. وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم. فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له. والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة. او شجرة من
اكل منها احدث. والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه. وقرئ بكسر الشين. وتقربا بكسر التاء. وهذي بالياء. فازلهما الشيطان عنها. اصدر
زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها. ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما. ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى
غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال. وازلاله قوله تعالى هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى. وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين. واختلف في انه تمثل لهما
فقاولهما بذلك. او القاه اليهما على طريق الوسوسة. وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم. فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة
كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل
قام عند الباب فناداهما. وقيل تمثل [illegible] دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل
دخل في فم الحية حتى دخلت به. وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله
فاخرجهما مما كانا فيه. اي من الكرامة والنعيم. وقلنا اهبطوا خطاب لادم
عليه السلام وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا. وجمع الضمير لانهما اصلا الانس
فكانهما الجنس كلهم. او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها
للوسوسة. او دخلها مسارقة. او من السماء. بعضكم لبعض عدو. حال استغني
فيها عن الواو بالضمير. والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله. ولكم في
الارض مستقر. موضع قرار او استقرار. ومتاع. تمتع. الى حين.
يريد به وقت الموت او القيامة. فتلقى ادم من ربه كلمات. استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها. وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات
على انها استقبلته وبلغته. وهي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية. وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي

الله لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال الم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك
غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم و
لذلك طوي ذكر النساء في القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده ٢ اكثر
بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد
كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة
الى المغفرة [illegible] الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد
للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف
المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك و
التنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم
ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما
وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا
والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل
اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك
جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا
هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان و
لذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني
هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى
كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني
اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد
به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا
عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد
وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع الى آخره قسيم له

كلام

كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن
غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي [illegible] او من اوى اليه واصلها اية او اوية
كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت
الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت
الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام من وجوه الاول ان آدم
صلوات الله عليه وسلامه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل
بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى
اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي
الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه لقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه
لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما او خاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه
بترك الاولى به واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله
تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى
ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد
له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط
عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلوة والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم
الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون
المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما
الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل ما قاله اورث فيه ميلا
طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع اخطأ
عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة
الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه
السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما
جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دليل على ان الجنة مخلوقة
وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب

النار دائم

والكافر فيها مخلد وأن غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم
أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها
وتأكيدا فإنها من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق وله الأمر وحده
لا شريك له ومن حيث إن الإخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها
ولم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها
على خلق الإنسان وأصوله وما هو أعظم من ذلك يدل على أنه قادر على الإعادة كما
كان قادرا على الإبداء خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله تعالى
عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد عليه السلام
وما أنزل عليه فقال يا بني إسرائيل أي أولاد يعقوب والابن من البناء لأنه مبني
أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل
يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ إسرائل
بحذف الياء وإسرال بحذفهما وإسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي أنعمت
عليكم أي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور حسود
بالطبع فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وإن
نظر إلى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل أراد بها ما أنعم بها
على آبائهم من الإنجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من إدراك
زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والأصل اذتكروا ونعمتي بإسكان الياء
وإسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها وأوفوا بعهدي
بالإيمان والطاعة أوف بعهدكم بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد
ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل
الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض
عريض فأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء
والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره
ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أوفوا بعهدي
في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم في رفع الآصار والأغلال وعن غيره
أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أو أوفوا بالاستقامة على
الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر إلى الوسائط وقيل كلاهما مضاف
إلى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم

من

من حسن الإثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلى
قوله تعالى ولأدخلنكم جنات تجري وقرئ أوفّ بالتشديد للمبالغة وإياي فارهبون
فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في إفادة التخصيص من إياك نعبد
لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط
كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية
متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي
أن لا يخاف أحدا إلا الله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم إفراد
للإيمان بالأمر به والحث عليه لأنه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بأنه
مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث إنه نازل حسب ما نعت فيها أو مطابق لها
في القصص والمواعيد والدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الأحكام تفاوت الأعصار في المصا
لح من حيث إن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب
بها حتى لو نزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو
كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي تنبيه على أن اتباعها لا ينافي الإيمان به بل
يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا أول كافر به بأن الواجب أن تكونوا أول
من آمن به ولأنهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه وأول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن
كل واحد منكم كافرا به كقولك كسانا حلة فإن قلت كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم
مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست
بجاهل أو ولا تكونوا أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه فإن من كفر بالقرآن فقد
كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة وأول أفعل لا فعل له وقيل أصله
أوأل من وأل فأبدلت همزته واوا تخفيفا على غير قياس أو أوّل من آل فقلبت همزته
واوا وأدغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها
حظوظ الدنيا فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ
الآخرة بترك الإيمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها
لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى
فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا ولما
كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي مقدمة التقوى ولأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي

بالاولى لهم

مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها
بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا
تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تأويله وتكتموا
الحق جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو
للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون
اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق
وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة
امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها
والزكوة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم
او الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين
اى فى جماعاتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من
تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع
يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع
فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله
تعالى وبر فى مراعات الاقارب وبر فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة
كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا
يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون
اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته
والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على
ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره
ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق
الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية
النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم لا منع الفاسق من الوعظ فان الاخلال باحد

الامرين

الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة
متصل بما قبله كأنهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على
الله او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية
من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل
المآرب وجبر المصائب روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز
ان يراد بها الدعاء وانها اى وان الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير
اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة
لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او
يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده انه فى مصحف ابن مسعود يعلمون
وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر
فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر
لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمه قال عليه السلام وجعلت قرة
عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره
للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى
على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى الصالح
عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف
واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى
عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من
اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين

فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد اوله

للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي
فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول ومن
به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان
يكون مجانا او غيره والاول ان تشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره
وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا
بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية
لانها سويت بالمفدى وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون
من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها
مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم
والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون
تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف
على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان
فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل اسمه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا
اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح
بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم في نجا
والجملة حال من الضمير او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان يسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء
محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان
اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه

صفة

وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله فعليه ان يشكر على مساره وان يصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك
بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى
به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا
ولا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فترآوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه
فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان
هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع
الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن
امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها
الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه
التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وقرا نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى
وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها او معبودا
من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم
تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية
الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته وقيل
اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل
الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان

الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم
فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض
من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا
فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم
ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا
موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند باريكم من حيث انه طهرة من
الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق
بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ما امرتم به فعلتم فقد
تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريقة
الالتفات كأنه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم باريكم وذكر البارى وترتيب الامر
عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى
عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد
منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق
التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن
لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية
او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع
كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل
عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي
وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد
من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل
جنود سمعوا بحسيسها فصعقوا يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه

او آثره

او آثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن
اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناكم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه
لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم
من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل
كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم
ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد
التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو
وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين
لله شكرا على اخراجكم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي
فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة
او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في
هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء و
ابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه
انه ابدلت الياء همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما
ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب
للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما
امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه
او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما
كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل
ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي
انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه
لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي

انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين
في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا • او حجرا اهبطه
آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا • او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه
ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله • او للجنس وهذا اظهر
في الحجة • قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة
بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون • وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع • والعصا عشرة
اذرع في طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة • فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا • متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت منه • او فضرب
فانفجرت كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم • وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
فيه • قد علم كل اناس • كل سبط • مشربهم • عينهم التي يشربون منها • كلوا واشربوا
على تقدير القول • من رزق الله • يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به • ولا تعثوا في الارض مفسدين
اي لا تعتدوا حال افسادكم • وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس
بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله • ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام
وخرقه السفينة • ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا • ومن انكر امثال
هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره
لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد • واذ
قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد • يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها
لا يتغير الوانه ولذلك اجموا • او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا
فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه • فادع لنا ربك • سله لنا بدعائك
اياه • يخرج لنا • يظهر لنا ويوجد • وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب
الاجابة • مما تنبت الارض • من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل
ومن للتبعيض • من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها • تفسير وبيان
وقع موقع الحال • وقيل بدل باعادة الجار • والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطايبه التي تؤكل • والفوم الحنطة • ويقال للخبز • ومنه فوموا لنا • وقيل

عين

الثوم

الثوم • وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه • قال • اي الله او موسى عليه السلام • اتستبدلون
الذي هو ادنى • اقرب منزلة وادون قدرا • واصل الدنو القرب في المكان فاستعير
للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة • وقرئ ادنأ من
الدناءة • بالذي هو خير • يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة
الى السعي • اهبطوا مصرا • انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط
منه اذا خرج منه • وقرئ بالضم • والمصر البلد العظيم • واصله الحد بين الشيئين • وقيل
اراد به العلم • وانما صرفه لسكون وسطه • او على تأويل البلد • ويؤيده انه غير منون
في مصحف ابن مسعود • وقيل اصله مصرائيم فعرب • فان لكم ما سألتم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة • احيطت بهم احاطة القبة لمن ضربت عليه • او الصقت
بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة • واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين
اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم • وباؤا بغضب من الله •
رجعوا به • او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به
واصل البوء المساواة • ذلك • اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق • بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر • او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى
الله عليه وسلم من التوراة • وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام
وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم • وانما حملهم على ذلك
اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله • ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون •
اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار
الذنوب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها
وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله • وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع
وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار
ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرا • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في
الجلد توليع البهق • والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها
ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع • ان الذين آمنوا • بألسنتهم يريد
به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين • وقيل المنافقين
لانخراطهم في سلك الكفرة • والذين هادوا • تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في

اليهودية

وهودوا اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا عن عبادة العجل واما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل عبدة الملائكة وقيل هم عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخلت على لا افادت اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام

كانوا معه في قرية يقال لها ناصرة

واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية في الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله تعالى كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة

فقتله بنوا اخيه

من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل
الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني
ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم ولكن
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة
بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال
اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته ولان
سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر
الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من
السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زايد وقوله
ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه
بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومتشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى القاتل
وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى
والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث لم تذلل للكراب وسقي
الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة ولا ساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك
مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث
هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها
من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق اي

وقرئ

بحقيقة

بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة
في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة
اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافي
قوله تعالى وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما كادوا
يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها
اذ المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه
واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج
ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط
ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه ببعضها ادارأتم وما بينهما
اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان
وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك
يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة
القتيل او نزول الاية ويريكم آياته دلايله على كمال قدرته لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا
على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة
بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان
من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها
بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والتزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة

عطف على

عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد
القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب
لين القلب فهي كالحجارة في القسوة او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل
الحجارة او ازيد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة
واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما
يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل وان منها ما
يتشقق فينبع منه الماء وينفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا
لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة
وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها
اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد
على ذلك وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون
بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم
ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من
اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام
الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء
فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان اخبار
هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم او انهم ان
كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا
بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي
الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين
لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا
للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده

عنده كما يقال محاجة عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما
عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعه افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم
يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين — اولا يعلمون
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن
جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم
عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة
فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني
جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على
الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من
المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره
من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون ولا علم لهم وقد يطلق الظن
بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ
عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها
موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر
لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف
ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض
الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما
كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا
النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا
نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة
الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا
خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف — الله عهده

وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال. ام تقولون على الله ما لا تعلمون. ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع. بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي. من كسب سيئة قبيحة. والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم. واحاطت به خطيئته. اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطياته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما. فاولئك اصحاب النار. ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا. هم فيها خالدون. دائمون او لابثون لبثا طويلا. والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها. والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون. جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه. وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه. واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله. اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد. وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه. ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول. وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى. ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار. وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون. وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به. والباقون بالياء لانهم غيب. وبالوالدين احسانا. متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او واحسنوا. وذي القربى واليتامى والمساكين. عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم

وذي

السيئة والخطيئة

من السكون صح

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين صح

وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل كان الفقر اسكنه. وقولوا للناس حسنا. اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة. وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر. والمراد ما فيه تخلق وارشاد. واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم. ثم توليتم على طريقة الالتفات. ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه. الا قليلا منكم. يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم. وانتم معرضون. قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة. واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض. واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم. على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن. وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجب القصاص. وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي. ثم اقررتم. بالميثاق واعترفتم بلزومه. وانتم تشهدون. تاكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه. وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا. ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه. وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله. تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم. اما حال والعامل فيها معنى الاشارة. او بيان لهذه الجملة. وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة. وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر. وقرئ تقتلون على التكثير. تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما. والتظاهر التعاون من الظهر. وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين. وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون. وان ياتوكم اسارى تفادوهم. روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه. وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم. وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى. وقيل هو ايضا جمع اسير فكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه. وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة

على نفسه صح

وابن عامر تظاهرون وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع
الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد وبيان افتؤمنون ببعض الكتاب
يعنى الفداء وتكفرون ببعض يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل
ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد
اى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على
الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
بنقص الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد
آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله
ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه
من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى
الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس اى
بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى
ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه
لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى
وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسط
الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل
ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل
ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا
ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر
فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى
الله عليه وسلم لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا
غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من

الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم
لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم
كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل
وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله
يعنى القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه
بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اى يستنصرون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان
المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل عن ذلك نفسه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اى عليهم واتى بالظاهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان
تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا
بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما
انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة ان يكفروا دون
اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو
عمرو بالتخفيف من فضله يعنى الوحى على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام او بعد قولهم عزير ابن الله
وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه
واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا
اى التورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر
جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به
ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد
به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق
التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين

وقرا نافع انبئاء الله مهموزا فى كل القران صح

اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده
اليهم لانه فعل اباءهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعنى
الايات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل
اى الها من بعده بعد مجئ موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم
العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم
ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا الاية التى بعدها واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى
قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد واسمعوا له سماع طاعة قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك واشربوا فى قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كقوله تعالى انما ياكلون فى بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قل
بئسما يامركم به ايمانكم اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما
يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين
تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه
القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن
ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذن لستم بمؤمنين
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام
للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب
التخلص اليها من دار ذات الشوائب كما قال على رضى الله عنه لا ابالى سقطت على الموت
او سقط الموت على وقال عمار بصفين الان الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة
حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة
لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
الة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة وعن القدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمنى ليس
من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن

وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما
بقى على وجه الارض يهودى والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون
فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد
بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها
وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص
من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا
الا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء
على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته
يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم
ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر
الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على
الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان
يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار
تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل
سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة
اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم
قل من كان عدوا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله
عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما
من الله قالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا
كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله
ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر
وفى جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع فى المشهور جبرئيل كسلسبيل قراه حمزة والكسائى
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراه عاصم وجبريل
كقنديل قراه الباقون واربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع

صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله • فإنه نزله • البارز الأول لجبريل والثاني للقرآن
وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه فكأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق
ذكر • على قلبك • فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به • بإذن الله • بأمره أو بتيسيره حال من فاعل
نزل • مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • أحوال من مفعوله • والظاهر أن
جواب الشرط فإنه نزله • والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر
بما معه من الكتاب لمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي لأنه نزل كتابا مصدقا للكتب
المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه • أو من عاداه فالسبب في عداوته أنه نزل
عليك • وقيل محذوف مثل فليمت غيظا • أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال تعالى • من
كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين • أراد بعداوة
الله مخالفته عنادا • أو معاداة المقربين من عباده • وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم
كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه • وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من
جنس آخر • والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة
من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع إذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على
الحقيقة واحد • ولأن المحاجة كانت فيهما • ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه
تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل كفر • وقرأ نافع ميكائل كميكاعل
وأبو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد • وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل وميكال
ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون • أي المتمردون من الكفرة
والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه كأنه متجاوز عن حده • نزل في ابن
صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك
من آية فنتبعك • أوكلما عاهدوا عهدا • الهمزة للإنكار • والواو للعطف على محذوف
تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا • وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا
أو كلما عاهدوا • وقرئ عوهدوا وعهدوا • نبذه فريق منهم • نقضه • وأصل النبذ
الطرح لكنه يغلب فيما ينسى • وإنما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض • بل أكثرهم لا يؤمنون
رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون • أو أن من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء
ولما جاءهم رسول من [illegible] مصدق لما معهم • كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله • يعني التورية لأن كفرهم بالرسول المصدق
لما كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالآيات • وقيل
ما مع الرسول وهو القرآن • وراء ظهورهم • مثل لإعراضهم عنه رأسا بالإعراض عما

يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه • كأنهم لا يعلمون • أنه كتاب الله
يعني أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا • واعلم أن الله تعالى دل بالآيتين على
أن جل اليهود أربع فرق • فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم
الأقلون المدلول عليهم بقوله بل أكثرهم لا يؤمنون • وفرقة جاهروا بنبذ عهودها
وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم • وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون • وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها
حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون • واتبعوا ما تتلوا الشياطين •
عطف على نبذوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين
من الجن أو الإنس أو منهما • على ملك سليمن • أي عهده • وتتلوا حكاية حال ماضية
قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها إلى الكهنة وهم
يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمن حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وإن
ملك سليمن تم بهذا العلم وإنه تسخر به الجن والإنس والريح له • وما كفر سليمن
تكذيب لمن زعم ذلك • وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيا كان معصوما
منه • ولكن الشياطين كفروا • باستعماله • يعلمون الناس السحر • إغواء وإضلالا
والجملة حال عن الضمير • والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا
يستقل به الإنسان لذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب
شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي • وأما ما يتعجب منه كما يفعله
أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه • وما أنزل
على الملكين ببابل • عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
أو أنه نوع أقوى منه أو على ما تتلو • وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله
للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة • وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة
فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما
تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر
وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما • ويؤيده قراءة الملكين بالكسر • وقيل
ما أنزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في [illegible] • ببابل ظرف أو حال
من الملكين • أو الضمير في أنزل • والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة • هاروت وماروت
عطف بيان للملكين • ومنع صرفهما للعجمة والعلمية • ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى
الكسر لانصرفا • ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض

وقرأ حمزة وابن عامر والكسائي ولكن
بالتخفيف ورفع الشياطين صح

وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت • وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر • فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر • ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به • وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به • وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما • الضمير لما دل عليه من احد • ما يفرقون به بين المرء وزوجه • اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما • وما هم بضارين به من احد الا باذن الله • لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله • وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف • ويتعلمون ما يضرهم • لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا • ولا ينفعهم • اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين • وفيه ان التحرز عنه اولى • ولقد علموا اي اليهود لمن اشتريه • اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله • والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل • ما له في الاخرة من خلاق • نصيب • ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر • لو كانوا يعلمون • يتفكرون فيه • او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب • والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي • او العلم الاجمالي بقبح الفعل • او ترتب العقاب من غير تحقيق • وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم • ولو انهم امنوا • بالرسول والكتاب واتقوا • بترك المعاصي كنبذ كتاب الله تعالى واتباع السحر • لمثوبة من عند الله خير • جواب لو • واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها • وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه • وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير • وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا • وقرئ لمثوبة كمشورة • وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه • لو كانوا يعلمون • ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم • يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا • الرعي حفظ الغير لمصلحته • وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقنا حتى نفهمه • وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا • او انتظرنا من نظره اذا انتظره • وقرئ انظرنا من الانظار

اى

قوله على الاضافة الى احد [illegible] ابن جني هذا من ابعد الشاذ لانه فصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف ... ثم جعل المضاف اليه ... والمجرور جميعا ... تاكيد معنى الاضافة ... اضافة لفظية الى المفعول ... بمعنى

اي امهلنا لنحفظ • وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير • وراعنا بالتنوين • اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه راعنا قولهم راعينا وتسبب للسب • واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة • او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه • وللكافرين عذاب اليم • يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه • ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما • ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين • ان ينزل عليكم من خير من ربكم • مفعول يود • ومن الاولى مزيدة للاستغراق • والثانية للابتداء • وفسر الخير بالوحي • والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه • وبالعلم والنصرة • ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء • يستنبئه ويعلمه وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق • والله ذو الفضل العظيم • اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته • ما ننسخ من اية او ننسها • نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه • والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب • ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب • وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة • وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النساء • وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها او ننسها اي انت • وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين • نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع او الثواب او مثلها في الثواب • وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا • الم تعلم ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه • والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة • وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة • وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره • واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل • ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح • والنسخ قد

الحكمة

والنبات

يعرف بغيره والسنة مما اتى بر الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ
والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من
عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا
علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل
على قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلح
لكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل
موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر
على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود
على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل
نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين
لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان
فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح
غيرها عليها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا
فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان
وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان
يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين
وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود
اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا
اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح
ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم
او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه
نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالقة
والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلاة او صدقة
وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير

مطلب الفرق بين الولي والنصير

مطلب العفو والصفح

عامل

لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي
الفريقين كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع
هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم
اشارة الى الاماني المذكورة وهو ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية
امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا
برهانكم على اختصاصكم بدخولكم الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل
قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم
وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره
الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من
ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون
الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل
بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت
لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا
وقالوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من
اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة
الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد
صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد
كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق
واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى
في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام
الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل
اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان
يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها

الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه
فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه
النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك
وفرق الشافعي رحمه الله تعالى بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي وذلة
بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب
يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان
تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي
مكان فعلتم التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه
ان الله واسع عليم باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم
بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم
وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ
القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما
قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله
وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله تعالى ومن اظلم ممن وقرا ابن عامر
بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء
الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا وطبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من
جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد
لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب
اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد
كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية
مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده
عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يورقني
واصحابي هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء

شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية صح

كلها

كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن
شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على الابدال من الضمير في له ومنصوبا
على المدح واذا قضى امرا اي اذا اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى
وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة
بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته تعالى بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع
وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن
ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع
المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب
هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسول الله او تاتينا اية حجة على
صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم ايات الله استهانة به وعنادا
كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن
قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي
يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا تعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم
ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن
اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسئل على انه نهي
للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظا
عتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم
المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في
اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم
فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الحق

عتهما

لا ما تدعون اليه • ولئن اتبعت اهواءهم • آراءهم الزائغة • والملة ما شرعه الله
تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته • والهوى رأي يتبع
الشهوة • بعد الذي جاءك من العلم • اي الوحي او الدين المعلوم صحته • ما لك من
الله من ولي ولا نصير • يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن • الذين آتيناهم الكتاب
يريد مؤمني اهل الكتاب • يتلونه حق تلاوته • بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر
في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده • او خبر على ان المراد
بالموصول مؤمنو اهل الكتاب • اولئك يؤمنون به • بكتابهم دون المحرفين •
ومن يكفر به • بالتحريف والكفر بما يصدقه • فاولئك هم الخاسرون • حيث اشتروا
الكفر بالايمان • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين • واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون • لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام
بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واحوالها كرر ذلك وختم به الكلام
معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة • واذ ابتلى
ابرهيم ربه بكلمات • كلفه باوامر ونواه • والابتلاء في الاصل التكليف بالامر
الشاق من البلاء • لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
• والضمير لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين
• والكلمات قد تطلق على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة
المذكورة في قوله تعالى التائبون العابدون • وقوله تعالى ان المسلمين الى آخر
الآيتين • وقوله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون كما فسرت
بها في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات • وبالعشر التي هي من سننه • وبمناسك
الحج • وبالكوكب والقمرين • وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة
المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها • وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات
مثل ارني كيف تحيي الموتى • اجعل هذا البلد آمنا • ليرى هل يجيبه • وقرأ ابن عامر
ابرهام • فاتمهن • فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابرهيم الذي
وفى • وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه • قال اني جاعلك
للناس اماما • استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن
فاجيب بذلك • او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة • وتطهير البيت ورفع
قواعده والاسلام • وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها • وجاعل
من جعل الذي له مفعولان • والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة

مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه • قال ومن
ذريتي • عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك
والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت
من الذر بمعنى التفريق • او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق
وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة • قال لا ينال عهدي الظالمين • اجابة الى
ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة • وانهم لا ينالون الامامة
لانها امانة من الله وعهده • والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم
وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة • وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته • واذ جعلنا البيت • اي
الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا • مثابة للناس • مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار
او امثالهم • او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره • وقرئ مثابات لانه مثابة
كل احد • وامنا • وموضع امن لا يتعرض لاهله • كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم • او يأمن حاجه من عذاب الآخرة • من حيث ان الحج يجب ما قبله
او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة • واتخذوا من
مقام ابرهيم مصلى • على ارادة القول • او عطف على المقدر عاملا لاذ • او اعتراض
معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه الصلوة
والسلام وهو امر استحباب • ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي
كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج • او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي
انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم • فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال
لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت • وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى • وللشافعي في وجوبهما قولان • وقيل مقام ابرهيم
الحرم كله • وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ
نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم
به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها • وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل • امرناهما • ان طهرا
بيتي • بان طهرا ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به • او اخلصاه • للطائفين • حوله • والعاكفين • عنده او المقيمين
معتكفين فيه • والركع السجود • اي المصلين جمع راكع وساجد • واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا • يريد البلد او المكان • بلدا آمنا • ذا امن كقوله تعالى في عيشة راضية

او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم
الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن
والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة
دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى
الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب التقليل
بان يجعله مقصورا لحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه
ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من
النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء
ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره
واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بكسر ادغام الضاد
وهو ضعيف لان حروف ضم شغر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء
عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقا
البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكا
نته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم
لشأنها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكن لما كان له مدخل في البناء عطف عليه
وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرئ به
والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين لك اذا استسلم وانقاد
والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان
المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة
لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم
اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان
الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش
المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله
عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على
المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض

وأرنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا
في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة
عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة
لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك
انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث
من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من
دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام ويزكيهم من الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا
يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته الا
من سفه نفسه اذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم
لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل سفه نفسه
على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى
في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة
العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا
بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل
له او منصوب باضمار اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعا
ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما
دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة
واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل
فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة
وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اى ووصى

كانه قيل اذكره

هو ايضاً بها بنيه • وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم • يا بنيّ على اضمار القول
عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه • ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا
انا رأينا رجلا عريانا بالكسر • وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية • وقيل اربعة عشر • وبنو يعقوب اثنى عشر • راوبين • وشمعون • ولاوى • ويهوذا
وايساخر • وزبولون • ودوان • ونفتالى • وكاد • واشر • وبنيامين • ويوسف • ان الله
اصطفى لكم الدين • دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله • فلا تموتن الا وانتم
مسلمون • ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود النهى عن ان يكونوا
على تلك الحالة اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع
وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل
بهم • ونظيره فى الامر مت وانت شهيد • روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت • ام كنتم شهداء اذ
حضر يعقوب الموت • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه • او متصلة
بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء • وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما علمتموه من الوحى • وقرئ حضر بالكسر • اذ قال لبنيه • بدل من اذ حضر •
ما تعبدون من بعدى • اى شئ تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما • وما يسأل به عن كل شئ ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن
اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب • قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق • المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته
وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل
صنو ابيه • كما قال فى العباس رضى الله عنه هذا بقية ابائى • وقرئ اله ابيك على انه جمع
بالواو والنون كما قال • ولما تبين اصواتنا بكين • وفديننا بالابينا • او مفرد وابرهيم
وحده عطف بيان • الها واحدا • بدل من اله اباءك كقوله تعالى بالناصية ناصية
كاذبة • وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشى من تكرير المضاف لتعذر العطف
على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص • ونحن له مسلمون • حال من فاعل نعبد
او مفعوله او منهما • ويحتمل ان يكون اعتراضا • تلك امة قد خلت • يعنى ابرهيم ويعقوب
وبنيهما • والامة فى الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تأمها • لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم • لكل اجر عمله • والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما
تنتفعون بموافقتهم واتباعهم • كما قال عليه السلام لا يأتينى الناس باعمالهم و

روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويتشوخر
وزبولون ودولى ونفتولى وكودا واوشير
وبنيامين ويوسف هكذا فى نسخة معتمدة

اى لم يكن من الناس الاتيان بالاعمال ولكم بالانساب

وتأتونى بانسابكم • ولا تسألون عما كانوا يعملون • ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم • وقالوا كونوا هودا او نصارى • الضمير الغائب لاهل الكتاب • واو للتنويع والمعنى
مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا
جواب الامر • قل بل ملة ابرهيم • اى بل نكون ملة ابرهيم اى اهل ملته • او بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه • او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته • حنيفا مائلا
عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من
غل اخوانا • وما كان من المشركين • تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه
وهم مشركون • قولوا آمنا بالله • الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به • وما انزل الينا • يعنى القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا وسبب للايمان
بغيره • وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط • الصحف وهى وان
نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا
منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا • والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة
يعقوب ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق • وما اوتى موسى وعيسى
التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير
لما سبق والنزاع وقع فيهما • وما اوتى النبيون • جملة المذكورين منهم وغير المذكورين
من ربهم • منزلا عليهم من ربهم • لا نفرق بين احد منهم • كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر
ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه بين • ونحن له • اى لله
مسلمون • مذعنون مخلصون • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا • من
باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به
المسلمون ولا دين كدين الاسلام • وقيل الباء للآلة دون التعدية • والمعنى ان تحروا
الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او زيادة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها • والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل
ايمانكم به • او المثل مقحم كما فى قوله تعالى • وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى
عليه • ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به اى بالذى آمنتم به • وان تولوا فانما
هم فى شقاق • اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا فى شقاق الحق
وهو المناوأة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق الآخر • فسيكفيكهم
الله • تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم • وهو
السميع العليم • اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة • او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون

وهو معاقبهم عليه • صبغة الله • اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله التى فطر
الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ • او هدانا الله هدايته
وارشدنا حجته • او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره • وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب • او للمشاكلة فان
النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم وبه يحق نصرانيتهم • ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا • وقيل على الاغراء وقيل
على البدل من ملة ابرهيم • ومن احسن من الله صبغة • لا صبغة احسن من صبغته
ونحن له عابدون • تعريض بهم اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا • وذلك يقتضى
دخول قوله تعالى صبغة الله فى مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر
قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك
النظم وسوء الترتيب • قل اتحاجوننا • اتجادلوننا • فى الله • فى شانه واصطفائه نبيا من
العرب دونكم • روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت • وهو ربنا وربكم • لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من
عباده • ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم • فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب
ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء فالكل فيه سواء
واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال • ونحن له مخلصون • موحدون
نخلصه بالايمان والطاعة دونكم • ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى • ام منقطعة والهمزة للانكار
وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا
بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء • قل
ءانتم اعلم ام الله • وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا • واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا • ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله • يعنى شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية
والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة • او منا لو كتمنا هذه
الشهادة • وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة فى كتبهم وغيرها
ومن للابتداء كما فى قوله تعالى براءة من الله ورسوله • بغافل عما تعملون • وعيد
وقرئ بالياء • تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون

وحفص

وما الله صح

عما

عما كانوا يعملون • تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار
بالآباء والاتكال عليهم • وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم
وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى • سيقول
السفهاء من الناس • الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين • وفائدة تقديم الاخبار توطين
النفس واعداد الجواب • ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها • يعنى بيت المقدس
والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه
نحوه للصلوة • قل لله المشرق والمغرب • لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية
تمنع اقامة غيره مقامه • وانما العبرة لارتسام امره لا بخصوص المكان • يهدى من
يشاء الى صراط مستقيم • وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى
بيت المقدس تارة والكعبة اخرى • وكذلك • اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما
جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم • او جعلنا قبلتكم افضل القبل • جعلناكم امة
وسطا • اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى تستوى
اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها • واستدل به على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم • لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا • علة للجعل اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من
الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات
فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم • روى ان الامم يوم القيمة
يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة
على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم • وهذه الشهادة وان
كانت لهم ولكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم • وما جعلنا القبلة التى كنت عليها
اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر
بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود • او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس

قوله وما جعلنا نزل حين كانت قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بين يديه والصلوة الى الكعبة بيت المقدس ثم امر بالصلوة الى الكعبة وارتاب قوم بذلك وافتتن فضل قوم فانزل الله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها صح

الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ
والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة
اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم
الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون
علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي
الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون
لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز
الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء
للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله
الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول مميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا
والضمير لما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة
او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله
الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام
لما توجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان
الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف
وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون
بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء
تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبال
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق
اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اي اصرف وجهك
شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل
ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم
اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه

السلام

عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه
بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم توجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد
بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء
صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما
الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام
موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر وساد مسد جواب الشرط و
المعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما
انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة
بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة
والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما
هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن
الظالمين اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على
اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين
آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون
ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم
بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا
اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد صلى الله عليه وسلم انه نبي واما
ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص
لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ
خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه

والقسم وجوابه م

او الجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه
اهل الكتاب ٭ واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ٭ ومن ربك حال او خبر بعد خبر ٭ وقرئ
بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون ٭ فلا تكونن من الممترين ٭ الشاكين فى انه من
ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به ٭ وليس المراد به نهى الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه
وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ٭ ولكل وجهة ٭ ولكل امة قبلة ٭ او لكل قوم من
المسلمين جهة وجانب من الكعبة ٭ والتنوين بدل الاضافة ٭ هو موليها ٭ احد المفعولين
محذوف اى هو موليها وجهه ٭ او الله تعالى موليها اياه ٭ وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى ولكل وجهة الله تعالى موليها اهلها ٭ واللام مزيدة للتأكيد جبر الضعف العامل
وقرأ ابن عامر مولاها اى مولى تلك الجهة قد وليها ٭ فاستبقوا الخيرات ٭ من امر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة ٭ اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا ٭ اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء
ومفترقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء ٭ او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل
الجبال يقبض ارواحكم ٭ او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل
صلواتكم كانها الى جهة واحدة ٭ ان الله على كل شئ قدير ٭ فيقدر على الاماتة
والاحياء والجمع ٭ ومن حيث خرجت ٭ ومن اى مكان خرجت للسفر ٭ فول
وجهك شطر المسجد الحرام ٭ اذا صليت ٭ وانه ٭ وان هذا الامر للحق من ربك
وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وقرا ابو عمرو بالياء
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ٭ كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى
ذكر للتحويل ثلث علل ٭ تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته ٭ وجرى العادة الالهية على
ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ٭ ودفع حجج
المخالفين على ما نبينه ٭ وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله
تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى
ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى ٭ وقرأ ورش بلا همزة ٭ لئلا يكون
للناس عليكم حجة ٭ علة لقوله تعالى فولوا ٭ والمعنى ان التولية عن الصخرة الى
الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة ٭ وان محمدا يجحد ديننا
ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم عليه السلام ويخالف قبلته ٭ الا الذين
ظلموا منهم ٭ استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم
فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ٭ او بدا له فرجع

الى

الى قبلة اباءه ٭ ويوشك ان يرجع الى دينهم ٭ وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة
لانهم يسوقونه مساقها ٭ وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج ٭ وقيل الاستثناء للمبالغة فى
نفى الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ٭
للعلم بان الظالم لا حجة له ٭ وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه ٭ فلا
تخشوهم ٭ فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم ٭ واخشونى ٭ فلا تخالفوا امرى ٭ ولا تركوا
ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون ٭ علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة
عليكم وارادتى اهتداءكم ٭ او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم عنهم
ولاتم نعمتى عليكم ٭ او لئلا يكون ٭ وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة ٭ وعن على رضى الله
عنه تمام النعمة الموت على الاسلام ٭ كما ارسلنا فيكم رسولا منكم ٭ متصل بما قبله
اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم ٭ او بما بعده اى كما
كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى ٭ يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ٭ يحملكم على ما يصيرون
به ازكياء ٭ قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ٭ ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ٭ بالفكر والنظر اذ لا طريق
الى معرفته سوى الوحى ٭ وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر ٭ فاذكرونى ٭ بالطاعة
اذكركم ٭ بالثواب ٭ واشكروا لى ٭ بما انعمت به عليكم ٭ ولا تكفرون ٭ بجحد النعمة
وعصيان الامر ٭ يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر ٭ عن المعاصى وحظوظ النفس
والصلوة ٭ التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ٭ ان الله مع
الصابرين ٭ بالنصر واجابة الدعوة ٭ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ٭ اى هم
اموات ٭ بل هم احياء ولكن لا تشعرون ٭ ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد
ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات ٭ وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى ٭ وعن الحسن ان
الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح ارواح
كما تعرض النار على ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع ٭ والاية نزلت فى شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر ٭ وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس
به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات
والسنن ٭ وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة
والكرامة ٭ ولنبلونكم ٭ ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء
وتستسلمون للقضاء ٭ بشئ من الخوف والجوع ٭ اى بقليل من ذلك ٭ وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم ٭ او بالنسبة الى ما يصيب
معانديهم فى الاخرة ٭ وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ٭ ونقص

مِنَ الْاَموالِ وَالْاَنفُسِ وَالثَّمَراتِ عطفٌ على شيءٍ او الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه
الخوف خوف الله تعالى والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى اقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله
تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وَبَشِّرِ الصّابِرينَ الَّذينَ اِذا اَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ
قالُوا اِنّا لِلّهِ وَاِنّا اِلَيْهِ راجِعُونَ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لمن يتاتى منه
البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلوة والسلام كل شيء
يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق
لاجله فانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ
مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على
كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع
عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه ٢
وَاُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله اِنَّ الصَّفا
وَالْمَرْوَةَ هما علما جبلين بمكة مِنْ شَعائِرِ اللّهِ من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ اَوِ اعْتَمَرَ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت
وزيارته على الوجهين المخصوصين فَلا جُناحَ عَلَيْهِ اَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما كان اساف على الصفا
ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام
تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما
الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح عليه
في الوجوب فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى
الوجوب فلا يرفعه وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
رضي الله عنهما انه ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا فان الله تعالى كتب عليكم
السعي وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه
من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى
او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغمت مثل يطوف فَاِنَّ
اللّهَ شاكِرٌ عَليمٌ مثيب على الطاعة لا يخفى عليه اِنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ كاحبار اليهود

ما انزلنا

ما اَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ كالآيات الشاهدة على امر محمد عليه الصلوة والسلام وَالْهُدى
وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ لخصناه فِي الْكِتابِ
في التورية اُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم
من الملائكة والثقلين اِلَّا الَّذينَ تابُوا عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب منه وَاَصْلَحُوا
ما افسدوا بالتدارك وَبَيَّنُوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة
ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فَاُولئِكَ اَتُوبُ عَلَيْهِمْ بالقبول والمغفرة
وَاَنَا التَّوّابُ الرَّحيمُ المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ
اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ اَجْمَعينَ
استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا
القسم لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى
كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالِدينَ
فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن
عليها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ لا يمهلون ولا ينظرون او لا ينظر اليهم نظر
رحمة وَاِلهُكُمْ اِلهٌ واحِدٌ خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح
ان يعبد ويسمى الها لا اِلهَ اِلّا هُوَ تقرير للوحدانية وازاحة لما يتوهم ان في الوجود
الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرَّحْمنُ الرَّحيمُ كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها
وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران
لقوله الهكم او لمبتداء محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فات باية نعرف بها صدقك فنزلت اِنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ وانما جمع السموات
وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين
وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة وَالْفُلْكِ الَّتي
تَجْري فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه
ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك
لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند
المحققين وَما اَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء
يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فَاَحْيا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها بالنبات وَبَثَّ
فيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات
في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء والبث النشر

ليعتدوا

وتفريق

وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض او تتحرك بعكس حركاتها وبحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله والحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤسا الذين كانوا يطيعونهم كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل فرايضه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ

القوة

ابن

ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرأ ابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب اي رائين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البنا للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالتهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى

ماذا يجيبون • قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا • ما وجدناهم عليه • نزلت في
المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد • وقيل في
طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا وأعلم • وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التورية لأنها أيضا تدعوا
إلى الإسلام • أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • الواو للحال أو للعطف والهمزة
للرد والتعجب • وجواب لو محذوف • أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون
إلى الحق لاتبعوهم • وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد • وأما اتباع الغير في الدين
إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد
بل اتباع لما أنزل الله • ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء • على
حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق • أو مثل الذين كفروا كمثل البهائم
الذي ينعق • والمعنى أن الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا
يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف
مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه • وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم
جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته • أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام
بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم • وهذا يغني عن الإضمار ولكن لا يساعده قوله
إلا دعاء ونداء لأن الأصنام لا تسمع إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب • صم بكم عمي
رفع على الذم • فهم لا يعقلون • بالفعل للإخلال بالنظر • يا أيها الذين آمنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم • لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح لهم ما في الأرض سوى ما
حرم عليهم أمر المؤمنين أن يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال • واشكروا — منهم
لله • على ما رزقكم وأحل لكم • إن كنتم إياه تعبدون • فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر إن — فان عبادته لا تتم الا بالشكر
صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم • فإن المعلق بفعل العبد هو الأمر بالشكر
لإتمامه وهو عدم عند عدمه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى إني والإنس
والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري • إنما حرم عليكم
الميتة • وهي التي ماتت من غير ذكاة • والحديث ألحق بها ما أبين من حي والسمك والجراد — اكلها والانتفاع بها
أخرجهما العرف عنها أو استثناء الشرع والحرمة المضافة إلى العين تفيد حرمة التصرف فيها
مطلقا إلا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ • والدم ولحم الخنزير • إنما خص اللحم
بالذكر لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له • وما أهل به لغير الله •
أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم • والإهلال أصله رؤية الهلال • يقال أهل
الهلال وأهللته لكن لما جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رؤي سمي ذلك إهلالا

ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره • فمن اضطر غير باغ • بالاستئثار على مضطر آخر وقرأ
عاصم وأبو بكر بكسر النون • ولا عاد • سد الرمق أو الجوعة • وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد
بقطع الطريق • فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه
وقول أحمد • فلا إثم عليه • في تناوله • إن الله غفور • لما فعل • رحيم • بالرخصة فيه
فإن قيل إنما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر • قلت المراد قصر الحرمة
على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم
هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها • إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به
ثمنا قليلا • عوضا حقيرا • أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار • إما في الحال لأنهم
أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنهم أكلوا النار كقوله أكلت دما إن لم
أرعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر • يعني الدية أو في المآل أي لا يأكلون
يوم القيامة إلا النار • ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وفي بعض بطنه كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ولا يكلمهم الله يوم القيامة • عبارة عن غضبه عليهم
وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى • ولا يزكيهم • لا يثني عليهم • ولهم — من الله
عذاب أليم • مؤلم • أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى • في الدنيا • والعذاب
بالمغفرة • في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والأغراض الدنيوية • فما أصبرهم على النار •
تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة • وما تامة مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب • أو استفهامية وما بعدها الخبر • أو موصولة
وما بعدها صلتها والخبر محذوف • ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق • أي ذلك العذاب
بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان • وإن الذين اختلفوا في
الكتاب • اللام فيه إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض كتب الله أو
للعهد والإشارة إما إلى التورية • واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها أو
خلفوا خلاف ما أنزل الله مكانه أي حرفوا ما فيها • وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر
وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين • لفي شقاق بعيد • لفي خلاف بعيد عن الحق • ليس
البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب • البر كل فعل مرضي • والخطاب لأهل الكتاب فإنهم
أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة أن البر هو التوجه إلى قبلته فرد الله
عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون • وقيل
عام لهم وللمسلمين أي ليس البر مقصورا بأمر القبلة أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا
بشأنه عن غيره أمرها • وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب • ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين • أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله أي ولكن

ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والأول أوفق وأحسن والمراد بالكتاب
الجنس أو القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بتخفيف النون ورفع البر وآتى المال على حبه
أي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح
شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله أو للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لأن إيتاءهم أفضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك وصلته
اثنتان صلة وصدقة والمساكين جمع مسكين وهو الذي أسكنته الخلة وأصله دائم
السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي
القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين الذين ألجأهم الحاجة
إلى السؤال قال عليه السلام للسائل حق وإن جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها وأقام الصلوة المفروضة
وآتى الزكوة يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن
الغرض من الأول بيان مصارفها وبالثاني أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالأول
نوافل الصدقات أو حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة
والموفون بعهدهم إذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في البأساء والضراء
نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال وعن الأزهري البأساء في الأموال
كالفقر والضراء في الأنفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو أولئك الذين
صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر وأولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل
والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا فإنها بكثرتها
وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب الأنفس
وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى من آمن إلى والنبيين وإلى الثاني بقوله تعالى وآتى المال إلى وفي
الرقاب وإلى الثالث بقوله تعالى وأقام الصلوة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق
نظرا إلى إيمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار
بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان يا أيها الذين آمنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى كان في
الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن
الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى كما
لا تدل على عكسه فإن المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا

ما كان الغرض وإنما منع مالك والشافعي رضي الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان
عبده أو عبد غيره لما روى علي رضي الله عنه أن رجلا قتل عبده فجلده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي أنه قال من السنة أن لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر
بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الأطراف ومن سلم دلالته فليس
له دعوى نسخه بقوله تعالى النفس بالنفس لأنه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في
القرآن واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد هو القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب
على التخيير يصدق عليه أنه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس
نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في
القرآن فمن عفي له من أخيه شيء أي شيء من العفو لأن عفا لازم وفائدته الإشعار
بأن بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به
وهو ضعيف إذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن إلى الجاني وإلى
الذنب لقوله تعالى عفا الله عنك وقال تعالى عفا الله عنها فإذا عدي به إلى الذنب
عدي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه
يعني ولي الدم وذكره بلفظ الأخوة الثابتة بينهما من الجنسية والإسلام ليرق له و
يعطف عليه فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان أي فليكن اتباع أو فالأمر
اتباع والمراد به وصية العافي بأن يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه
بأن يؤديها بالإحسان وهو أن لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على أن الدية أحد مقتضى
العمد وإلا لما رتب الأمر بأدائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسئلة قولان
ذلك أي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل
والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه
الأمة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد
ذلك أي قتل بعد العفو وأخذ الدية فله عذاب أليم في الآخرة وقيل في الدنيا بأن
يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا أعفي أحدا قتل بعد أخذه الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحيوة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لأن العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور
الفتنة بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الأول فيه إضمار
وعلى الثاني فيه تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الأخروية فإن القاتل إذا اقتص منه في الدنيا

لم يؤاخذ به في الآخرة • ولكم في القصاص حيوة يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة • وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له • او حالا عن الضمير المستكن فيه • وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة • او في القرآن حيوة للقلوب • يا اولي الالباب • ذوي العقول الكاملة نادا هم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس • لعلكم تتقون • في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له • او عن القصاص فتكفوا عن القتل • كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت • اي حضر اسبابه وظهر اماراته • ان ترك خيرا • اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير • وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك • الوصية للوالدين والاقربين • مرفوع بكتب • وتذكير فعلها للفصل • او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله • والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها • وقيل مبتداء خبره للوالدين • والجملة جواب الشرط باضمار الفاء • كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها • ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر • وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث • وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث • وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر • ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله • او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم • بالمعروف • بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث • حقا على المتقين • مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا • فمن بدله • غيره من الاوصياء والشهود • بعد ما سمعه • وصل اليه وتحققه عنده • فانما اثمه على الذين يبدلونه • فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع • ان الله سميع عليم • وعيد للمبدل بغير حق • فمن خاف من موص • اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء • وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص • جنفا • ميلا بالخطا في الوصية • او اثما • تعمدا للحيف • فاصلح بينهم • بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع • فلا اثم عليه • في هذا التبديل فانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول • ان الله غفور رحيم • وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم • يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم • يعني الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام • وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس

والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس • وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس • لعلكم تتقون • المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء • او الاخلال باداته لاصالته وقدمه • اياما معدودات • موقتات بعدد معلوم • او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا • ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه • والمراد رمضان • او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشورا او ثلثة ايام من كل شهر • او بما كتب على الظرفية • او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة • وقيل معناه صوموا كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله • وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم • فمن كان منكم مريضا • مرضا يضره الصوم ويعسر معه • او على سفر • او راكب سفر • وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر • فعدة من ايام اخر • اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة • وهذا على سبيل الرخصة • وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة • وعلى الذين يطيقونه • وعلى المطيقين للصيام ان افطروا • فدية طعام مسكين • نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق • ومد عند فقهاء الحجاز • رخص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ • وقرا نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع مساكين • وقرا هشام طعام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام • والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين • وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة • ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه • ويطوقونه بالادغام • ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه • وعلى هذه القراءة يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا • وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم • فمن تطوع خيرا • فزاد في الفدية فهو • فالتطوع او الخير • خير له • وان تصوموا • ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر • خير لكم • من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء • ان كنتم تعلمون • ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة • وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه • وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك • شهر رمضان • مبتداء خبره ما بعده

والمضاف م

أو خبر مبتدإ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان، أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان، وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف، أو بدل من أيام معدودات، والشهر من الشهرة، ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث، وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس، وإنما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش، أو لارتماض الذنوب فيه، أو لوقوعه أيام رمض الحر حيث ما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، الذي أنزل فيه القرآن أي ابتدأ فيه إنزاله وكان ذلك ليلة القدر، أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض، أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام، وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التورية لست مضين، والإنجيل لثلث عشرة، وأنزل زبور لثماني عشرة، والقرآن لأربع وعشرين، والموصول بصلته خبر المبتدإ أو صفته والخبر فمن شهد، والفاء لوصف المبتدإ بما تضمن معنى الشرط، وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن أي أنزل وهو هداية للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم (والأحكام)، فمن شهد منكم الشهر فليصمه، فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه، والأصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الأول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب ضمير الثاني على الاتساع، وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أي صلوتها فيكون، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر مخصصا له لأن المسافر والمريض ممن يشهد الشهر، ولعل تكريره لذلك، أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أي يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر، فلذلك أباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون، علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق أي وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطر فيه والترخيص لتكملوا العدة إلخ على سبيل اللف، فإن قوله ولتكملوا علة الأمر بمراعاة العدد، ولتكبروا الله علة الأمر بالقضاء وبيان كيفيته، ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير، أو لأفعال كل لفعله، أو معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم، أو لتعلموا ما تعملون ولتكملوا، ويجوز أن يعطف على اليسر أي ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله، والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء

عليه

عليه، ولذلك عدي بعلى، وقيل تكبير يوم الفطر، وقيل التكبير عند الإهلال، وما يحتمل المصدر والخبر أي الذي هداكم إليه، وعن عاصم برواية أبي بكر ولتكملوا بالتشديد، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أي فقل لهم إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم، روي أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت، أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة، فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم، وليؤمنوا بي أمر بالثبات والدوام عليه، لعلهم يرشدون راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق، وقرئ بفتح الشين وكسرها، واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه، ثم بين أحكام الصوم فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم، روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا ثم إن عمر باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت، وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما، والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه، وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء، وإيثاره هاهنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة، وقرئ الرفوث، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس، قال الجعدي: إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا، أو لأن كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب، والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب، فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه، وعفا عنكم ومحا أثره، فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم، وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن، والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع، وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم وأثبته في اللوح من الولد، والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر، وقيل النهي عن العزل، وقيل عن غير المأتي، والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود

من الفجر. شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين
ابيض واسود. واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته
عليه. وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل. ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض
الفجر. وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير
البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما
التبس على بعضهم. وتجويز المباشرة الى الصبح يدل على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم
المصبح جنبا. ثم اتموا الصيام الى الليل. بيان اخر وقته. ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد. معتكفون فيها. والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة. والمراد
بالمباشرة الوطء. وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا
عن ذلك. وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد
وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد. تلك حدود الله
اي الاحكام التي ذكرت. فلا تقربوها. نهي عن ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل
لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه. وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها. ويجوز
ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه. كذلك. مثل ذلك التبيين. يبين الله اياته
للناس لعلهم يتقون. مخالفة الاوامر والنواهي. ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله. وبين نصب على الظرف او الحال
من الاموال. وتدلوا بها الى الحكام. عطف على المنهي او نصب باضمار ان. والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام. لتاكلوا. بالتحاكم. فريقا. طائفة. من اموال
الناس بالاثم. بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة. او ملتبسين بالاثم
وانتم تعلمون. انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح. روي ان
عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه السلام ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا. فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان
فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا. ويؤيده قوله عليه السلام انما انا
بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع
منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار. يسالونك عن
الاهلة. ساله معاذ بن جبل رضي الله عنه وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو

دقيقا

دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا. قل هي مواقيت
للناس والحج. انهم سالوا عن الحكمة في اختلاف القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان
الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء. والمواقيت جمع
ميقات من الوقت. والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبداها الى منتهاها. والزمان مدة مقسومة. والوقت الزمان المفروض لامر. وليس البر
بان تاتوا البيوت. قرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء. والباقون بالكسر. من ظهورها
ولكن البر من اتقى. كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون
ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من
اتقى المحارم والشهوات. ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد. او انهم لما سالوا عما لا يعنونه ولا يتعلق
بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها
على ان اللائق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم به. او ان المراد التنبيه على تعكيسهم
السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه. والمعنى وليس البر بان تعكسوا
مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله. واتوا البيوت من ابوابها. اذ ليس
في العدول بر. او باشروا الامور من وجوهها. واتقوا الله. في تغيير احكامه والاعتراض على
افعاله. لعلكم تفلحون. لكي تظفروا بالهدى والبر. وقاتلوا في سبيل الله. جاهدوا لاعلاء
كلمته واعزاز دينه. الذين يقاتلونكم. قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة
المقاتلين منهم والمحاجزين. وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون
غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى
قصده. ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان
لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت. ولا تعتدوا. بابتداء القتال
او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة. او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله. ان الله
لا يحب المعتدين. لا يريد بهم الخير. واقتلوهم حيث ثقفتموهم. حيث وجدتموهم في حل
او حرم. واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو متضمن لمعنى الغلبة ولذلك
استعمل فيها. قال فاما تثقفوني فاقتلوني. فمن اثقف فليس الى خلود. واخرجوهم من
حيث اخرجوكم. اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح. والفتنة اشد من القتل
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم

النفس بها. وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه. لا تفاتحوهم بالقتال وهتك
حرمة المسجد الحرام. فان قاتلوكم فاقتلوهم. فلا تبالوا بقتالهم فانهم الذين هتكوا
حرمته. وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم. والمعنى حتى يقتلوا بعضكم
كقولهم قتلنا بنو اسد. كذلك جزاء الكافرين. مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل
ما فعلوا. فان انتهوا. عن القتال والكفر. فان الله غفور رحيم. يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة. شرك. ويكون الدين لله. خالصا ليس للشيطان فيه
نصيب. فان انتهوا. عن الشرك. فلا عدوان الا على الظالمين. اي فلا تعتدوا على
المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم. فوضع العلة موضع الحكم. وسمي جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. او انكم ان تعرضتم للمنتهين
صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم. والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء. الشهر
الحرام بالشهر الحرام. قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم
لعمرة القضاء فيه فكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به. والحرمات قصاص. احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان
يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله
وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم. وهو فذلكة التقرير. واتقوا الله. في الانتصار ولا
تعتدوا الى ما يرخص لكم. واعلموا ان الله مع المتقين. فيحرسهم ويصلح شانهم. وانفقوا
في سبيل الله. ولا تمسكوا كل الامساك. ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة. بالاسراف وتضييع
وجه المعاش. او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلا
ككم. ويؤيده عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر
اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت. او بالامساك وحب المال
فانه يؤدي الى الهلاك ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد
والالقاء طرح الشيء. وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء. والباء مزيدة. والمراد بالايدي
الانفس. والتهلكة والهلاك والهلك واحد. وهي مصدر كالتضرة والتسرة. اي
لا توقعوا انفسكم في الهلاك. وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم. او لا تلقوا بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول. واحسنوا. اعمالكم واخلاقكم. او تفضلوا على المحاويج
ان الله يحب المحسنين. واتموا الحج والعمرة لله. ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه
الله. وهو على هذا يدل على وجوبهما. ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة. وما روي

جابر

جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض
بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك. ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله
اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب سبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان
وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس. وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك
او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا
فان احصرتم. منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل
صده واصده. والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنه لقوله تعالى فاذا
امنتم ولنزوله في الحديبية. ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو
او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روي انه عليه السلام من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام
لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني. فما استيسر من
الهدي. فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر. والمعنى
ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث
احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل. وعند ابي حنيفة
رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقو
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله. اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث
الى الحرم بلغ محله. اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه. وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على
ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما. واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء. وقال
ابو حنيفة يجب القضاء. والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان. والهدي جمع هدية
كجدي وجدية. وقرئ من الهدي جمع الهدية كمطي في مطية. فمن كان منكم مريضا
مرضا يحوجه الى الحلق. او به اذى من راسه. كجراحة وقمل. ففدية. اي فعليه
فدية ان حلق. من صيام او صدقة او نسك. بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم
يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك
شاة. والفرق ثلاثة اصوع. فاذا امنتم. الاحصار او كنتم في حال امن وسعة. فمن
تمتع بالعمرة الى الحج. فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع
بتقربه بالحج في اشهره. وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الى ان يحرم بالحج. فما استيسر من الهدي. فعليه دم استيسره بسبب

التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل وقال ابو حنيفة رحمه الله
دم نسك فهو كالاضحية ۰ فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج ۰ في ايام الاشتغال به
بعد الاحرام وقبل التحلل ۰ وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين ۰ والاحب ان
يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ۰ ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر
وسبعة اذا رجعتم ۰ الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي ۰ او نفرتم وفرغتم من اعماله
وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة ۰ وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام
تلك عشرة ۰ فذلكة الحساب ۰ وفايدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس
الحسن وابن سيرين ۰ وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا
الحساب ۰ وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما ۰ كاملة ۰ صفة مؤكدة
تفيد المبالغة في محافظة العدد ۰ او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به
ينتهي الآحاد وتتم مراتبها ۰ او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ۰ ذلك ۰ اشارة
الى الحكم المذكور عندنا ۰ والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد
الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية ۰ لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام ۰ وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا دون من كان على اقل من مسافة
القصر فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده ۰ واهل الحل عند
طاوس ۰ وغير المكي عند مالك ۰ واتقوا الله ۰ في المحافظة على اوامر الله ونواهيه وخصوصا
في الحج ۰ واعلموا ان الله شديد العقاب ۰ لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان
الحج اشهر ۰ اي وقته كقولك البرد شهران ۰ معلومات ۰ اي معروفات ۰ وهي شوال
وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا ۰ والعشر عند ابي حنيفة رحمه الله ۰ وذو
الحجة كله عند مالك ۰ وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه
او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة
وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه ۰ وانما سمي شهرين وبعض
الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد ۰ فمن فرض فيهن
الحج ۰ فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا ۰ وبالتلبية او بسوق الهدي عند ابي
حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي ۰ وان من احرم بالحج لزمه الاتمام ۰ فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ۰ ولا فسوق ۰ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب
المحظورات ۰ ولا جدال ۰ ولا مراء مع الخدم والرفقة ۰ في الحج ۰ في ايامه نفي الثلثة على قصد
النهي للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في
انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى

الطبع والعادة الى محض العبادة ۰ وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن
رفث ولا فسوق ۰ والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج ۰ وذلك ان قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفة ۰ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ۰ حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل
به ويستعمل مكانه ۰ وتزودوا فان خير الزاد التقوى ۰ وتزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد ۰ وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على
الناس ۰ واتقون يا اولي الالباب ۰ فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على
التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا من كل شيء سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ۰ ليس عليكم
جناح ان تبتغوا ۰ اي في ان تبتغوا اي تطلبوا ۰ فضلا من ربكم ۰ عطاء ورزقا منه
يريد الربح بالتجارة ۰ وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت ۰ فاذا افضتم
من عرفات ۰ دفعتم منها بكثرة ۰ من افضت الماء اذا صببته بكثرة ۰ واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة ۰ وعرفات جمع سمي به كاذرعات ۰ وانما نون
وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا
ليس كذلك ۰ او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ۰ او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها
لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت ۰ وانما
سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه ۰ او لان جبريل كان
يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت ۰ او لان آدم وحوا التقيا فيه ۰ او لان الناس
يتعارفون فيه ۰ وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع
عارف فانه اذن ليس من الاسماء المرتجلة ۰ وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا ۰ او مقدمة للذكر المامور به
وفيه نظر اذ الذكر ليس بواجب بل مستحب ۰ وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد
بالافاضة لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته ۰ فاذكروا الله ۰ بالتلبية والتهليل و
الدعاء ۰ وقيل بصلوة العشائين ۰ عند المشعر الحرام ۰ جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح ۰ وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ۰ ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام

لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته
ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر واذكروه كما هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما
هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله
اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفا
رقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا
من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون
بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى
منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد به آدم
عليه السلام من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر
وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في
المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر
ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على
ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف
على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر
دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول
تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين
اريد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا ايتاءنا ومنحتنا في
الدنيا وما له في الآخرة من خلاق نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا
او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو
والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء
وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار

امثلة

امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا
اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا
به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب
يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب
الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروا
ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن
استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد
رمي الجمار الى غروب الشمس عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن
تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة
يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على
اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر
من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر
بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون
للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الضم وجمع المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله
يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة
الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها
مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة و
فصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو
الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع
خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين
كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم و
اهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤم
الظلم القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم
الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم
كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهي في الاصل مرادف للنار وقيل معرب

ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل
ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب
بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم
ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة
والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب
الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاستسلام
والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه
جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره
والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في
شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق
والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان
الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره
وبأسه كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه
فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة
وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم
العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من
حيث لا يحتسب كان اغم فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم
الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن
وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب
على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول
عليه الصلوة والسلام او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية

بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم
خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف
العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله آياته فانها سبب الهدى
الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ
من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم
بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد
العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن
غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه
قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين
كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم
على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في
مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال
والذين اتقوا بعد قوله تعالى من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في
الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق
فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة
ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما
حذف لدلالة قوله تعالى فيما اختلفوا فيه وعن كعب رضي الله عنه الذي علمته من
عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور
في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون
بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس
اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس
عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة
الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله

الذين آمنوا لما اختلفوا فيه • اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف • من الحق • بيان
لما اختلفوا فيه • باذنه • بامره وارادته ولطفه • والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
لا يضل سالكه • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء وبعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار • ولما يأتكم • واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها
توقع ولذلك جعل مقابل قد • مثل الذين خلوا من قبلكم • حالهم التى هى مثل فى الشدة
مستهم البأساء والضراء • بيان له على الاستيناف • وزلزلوا • وازعجوا ازعاجا شديدا
بما اصابهم من الشدائد • حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه • لتناهى الشدة واستطالة
المدة بحيث تقطعت حبال الصبر • وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية
كقولك مرض حتى لا يرجونه • متى نصر الله • استبطاء له لتأخره • الا ان نصر الله قريب •
استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر • وفيه
اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد
والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات • يسئلونك
ماذا ينفقون • عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصارى كان هما ذا مال عظيم فقال
يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت • قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل • سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف
لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره • ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى
الآية • واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير • وما تفعلوا من خير
فى معنى الشرط • فان الله به عليم • جوابه اى ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه ويوفى ثوابه و
ليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به • كتب عليكم القتال وهو كره لكم • شاق
عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة • او فعل بمعنى المفعول كالخبز • وقرئ
بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف • او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة
وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها • وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم • وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب
فلاحهم • وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم • وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه
وتهواه وهو يفضى بها الى الردى • وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر
عليها • والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون • ذلك • وفيه دليل على ان الاحكام
تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها • يسئلونك عن الشهر الحرام • روى انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا

لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوا عمروا واسروا اثنين واقلت واحد
واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة
فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى • وعن ابن عباس لما نزلت اخذ الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام والسائلون
هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا • وقيل اصحاب السرية • قتال فيه • بدل
الاشتمال من الشهر • وقرئ عن قتال بتكرير العامل • قل قتال فيه كبير • اى ذنب كبير
والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء • وهو نسخ
الخاص بالعام وفيه خلاف • والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا
فان قتال فيه نكرة فى حيز مثبت فلا تعم • وصد • صرف ومنع • عن سبيل الله •
اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات • وكفر به • اى بالله • والمسجد الحرام •
على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى دؤاد اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا • ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به
على وصد مانع منه • اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء
فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار • واخراج اهله منه اهل المسجد
وهم النبى عليه السلام والمؤمنون • اكبر عند الله • مما فعلته السرية خطاء وبناء
على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش • وافعل من يستوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث • والفتنة اكبر من القتل • اى ما ارتكبوه من الاخراج
والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى • ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم • اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم
وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى تدخل الجنة لقوله • ان استطاعوا • وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على • وايذان بانهم
لا يردونهم • ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى • والمراد بها الاعمال
النافعة • وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه • فى الدنيا • لبطلان ما تخيلوه وفوات
ما للاسلام من الفوائد الدنيوية • والآخرة • لسقوط الثواب • واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون • كسائر الكفرة • ان الذين آمنوا • نزلت ايضا فى السرية لما ظن بهم انهم
ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر • والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله • كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء • اولئك يرجون رحمت الله

ثوابه أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة
بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم بإجزال الأجر والثواب
يسألونك عن الخمر والميسر روي أنه نزلت بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأ
عناب تتخذون منه سكراً فأخذ المسلمون يشربونها ثم إن عمر ومعاذاً في نفر من الصحابة
قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها
آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا فسكروا فأمّ أحدهم فقرأ أعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقلّ من يشربها ثم دعا عتبان بن
مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه
هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر
إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمي سكراً لأنه يسكره أي يحجزه وهي حرام مطلقاً وكذا
كل ما أسكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة رحمه الله نقيع الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر أيضاً مصدر كالموعد سمي به القمار لأنه أخذ مال
الغير بيسر أو سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما أي في تعاطيهما
إثم كبير من حيث إنه يؤدي إلى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور ومنافع للناس
من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان و
توفر المروة وتقوية الطبيعة وإثمهما أكبر من نفعهما أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم
من المنافع المتوقعة منهما ولذا قيل إنها المحرمة للخمر فإن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والأظهر أنه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله أيضاً عمرو بن
الجموح سأل أولاً عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الإنفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه
يقال للأرض السهلة وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو
مني تستديمي مودتي وروي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها
في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه حتى كرره مراراً فقال هاتها مغضباً فأخذها
فحذفه بها حذفاً لو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات أي مثل ما بين أن العفو
أصلح من الجهد أو ما ذكر من الأحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف أي
تبييناً مثل هذا التبيين وإنما وحد العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع
لعلكم تتفكرون في الدلائل والأحكام في الدنيا والآخرة في أمور الدارين فتأخذون
بالأصلح

بالأصلح والأنفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم ويسألو نك
عن اليتامى لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم
والاهتمام بأمرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل
إصلاح لهم خير أي مداخلتهم لإصلاحهم أو إصلاح أموالهم خير من مجانبتهم
وإن تخالطوهم فإخوانكم حث على المخالطة أي إنهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ
أن يخالط الأخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد
ووعد لمن خالطهم لإفساد وإصلاح أي يعلم أمره فيجازيه عليه ولو شاء الله لا عنتكم
أي ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم أي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم إن الله عزيز غالب يقدر على الإعنات حكيم يحكم ما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن أي ولا تتزوجوهن وقرئ
بالضم أي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه
عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
روي أنه عليه السلام بعث مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها أناساً من المسلمين
فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت له ألا تخلو فقال إن الإسلام حال بيننا
فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة أي ولامرأة مؤمنة
حرة كانت أو مملوكة فإن الناس عبيد الله وإماؤه ولو أعجبتكم بحسنها
وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى إن وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك
ولو أعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب لمواصلة المؤمنين
أولئك إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون إلى النار أي الكفر
المؤدي إلى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله أي وأولياؤه يعني المؤمنين
حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم يدعوا إلى الجنة والمغفرة
أي الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة بإذنه بتوفيق
الله وتيسيره أو بقضائه وإرادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
لكي يتذكروا أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير و
مخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي أن أهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح في نفر

من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين من الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عليه السلام ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة

اى

اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رحمه الله اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لا يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤوا رجعوا من اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رحمه الله الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولى ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن

مضيها • وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك
وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا • واصله
الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت
الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن • والطلاق المشروع لا يكون
في الحيض • واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها
النساء • وكان القياس ان تذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون
كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة
فحسن بناؤها • ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن • من الولد والحيض استعجالا
في العدة وابطالا لحق الرجعة • وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك • ان كن يؤمن بالله
واليوم الآخر • ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان
المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل • وبعولتهن • اي ازواج المطلقات • احق بردهن
الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص
من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه • والبعولة جمع بعل والتاء
لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة • او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به
او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن • واحق هاهنا بمعنى الفاعل •
في ذلك • اي في زمان التربص • ان ارادوا اصلاحا • بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد
منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف • اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن
في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس • وللرجال عليهن درجة • زيادة
في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار
ونحوها • او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج
ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق • والله عزيز • يقدر على الانتقام ممن خالف
الاحكام • حكيم • يشرعها لحكم ومصالح • الطلاق مرتان • اي التطليق الرجعي
اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح
باحسان • وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك
قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة • فامساك بمعروف • بالمراجعة
وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول • او تسريح باحسان • بالطلقة الثالثة

١ اول البيت
افي كل عام انت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

او

او بان لا يراجعها حتى تبين • وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم
كيفية التطليق • ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا • من الصدقات • روي
ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء
فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت •
فاختلعت منه بحديقة اصدقها • والخطاب مع الحكام • واسناد الاخذ والايتاء اليهم
لانهم الآمرون بهما عند الترافع • وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام
وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة • الا ان يخافا • اي الزوجان • وقرئ يظنا وهو
يؤيد تفسير الخوف بالظن • ان لا يقيما حدود الله • بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية
وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب • فان خفتم • ايها الحكام • ان لا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به • على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة
في اعطائه • تلك حدود الله • اشارة الى ما حد من الاحكام • فلا تعتدوها • فلا تتعدوها
بالمخالفة • ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون • تعقيب للنهي بالوعيد
مبالغة في التهديد • واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق
ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد • ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة
سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة • وما روي انه عليه السلام قال
لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد
فلا • والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ
المفاداة فانه سماه افتداء • واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق • ومن جعله
فسخا احتج بقوله • فان طلقها • فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون
طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا • والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض • وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان • او تفسير لقوله او تسريح
باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى • والمعنى
فان طلقها بعد الثنتين • فلا تحل له من بعد • من بعد ذلك الطلاق • حتى تنكح زوجا غيره
حتى تتزوج غيره • والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج • وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد
كابن المسيب • واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني

وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي
الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة
قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج
والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح
بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا
ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان
في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم
غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان
ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها
لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي
به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه
فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل
والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو
اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة
عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى
مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم
يجد في الامر انما انت هازئ كأنه نهي عن الهزء واراد الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم التي
من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا
لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم
تأكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن

الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين
عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون ذلك دليلا على
ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد
النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد
مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله تعالى واذا طلقتم
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه
اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء
وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة
حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة
على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
للجمع على تأويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي
دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من
كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى
ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد
له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن
اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم
الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وقيل اللام متعلقة
بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له اي للاب كما تقول ارضعت
فلانة لفلان ولده وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة بعدهما وانه
يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن
المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم
ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف

ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه. لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اى لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى
وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا
عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء
للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر
الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع تخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة
واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق عليه ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه. وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد
بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى
من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل الوارث وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل
وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة. فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى
فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة
والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته. فلا جناح عليهما فى ذلك وانما
اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض. وان
اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل
واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء
عنه. فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع
الزوجة من الارضاع. اذا سلمتم الى المراضع. ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى
ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة. بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن
شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل. واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع
فى امر الاطفال والمراضع. واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد. والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى او الذين
وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان

منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم. وتأنيث العشر باعتبار الليالى
لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم
يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى
لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك فى ثلاثة اشهر ان كان ذكرا او لاربعة ان كان انثى فاعتبر
اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم
اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل
وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا ٢
فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن. فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا
فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم الله عليها للعدة. بالمعروف بالوجه الذى
لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح
والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه. ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء. التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك. والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل
النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف. والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت
بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة. والمراد بالنساء المعتدات للوفاة. وتعريض خطبتها ان
يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك. او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم
فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا. علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت
عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ. ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطئ لانه
مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة بالسر
المواعدة بما يستهجن. الا ان تقولوا قولا معروفا. وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى
منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول
معروف. وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا توا
عدوهن الا التعريض وهو غير موعود. وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز
التعريض ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه
ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد ٢ وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح ٤
عقدة النكاح فان اصل العزم القطع. حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب
من العدة. واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه

ولا تعزموه • واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله • حليم • فلا
يعاجلكم بالعقوبة • لا جناح عليكم • لا تبعة من مهر • وقيل من وزر لانه لا بدعة
في الطلاق قبل المسيس • وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا
فنفي • ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن • اي تجامعوهن • او تفرضوا لهن فريضة • الا ان
تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا • والفرض تسمية المهر • وفريضة نصب على المفعول
به • فعيلة بمعنى مفعول • والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية • ويحتمل المصدر و
المعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل • ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى
لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى • ومفهومها يقتضي الوجوب
على الجملة في الاخيرتين • ومتعوهن • عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم • ويؤيده قوله تعالى
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره • اي على كل من الذي له سعة • ومن المقتر الضيق
الحال ما يطيقه ويليق به • ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة
قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك • وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب
الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل • ومفهوم الاية الكريمة يقتضي تخصيص
ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج • والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم • متاعا • تمتيعا • بالمعروف • بالوجه
الذي يستحسنه الشرع والمروة • حقا • صفة لمتاعا • او مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا • على المحسنين • الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال • او الى المطلقات
بالتمتيع • وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا • وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم • لما ذكر حكم المفوضة اتبعه
حكم قسيمها اي فعليهم • او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان
الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها • الا ان يعفون
اي المطلقات فلا يأخذن شيئا • والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث • والفرق ان الواو
في الاول ضمير والنون علامة الرفع • وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني وكذلك
لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه • او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر
بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه • واليه ذهب بعض اصحابنا
والحنفية • وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو

اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن

قول

وهو قول قديم للشافعي • وان تعفوا اقرب للتقوى • يؤيد الوجه الاول • وعفو
الزوج على وجه التخيير ظاهر • وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق • فتسميتها
عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس
استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه • وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو • ولا تنسوا الفضل
بينكم • اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض • ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع تفضلكم واحسانكم • حافظوا على الصلوات • بالاداء لوقتها والمداومة
عليها • ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال
بشانهم عنها • والصلوة الوسطى • اي الوسطى بينها • او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة
العصر • لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر
ملا الله بيوتهم نارا • وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة • وقيل
صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله
عليه السلام افضل العبادات احمزها • وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل
والواقعة في الحد المشترك بينهما • ولانها مشهودة • وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد
ووتر النهار • وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين بين طرفي الليل • وعن عائشة رضي
الله عنها انه عليه السلام كان يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلاة من
الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل • وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقوموا لله • في الصلوة • قانتين • ذاكرين له في القيام • والقنوت الذكر فيه • وقيل
خاشعين • وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح • فان خفتم • من عدو او غيره • فرجالا
او ركبانا • فصلوا راجلين او راكبين • ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام
وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة • واليه ذهب الشافعي • وقال ابو
حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف • فاذا امنتم • وزال الخوف
فاذكروا الله • صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن • كما علمكم • ذكرا مثل ما علمكم
من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن • او شكرا يوازيه • وما مصدرية
او موصولة • ما لم تكونوا تعلمون • مفعول علمكم • والذين يتوفون منكم ويذ
رون ازواجا وصية لازواجهم • قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص
عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية • او ليوصوا وصية
او كتب الله عليهم وصية • او الزم الذين يتوفون وصية • ويؤيد ذلك قراءة كتب
عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه • وقرا الباقون بالرفع على تقدير

والنهار

ووصية الذين يتوفون أو وحكمهم وصية • أو والذين يتوفون أهل وصية • أو
كتب عليهم وصية • أو عليهم وصية • وقرئ متاع بدلها أي فمتاع لأزواجهم
متاعا إلى الحول نصب بيوصون إن أضمرت • وإلا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ
لأنه بمعنى التمتيع • غير إخراج • بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
أو حال من أزواجهم أي غير مخرجات • والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا
لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت
المدة بقوله تعالى أربعة أشهر وعشرا وهو وإن كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لأبي
حنيفة رحمه الله • فإن خرجن عن منزل الأزواج • فلا جناح عليكم • أيها الأئمة
فيما فعلن في أنفسهن • كالتطيب وترك الحداد • من معروف • مما لم ينكره الشرع
وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه • وإنما كانت
مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها • والله عزيز • ينتقم ممن
خالفه منهم حكيم • راعى مصالحهم • وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على
المتقين • أثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما أوجبها لواحدة منهن وأفراد بعض
العام بالحكم لا يخصصه إلا إذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم • ولذلك أوجبها
ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب • وقال قوم المراد
بالمتاع نفقة العدة • ويجوز أن يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد أو لتكرر القصة
كذلك • إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدد • يبين الله لكم آياته • وعد
بأنه سيبين لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشا ومعادا لعلكم
تعقلون • لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها • ألم تر • تعجيب وتقرير
لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ • وقد يخاطب به من لم ير ولم
يسمع فإنه صار مثلا في التعجيب • إلى الذين خرجوا من ديارهم • يريد أهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم
ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله وقدره • أو قوما من بني إسرائيل دعاهم
ملكهم إلى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله تعالى ثمانية أيام ثم أحياهم وهم
ألوف • أي ألوف كثيرة • قيل عشرة • وقيل ثلاثون • وقيل سبعون • وقيل متألفون
جمع آلف أو آلف كقاعد وقعود • والواو للحال • حذر الموت • مفعول له فقال
لهم الله موتوا • أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله تعالى كن فيكون والمعنى أنهم ماتوا
ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله تعالى ومشيئته • وقيل ناداهم به ملك وإنما

اسند

أسند إلى الله تعالى تخويفا وتهويلا • ثم أحياهم • قيل مر حزقيل على أهل داوردان
وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك فأوحى الله إليه ناد فيهم أن قوموا
بأمر الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت • وفائدة
القصة تشجيع المؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضا
إن الله لذو فضل على الناس • حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا • وقص عليكم حالهم
لتستبصروا • ولكن أكثر الناس لا يشكرون • أي لا يشكرونه كما ينبغي • ويجوز أن
يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار • وقاتلوا في سبيل الله • لما بين أن الفرار عن الموت
غير مخلص وأن المقدر لا محالة واقع أمرهم بالقتال إذ لو جاء أجلهم ففي سبيل الله وإلا
فالنصر والثواب • واعلموا أن الله سميع • لما يقوله المتخلف والسابق • عليم • بما
يضمرانه وهو من وراء الجزاء • من ذا الذي يقرض الله • من استفهامية مرفوعة الموضع
بالابتداء وذا خبره • والذي صفة ذا أو بدله • وإقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي
يطلب به ثوابه • قرضا حسنا • إقراضا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا
طيبا • وقيل القرض الحسن المجاهدة والإنفاق في سبيل الله تعالى • فيضاعفه له • فيضاعف
جزاءه • أخرجه على صورة المغالبة للمبالغة • وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فإن من ذا الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله أحد • وقرأ ابن كثير فيضعفه
بالرفع • وابن عامر ويعقوب بالنصب • أضعافا كثيرة • كثيرة لا يقدرها إلا الله • وقيل
الواحد بسبعمائة • وأضعافا جمع ضعف • ونصبه على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول
الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير أو المصدر على أن الضعف اسم المصدر • وجمعه للتنويع
والله يقبض ويبسط • يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا
عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم • وإليه ترجعون • فيجازيكم على ما قدمتم • ألم تر
إلى الملإ من بني إسرائيل • الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم • ومن
للتبعيض • من بعد موسى • أي من بعد وفاته • ومن للابتداء • إذ قالوا لنبي لهم • هو
يوشع أو شمعون أو أشمويل • ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله • أقم لنا أميرا
ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه • وجزم نقاتل على الجواب • وقرئ
بالرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال • ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا
على الجواب والوصف لملكا • قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط • والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم فأدخل
هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا • وقرأ نافع بكسر
السين • قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا

اى أي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد • وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر
الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا
من ابناء الملوك اربعمائة واربعين • فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر • والله عليم بالظالمين • وعيد لهم على ظلمهم في ترك
الجهاد • وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا • طالوت علم عبري كداود وجالوت
وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه • روي ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله
تعالى ان يملكهم اتي بعصى يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت • قالوا انى يكون
له الملك علينا • من اين يكون له ذلك ويستاهل • ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال • والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد
به • وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد
يهوذا وكان فيهم من الاسباط خلق • قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم • لما استبعدوا تملكه
لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره
عليكم وهو سبحانه وتعالى اعلم بالمصالح منكم • وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به
من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على
مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد
يده فينال راسه • وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء
ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه • عليم بمن يليق بالملك من النسيب
وغيره • وقال لهم نبيهم • لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم
ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت • الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق • ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما
ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وهو من خشب
الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين • فيه سكينة من ربكم • الضمير
للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه
وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر

النصر وقيل صور الانبياء عليهم السلام من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه تصيير قلبه مقر العلم
والوقار بعد ان لم يكن • وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون • رضاض الالواح وعصا
موسى عليه السلام وثيابه وعمامة هرون • وآلهما ابناؤهما او انفسهما • والآل مقحم لتفخيم
شانهما • او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما • تحمله الملائكة • قيل رفعه الله بعد
موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه • وقيل كان بعده مع انبيائهم
فيستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله
تعالى طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه
على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت عليه السلام • ان في ذلك لآية لكم ان كنتم
مؤمنين • يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء خطاب من الله
تعالى • فلما فصل طالوت بالجنود • انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة • واصله
فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم • روي انه قال لهم لا
يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع معه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا • قال ان الله مبتليكم بنهر •
معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه • فمن شرب منه فليس مني • فليس من اشياعي
او ليس بمتحد معي • ومن لم يطعمه فانه مني • اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ما
كولا او مشروبا • قال الشاعر وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا • وانما علم ذلك بالوحي
ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي • الا من اغترف غرفة بيده • استثناء من قوله
فمن شرب • وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في
قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا • والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرا
ابن عامر والكوفيون غرفة بضم الغين • فشربوا منه الا قليلا منهم • اي فكرعوا فيه اذ
الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء • او افرطوا في
الشرب الا قليلا منهم • وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله تعالى فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه • والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا • وقيل ثلثة آلاف وقيل الفا
روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته • ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه
واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة • فلما جاوزه
هو والذين آمنوا معه • اي القليل الذين لم يخالفوه • قالوا • اي بعضهم لبعض لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده • لكثرتهم وقوتهم • قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله تعالى وتوقعوا ثوابه • او علموا انهم يستشهدون

عما قريب فيلقون الله تعالى • وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه • والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما • كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله • بحكمه وتيسيره • وكم يحتمل الاستفهام والخبر • ومن مزيدة او مبيّنة • والفئة فرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع • فوزنها فعة او فلة • والله مع الصابرين • بالنصرة والاثابة • ولما برزوا لجالوت وجنوده • اى ظهروا لهم ودنوا منهم • قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين • التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا • فهزموهم باذن الله • فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم • وقتل داود جالوت • قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فأوحى الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته • وآتاه الله الملك • اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك • والحكمة • النبوة • وعلمه مما يشاء • كالسرد وكلام الدواب والطير • ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين • ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض لشؤمهم • وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله • تلك آيات الله • اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت • وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت • نتلوها عليك بالحق • بالوجه المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ • وانك لمن المرسلين • لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع • تلك الرسل • اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة • او المعلومة للرسول • او جماعة الرسل واللام للاستغراق • فضلنا بعضهم على بعض • بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره • منهم من كلم الله • تفصيل له وهو موسى ومحمد عليه السلام كلم الله تعالى موسى عليه السلام ليلة الحيرة وفي الطور • ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد • وقرئ كلم الله • وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله تعالى كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه • ورفع بعضهم درجات • بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية

الجزء الثالث

والعملية

والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين • وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التى هى اعلى المراتب • وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا • وقيل اولوا العزم من الرسل عليهم الصلوة والسلام • وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس • خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تعظيمه وتحقيره وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة • ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره • ولو شاء الله • هدى الناس جميعا • ما اقتتل الذين من بعدهم • من بعد الرسل • من بعد ما جاءتهم البينات • المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا • ولكن اختلفوا فمنهم من آمن • بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا • ومنهم من كفر • لاعراضه عنه بخذلانه تعالى • ولو شاء الله ما اقتتلوا • كرره للتأكيد • ولكن الله يفعل ما يريد • فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا • والآية دليل على ان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تعالى تابعة لمشيته تعالى خيرا كان او شرا كفرا كان او ايمانا • يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم • ما اوجبت عليكم انفاقه • من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة • من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب • ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به • ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم • وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة • وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل • والكافرون هم الظالمون • يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه • فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله تعالى ومن كفر مكان من لم يحج • وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة • الله لا اله الا هو • مبتدأ وخبر • والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير • وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد • الحى • الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان • القيوم • الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه • فيعول من قام بالامر اذا حفظه • لا تأخذه سنة ولا نوم • السنة فتور يتقدم النوم • قال ابن الرقاع • وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم • والنوم حال يعرض الحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا • وتقديم السنة عليه

وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه تعالى حيا قيوما
فان من اخذه نعاس او نوم كان مأوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف
فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على
تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من ما وجد فيها
قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا
عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم
او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او
عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات
والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء عليهم السلام
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله
لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات
والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه
مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم او الملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك
سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه
ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله
مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم
المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية الكريمة مشتملة على امهات
المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن
التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع
عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع
الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال
عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية

في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك
الساعة وقال عليه السلام من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى
على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في
الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي
تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت
نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالنجاة والسعادة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار
في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار و
المنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان
تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
من الطغيان بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت قلبت
عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة
الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة
لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته
فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد
على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه تعالى انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل
واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى
الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف
مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين والمضلات
من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه
بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى
ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج
الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم
الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتيه الله
الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا على

على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو
حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافرين من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل
من ان آتاه الله على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل قال ابرهيم فان الله
يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عليه السلام عن الاعتراض على معا
رضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في
الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته تعالى التي يعجز عن الاتيان بها
غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر على ان يفعل كل جنس يفعل الله تعالى فنقضه
ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم
عليه السلام الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه و
حاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم عليه السلام
الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على
قرية تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل
الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى
كانه قيل ألم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم عليه السلام ذكره جوابا
لمعارضته تقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله تعالى الذي مر وهو عزير بن شرخيا
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية هي بيت المقدس حين خربه بخت
نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي
خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان
القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى
او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته
الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى
وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك
او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد
المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال
او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك

لم

لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر
لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت
النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد
قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية
للناس اي فعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره فقال انا عزير فكذ
بوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله
وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث
مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
ننشرها من انشر الله تعالى الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها
لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم
على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى انما ساله ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي
واميت قال له ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه تعالى ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل
عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بأني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال
له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب
بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة
الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة
المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل الموصوف بهما الغراب والترفع و
المسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فأملهن

واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب
فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد
وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرّهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صرّه يصرّه ويصرّه اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اي ثم جزّئهن وفرّق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة
ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او
مشيا روى انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها
ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه
ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم عليه السلام ويمن
الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه
واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة
بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل
نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض
والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب
لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن
وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب
والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان
رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت
ما بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك
وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن
السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله تعالى بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره

ويغتفر

ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد
منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق
الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضى الله سبحانه وتعالى ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي
ينفق ماله رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء منصوب على المفعول له
او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله اي فمثل المرائي في انفاقه
كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي لا ينتفعون بما
فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او
الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين
الى الخير وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن
ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى
ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء مبتدءا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكوة
كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم
بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت
اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت
تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله تعالى من كل زوجين
اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل
اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع
مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال
وان كانت متفاوتة باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله
تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم القليلة والكثيرة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل
والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار
ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها من كل

الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع • واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر • وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كريا وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا • كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم • من حلاله او جياده • ومما اخرجنا لكم من الارض اى من طيبات ما اخرجنا من الحب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره • ولا تيمموا الخبيث منه • ولا تقصدوا الردى منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر • وقرئ ولا تاموا ولا تيمموا بضم التاء • اى ولا تيمموا الخبيث حالة كونكم منفقين • تنفقون • حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه • ولستم باخذيه • اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته • الا ان تغمضوا فيه • الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه • وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين • وعن ابن عباس رضى الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه • واعلموا ان الله غنى • عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم • حميد • بقبوله تعالى واثابته • الشيطان يعدكم الفقر فى الانفاق • والوعد فى الاصل شايع فى الخير والشر • وقرئ الفقر بضم الفاء وبسكون وبضمتين وفتحتين • ويامركم بالفحشاء • ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى • والله يعدكم مغفرة منه • اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم • وفضلا • خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا او فى الاخرة • والله واسع • واسع الفضل لمن انفق • عليم • بانفاقه • يؤتى الحكمة • تحقيق العلم واتقان العمل • من يشاء • مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الاخير • ومن يؤت الحكمة • بناه للمفعول لانه المقصود • وقرا يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله • فقد اوتى خيرا كثيرا • اى اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين • وما يذكر • وما يتعظ بما قص من الايات • او وما يتفكر • فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله تعالى فى قلبه من العلوم بالقوة • الا اولوا الالباب • ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى • وما انفقتم من نفقة • قليلة او كثيرة سرا او علانية

فى

فى حق او باطل • او نذرتم من نذر • بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية • فان الله يعلمه • فيجازيكم عليه • وما للظالمين • الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها • او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور • من انصار • من ينصرهم من الله تعالى ويمنعهم من عقابه تعالى • ان تبدوا الصدقات فنعما هى • اى فنعم شيئا ابداؤها • وقرا حمزة والكسائى وابن عامر بفتح النون وكسر العين على الاصل • وان تخفوها وتؤتوها الفقراء • اى تعطوها مع الاخفاء • فهو خير لكم • فالاخفاء خير لكم • وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال • فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفى التهمة • وعن ابن عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا • وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا • ويكفر عنكم من سيئاتكم • قراه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص • اى والله تعالى يكفر او الاخفاء • وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة • او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء • اى ونحن نكفر • وقرا نافع وحمزة والكسائى به مجزوما على محل الفاء وما بعده • وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات • والله بما تعملون خبير • ترغيب فى الاسرار • ليس عليك هديهم • لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين • وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث • ولكن الله يهدى من يشاء • صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته تعالى وانها تخص بقوم دون قوم • وما تنفقوا من خير • من نفقة معروفة • فلانفسكم • فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث • وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله • حال • وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه • او عطف على ما قبله • اى وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه الكريم فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث • وقيل نفى فى معنى النهى • وما تنفقوا من خير يوف اليكم • ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا • روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع فى اليهود كانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت • وهذا فى غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر • وانتم لا تظلمون • اى لا تنقصون ثواب نفقتكم • للفقراء • متعلق محذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء • او صدقاتكم للفقراء • الذين احصروا فى سبيل الله • احصرهم الجهاد • لا يستطيعون • لاشتغالهم به • ضربا فى الارض • ذهابا فى الارض للكسب • وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة فانكم

وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم من السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد لا يسألون الناس الحافا
الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من
فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين
كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في امير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر
الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز
الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم
منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم
بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما
كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب
على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط
عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم
بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد
لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس
للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين
بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة
او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال
للقياس لمعارضته للنص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه موعظة من الله

وزجر

وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ واتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه
التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء
ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على
انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه
ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم
كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات
يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقبل الصدقة
ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط
والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم
منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم
منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما
على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم
على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به
روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت
فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم
به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو
الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد
الاستتابة حتى يفيء الى امر الله تعالى كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يدي لنا بحرب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وان تبتم من الارتباء
واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد
على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع
غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة
او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره
بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى
ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان
تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خيرمما

ع من آيات

اي الى ميسره وميسره قال الزجاج فاما من قرأ الى ميسره على جهة الاضافة الى الهاء فمخطئ لان ميسر مفعل وليس في الكلام مفعل انما يعرفون مفعلة مفعل زعم البصريون انهم لا يعرفون
م جنس الخفاف

مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من
الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت
فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت
جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن
عباس انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من
البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم
بعضا يقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من
التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه
لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد
به السلم قال لما حرم الله تعالى الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من
يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين
حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله تعالى بتعليمها لقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون
النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من
عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملاء والاملال واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه
الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع
ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل
اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان
غير مستطيع وهو دليل على جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم
او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم
من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال
ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان
رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص

بالاموال

بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة رحمه الله ممن ترضون من
الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد
اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة
التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم ونظيره اعددت السلاح ان
يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار
بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو
ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من
كثرة مداينا تكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة
المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق
او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم
اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على
اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما
صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس
الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم
المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا
بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر
تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما
ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية الكريمة
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار
كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك
الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا
الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في
مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم
كرر لفظة الله تعالى في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه تعالى ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم

على سفر اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق به رهان او
فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد
والضحاك ولانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه
عليه السلام لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة
اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
بمعنى رهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الداينين
بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه
سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام
الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا يدغم وليتق الله ربه فى الخيانة
وترك انكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديون والشهادة شهادتهم
على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم خبران واسناد الاثم
الى القلب لان الكتمان يقترف به ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة لانه رئيس
الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر
ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما فى
السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يعنى ما فيها
من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو
حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من
يشاء تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم
ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما
بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال لقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد
حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا فى مثله والله على كل
شئ قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه عليه السلام والاعتداد به وانه جازم
فى امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من
من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول
والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون للمؤمنين وباعتبار يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ فيكون
افراد الرسول عليه السلام بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم
عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن او الجنس والفرق بينه وبين
الجمع انه شايع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب

لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل
لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه لقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه
فى سياق النفى لقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد
نفى الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا
اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها
بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم
وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب
بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد فى تحصيله
واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى
نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان
الذنوب كالسموم وكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد
ان يفضى الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز
ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه
السلام رفع عن امتى الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه
اى يحبسه فى مكانه يريد التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته
على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة
لاصرا والمراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلوة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد
هٰهنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت
مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر
مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه السلام لما دعى بهذه الدعوات
قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله تعالى ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن جل
جلاله بيده سبحانه وتعالى قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة
اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه

وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان
تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة اي لن يستطيع البطلة أن تحفظها
وهو من باب حذف المضاف والمضاف اليه لقوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول
قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا
هو الحي القيوم. انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابتة لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقوله
ثم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب
الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ
ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم. روي انه عليه السلام
قال ان اسم الله تعالى الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
نزل عليك الكتاب. القرآن نجوما. بالحق. بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج
المحققة انه من عند الله تعالى وهو في موضع الحال. مصدقا لما بين يديه من الكتب
وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى. واشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح
الهمزة وهو ليس من ابنية العرب. من قبل. من قبل تنزيل القرآن. هدى للناس على العموم
ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما. وانزل الفرقان.
يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب
الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به الحق والباطل او الزبور
او القرآن. وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه
يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والمبطل او المعجزات
ان الذين كفروا بآيات الله. من كتبه المنزلة وغيرها. لهم عذاب شديد بسبب
كفرهم. والله عزيز. غالب لا يمنع من التعذيب. ذو انتقام. لا يقدر على مثله
منتقم. والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء
به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه. ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء. اي شيء كائن
في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوز

وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة
في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون
فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين صح

وانما

وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو
كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء. اي من
الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه تعالى عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصويره. وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته عز وجل لا اله الا هو
العزيز الحكيم. اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته. قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى عليه السلام
كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها
الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات. احكمت عبارتها بان حفظت عباراتها عن الاجمال. هن ام الكتاب.
اصله يرد اليها غيرها. والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة. او على ان الكل بمنزلة
آية واحدة. واخر متشابهات. محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر
الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها و
تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات. واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته
فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ. وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه
بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ. واخر جمع اخرى. وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه
في معنى المعرف او عن آخر من. فاما الذين في قلوبهم زيغ. عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه. فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل. ابتغاء الفتنة.
طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
وابتغاء تأويله. وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه. ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع
مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب. والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تأويله. الذي يجب ان يحمل عليه. الا الله والراسخون في العلم. اي الذين ثبتوا
وتمكنوا فيه. ومن وقف على الله فسر المتشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه كمدة بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية. او بما دل القاطع على ان
ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد. يقولون آمنا به. استئناف موضح لحال
الراسخين. او حال منهم. او خبر ان جعلته مبتدأ. كل من عند ربنا. اي كل من المتشابه
والمحكم من عنده. وما يذكر الا اولوا الالباب. مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن
النظر. واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس
واتصال الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها

فى تصويرالجسد وتنوتيه او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القيها الى مريم
وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غيرالله تعالى فتعين ان يكون هو ابا واجيب بانه مصور
الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب وغيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لا يكون اب
المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه وقال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن عزوجل ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها
قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع
الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها
عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه
شئ ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه فى وقوع اليوم
وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها
المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم
الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام
فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اى من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه
واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل
بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع
المحل وتقديره داب هؤلاء كدابهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر داب فى العمل اذا
كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف
كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم قل لمشركى مكة ستغلبون
يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع
فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن
قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى
النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائى
بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره تعالى به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد

تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان
لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى
سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان
قريبا الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى
اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله
تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا
بالنصر الذى وعدهم الله تعالى به فى قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم
ذلك بقدرته تعالى وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال
من فاعل التقتا راى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره
كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على
الكثير شاكى السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر
به الرسول عليه السلام لعبرة لاولى الابصار اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن
ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة
وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهواتها لقوله تعالى انى احببت حب الخير
والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون
وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب
التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح
والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل
مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف فى انه فعلال او فعلال والمقنطرة
ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة
وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر
والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع
وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة
الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من
مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات
على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر

من النساء • ورضوان من الله • قراءة عاصم في رواية ابي بكر بضم الراء وهما لغتان • والله بصير بالعباد • اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيئ • او باحوال الذين اتقوا • فلذلك اعد لهم جنات • وقد نبه بهذه الاية الكريمة على نعمة فادناها متاع الحيوة الدنيا • واعلاها رضوان الله جل جلاله لقوله ورضوان من الله اكبر • واوسطها الجنة ونعيمها • الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • صفة للمتقين او للعباد • او مدح منصوب او مرفوع • وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها • الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار • حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب • فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب • والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما • واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق • واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة • واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير • واما الطلب فهو الاستغفار • لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها • وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها • وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع • سيما للمتهجدين • قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون • شهد الله انه لا اله الا هو • بين وحدانيته تعالى بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها • والملائكة • بالاقرار • واولوا العلم • بالايمان بها والاحتجاج عليها • شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد • قائما بالقسط • مقيما للعدل في حكمه وقسمه • وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة • او عن هو والعامل فيهما معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة • او على المدح او الصفة للمنفي • وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير • وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف • لا اله الا هو • كرره تعالى للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة • وليبني عليه قوله تعالى • العزيز الحكيم • فيعلم انه الموصوف بهما • وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته عز وجل على العلم بحكمته سبحانه وتعالى • ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد • وروى في فضلها انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة • وهي دليل على

فضل

والقانتين

على فضل علم اصول الدين وشرف اهله • ان الدين عند الله الاسلام • جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله تعالى سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم • وقرا الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه • وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة • وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما • او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما • وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى • او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب • ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله • وقيل هم قوم موسى عليه السلام اختلفوا في امر عيسى عليه السلام • الا من بعد ما جاءهم العلم • اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج • بغيا بينهم • حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر • ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب • وعيد لمن كفر منهم • فان حاجوك • في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج • فقل اسلمت وجهي لله • اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الايات والرسل • وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس • ومن اتبعن • عطف على التاء في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه • وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين • الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب • ءاسلمتم • كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون • وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة • فان اسلموا فقد اهتدوا • فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال • وان تولوا فانما عليك البلاغ • اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت • والله بصير بالعباد • وعد ووعيد • ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم • هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم • وقد سبق مثله في سورة البقرة • وقرا حمزة ويقاتلون الذين • وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر • اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح • والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما • وما لهم من ناصرين • يدفع عنهم العذاب • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • اي التورية

وقيل هم النصارى اختلفوا

او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان • وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم • الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن
او التورية لما روي انه عليه الصلوة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو و
الحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال
هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت • وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول
فيكون الاختلاف فيما بينهم • وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول • ثم
يتولى فريق منهم • استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب • وهم
معرضون • وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه
بالصفة • ذلك • اشارة الى التولي والاعراض • بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات • بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع
الفارغ • وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • من ان النار لن تمسهم الا اياما
قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم • او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان
لا يعذب اولاده الا تحلة القسم • فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه • استعظام
لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما • روي ان اول راية ترفع
يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر
بهم الى النار • ووفيت كل نفس ما كسبت • جزاء ما كسبت • وفيه دليل على ان العبادة لا
تحبط • وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار • ولا قبل دخولها
فاذا هي بعد الخلاص منها • وهم لا يظلمون • الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل
انسان • قل اللهم • الميم عوض من يا • ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم
كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم • وقيل اصله يا الله امنا
بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته • مالك الملك • تتصرف فيما
يمكن التصرف فيه تصرف الملاك • وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء • تعطي منها ما تشاء من تشاء وتنزع
ممن تشاء وتسترد • فالملك الاول عام والآخران بعضان منه • وقيل المراد بالملك النبوة
ونزعها نقلها من قوم الى قوم • وتعز من تشاء وتذل من تشاء • في الدنيا او في الآخرة او فيهما
بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان • انك على كل شيء قدير • ذكر الخير وحده لانه
المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا • او لمراعاة
الادب في الخطاب • او لان الكلام وقع فيه • اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع
لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا

سلمان

سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر
معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت • ونبه على ان الشر ايضا بيده
تعالى بقوله تعالى انك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب • عقب
عز وجل ذلك ببيان قدرته تعالى على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة
فضله تعالى دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء
الملك ونزعه • والولوج الدخول في مضيق • وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في
الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص • واخراج الحي من الميت • وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها
واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه • وقيل اخراج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن • وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف • لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء • نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله • او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين • اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن
موالاة الكفرة • ومن يفعل ذلك • اي اتخاذهم اولياء • فليس من الله في شيء • من ولايته
في شيء يصح ان تسمى ولاية • فان موالاة المتعادين لا يجتمعان • قال تود عدوي ثم تزعم
انني صديقك ليس النوك عنك بعازب • الا ان تتقوا منهم تقية • الا ان تخافوا من
جهتهم ما يجب اتقاؤه • او اتقاء • والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا
وقرأ يعقوب تقية • منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان
اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا • ويحذركم
الله نفسه والى الله المصير • فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح • وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب
يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة • قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله • اي انه تعالى يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها
ويعلم ما في السموات وما في الارض • فيعلم عز وجل سركم وعلنكم • والله على كل شيء

ما

قدير

فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله تعالى ويحذركم
الله نفسه وكأنه قال تعالى ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط
بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه تعالى اذ ما من
معصية الا وهو عز وجل مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب
بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة
لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير
في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع لانه حكاية
كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره عز وجل للتوكيد والتذكير
والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلا
حهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عقابه قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربه
اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وفي الله تعالى وان كل ما يراه كمالا من
نفسه او غيره فهو من الله تعالى وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله تعالى وذلك
يقتضي ارادة طاعته تعالى والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك
بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته
تعالى واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناؤ
الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في
اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا
من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان
تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا
يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله
تعالى وان محبته تعالى مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم
وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك
قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب تعالى طاعة الرسل وبين عز وجل انها

الجالبة

الجالبة لمحبة الله عز وجل عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل
على فضلهم عليهم السلام على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
بن يعقوب او عيسى عليه السلام وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعازار بن ابي يوز
بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن اموزر بن منشكن بن حازقا بن احاز بن
يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن رحبعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام
بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميناذ بن رام بن حضروم بن فارض
بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة ذرية بعضها
من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من
بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية
من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع
عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول
امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب
به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام
وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده ٢
كفالة زكريا عليه السلام فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع اخت مريم
من الاب وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا ٢
فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان
لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت
بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على
التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة
ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى
وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد
او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها عز وجل لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي و
ضعت وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر
وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله تعالى
فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالانثى

بيان لقوله تعالى والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيه
للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيّين فيما نذرت فيكون اللام
للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت
ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم
فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني
اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم
الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء
كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها عليهما السلام فان الله تعالى عصمهما ببركة
هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضى بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه
حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان
تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم و
صاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها
عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيها
اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير
مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها
فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها
فى جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير
عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها
وضامنا لمصالحها وخففها الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب
اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه
محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة
ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك
هذا من اين لك هذا الرزق الاتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة
للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا
يستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو

يحتمل

يحتمل ان يكون من كلامها رضى الله عنها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة رضى الله عنها
اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل ثم جمع عليا
والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا
ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها
من الله تعالى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر
وقيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ الفانى فسأل
وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك
سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان
المنادى كان جبريل وحده عليه السلام وقرأ حمزة والكسائى فناديه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلى صفة قائم او خبر او حال عن الضمير
فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان
النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه
للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره
تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا للناس كلهم فى انه ما هم
بمعصية وحصورا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه
بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم
او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام استبعادا
من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد
بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان
وتسعون وامرأتى عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال
كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد
من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء
من خلق الولد او كذلك مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء
بيان له او كذلك خبر محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لى
آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار
قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه

وقيل مائة وعشرون سنة
نسخه

عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكانه
قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا
اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل
متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل
جمع رموز على انه حال منه او من الناس بمعنى مترامزين كقوله متى تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله
مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي
من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع
الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله
اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها
كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا عليه السلام او ارهاصا
لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى
وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من
النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من
غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة
بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك
في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان
بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله
تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله تعالى
وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع
المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام
باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض

اومن

اومن اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم
المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من
الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل عليه السلام ومن العيس وهو
بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت
في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي
يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون
عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير
اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال
مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا
النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله تعالى وقيل اشارة الى علو درجته
في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم
حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد
للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة
المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او
ضميرها الذي في يكلم قالت انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد
عادي او استفهام على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل
جبريل عليه السلام او الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر
ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا
ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف
على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما
ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة
القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص
بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة
الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر
لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون
طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله تعالى نبه به على ان احياءه من الله لا منه

وقراءة نافع انى بالكسر

وقراءة نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة

وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه عليه السلام ومن لم يطق اتاه عيسى عليه
السلام وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم
الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين
موفقين بالايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا
لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل
عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود
على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب
قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه عليه السلام كان ناسخا لشرع
موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض
عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم
باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اى جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق
المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى والساحر او جئتكم باية على ان الله ربى
وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية
من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات
القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى
استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه
اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له
بالاستقامة ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم قل امنت بالله ثم استقم فلما
احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من
انصارى الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار
بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى
وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور
وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب

عيسى

سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا
ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون
يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه امنا بالله
واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه
وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى عليه السلام و
القى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره
الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين
اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله
او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى
او متوفيك نائما اذ روى انه عليه السلام رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة
من العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت
النصارى ورافعك الى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
يعلونهم بالحجة والسيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته عليه السلام من
المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة
ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطبين على الغائبين
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله
لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون
الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب
بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن
تطرق الخلل اليه يريد به القرآن الكريم وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
ان شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة مبينة لما له الشبه وهو

وقرأ حفص فيوفيهم بالياء

للتمثيل

انه خلق بلا اب كما خلق آدم عليه السلام من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب
افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اى انشاه
بشرا كقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون
ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اى هو
الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن
حاجك من النصارى فيه في عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم
اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا
صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب (اسم رجل) وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم
نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم
الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
غدا محتضنا الحسين رضي الله عنه آخذا بيد الحسن رضي الله عنه وفاطمة تمشي خلفه
وعلي كرم الله وجهه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله عز وجل ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا
تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء
وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر
وهو دليل على نبوته عليه السلام وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من
نبأ عيسى ومريم عليهما السلام لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد
ان ما ذكره تعالى في شأن عيسى ومريم عليهما السلام حق دون ما ذكروه وما بعده خبر
واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله
صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
الحكيم لا احد سواه تعالى يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه
في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع

ليدل

ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس
بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران
او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها
ما بعدها الا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا
نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا
من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم و
رهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه السلام
أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك
فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه
الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن الترتيب في
الحجاج بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم
ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع
من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد اليهم بالارشاد وسلك
طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وسائر
الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم
اعرض وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه
السلام وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما
السلام وكان ابراهيم عليه السلام قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف
يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها
وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى
وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون
وروده فيه فلم تحاجون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم عليه السلام
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءأنتم على الاستفهام
للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد اقل

مداً وقنبل بالهمزة من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة والبزي بقصر المد على أصله
والله يعلم ما حاججتم فيه • وأنتم لا تعلمون • وأنتم جاهلون به • ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا • تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان • ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد
الزائغة • مسلما • منقادا لله تعالى وليس المراد منه أنه عليه السلام كان على ملة الإسلام وإلا
لاشترك الإلزام • وما كان من المشركين • تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به تعالى عزيرا
والمسيح • ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة ابرهيم عليه السلام • إن أولى الناس بابرهيم
إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب • للذين اتبعوه • من أمته • وهذا النبي
والذين آمنوا • لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة • وقرئ النبي بالنصب عطفا
على الهاء في اتبعوه • وبالجر عطفا على ابرهيم • والله ولي المؤمنين • ينصرهم ويجازيهم
الحسنى لإيمانهم • ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم • نزلت في اليهود لما دعوا
حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية • ولو بمعنى أن • وما يضلون إلا أنفسهم • وما
يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا عليهم إذ يضاعف به عذابهم • أو ما يضلون
به إلا أمثالهم • وما يشعرون • وزره واختصاص ضرره بهم • يا أهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله • بما نطقت به التورية والإنجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم • وأنتم تشهدون • أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتا
بين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق • يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل • بالتحريف
وإبراز الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما • وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله صلى الله عليه وسلم كلابس
ثوبي زور • وتكتمون الحق وأنتم تعلمون • نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وأنتم
تعلمون • عالمين بما تكتمونه • وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل
على الذين آمنوا وجه النهار • أي أظهروا الإيمان بالقرآن العزيز أول النهار • واكفروا
آخره لعلهم يرجعون • واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بأنكم رجعتم
لخلل ظهر لكم • والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما
لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلوة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار
ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون • وقيل اثنا
عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويقولون في آخره
نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي
ورد في التورية لعل أصحابه يشكون فيه • ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم • ولا
تقروا عن تصديق قلب إلا لأهل دينكم فإن رجوعهم أرجى وأهم • قل إن الهدى

أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن
كان على دينكم مع

هدى

رتبتم

هدى الله • يهدي به من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه • أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد • والمعنى أن الحسد حملكم على
ذلك • أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا
تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام • وقوله تعالى قل
إن الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل • أو خبر إن على أن هدى الله بدل من

بجادى

الهدى • وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الأول أي ألأن يؤتى أحد
دبرتم • وقرئ إن على أنها النافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم • أو يحاجوكم عند ربكم • عطف على أن يؤتى على
الوجهين الأولين • وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم • والواو ضمير
أحد لأنه في معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم • قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم • رد وإبطال
لما زعموه بالحجة الواضحة • ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه • ومنهم
من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك • كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر دينارا
فجحده • وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة • والخائنون في
القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة • وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمرو يؤده إليك بإسكان
الهاء • وقالون باختلاس كسرة الهاء • وكذا روي عن هشام والباقون بإشباع الكسرة
إلا ما دمت عليه قائما • إلا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع وإقامة البينة • ذلك • إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله لا يؤده
بأنهم قالوا • بسبب قولهم • ليس علينا في الأميين سبيل • أي ليس علينا في شأن
من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم • ويقولون على الله
الكذب • بادعائهم ذلك • وهم يعلمون • أنهم كاذبون • وذلك لأنهم استحلوا
ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة • وقيل عامل اليهود رجالا من
قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك
في كتابهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من
شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر • بلى
إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل • من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب
المتقين • استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها • والضمير المجرور لمن أو لله
وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء إلى من وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر وهو يعم

الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي • ان الذين يشترون • يستبدلون
بعهد الله • بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات
وايمانهم • وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه • ثمنا قليلا • متاع الدنيا
اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله • بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم
يوم القيمة او لا ينتفعون بكلام الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه تعالى عليهم لقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة • فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه
والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه • ولا يزكيهم • ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم • على ما فعلوا • وقيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة • وقيل نزلت في
رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتريتها بما لم يشترها به • وقيل نزلت في ترافع كان
بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي • وان منهم لفريقا
يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن اخطب • يلوون السنتهم بالكتاب • يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب • وقرئ يلون
بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب • الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون • وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين • ويقولون هو من عند الله وما
هو من عند الله • تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع لقولهم وبيان لانهم يزعمون
ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عند الله • وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل
العبد فعل الله • ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون • تأكيد وتسجيل عليهم
بالكذب على الله والتعمد فيه • ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله • تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه
السلام • وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك
ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت • وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله • ولكن كونوا ربانيين • ولكن يقول كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل • بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون • بسبب كونكم معلمين
الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد

الاعتقاد والعمل • وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين • وقرئ
تدرّسون من التدريس • وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم • ويجوز ان تكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس • ولا يأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا • نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا
على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر اي ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى
عنه وهو ادنى من العبادة • ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال • وقرأ ابو
عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم • ايأمركم بالكفر • انكار والضمير فيه للبشر
وقيل لله • بعد اذ انتم مسلمون • دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا
له • واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه • قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم
به اولى • وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر
الامم • وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي
وثقه الانبياء على اممهم • وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون
كانوا منا • واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف • وما يحتمل
الشرطية • ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط • وتحتمل الخبرية • وقرأ حمزة
لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول
مصدق • اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه • او موصولة • والمعنى اخذه
للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له • وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن
اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا • وقرأ
نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا • قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري •
اي عهدي • سمي به لانه يؤصر اي يشد • وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر
او جمع اصار وهو ما يشد به • قالوا اقررنا قال فاشهدوا • اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار • وقيل الخطاب فيه للملائكة • وانا معكم من الشاهدين •
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد • وهو توكيد وتحذير عظيم • فمن تولى بعد
ذلك • بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة • فاولئك هم الفاسقون • المتمردون
من الكفرة • افغير دين الله يبغون • عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة

بالإنكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين صح

بينهما للإنكار أو محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون • وتقديم المفعول لأنه المقصود
على تقدير قلتم • وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها • أي طائعين بالنظر و
اتباع الحجة • وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق
والإشراف على الموت • أو مختارين كالملائكة والمؤمنين • أو مسخرين كالكفرة فإنهم لا
يقدرون أن يمتنعوا عما قضي عليهم • وإليه يرجعون • وقرئ بالياء على أن الضمير لمن
قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم • أمر الرسول صلى الله
عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل
عليهم بتوسط تبليغه إليهم وأيضا المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب إليهم
أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالا له • والنزول كما يعدى بإلى لأنه بعلى
ينتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يعدى بعلى لأنه من فوق • وإنما قدم المنزل عليه على المنزل
على سائر الرسل لأنه المعرف له والعيار عليه • لا نفرق بين أحد منهم • بالتصديق
والتكذيب • ونحن له مسلمون • منقادون أو مخلصون في عبادته • ومن يبتغ
غير الإسلام دينا • أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين • أي الواقعين في الخسران • والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره
فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها • واستدل
به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل • والجواب أنه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره • ولعل الدين أيضا للأعمال • كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات • استبعاد لأن يهديهم
الله • فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد • وقيل
نفي وإنكار له • وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد • وشهدوا عطف على ما في
إيمانهم من معنى الفعل • ونظيره فأصدق وأكن • أو حال بإضمار قد من كفروا
وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان • والله
لا يهدي القوم الظالمين • الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر
موضع الإيمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه • أولئك جزاؤهم أن
عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين • يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم • ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن
الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم • والمراد بالناس المؤمنون أو العموم
فإن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه • خالدين فيها

في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما • لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون • إلا الذين تابوا من بعد ذلك • أي من بعد الارتداد • وأصلحوا
ما أفسدوا ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح • فإن الله غفور
يقبل توبته • رحيم • يتفضل عليه • قيل إنها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته
فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فرجع إلى
المدينة فتاب • إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا • كاليهود كفروا بعيسى
والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه أفضل الصلوة
والسلام والقرآن العظيم أو كفروا بمحمد عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل بعثته ثم
ازدادوا كفرا بالإصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق أو كقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع إليه وننافقه
بإظهاره • لن تقبل توبتهم • لأنهم لا يتوبون أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا
على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقا لا
لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه • وأولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال • إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم
ملء الأرض ذهبا • لما تعلق في شأنهم وأبرز حالهم في صورة حال الآيسين من الفاء
الرحمة • ولما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل ههنا الفاء للإشعار
به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء
أو الخبر لمحذوف • ولو افتدى به • محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة • أو المراد ولو افتدى
بمثله لقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه • والمثل
يحذف ويراد كثيرا لأن المثلين في حكم شيء واحد • أولئك لهم عذاب أليم •
مبالغة في التحذير وإقناط لأن من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما
وما لهم من ناصرين • في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق • لن تنالوا البر •
أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة و
الرضى والجنة • حتى تنفقوا مما تحبون • أي من المال أو ما يعمه وغيره كبذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله • روي أنها لما نزلت
جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحى فضعها حيث أراك
الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح أو رايح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين • وجاء زيد
بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم

بيرحى كفعلى أرض بالمدينة وبعضها
المحدثون بيرحاء موسب

اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك. وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل. وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب. وقرئ بعض مما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين. وما تنفقوا من شيء اى من اى شيء محبوب او غيره. ومن لبيان ما. فان الله به عليم. فيجازيكم بحسبه. كل الطعام اى المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به. ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم. الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه. كلحوم الابل والبانها. قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي منه لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه. وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء. واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء. من قبل ان تنزل التورية اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا. وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات. وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا. وفي منع النسخ والطعن في د[illegible] موافقة ابرهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها. قل فأتوا بال[illegible] ان كنتم صادقين. امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد [illegible] بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما. روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال [illegible] بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية. وفيه دليل على نبوته. فمن افترى على الله الكذب. ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمهم الحجة. فاولئك هم الظالمون. الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح. قل صدق الله. تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون. فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا. اى ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها ابرهيم ومن تبعه. وما كان من المشركين. فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في التجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود. ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم. والواضع هو الله

ويدل

ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة. للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم. وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة. روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة. وقيل اول من بناه ابرهيم عليه السلام ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش. وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم. وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية. وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان. مباركا. كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف. وهدى للعالمين. لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال. فيه آيات بينات. كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى. مقام ابرهيم. مبتدأ خبره محذوف اى منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل. وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الك[illegible] وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء [illegible] كثرة اعدائه الوف سنة. ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب [illegible] لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه [illegible]اه. ومن دخله كان آمنا. جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اى ومنها امن من دخله. او فيها آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله. اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة. لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين من بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة. قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا. وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج. ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا. بدل من الناس مخصص له. وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله عنه انها بالمال. ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه. قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا

قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد

حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهي لغة نجد وقال مالك انها بالبدن
فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع
الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان
الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على
تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة
الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم
اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا
من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان
وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه
بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن
وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخاطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا
فآمنت به ملة واحدة وكفر به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى
الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب
دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم يؤمنون بالتورية والانجيل فانهم
كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل
الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا
بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل
الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون
بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب
ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين
طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ
وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين
لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال
واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم

وفي نسخة يدل عليه اي على ذكر المقت والخذلان حيث وضع المظهر العام موضع المضمر الخاص كما اشار اليه بقوله لما فيه [illegible]

يجهرون

يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم
المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن
قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع
القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم
فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله تعالى
بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا للجلالة قدرهم واشعارا
بانهم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب
الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه
او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى
لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها
وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم لقوله تعالى فاتقوا
الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر
ولا يكفر ويذكر ولا ينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع
المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية
فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي
عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه
نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه
لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك
به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي و
للوثوق به والاعتماد عليه والاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا
تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا

تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التألف
وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقابلين فالف بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج
اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى
اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من
النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم
في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة و
اصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وفي المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له
شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن
من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا
اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا
امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير
يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه
عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح
روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي
عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى
عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اي اختلفوا في التوحيد
والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق
في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد
فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد
للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصبهما

في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن بهجة
السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق
البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا به حين
اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب
امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها
على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله
وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية
المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد
كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في
وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله
يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير
امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ لقوله تعالى وكان الله
غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين
اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين
به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب
ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن
به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان
الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما
للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب
ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في
الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا

اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا
يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم
عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة
عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا
على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات
التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام
الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة
الله او بكتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة
فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقراء
مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات
وقتلهم الانبياء ذلك اى القتل او الكفر بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها
يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة
كما هو معلل بكفرهم وقتلهم هو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخا
طبون بالفروع ايضا ليسوا سواء فى المساوى والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة قائمة استيناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين
وابلغ فى المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه
عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من
اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات صفات اخر لامة
وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون
بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى
الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون بتلك

والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا صح صح

مخا

الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من
خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية ٢
الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان
التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن
تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا
واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق
الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى هذه الحيوة الدنيا
كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل
مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط
اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال
بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث ٢
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم
ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلا كه
ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها
ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانها لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك
يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره
ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار وقال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة
بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم فى الفساد ٢
والألو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى المفعولين كقولهم لا آلوك نصحا
على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة
وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون
انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن
روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة ما انتم اولاء تحبونهم ولا

صدره وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

يحبونكم أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر أنتم كقولك أنت زيد تحبه أو
صلته أو حال والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره
ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا
يحبونكم والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم قالوا
آمنا نفاقا وتغريرا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفا
وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور
فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن
الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى
قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم إن
تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى
حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار
للإصابة وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم أو ما
حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين
والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على
الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم
من ضاره يضيره إن الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علما فيجازيكم
بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبكم عليه وإذ غدوت أي
واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي وتهيئ
لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل
المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى
قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم روي أن المشركين
نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم
يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها
علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا
قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم

إلى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة عندي حولي فأولتها خيرا
ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة
فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم
الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا
ذلك ندموا على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس
لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت
ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا إذ همت متعلق بقوله سميع
عليم أو بدل من إذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الأوس وكانا جناحي العسكر أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه السلام خرج
في زهاء ألف رجل ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلاثمائة
وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله
في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسوله والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما أي عاصمهما
عن اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد
نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان
لرجل يسمى بدرا فسمي به وأنتم أذلة حال من الضمير وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليدل
على قلتهم مع ذلتهم بضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم
تشكرون ما أنعم به عليكم بتقواكم من نصره ولعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع
الشكر موضع الإنعام لأنه سببه إذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان
من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا على الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ألن
يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين إنكار أن لا يكفيهم ذلك
وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم
صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج بلى إيجاب لما بعد
لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه

وهو مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيئ كقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث الى ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع لا للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيئ اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيئ وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيئ او ليس لك من امرهم شيئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شيئ الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشفى منهم وروى ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر بالدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيئ الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون

في الاصل

راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلون عن مسرة او مضرة اى لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون للاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى ذنب كان قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة

على الاول

ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم صح

في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون
مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص
بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل
تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر
العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في
الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم فاك
ما غاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله
فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى
ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة
وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا
عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان و
قتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوه منكم اليوم او وانتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي
لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى
ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا
فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد
فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك الايام نداولها
بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما
لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم
فتداولوه والايام تحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله
الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا
بان العلة غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل
المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا

تحتمل الوصف والخبر وتداولها صح

ذلك

ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم
ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا
ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا
معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين
يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين
على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا
ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان
كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا والفرق بين لما
ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون
ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه
قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل
ان تلقوه من قبل ان تشاهدوا وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الموت وتسببوا لها
ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلوا كما خلوا بالقتل والموت افإن مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين بخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
للانكار بان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي
انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن
قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ
صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم
يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة

بعضكم وفيه دليل على انه فرض كفاية صح

من المنافقين

فقاتل

بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه
وشد بسيفه حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده
بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض
روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد والمعنى
كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على
المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا
مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة
نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب
قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف
ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما قلبت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون
كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى
الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده
الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد
وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي
صلى الله عليه وسلم او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه
ليفعل به ما يريد والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب
من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله
صلى الله عليه وسلم والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم
ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة

لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر
على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم
خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار
واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص
ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة
الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ
بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به
عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في
قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان
يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل
لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوا
فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل
القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به عليهم سلطانا اي
آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة
اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع
المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر
بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل
الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم
وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب والعقل وتنازعتم
في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة
ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من

وطئة

يريد الدنيا • وهو التاركون المركز للغنيمة • ومنكم من يريد الآخرة • وهم الثابتون محافظة
على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم • ثم صرفكم عنهم • ثم كفكم عنهم حتى حالت
الحال فغلبوكم • ليبتليكم • على المصائب ويمتحن ثباتكم على الإيمان عندها •
ولقد عفا عنكم • تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة • والله ذو فضل على
المؤمنين • يتفضل عليهم بالعفو أو في الأحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم إذ
الابتلاء أيضاً رحمة • إذ تصعدون • متعلق بصرفكم أو ليبتليكم • أو بمقدر كاذكر
والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة • ولا تلوون
على أحد • لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره • والرسول يدعوكم • كان يقول إلي عباد
الله إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة • في أخراكم • في ساقتكم وجماعتكم
الأخرى • فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم • عطف على
صرفكم • والمعنى جازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غماً متصلاً بغم من الاغتمام
بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم
أو فجازاكم غماً بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق • وقيل لا مزيدة • والمعنى لتأسفوا على
ما فاتكم من الظفر والغنيمة • وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم • وقيل
الضمير في أصابكم للرسول عليه السلام أي فآساكم في الاغتمام فاغتم عليكم كما اغتممتم
بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر
ولا على ما أصابكم من الهزيمة • والله خبير بما تعملون • عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها
ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً • أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم
النعاس • وعن أبي طلحة وغشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا
فيأخذه • والأمنة الأمن نصب على المفعول • ونعاساً بدل منها أو هو المفعول وأمنة
حال منه متقدمة • أو مفعول له • أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة • أو على
أنه جمع آمن كبار وبررة • وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن • يغشى طائفة
منكم • أي النعاس • وقرأ حمزة والكسائي بالتاء رداً على الأمنة • والطائفة المؤمنون
حقاً • وطائفة • هم المنافقون • قد أهمتهم أنفسهم • أوقعتهم أنفسهم في الهموم
أو ما بهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها • يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية •
صفة أخرى لطائفة • أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله • وغير الحق نصب
على المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به • فظن الجاهلية بدله وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها • يقولون • أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو بدل من يظنون • هل لنا من الأمر من شيء • هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر
والظفر نصيب قط • وقيل أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك • والمعنى إنا منعنا
تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شيء • أو هل يزول عنا
هذا القهر فيكون لنا من الأمر شيء • قل إن الأمر كله لله • أي الغلبة الحقيقية لله ولأوليائه
فإن حزب الله هم الغالبون • أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد • وهو
اعتراض • وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء • يخفون في أنفسهم ما لا
يبدون لك • حال من ضمير يقولون أي يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون
للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب • يقولون • أي في أنفسهم أو إذا خلا بعضهم إلى بعض
وهو بدل من يخفون • أو استئناف على وجه البيان له • لو كان لنا من الأمر شيء
كما وعد محمد وزعم أن الأمر كله لله ولأوليائه • أو لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح
كما كان رأي ابن أبي وغيره • ما قتلنا ههنا • لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه
المعركة • قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم • أي لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم ولم تنفع الإقامة في المدينة
ولم ينج منه أحد • فإنه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه
وليبتلي الله ما في صدوركم • ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص
والنفاق • وهو علة فعل محذوف • أي وفعل ذلك ليبتلي • أو عطف على محذوف • أي
لبرز لنفاذ القضاء • أو لمصالح جمة وللابتلاء • أو على لكيلا تحزنوا • وليمحص ما في
قلوبكم • وليكشفه ويميزه • أو يخلصه من الوساوس • والله عليم بذات الصدور •
بخفياتها قبل إظهارها • وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء
وإنما فعل ذلك لتمييز المؤمنين وإظهار حال المنافقين • إن الذين تولوا منكم يوم
التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا • يعني أن الذين انهزموا
يوم أحد إنما كان السبب في انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه
واقترفوا ذنوباً بترك المركز والحرص على الغنيمة ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم
فمنعوا التأييد وقوة القلب • وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب
تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة • وقيل استزلهم بذكر
ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة • ولقد
عفا الله عنهم • لتوبتهم واعتذارهم • إن الله غفور • للذنوب • حليم • لا يعاجل
عقوبة المذنب كي يتوب • يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا • يعني المنافقين
وقالوا لإخوانهم • لأجلهم وفيهم • ومعنى أخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب

قال

إذا ضربوا في الأرض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله
لكنه جاء على حكاية الحال الماضية أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا
وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة
في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي
اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونهم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم
مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اى هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة و
السفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد
للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي
بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو
ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان
وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لإلى الله تحشرون وقرأ حفص بالياء صح
لإلى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله
لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا
سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم
في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم
وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا قطعت على
شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا
يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شيء وعينته
لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم
الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم
وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض

على

على ما يستحق به النصر من عند الله وتحذير صح عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل
وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل
غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه
وسلم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز
للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا
يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية
حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح ان يوجد غالا
او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اى يأت بالذي غله يحمله
على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس بما
كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا
بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم
ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين
المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند
الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه
وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر
مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم
او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف
قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي
ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة

والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول عليه السلام في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريدون من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين

اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما اتيهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن في منهم للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح

والتعليل لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب
اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم
الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس
لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روى انه
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه
وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير
من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيما وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد
الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم
ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز
للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدادوا ايمانا
واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة
الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا
حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب
بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل
ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان
وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز
بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو
وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل

وفيه

وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان شيطنته او صفته
وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى
الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام
والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا
اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول
والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل
على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى
اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى اراد
بهم ان لا يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتوكيد او تعميم للكفرة
بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من العرب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول
وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب
عن المفعولين كقوله عز وجل ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير
مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية فكان حقها ان تفصل في الخط
ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب
بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر
وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا
ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم
قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح ويكسر
الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين ان املاءنا لهم لازدياد الاثم وانما هو
للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا
وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو ليزدادوا

إنما معد لهم عذاب مهين • ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره • والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه عليه السلام بأحوالكم
أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الأموال
والأنفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم • وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء • وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع
على ما في القلوب من كفر أو ايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض
المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها • فآمنوا بالله ورسله • بصفة الاخلاص أو بأن
تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون
الا ما أوحي اليهم • روي أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر
فنزلت • وعن السدي أنه عليه السلام قال عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن ومن يكفر
فقال المنافقون انه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت
وإن تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق • فلكم أجر عظيم • لا يقادر قدره • ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم • القراءات فيها ما سبق • ومن قرأ بالتاء
قدر مضافا ليتطابق مفعولاه • أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ
بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو من يحسب وان جعله الموصول
كان المفعول الأول محذوفا لدلالة يبخلون عليه • أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا
لهم • بل هو • أي البخل • شر لهم • لاستجلاب العقاب عليهم • سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة • بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق • وعنه عليه السلام
ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة • ولله ميراث
السموات والأرض • وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء • يبخلون عليه بماله أو أنه
يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة
والله بما تعملون خبير • فيجازيكم • وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على
الخطاب على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد • لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن أغنياء • قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا أنه عليه السلام
كتب مع أبي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا • فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير
حين سأل القرض فلطمه أبو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت • والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه أعد

لهم

من المنع والاعطاء صح

لهم العقاب عليه • سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق • أي سنكتبه في صحايف
الكتبة • أو سنحفظه في علمنا لا نهمله لأنه كلمة عظيمة إذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن
والرسول ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء • وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها
وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول • ونقول ذوقوا
عذاب الحريق • وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق • وفيه مبالغات في الوعيد
والذوق ادراك الطعوم • وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره
ههنا لأن العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال • وغالب حاجة
الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الأكل
مع المال • ذلك • اشارة الى العذاب • بما قدمت أيديكم • من قتل الأنبياء وقولهم هذا
وساير معاصيهم • عبر بالأيدي عن الأنفس لأن أكثر أعمالها بهن • وأن الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث أن نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء • الذين قالوا • هم كعب بن الأشرف ومالك وحيي و
فنحاص ووهب بن يهوذا • ان الله عهد الينا • أمرنا في التورية وأوصانا • أن لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار • بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التي كانت لأنبياء بني اسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل
نار سماوية فتأكله • أي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم
لأن أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع
في ذلك • قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان
كنتم صادقين • تكذيب والزام بأن رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات
أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو
الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا لمن جاء به في
معجزات أخر واجترؤا على قتله • فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات
والزبر والكتاب المنير • تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور
وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته • والكتاب في عرف القرآن
ما يتضمن الشرايع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن
وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته • وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار
الدالة على أنها مغايرة للبينات بالذات • كل نفس ذائقة الموت • وعد ووعيد للمصدق
والمكذب • وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا
قليلا • وانما توفون أجوركم • تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا

يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور
ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل
الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
واله من اراد ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها
الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا
لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع
غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات
وانفسكم بالقتل والجهاد والاسر والاينين والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعه
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من
عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر
به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه
ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية
لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام
جواب القسم الذي ناب عنه قوله اذ اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه
اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في
ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل
العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن
الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء
بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة
وقرا

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن
محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن
انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء
مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت
وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به
وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم
يفعلوا على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما في
سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو
التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار
او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين
وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل
قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهو حجة للشافعي رحمه الله
رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال
عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه
عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم
فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح
على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول
اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق
من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من
غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة

السرمدية فی جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض
فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على
ان علمهم بما لاجله خلق السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد
به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار
بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة
عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة
وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه
ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى
بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي آمنوا او بان
آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء
الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد
عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في
الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه
انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت
وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من
حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص
من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من
الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق في الدين وهي
جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول
الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لاعمال
العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان

والعشاير

والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا
الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل
او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند
الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن
الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد
امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او لكل احد وللنهي في المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم
ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل ثم مأواهم
جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب
وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد كقوله
انزلوها انزالا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل
في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه
فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من
الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها
الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين

لم يره قط

وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة ۔ واتقوا الله لعلكم تفلحون ۔ فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح ۔ او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة ۔ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس ∴

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم ۔ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ۔ هي آدم ۔ وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه ۔ او على محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة ۔ وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منها ۔ والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة ۔ واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر ۔ وذكر كثيرا حملا على الجمع ۔ وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها ۔ او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت الآيات التي بعدها ۔ وقرئ خالق وباث على حذف مبتداء تقديره هو خالق وباث ۔ واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله ۔ واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين ۔ وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بطرحها ۔ والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا ۔ او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها ۔ وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور ۔ وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة ۔ وقرئ بالرفع على انه مبتداء محذوف الخبر ۔ تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ۔ وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه ۔ وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ۔ ان الله كان عليكم رقيبا ۔ حافظا مطلعا ۔ وآتوا اليتامى اموالهم ۔ اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ۔ ومنه الدرة اليتيمة

اما

اما على انه لما اجرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ۔ ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ۔ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ۔ ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم ۔ او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها ۔ وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ۔ ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ۔ ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره كقوله تعالى فليأكل بالمعروف ۔ انه الضمير للاكل ۔ كان حوبا كبيرا ۔ ذنبا عظيما ۔ وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا ۔ وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ۔ اي ان خفتم الا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد لا يقدر على القيام بحقوقهن ۔ او ان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت ۔ وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا وانكحوا ما حل لكم ۔ وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة ۔ او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ۔ ونظيره او ما ملكت ايمانكم ۔ وقرئ الا تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا ۔ مثنى وثلث ورباع ۔ معدولة عن اعداد مكررة يعني ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا ۔ غير منصرف للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها ۔ وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ۔ ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ۔ ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع

ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد
أيضا فواحدة فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على أنه فاعل فعل محذوف
أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى بين الواحدة من
الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك أي التقليل
فيهن أو اختيار الواحدة أو التسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان إذا
مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بأن لا تكثروا
عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال
الأزواج وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل
عنه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ
بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا
إذا أعطاه إياها عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم
الآية لا إلى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو أو الصد
أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن
فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول
له أو حال من الصدقات أي دينا من الله شرعه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء
لأنهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق
حملا على المعنى أو يجري مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق
أردت كأن ذاك وقيل للإيتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد فإن وهبن لكم
من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى
التجافي والتجاوز وقال منه بعثا على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وأنفقوه
حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا ساغ من غير غصص
أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما
يلذه الإنسان والمريء ما تحمد عاقبته روي أن ناسا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته
شيئا مما ساق إليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء أموالكم نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا
رشد لهم أموالهم فيضيعوها وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم
وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله
من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم

فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه في الجلد توليع البهق

بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله تعالى التي جعل الله لكم
قياما أي تقومون وتنتعشون وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم
قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما
وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم
بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة
جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره
أحدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين
والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد عند أبي حنيفة
فإن العقد من الصبي غير صحيح عند الشافعي صحيح وعند أبي حنيفة بأن يدفع إليه ما يتصرف
فيه حتى إذا بلغوا النكاح حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم أو يستكمل خمسة عشر
سنة لقوله عليه السلام إذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ما له وما عليه
وأقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه
يصلح للنكاح عنده فإن آنستم منهم رشدا فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم
بمعنى أحسستم فادفعوا إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن
إن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى
إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وهو دليل على
أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة إذا زادت على سن البلوغ سبع
سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع
إليه المال وإن لم يؤنس الرشد ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من أكلها ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف
مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وعنه صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له
إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وإيراد
هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا على
أنفسهم أموال اليتامى فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم قبضوها فإنه
أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في
دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لأبي حنيفة وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة

وبدارا أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة أن يكبروا
رشدا فيلزمكم تسليمها إليهم
سيوطي

مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بإعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على أنه مصدر مؤكد لقوله تعالى فريضة من الله أو حال إذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه. روي أن أوس بن صامت الأنصاري خلف زوجته أم كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فأعطى أم كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب. وإذا حضر القسمة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فأعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة. وقولوا لهم قولا معروفا وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم. وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم أمر للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الثاني ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا أو أن يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة. إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ظالمين أو على وجه الظلم

في نسخة

إنما يأكلون في بطونهم نارا ما يجر إلى النار ويؤول إليها. وعن أبي بردة أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر أن الله يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا أي نار. وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا ألهبتها. يوصيكم الله يأمركم ويعهد إليكم في أولادكم في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كاف في التفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به. فإن كن نساء أي إن كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات. فوق اثنتين خبر ثان أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين. فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى. وإن كانت واحدة فلها النصف أي وإن كانت المولودة واحدة. وقرأ نافع بالرفع على كان التامة. واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما. وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله عز وجل فإن كن نساء فوق اثنتين. ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحري أن تستحقه مع أخت مثلها وأن البنتين أمس رحما من الأختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله تعالى فلهما الثلثان مما ترك. ولأبويه ولأبوي الميت. لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا. السدس مما ترك إن كان له ولد للميت. ولد ذكر أو أنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض أيضا بالعصوبة. فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك. وإنما لم يذكر حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثا وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث معهما أحد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فإنه يفضي إلى تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف

وضع الشرع. فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من
الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب. وعن ابن عباس انهم يأخذون السدس الذي
حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة والاخوات. وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا
الاخوات الخلص اخذا بالظاهر. وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة
التي قبلها. من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها
اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين. وانما قال باو التي للاباحة
دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين
ومفردين. وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة
على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور. اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه. روي
ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع
بشفاعته. او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته
او من لم يوص فيوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة وتنفيذ الوصية. فريضة
من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم.
ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر. ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من بطنها
او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم. من بعد
وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين. فرض للرجل بحق الزواج
ضعف ما للمرأة كما في النسب. وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى
منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة. ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن. وان كان
رجل اى الميت. يورث اى يورث منه من ورث صفة رجل. كلالة خبر كان او يورث
خبر. وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا. او مفعول له والمراد بها
قرابة ليست من جهة الوالد والولد. ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة
من ليس بوالد ولا ولد. وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت. وكلالة يحتمل المعاني
الثلاثة. وعلى الاول حال او خبر. وعلى الثاني مفعول له. وعلى الثالث مفعول به. وهي في
الاصل مصدر بمعنى الكلال. قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة. فاستعيرت

فاستعيرت للقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث
بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي اى من ذوي قرابتي. او امرأة عطف على رجل. وله
اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه. اخ او اخت اى من الام
ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر آخر السورة ان للاختين
الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولاد
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر
والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة. ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام
والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع. من بعد وصية يوصى بها
او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول
عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم
وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير
مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من
الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة. او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب. والله عليم بالمضار وغيره. حليم لا يعاجل بعقوبته. تلك اشارة الى الاحكام
التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث. حدود الله شرائعه التي هي كالحدود
المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين. توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى
وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما
جرتا على غير من هما له. واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى
الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها. والفاحشة الزنا لزيادة قبحها و
شناعتها. فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن منكم اربعة من
رجال المؤمنين يشهدوا عليهن. فان شهدوا فامسكوهن في البيوت اى فاحبسوهن
في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت
او يتوفاهن ملائكة الموت. قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل
ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج و
التعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني. او يجعل الله لهن سبيلا.

كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح • واللذان يأتيانها منكم • يعني
الزاني والزانية • وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف
من غير تمكين • فآذوهما • بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد • فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما • فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر • ان الله كان توابا رحيما •
علة الامر بالاعراض وترك المذمة • وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة
الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد • وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية
والزاني في الزناة • انما التوبة على الله • اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده
من تاب الله عليه اذا قبل توبته • للذين يعملون السوء بجهالة • ملتبسين بها سفها فان
ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته
ثم يتوبون من قريب • من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر
احدهم الموت • وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر • وسماه قريبا
لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل • او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع • ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت • او يزين السوء • فاولئك يتوب الله عليهم •
وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله • وكان الله عليما •
فهو يعلم باخلاصهم في التوبة • حكيما • والحكيم لا يعاقب التائب • وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار • سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من
مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة • وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء • وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين •
وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم • وبالذين يموتون
الكفار • اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما • تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده
لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة • وقيل اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تاء • يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها • كان الرجل اذا
مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول
وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن
ذلك • وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه • وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح
ما يكره عليه • ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن • عطف على ترثوا ولا لتاكيد النفي

اي

اي ولا تمنعوهن من التزوج • واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها • وقيل
الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن
وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل • الا ان يأتين بفاحشة
مبينة • كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له
تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة • او لا تعضلوهن لعلة الا ان
يأتين بفاحشة مبينة • وعاشروهن بالمعروف • بالانصاف في الفعل والاجمال في القول • فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا • اي فلا تفارقوهن لكراهة
النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى
ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير • وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم • وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج • تطليق امرأة وتزوج اخرى • وآتيتم احديهن قنطارا • مالا كثيرا • فلا تأخذوا
منه شيئا • اي من القنطار • أتأخذونه بهتانا واثما مبينا • استفهام انكار وتوبيخ • اي
أتأخذونه باهتين وآثمين • ويحتمل النصب على العلة كما هو في قولك قعدت عن الحرب جبنا
لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم • قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت
التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا
عن ذلك • والبهتان الكذب يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر ههنا بالظلم • وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض • انكار لاسترداد المهر والحال
انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر • واخذن منكم ميثاقا غليظا • عهدا وثيقا
وهو حق الصحبة والمعاشرة • او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان • او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله تعالى • ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم • ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم • وانما ذكر ما دون
من لانه اريد به الصفة • وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر • من النساء • بيان ما نكح
على الوجهين • الا ما قد سلف • استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل تستحقون العقاب
بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف • او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب • والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف
ان امكنكم ان تنكحوهن • وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه
لا انه مقرر • انه كان فاحشة ومقتا • علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص
فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروآت ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه
المقتي • وساء سبيلا • سبيل من يراه ويفعله • حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم

الذي

وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن منه

وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن
لأنه معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله تعالى حرمت عليكم
الميتة ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك وإن
علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت وأخواتكم الأخوات من
الأوجه كلها وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى
ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى
سمى المرضعة أما والمراضعة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل
الذي در عليه اللبن قال النبي عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء
أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح فإن حرمتهما في النسب بالمصاهرة
دون النسب وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن ذكر أولا محرمات النسب ثم الرضاعة لأن اللحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة
لأن تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي
به لأنه يربه كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنما لحقه التاء لأنه صار اسما
ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية
للنظم ولا يجوز تعليقها بالأمهات أيضا لأن من إذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وإن علقتها
بالأمهات لم يجز ذلك بل وجب أن يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين
عند جمهور الأدباء اللهم إلا إذا جعلتها للاتصال كقوله فإني لست منك ولست مني على
معنى أن أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما
فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له
أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء غير أنه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم
فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لأن عاملهما مختلف وفائدة قوله تعالى
في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم
أو بصدده قوي الشبه بينها وبين أولادكم وصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد
الحرمة وإليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي أنه جعله شرطا والأمهات والربائب ٢
متناول القريبة والبعيدة وقوله تعالى دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع
ويؤثر فيها ليس بزنا كالوطء بشبهة أو ملك يمين وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول
فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد إشعار دفعا للقياس وحلائل
أبنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج الذين من أصلابكم

احتراز عن المتبنى لا عن أبناء الولد وأن تجمعوا بين الأختين في موضع الرفع عطفا على
المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة
في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية
وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان
التحليل وقول علي رضي الله عنه أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله
عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام الحلال إلا ما قد سلف استثناء عن
لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله إن الله كان غفورا رحيما
والمحصنات من النساء ذوات الأزواج أحصنهن التزويج والأزواج وقرأ الكسائي بكسر
الصاد لأنهن أحصن فروجهن إلا ما ملكت أيمانكم يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين
ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد الخدري ٢
أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت الآية فاستحللناهن وإياه عنى الفرزدق وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن
يبني بها لم تطلق وقال أبو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي وإطلاق
الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم
هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل
وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص
عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها
أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم
إرادة أن تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين
ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين
أو بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون مالا ولا
حجة فيه والإحصان العفة فإنها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من
السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات
أو فما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن فآتوهن أجورهن مهورهن فإن
المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف
أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو من مقام أو فراق وقيل
نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي أنه عليه السلام أباحها

ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع فى هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى
يوم القيمة وهى النكاح الموقت الى وقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة و
تمتعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنها • ان الله كان عليما • بالمصالح • حكيما • فيما شرع
من الاحكام • ومن لم يستطع منكم طولا • غنى واعتلاء • واصله الفضل والزيادة • ان
ينكح المحصنات المؤمنات • فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم
يستطع منكم ان يعتلى بنكاح المحصنات يعنى الحرائر او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات
يعنى الحرائر • فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات • يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الاية
حجة للشافعى فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة • ومنع نكاح الامة الكتابية
مطلقا • واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطى وحمل قوله تعالى
من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله تعالى المحصنات المؤمنات • ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا
عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان
حق الزوج • والله اعلم بايمانكم • فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر او بتفاضل ما بينكم
فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد
تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه • ويؤيده • بعضكم من بعض • اى انتم وارقاؤكم
متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام • فانكحوهن باذن اهلهن • يريد اربابهن واعتبار
اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية
وآتوهن اجورهن • اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى
مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه • وقال مالك
المهر للامة ذهابا الى الظاهر • بالمعروف • بغير مطل وضرار ونقصان • محصنات • عفايف
غير مسافحات • غير مجاهرات بالسفاح • ولا متخذات اخدان • اخلاء فى السر • فاذا احصن
بالتزويج • فان اتين بفاحشة • زنا • فعليهن نصف ما على المحصنات • يعنى الحرائر • من العذاب
من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • وهو يدل على ان حد العبد نصف
حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف • ذلك • اى نكاح الاماء • لمن خشى العنت منكم •
لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر
ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبايح • وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء
وان تصبروا خير لكم • قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه • والله غفور
لمن لم يصبر • رحيم • بان رخص له • يريد الله ليبين لكم • ما تعبد كم به من الحلال والحرام او ما خفى
عليكم من مصالحكم او محاسن اعمالكم • وان يبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى

لقوله

اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين م

الاستقبال

لكما

الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس
والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد التحليل لاجله • ويهديكم
سنن الذين من قبلكم • مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم • ويتوب عليكم •
ويغفر لكم ذنوبكم ويرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة • او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم • والله عليم • بها • حكيم • فى وضعها • والله يريد ان يتوب عليكم • كرره للتاكيد
والمقابلة • ويريد الذين يتبعون الشهوات • يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمارلها
واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها • وقيل المجوس وقيل
اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت • ان تميلوا عن الحق • ميلا
لموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات • عظيما • بالاضافة الى ميل من اقترف
خطيئة على ندور غير مستحل له • يريد الله ان يخفف عنكم • فلذلك شرع لكم الشريعة
الحنفية السمحة السهلة فرخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة • وخلق الانسان
ضعيفا • لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات • وعن ابن عباس رضى الله عنه
ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت منها الثلث
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه • ان الله لا يغفر ان يشرك به • ان الله لا يظلم مثقال
ذرة • ومن يعمل سوءا • ما يفعل الله بعذابكم • يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل • بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار • الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم • استثناء منقطع • اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه • او اقصدوا كون
تجارة • وعن تراض صفة لتجارة • اى تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين • وتخصيص
التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانه اغلب واوفق لذوى المروات • ويجوز
ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله
تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه • وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة
واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة • ولا تقتلوا انفسكم • بالبخع
كما يفعله جهلة الهند • او بالقاء النفس الى التهلكة • ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص
رضى الله عنه تاوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم • او بارتكاب
ما يؤدى الى قتلها • او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس • وقيل المراد
بالانفس من كان من اهل دينهم • فان المؤمنين كنفس واحدة • جمع فى التوصية بين حفظ
النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل
النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله • ان الله كان بكم
رحيما • اى امر ما امر ونهى ما نهى لفرط رحمته عليكم • ومعناه انه كان بكم يا امة محمد

او يظلم نفسه ۳

لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما
سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل
اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه
نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة
مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلى وكان ذلك على
الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب
التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر
لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب عليه
الشارع حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا
والفرار عن الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنه الكبائر الى سبعمائة اقرب
منها الى السبع وقيل اراد به هٰهنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و
يغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر
الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران
منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه من اصغرهما لما
استحق من الثواب عن اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا
ترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح
الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى
مؤذنة عن عدم الرضاء بما قسم الله له وانه تشهى لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم
لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع
حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن
اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلوة والسلام ليس الايمان
بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم
لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب واسئلوا الله من
فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على
ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ

ابن

ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها
به وقبله السين واو او فاء بغير همزة وحمزة فى الوقف على اصله والباقون بالهمزة
ان الله كان بكل شئ عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان
روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف
الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون اى
ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل
او ولكل ميت جعلنا وراثا مما تركه على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوارث وفى ترك
ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون
لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على
ان جعلنا صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتداء وخبر والذين
عاقدت ايمانكم موالى الموالات كان يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وعن ابى حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا
على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ
ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ان الله كان على
كل شئ شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى فقال بما فضل
الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير
ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب
وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم فى نكاحهن
كالمهر والنفقة روى ان سعد بن ربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته
حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد
الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات
للغيب لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال
وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان

(Margin notes: تعريف الكبائر — موالى — موالى م — الحليف م — بمعنى عقدت م)

عنها حفظ لك في ماله ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن
بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو
التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة
الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا
تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان
منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم
فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر على ان يظلم احدا او ينقص حقه وان
خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما
واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقولك يا سارق الليل او الفاعل
كقولهم نهاره صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى
اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة
والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للاصلاح
وهذا على وجه الاستحباب فلو نصب من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات
واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر
ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رضي الله عنه لهما ان يتخالعا
ان وجد الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني
للزوجين اي ان قصد الحكمان الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين
وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما
وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه
تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا
وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره
وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما

لحفظه

٤

لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلوة والسلام الجيران
ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان
حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب
بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل المرأة وابن السبيل المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان
الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او
نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون
بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتيهم الله من فضله الغنى والعلم فهم
احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر ومن
كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في
طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
وقيل في حق الذين يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان
البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء
في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن
الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه و
ثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا
مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في
سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو
عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة
والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا
فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره
الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة

احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي
الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة

ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مأدبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال

والجنب

والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المرخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض وسفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلوة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام

وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية. ويريدون ان تضلوا السبيل سبيل الحق. والله
اعلم منكم. باعدائكم. وقد اخبركم بعداوة هولاء اوما يريدون بكم فاحذروهم. وكفى
بالله وليا. يلى امركم. وكفى بالله نصيرا. يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره. والباء
تزاد فى فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى. من الذين هادوا. بيان
للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض اوبيان لاعدائكم. اوصلة
لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم. اوخبر محذوف صفته. يحرفون الكلم عن
مواضعه. اى ومن الذين هادوا اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته
عنها واثبات غيره فيها. اوبتاويلونها على مايشتهون فيميلونه عما انزل الله تعالى فيه. وقرئ
الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة. ويقولون سمعنا. قولك. وعصينا
امرك. واسمع غير مسمع. اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم اوموت. اواسمع غير
مجاب الى ماتدعوا اليه. اواسمع غير مسمع كلاما ترضاه. اواسمع غير مسمع اياك
لان اذنك تنبوا عنه فيكون مفعولا به. اواسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه
فلان اذا سبه انما قالوه نفاقا. وراعنا. انظرنا نكلمك اونفهم كلامك. ليا بالسنتهم
فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون
به موضع انظرنا. وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها. اوفتلا بها وضما مايظهرون
من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا. وطعنا فى الدين. استهزاء به
وسخرية. ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا. ولو ثبت قولهم هذا مكان
ماقالوه. لكان خيرا لهم واقوم. لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل. وانما يجب حذف
الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه. ولكن لعنهم الله بكفرهم
لكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم. فلا يؤمنون الا قليلا. اى ايمانا قليلا لايعبأ
به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى
للمهم يصيبه. اوالا قليلا منهم امنوا اوسيؤمنون. يا ايها الذين اوتوا الكتاب
امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها
من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها. يعنى الاقفاء. اوننكسها
الى ورائها فى الدنيا اوفى الاخرة. واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة. وقد يطلق بمعنى
الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير. ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار. اونردها الى حيث جاءت
منه وهو اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير. ويقرب منه قول من قال ان المراد
بالوجوه الرؤساء. اومن قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم

ن ايها المؤمنون م

قوم يحرفون الكلم ع

الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة. اونلعنهم كما
لعنا اصحاب السبت. اونخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت. اونمسخهم مثل مسخهم
اونلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود. والضمير لاصحاب الوجوه. اوللذين على
طريقة الالتفات اوللوجوه ان اريد به الوجهاء. وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على
ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا. ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه
بعد مترقب. اوكان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة. وكان امر الله
بايقاع شئ اووعيده اوما حكم به وقضاه. مفعولا. نافذا اوكائنا فيقع لامحالة
ماوعدتم به ان لم تؤمنوا. ان الله لايغفر ان يشرك به. لانه بت الحكم على خلود
عذابه ولان ذنبه لاينمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره. ويغفر مادون
ذلك. اى مادون الشرك صغيرا كان اوكبيرا. لمن يشاء. تفضلا عليه واحسانا
وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لايغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
مادونه لمن يشاء وهو من تاب. وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة
اولى منه. ونقض لمذهبهم. فان تعليق الامر بالمشية ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة
والصفح بعدها. فالاية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه خالد فى النار. ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما. ارتكب
مايستحقر دونه الاثام وهو الاشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب
والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق. الم تر الى الذين
يزكون انفسهم. يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه. وقيل ناس من يهود
جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال
لا قالوا والله مانحن الا كهيئتهم ماعملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر
عنا بالنهار. وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها. بل الله يزكى من يشاء. تنبيه
على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من
حسن اوقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين. واصل التزكية نفى
مايستقبح فعلا اوقولا. ولا يظلمون. بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق. فتيلا
ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة. انظر
كيف يفترون على الله الكذب. فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده. وكفى به
بزعمهم هذا اوالافتراء. اثما مبينا. لايخفى كونه ماثما من بين اثامهم. الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت. نزلت فى يهود كانوا يقولون
ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد. وقيل نزلت فى حيى بن اخطب

وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم
فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في
كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لا خير فيه فقلبت سينه تاء
والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم
هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك
وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو
كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا هو الاغراق في وصف بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم
اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك
على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا للتشريك مفرد
جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس
بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من
حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من
فضله يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز او جعل النبى صلى الله عليه وسلم
الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم
وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله
مثل ما آتاهم فمنهم من آمن به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابرهيم من اليهود
عليه السلام ومنهم من صد عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابرهيم من آمن اعرض عنه
به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم
سعيرا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير
جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك
بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا
العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه

ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا
ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة
والظليل صفة مشتقة لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان
نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح
ليدخل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
ركعتين فلما خرج ساله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية
والسدانة فنزلت فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضي الله عنه بان يرده ويعتذر
اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بالسدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من
ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما
يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من
اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم
وما تفعلون بالامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم يريد به امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم
ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف
المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى
الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به
منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف فيه الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب ان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب
مثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

فان الإيمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن
تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضى الله عنه ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى
كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض
المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضى الله عنه فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه قضى لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم
فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرائيل ان عمر
رضى الله عنه ان عمر رضى الله عنه فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على
هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه
او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل اليه كما
قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان
يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بالضم على انه حذف لام الفعل اعتباطا
ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا او اسم للمصدر الذى هو الصد
والفرق بينه وبين الصد انه غير محسوس والصد محسوس ويصدون فى موضع الحال
فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما
قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون
للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله
حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين خصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا او يوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين
يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان
النصح فى السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافى عن ذنوبهم والنصح
لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف

الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه
وكانه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب
القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه
لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول
ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر
الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة
وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه
فلا وربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا
فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف
بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت
ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره ويسلموا
تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا فى معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل
وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو
للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرا عاصم وحمزة بكسرها
على الاصل والباقون بضمها اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل
منهم الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه
على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم منهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او مصدري الفعلين
وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم فى عاجلهم واجلهم
واشد تثبيتا فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه
على التمييز والاية ايضا مما نزلت فى شان المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا
فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان به النخل فقال

اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم الله اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء بعيدا وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا

بلغ

واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح و غنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصلة بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من المثقلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد

قوله

ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون
قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء كلمة الحق وإعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم
الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو أو على السبيل
بحذف المضاف أي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم
أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها من الرجال والنساء
والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة
مستذلين ممتحنين وإنما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ
أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى تشاركوا في استنزال الرحمة
واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والإماء وهو جمع وليد الذين يقولون
ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير
ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعزة أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
أسيد لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل والمفعول إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل
يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به إلى الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم إلى الشيطان فقاتلوا أولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
إن كيد الشيطان كان ضعيفا أي كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه ألم تر إلى الذين
قيل لهم كفوا أيديكم أي عن القتال وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما أمرتم
به فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه وإذا للمفاجأة جواب لما وفريق
منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول وقع موقع المصدر
أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه أو أشد خشية
عطف عليه إن جعلته حالا وإن جعلته مصدرا فلا لأن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية منه على
الفرض اللهم إلا أن يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف حذرا عن الموت ويحتمل أنهم ما تفوهوا به

ولكن

ما تفوهوا به ولكن قالوه في أنفسهم فحكى الله تعالى عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي
والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا
عنه أو من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة
أينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها أو على أنه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة
في قصور أو في حصون مرتفعة والبروج في الأصل بيوت على أطراف القصر من برجت
المرأة إذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة
من شاد القصر إذا رفعه وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على
النعمة والبلية وهما المراد في الآية أي إن تصبهم نعمة كخصب نسبوها إلى الله وإن تصبهم
بلية كقحط أضافوها إليك وقالوا إن هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد
المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب
إرادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فإنهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من الله أو حديثا كبهائم لا أفهام لهم أو حادثا
في صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا أن الباسط والقابض هو الله تعالى ما أصابك
من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ
نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة
الله قيل ولا أنت قال ولا أنا وما أصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لأنها
السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فإن الكل منه
إيجادا وإيصالا غير أن الحسنة إحسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما
قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يغفر الله أكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا
وللمعتزلة وأرسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل
والتعميم إن علق بها أي رسولا للناس جميعا كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس ويجوز
نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك
بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى
روي أنه عليه السلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال
المنافقون لقد قارب الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم أعمالهم

وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون
اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها
للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذى تقول
اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من
البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر
وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته فى صحائفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل
المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شانهم وكفى بالله وكيلا
يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون فى معانيه و
يتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله
اى لو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى
وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته
وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية
ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى
الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين
اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحى
اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم
مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه لو ردوا
ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رايه او راى كبار الصحابة البصراء
بالامور او الامراء لعلمه لعلمه على اى وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم
يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذ
يعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى يسمعوه منهم
وتعرفوا انه هل يذاع لعلمه ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى
يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول
ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسل وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان
بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى
الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او

اتباعا

اتباعا قليلا على الندور فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف
الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك
احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه السلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج
فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم
ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك
لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف
باس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد
باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع
شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم او دفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه
الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى
الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من
وزرها مساو لها فى القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات
على الشيء اذا قدر قال وذى ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته
مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته
وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام
عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله وتلا الآية فقال عليه السلام
انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة
عن المضار وحصول المنافع وثباتها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث . السلام
مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن فى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه
قيل او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها والتحية فى الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب
فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى
رحمه الله ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله
الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ وخبره ليجمعنكم الى يوم القيمة اى الله والله ليحشرنكم

الى قوله بتمامها محله بعد قوله وثباتها ثم ربط بقوله وهذا الوجوب كذا فى النسخ

من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض
والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه
في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا
انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص
وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فتفرقتم في امر المنافقين فئتين اى
فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد
او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم
اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او ما كقولك ما لك
قائما وفي المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم
ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم
بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله اى
تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال
وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى
يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا او تحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله
لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهرة بالهجرة او عن اظهار
الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا
نصيرا اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق استثناء من فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام
وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن
لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة
اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم
من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
فكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم

وحصرت

وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام
والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون
آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار
اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة
دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان
لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما
صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه
على الحال او المفعول له اى لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطاء او لا يقتله لعلة
الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطاء وقيل ما كان نفي في معنى
النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطاء ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد
وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث
بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق
الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار
والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكومة باسلامها وان كانت
صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول
ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث
امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم تكن
ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه
وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او مسلمة

اى يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو فى محل النصب على
الحال من القاتل او الاهل او على الظرف • فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة • اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه
فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون • وان
كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة • وان
كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية
ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم • فمن لم يجد رقبة بان
لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها • فصيام شهرين متتابعين • فعليه او فالواجب عليه
صيام شهرين • توبة • نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر اى وتاب عليكم توبة • او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام
شهرين ذا توبة • من الله • صفتها • وكان الله عليما • بحاله • حكيما • فيما امر فى شانه • ومن
يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما • لما فيه من التهديد العظيم • قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا
ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه • والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب
لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه • وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكر
عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن حبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار
ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا
اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا • او المراد بالخلود المكث الطويل فان
الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم • يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم
فى سبيل الله • سافرتم وذهبتم للغزو • فتبينوا • فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا
فيه • ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا • لمن حياكم بتحية الاسلام • وقرا نافع وابن
عامر وحمزة السلم بغير الف اى الاستسلام والانقياد • وفسر به السلام ايضا • لست
مؤمنا • وانما فعلت ذلك متعوذا • وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان • تبتغون
عرض الحيوة الدنيا • تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد • وهو حال من الضمير
فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت • فعند الله مغانم كثيرة •
تغنيكم عن قتل امثاله لماله • كذلك كنتم من قبل • اى اول ما دخلتم فى الاسلام
تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم
السنتكم • فمن الله عليكم • بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين • فتبينوا •
وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا

فيه

فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم • وتكريره
تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم • ان الله كان بما تعملون خبيرا •
عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه • روى ان سرية لرسول الله
عليه السلام غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل
الجاهم الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت • وقيل نزلت فى
المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله
وماله • وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاءه مغتفر •
لا يستوى القاعدون • عن الحرب • من المؤمنين • فى موضع الحال من القاعدين
او من ضمير الذى فيه • غير اولى الضرر • بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به
قوم باعيانهم • او بدل منه • وقرا نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء
وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه • وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها
غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال
اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر • والمجاهدون فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم • اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة • وفائدته
تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط
منزلته • فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة • جملة موضحة
لما نفى الاستواء فيه • والقاعدون • التقييد السابق • ودرجة • نصب بنزع الخافض اى
بدرجة او على المصدر لانه يضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة او الحال بمعنى ذوى
درجة • وكلا • من القاعدين والمجاهدين • وعد الله الحسنى • المثوبة الحسنى وهى
الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما • نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر
او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا
عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة • كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب
درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها
نكرة • ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما • كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا
وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه • وقيل الاول ما خولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر
وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الاخرة • وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم

بمعنى

عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني
هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون
من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الاكبر وكان
الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعدلهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي
والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة
انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم
انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في اي شيء من امر دينكم
قالوا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة
او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء
فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا
والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت
مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه
من اقامة دينه عن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول
وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة
في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم
عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة
وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة
امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله
عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو
التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من
الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب

على اضمار ان كقوله ولحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب
والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم
اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون
وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة اعتمرت مع رسول الله
عليه السلام وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت
يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فظاهرهما يخالف الآية فان
صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا
حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر
قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم
واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة رحمه الله وقرئ تقصروا
من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه
ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها
كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير
ان خفتم بمعنى كراهية ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عليه السلام لفضل
الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم
نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك يصلون ويقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا
سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن
يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة
فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام

ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى
ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بها
الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء
العدو وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى
فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر
آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا
الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة وحدة
تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا
باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ
للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد المؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم
لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا
في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال واذا اردتم
اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا
مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة
فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال
وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب
في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه لا يصلي
المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم
وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون
من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان
يكونوا ارغب منه في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان
تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت
في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا

ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها صح

اليك

اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق
درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه
وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل
هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اريك
الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من رؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل
ولا تكن للخائنين لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به
ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا
على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها
اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق فسقط
الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او صلته عند من يجعله موصولا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله ومن يعمل
سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء
ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد
الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله تعالى وان اسأتم
فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة
صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة
زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة
النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا

البرئ صح

فضل الله عليك ورحمته باعلام ما همت عليه بالوحي والضمير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية عليكم وجمعه للتعظيم اوله ولامته فان عصمة الرسول عليه السلام
واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل
الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم
وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر
الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من
امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة
لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم
فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر على انه
مجرور او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة
التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب
الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم
وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل
بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة
لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه
من اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في
شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات
ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله
واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها
وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة
الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك
اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب
الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم
واذا كان اتباع غير سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير
سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله

محرما كان اتباع سبيلهم

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة
طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع
المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي
عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم
انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على
الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومنات ونحوها لانه كان
لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال
وما ذكر فان لم يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما
كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث
من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على
انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون
فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة
لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا
على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد
واسد واثنا بهما على قلب الواو همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك
عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح
ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية
للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن
سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به
ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله
تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان
وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء
من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون
لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية
العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن

عبادته • وكالمفروض المقطوع اي نصيبا قُدّر لي وفُرض من قولهم فرض له في العطاء •
ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت
العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا
بالفعل او القوة • ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج
فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق
ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح
والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره
الشيطان نطقا او اتاه فعلا • ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه
اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته • فقد خسر خسرانا مبينا •
اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار • يعدهم ما لا ينجزه • ويمنيهم
ما لا ينالون • وما يعدهم الشيطان الا غرورا • وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه • اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا
معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل • وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان
وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله • والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا • اي وعده وعدا وحق
ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبلها وعد والثاني مؤكد
لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده • ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم • وحقا على انه حال من المصدر • ومن اصدق من الله قيلا •
جملة مؤكدة بليغة • والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله • ليس
بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب • اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها
المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح • وقيل ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل • روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت • وقيل
الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم • اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم
لا جنة ولا نار • او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا •
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم

لن

لن تمسنا النار الا اياما معدودة • ثم قرر ذلك وقال • من يعمل سوءا يجز به • عاجلا
او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك •
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا • ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله و
نصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه • ومن يعمل من الصالحات • بعضها وشيئا منها
فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها • من ذكر او انثى • في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء • وهو مؤمن • حال شرط اقتران
العمل بها في استحقاق الثواب المذكور وتنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه • فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا • بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد
عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب • ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه • اخلص نفسه لا يعرف لها ربا سواه • وقيل بذل وجهه
له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية • وهو
محسن • آت بالحسنات تارك للسيئات • واتبع ملة ابرهيم • الموافقة لدين الاسلام
المتفق على صحتها • حنيفا • مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا • اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله • وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح • والخلة من الخلال
فانه ود تخلل النفس وخالطها • وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر
او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما
يتوافقان في الخصال • والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه
نهاية في الحسن وغاية كمال البشر • روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر
في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت
ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت
سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز
فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال لا بل من عند خليلي الله عز وجل
فسماه الله خليلا • ولله ما في السموات وما في الارض • خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء
من يشاء • وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال • وكان الله بكل شيء محيطا • احاطة علم وقدرة
فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها • ويستفتونك في النساء • في ميراثهن

حصين سم

إذ سبب نزوله أن عيينة بن حصين أتى النبي عليه السلام فقال أُخبرنا أنك تعطي
الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال
عليه السلام كذلك أُمرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والإفتاء تبيين
المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله أو ضميره المستكن في يفتيكم وساغ
للفصل فيكون الإفتاء مسندًا إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل
الواحد ينسب إلى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه أو استئناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه
قيل وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظًا ومعنى
في يتامى النساء صلة يتلى إن عطف الموصول على ما قبله أي يتلى عليكم في شأنهن ولا
بدل من فيهن أو صلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء
كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى
جنسه وقرئ ييامى بيائين على أنها أيامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما
كتب لهن أي فرض لهن من الميراث وترغبون أن تنكحوهن في أن تنكحوهن أو عن أن
تنكحوهن فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون مالهن وإلا كانوا
يعضلونهن طمعًا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزوج
اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون
النساء وأن تقوموا لليتامى بالقسط أيضًا عطف عليه أي يفتيكم أو ما يتلى
في أن تقوموا هذا إذا جعلت في يتامى صلة لأحدهما فإن جعلته بدلًا فالوجه
نصبهما عطفًا على موضع فيهن ويجوز أن ينصب وأن تقوموا بإضمار فعل أي
ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم
أو للقوام بالنصفة في شأنهم وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما وعد لمن
آثر الخير في ذلك وإن امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل
وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة
لها ومنعًا لحقوقها أو إعراضا بأن يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما
أن يصالحا بينهما صلحا أن يتصالحا بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو تهب له
شيئًا تستميله به وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا
جاز أن ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف أو حال منه أو على المصدر

كما في القراءة الأولى والمفعول بينهما أو هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ولا يجوز أن يراد به التفضيل
بل بيان أنه من الخيور كما أن الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله وأحضرت
الأنفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والأول للترغيب في المصالحة والثاني
لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى إحضار الأنفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة
عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها أو التقصير في حقها ولا الرجل يسمح بأن
يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها وإن تحسنوا في
العشرة وتتقوا النشوز والإعراض ونقص الحق فإن الله كان بما تعملون من الإحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه أقام كونه عالمًا بأعمالهم
مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط إقامة للسبب مقام
المسبب ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء لأن العدل أن لا يقع ميل البتة وهو
متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل
فيقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك ولو حرصتم
على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور
على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي
ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام من كانت له امرأتان ويميل مع
إحديهما جاء يوم القيمة وأحد شقيه مائل وإن تصلحوا ما كنتم تفسدون من أمورهن
وتتقوا فيما يستقبل فإن الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم
وإن يتفرقا وقرئ يتفارقا أي وإن يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما
عن الآخر ببدل أو سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما
مقتدرًا متقنًا في أفعاله وأحكامه ولله ما في السموات وما في الأرض تنبيه
على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود
والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق
الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص وإياكم عطف على الذين أن اتقوا الله بأن اتقوا
الله ويجوز أن يكون أن مفسرة لأن التوصية في معنى القول وإن تكفروا فإن
لله ما في السموات وما في الأرض على إرادة القول أي وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن
الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وإنما
وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا
في ذاته حُمد أو لم يُحمد ولله ما في السموات وما في الأرض ذكره ثالثًا للدلالة على كونه

غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود
وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن
الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها
الناس يفنكم ومفعول يشاء محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد
قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام
والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته
وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله عليه السلام يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم
هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة
حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة
ما هى فى جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده لقوله من كان
يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازى كلا
بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل
مجتهدين فى اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او
حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا
تمتنعوا عن اقامة الشهادة عليهما او لا تجوروا فيها ميلا وترحما فالله اولى بهما
بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة او لهما صلاحا لما شرعها وهو
علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا
الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا
السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة
الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى
ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير
ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب

الذى

الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او
آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض
كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر اى يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود
الى طريقه ان الذين آمنوا يعنى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا
بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام او قوما
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت
بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر
كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان
لهم عذابا اليما يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد
اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر
تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين فى محل النصب والرفع
على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم فى الكتاب
يعنى القرآن وقرأ عاصم نزل بفتح النون مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهى المخففة والمعنى
انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة
فى قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الذى هو جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم
بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا الآية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم
بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم
والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم
جميعا يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع
وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم

وقرئ نزل والقائم صح

مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
قالوا الم نستحوذ عليكم اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا
عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاء
على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا
فى مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوى سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او فى الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة
بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفى ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضى العدة
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا
قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما
جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل
كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائى يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله
الا قليلا اذ المرائى لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان
قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم
لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله
ولا يذكرون اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على
الذم والمعنى مرددين بين الكفر والايمان من الذبذبة وهو جعل الشئ مضطربا
واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون
كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة
فى دبة وهى الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين
او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع
المنافقين ودينهم فلا تشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك
لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله
عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا

حدث

حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرا الكوفيون بسكون الراء كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ٢
ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا
من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
ومن عدادهم فى الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا
او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره
لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه
نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا
مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير
ويعطى الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى ان رجلا اضاف
قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه وكان الله سميعا
لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه
سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اى يكثر العفو
عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد
ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا
يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا
او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال تعالى فماذا بعد
الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا
حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى
يقينا محققا واعتدنا للكافرين منهم عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم

يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم ؛ وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي ؛ اولئك سوف يؤتيهم اجورهم ؛ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر ؛ وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب ؛ وكان الله غفورا ؛ لما فرط منهم ؛ رحيما ؛ عليهم بتضعيف حسناتهم ؛ يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ؛ في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما كانت التورية ؛ او كتابا نعاينه حين ينزل ؛ او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله ؛ فقد سئلوا موسى اكبر من ذلك ؛ جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه ؛ وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم ؛ والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم ؛ فقالوا ارنا الله جهرة ؛ عيانا اي ارناه نره جهرة ؛ او مجاهرين معاينين له ؛ فاخذتهم الصاعقة ؛ نار جاءت من السماء فاهلكتهم ؛ بظلمهم ؛ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ؛ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات ؛ هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم ؛ والبينات المعجزات ؛ ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد ؛ فعفونا عن ذلك ؛ وآتينا موسى سلطانا مبينا ؛ تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ؛ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ؛ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ؛ وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ؛ على لسان موسى والطور مظل عليهم ؛ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ؛ على لسان داود ؛ ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام ؛ وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال ؛ واخذنا منهم ميثاقا غليظا ؛ على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا ؛ فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم ؛ وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ؛ ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره ؛ وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم ؛ وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ؛ اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه ؛ بل طبع الله عليها بكفرهم ؛ فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ ؛ فلا يؤمنون الا قليلا ؛ منهم كعبد

كعبد الله بن سلام ؛ او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه ؛ وبكفرهم ؛ لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ؛ ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام ؛ وقولهم على مريم بهتانا عظيما ؛ يعني نسبتها الى الزنا ؛ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ؛ اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ؛ ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ؛ وان يكون استينافا من الله بمدحه ؛ او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح ؛ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ؛ روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب ؛ وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب ؛ وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة ؛ وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم ؛ وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمه مقتولا ؛ وان الذين اختلفوا فيه ؛ في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا ؛ وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء ؛ وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت ؛ لفي شك منه ؛ لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ؛ ما لهم به من علم الا اتباع الظن ؛ استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ؛ ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء ؛ وما قتلوه يقينا ؛ قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين ؛ وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها ؛ وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا ؛ من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه ؛ بل رفعه الله اليه ؛ رد وانكار لقتله واثبات لرفعه ؛ وكان الله عزيزا ؛ لا يغلب على ما يريده ؛ حكيما ؛ فيما دبر بعيسى ؛ وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ؛ اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول

لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل
ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان
به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من
السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى
احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في
الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم
شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين
هادوا اي فبظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على
دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه
المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين
الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك
والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون
او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه
لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان تنزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبياء
ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل

الله

الله محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل
عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه
مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر
النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله
وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك
من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك
فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه
كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج
اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال
عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه
تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل
وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر
والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا
وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين
الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه
ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه السلام بانكار نبوته او الناس بصدهم عما
فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من
مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا
لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس
عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا

لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان
خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا تحذف مع اسمها الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى
حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو
غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما
فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط
عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل
للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة
والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها
وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى
الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله
تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح
انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات
وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما
سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان
يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق
اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك
فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه
او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى
اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى
به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم
تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد
الله قال عليه السلام انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة
المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله
واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح
عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه من المعطوف عليه
حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة

المسيح

عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس
وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش
او من اعلا منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين
على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها
والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق
بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين
استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان
اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي قد جاءكم دلائل
العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول
الله صلى الله عليه وسلم او القرآن فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيد خلهم عليه
في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل
احسان زايد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما
هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة
فحذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزلت في الاحكام
قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوايل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة
له او حال عن المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت
الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد
لا يكون على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس
لكنها لا ترث النصف وهو يرثها والمرء يرث اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها
ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا
تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم
وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة

ان فسرت بالميت • فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك • الضمير لمن يرث ٢
بالاخوة • وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم
باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما • وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
حظ الانثيين • اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر • يبين الله لكم ان تضلوا
اى يبين لكم ضلالكم الذى من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا • وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول
الكوفيين • والله بكل شيء عليم • فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله من
الذين يتجاوز عنهم والله اعلم

سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود • الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك
الايفاء والعقد العهد الموثوق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا • واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر
الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله تعالى على عباده ٢
والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفاء به • او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام • تفصيل للعقود • والبهيمة كل حى لا يميز • وقيل كل ذات اربع واضافتها
الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز • ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية
والحق بها الظباء وبقر الوحش • وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه • الا ما يتلى عليكم • الا محرم
ما يتلى عليكم • لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة • او الا ما يتلى عليكم تحريمه • غير محلى
الصيد • حال من الضمير فى لكم او عليكم • وقيل من واو اوفوا • وقيل استثناء وفيه تعسف
والصيد يحتمل المصدر والمفعول • وانتم حرم • حال عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام
وهو المحرم • ان الله يحكم ما يريد • من تحليل وتحريم • يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله • يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر به اى جعل شعارا سمى
به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك • وقيل دين الله لقوله ومن
يعظم شعائر الله اى دينه • وقيل فرائضه التى حدها لعباده • ولا الشهر الحرام
بالقتال فيه او بالنسئ • ولا الهدى • ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى فى

جدية

جدية السرج • ولا القلائد • اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص
فانها اشرف الهدى • او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض
للهدى • ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن • والقلائد جمع قلادة • وهو ما قلد
بالمهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له • ولا امين
البيت الحرام • قاصدين لزيارته • يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا • ان يثيبهم
ويرضى عنهم • والجملة فى موضع الحال من المستكن فى امين وليست صفة له لانه
عامل • والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه
والتنبيه على المانع له • وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم
اذ روى ان الاية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم
بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية
منسوخة • وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين • واذا حللتم فاصطادوا • اذن فى
الاصطياد بعد زوال الاحرام • ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر
الاتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا • وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل
عليها وهو ضعيف جدا • وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل • ولا يجرمنكم • لا يحملنكم
او لا يكسبنكم • شنان قوم • شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى
المفعول او الفاعل • وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون
النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر • ان صدوكم
عن المسجد الحرام • لان صدوكم عنه عام الحديبية • وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر
الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم • ان تعتدوا • بالانتقام
ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب • ومن قرا يجرمنكم
بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين • وتعاونوا
على البر والتقوى • على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى • ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان • للتشفى والانتقام • واتقوا الله ان الله شديد
العقاب • فانتقامه اشد • حرمت عليكم الميتة • بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية • والدم • اى الدم المسفوح لقوله تعالى
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها • ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به • اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى
عند ذبحه • والمنخنقة • التى ماتت بالخنق • والموقوذة • المضروبة بنحو خشب
او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته • والمتردية • التى تردت من علو او فى

بئر فمات • والنطيحة التي نطحتها أخرى فماتت والتاء فيها للنقل • وما أكل السبع
أي وما أكل منه السبع فمات وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته
لم يحل • إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك • وقيل الاستثناء
مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد • وما ذبح
على النصب • النصب واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة • وقيل هي الأصنام وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما
ذبح مسمى على الأصنام • وقيل هو جمع والواحد نصاب • وأن تستقسموا بالأزلام أي
وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح
مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل • فإن خرج الأمر
مضوا على ذلك • وإن خرج الناهي تجنبوا عنه • وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا • فمعنى
الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام • وقيل هو استقسام الجزور
بالأقداح على الأنصباء المعلومة • وواحد الأزلام زلم كجمل وزلم كصرد • ذلكم فسق
إشارة إلى الاستقسام • وكونه فسقا لأنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن
ذلك طريق إليه وافتراء على الله إن أريد بربي الله • وجهالة وشرك إن أريد به الصنم
أو الميسر المحرم • أو إلى تناول ما حرم عليهم • اليوم • لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد
الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية • وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر
يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع • يئس الذين كفروا من دينكم • أي من إبطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها أو من أن يغلبوكم عليه • فلا تخشوهم أن يظهروا عليكم
واخشون • وأخلصوا الخشية لي • اليوم أكملت لكم دينكم • بالنصر والإظهار على الأديان
كلها وبالتنصيص على قواعد العقائد والتوفيق إلى أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد • وأتممت
عليكم نعمتي • بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
ورضيت لكم الإسلام • اخترته لكم • دينا • من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير
فمن اضطر • متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى فمن اضطر
إلى تناول شيء من هذه المحرمات • في مخمصة • مجاعة • غير متجانف لإثم • غير مائل له
ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذا أو مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد • فإن الله
غفور رحيم • لا يؤاخذه بأكله • يسألونك ماذا أحل لهم • لما تضمن السؤال معنى القول
أوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وإنما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لأن يسألونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في أمثاله والمسؤول ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم لما

تلي

تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحل لهم • قل أحل لكم الطيبات • ما لم يستخبثه الطباع
السليمة ولم تتنفر عنه • ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو ما لم يدل نص ولا
قياس على حرمته • وما علمتم من الجوارح • عطف على الطيبات إن جعل ما موصولة
على تقدير وصيد ما علمتم • وجملة شرطية إن جعلت شرطا وجوابها فكلوا • والجوارح
كواسب الصيد على أهلها من سباع ذوات الأربع والطير • مكلبين • معلمين إياه
الصيد • والمكلب مؤدب الجوارح ومغريها بالصيد مشتق من الكلب لأن التأديب يكون
أكثر فيه وآثر أو لأن كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك • وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم • تعلمونهن حال
ثانية أو استئناف • مما علمكم الله • من الحيل وطرق التأديب فإن العلم بها إلهام
من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه • أو مما علمكم أن تعلموه من اتباع
الصيد بإرسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه ولا يأكل منه
فكلوا مما أمسكن عليكم • وهو ما لم يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم
وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه • وإليه ذهب أكثر الفقهاء • وقال بعضهم لا
يشترط ذلك في سباع الطير لأن تأديبها إلى هذا الحد متعذر • وقال آخرون لا يشترط
مطلقا • واذكروا اسم الله عليه • الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند إرساله
أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه إذا أدركتم • واتقوا الله • في محرماته • إن الله سريع
الحساب • فيؤاخذكم بما جل ودق • اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين
أوتوا الكتاب حل لكم • يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود
والنصارى • واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر • ولم يلحق بهم المجوس في ذلك وإن ألحق بهم في التقرير على
الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي
ذبائحهم • وطعامكم حل لهم • فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو
حرم عليهم لم يجز ذلك • والمحصنات من المؤمنات • أي الحرائر العفائف وتخصيصهن
بعث على ما هو أولى • والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم • وإن كن حربيات
وقال ابن عباس لا تحل الحربيات • إذا آتيتموهن أجورهن • مهورهن وتقييد الحل
بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائها التزامها • محصنين • أعفاء
بالنكاح • غير مسافحين • مجاهرين بالزنا • ولا متخذي أخدان • مسرين به • والخدن
الصديق يقع على الذكر والأنثى • ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة
من الخاسرين • يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر به إنكاره والامتناع عنه

يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة • اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله • عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز
والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة
او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له • وظاهر الآية
توجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه
عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد • والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
محدثين • وقيل الامر فيه للندب • وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه
السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • فاغسلوا وجوهكم •
فامروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك • وايديكم الى المرافق • للجمهور
على دخول المرفقين فى المغسول • ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم
او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد
ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها • وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما
دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية
وكان الايدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا • وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية
تقتضى خروجها والا لم يكن غاية لقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى
الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا • وامسحوا
برؤسكم • الباء مزيدة • وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت
بالمنديل • ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل
والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم
فانه كقوله واغسلوا وجوهكم • واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى
رضى الله عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين • وابو حنيفة رحمه الله مسح ربع الرأس
لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع • ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين • نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على
وجوهكم • ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة • والتحديد اذ المسح
لم يحد وجره الباقون على الجوار • ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم
وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب • وللنحاة فى ذلك
وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح
وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب • وقرئ بالرفع على وارجلكم

معسولة

معسولة • وان كنتم جنبا فاطهروا • فاغتسلوا • وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه • سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام
فى بيان انواع الطهارة • ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج • اى لم يرد بالامر بالطهارة
للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم • ولكن يريد ليطهركم • لينظفكم او ليطهركم
عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب • او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير
بالماء • فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة • وقيل مزيدة • والمعنى ما يريد
الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان
ان لا تقدر بعد المزيدة • وليتم نعمته عليكم • ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة
لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين • او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه • لعلكم تشكرون
نعمته • والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل • والاصل
اثنان مستوعب وغير مستوعب • وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح • وباعتبار
المحل محدود وغير محدود • وان آلتهما مائع وجامد • وموجبهما حدث اصغر واكبر • وان
المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر • وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة • واذكروا
نعمة الله عليكم • بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم فى شكره • وميثاقه الذى
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا • يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله عليه السلام على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره
او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان • واتقوا الله • فى انساء نعمه ونقض ميثاقه
ان الله عليم بذات الصدور • اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم
على ان لا تعدلوا • عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين
على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء
وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم • اعدلوا هو اقرب للتقوى • اى العدل اقرب
الى التقوى • صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين
انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين • واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون • فيجازيكم به • وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى
نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم • انما حذف ثانى
مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه • وقيل الجملة فى موضع

موقع

المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم • هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم • يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم • روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك • وقيل اشارة الى ما روى انه عليه الصلوة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج • وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني قال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت • اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم • بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه • فكف ايديهم عنكم • منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون • فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر • ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا • شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به • روى ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف • وقال الله اني معكم • بالنصرة • لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم • اي نصرتموهم وقويتموهم • واصله الذب • ومنه التعزير • واقرضتم الله قرضا حسنا • بالانفاق في سبيل الخيرات • وقرضا يحتمل المصدر والمفعول • لاكفرن عنكم سيئاتكم • جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط

ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك • الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم • منكم فقد ضل سواء السبيل • ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة • فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم • طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية • وجعلنا قلوبهم قاسية • لا تنفعل عن الآيات والنذر • وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية • او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة • وقرئ قسية باتباع القاف للسين • يحرفون الكلم عن مواضعه • استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه • ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه • ونسوا حظا • وتركوا نصيبا وافيا • مما ذكروا به • من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه • وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية • ولا تزال تطلع على خائنة منهم • خيانة او فرقة • خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم • لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم • وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية • فاعف عنهم واصفح • ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف • ان الله يحب المحسنين • تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره • ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم • اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم • وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا • وانما قال قالوا انا نصارى ليدل انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله • فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا • فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به • بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة • بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود • وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون • بالعقاب والجزاء • يا اهل الكتاب • يعني اليهود والنصارى • ووحد الكتاب لانه الجنس • قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب • كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى بمحمد في الانجيل • ويعفوا عن كثير • مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه في امر ديني • او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه • قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يعني القرآن فانه الكاشف

لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه
وسلم يهدي به الله وحد الضمير لأن المراد بهما واحد أو لأنهما كواحد في الحكم من
اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالإيمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب
أو سبل الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور من أنواع الكفر إلى الإسلام بإذنه
بإرادته أو بتوفيقه ويهديهم إلى صراط مستقيم طريق هو أقرب الطرق إلى الله
تعالى ومؤد إليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم هم الذين
قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا
لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا
لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن أراد
أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم
وتقريره أن المسيح مقدور ومقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو
بمعزل عن الألوهية ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على
كل شيء قدير إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره والمعنى أنه سبحانه وتعالى قادر
على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ
من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده
كما خلق حوى أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى
نحن أبناء الله وأحباؤه أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير
الخبيبون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والديهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في
سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم فإن
من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر
والمسخ واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياما معدودة بل أنتم بشر ممن خلق ممن
خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من
كفر والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات
والأرض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له وإليه المصير فيجازي
المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
أي الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر
مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا
مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من الإرسال
وانقطاع من الوحي أو بيبين حال من الضمير فيه أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا

نذير

ولا نذير كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
أي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الإرسال
تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهم السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة
وألف نبي وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كان بينهما ستمائة
أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي
وكانوا أحوج ما يكونون إليه وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
إذ جعل فيكم أنبياء فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل
من الأنبياء وجعلكم ملوكا أي وجعل منكم أو فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر
الأنبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في أيدي
القبط فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
أحدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ونحوهما مما آتاهم
الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أرض بيت
المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما
حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل الشام التي كتب الله لكم
قسمها لكم أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكنا لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم
بعد ما عصوا فإنها محرمة عليهم ولا ترتدوا على أدباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا
من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل
علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر أو لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله
فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب
على الجواب قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار
فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وإنا لن
ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون إذ لا طاقة لنا بهم قال
رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون أي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا
رجلين من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى فعلى هذا الواو لبني إسرائيل والراجع
إلى الموصول محذوف أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل ويشهد له أن قرئ الذين
يخافون بالضم أي المخوفين وعلى المعنى الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون
من الله بالتذكير أو يخوفهم الوعيد أنعم الله عليهما بالإيمان والتثبيت وهو صفة
ثانية لرجلين أو اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم أي باغتوهم وضاغطوهم

في الضيق وامنعوهم من الاصحار اي من الدخول في الصحراء فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان
يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في
نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم
على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما
وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى
بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير
هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من
تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه
عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين — في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير صح
القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة
عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض
عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله
التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من
بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض فيه وقيل انه قبض في التيه ولما
احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع
وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين
لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن
ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في
ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم
من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى
وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان
ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى
بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب
ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء
عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق قابيل

وقيل

وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهم توامة الاخر فسخط قابيل لان توامته
كانت اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان
نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه
وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا ملتبسا بالصدق
موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي اتل عليهم نباهما ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة
او غيرها كما ان الحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل
تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح عنده
وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر
لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك
توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة
الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود
محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن
متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله
رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا
من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري
عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي — بالباء
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان
تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى
البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي اثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربا — نك
وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية
اخيه وشقاوته بل قصد بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون
لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته
وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلت له ووسعته
من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه

المكان الذي قتل فيه هابيل محب

كأنه دعاه إلى الإقدام عليه فطاوعته • وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد
ماله • فقتله فأصبح من الخاسرين • دينا ودنيا إذ بقي مدة عمره مطرودا
محزونا • قيل وقتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء • وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الأعظم • فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة
أخيه • روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به إذ كان أول ميت من بني
آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه
في الحفرة • والضمير في ليريه لله أو للغراب • وكيف حال من الضمير في يواري • والجملة ثاني
مفعولي يري والمراد بسوءة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى • قال
يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضر
فهذا أوانك • والويل والويلة الهلكة • أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري
سوءة أخي لا أهتدي إلى ما اهتدى إليه • وقوله فأواري عطف على أكون وليس
جواب الاستفهام إذ ليس المعنى لو عجزت لواريت • وقرئ بالسكون على فأنا أواري
أو على تسكين المنصوب تخفيفا • فأصبح من النادمين • على قتله لما كابد فيه من
التحير في أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل • وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وتبرء أبويه منه • إذ روي أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرء عنه ومكث
بعد ذلك مائة سنة لا يضحك • وعدم الظفر بما فعله من أجله • من أجل ذلك كتبنا
على بني إسرائيل • بسببه قضينا عليهم • وأجل في الأصل مصدر أجل شرا إذا جناه
استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته • أي من أن جررته أي جنيته ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل تعليل • ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا أي ابتداء الكتب وإنشاؤه
من أجل ذلك • أنه من قتل نفسا بغير نفس • بغير قتل نفس يوجب القصاص • أو فساد
في الأرض • أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق • فكأنما قتل الناس جميعا
من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه • أو من حيث
أن قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله تعالى والعذاب العظيم • ومن أحياها
فكأنما أحيا الناس جميعا • أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو
استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا • والمقصود منه تعظيم
قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها • ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون • أي بعد
ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا إليهم الرسل بالآيات

بالآيات الواضحة تأكيدا للأمر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في
الأرض بالقتل ولا يبالون به • وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والإسراف التباعد عن حد
الاعتدال في الأمر • إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله • أي يحاربون أولياءهما
وهم المسلمين جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما • وأصل الحرب السلب والمراد به هاهنا قطع
الطريق • وقيل المكابرة باللصوصية وإن كانت في مصر • ويسعون في الأرض فسادا
أي مفسدين ويجوز نصبه على العلة أو المصدر لأن سعيهم كان فسادا • فكأنه قيل ويفسدون
في الأرض فسادا • أن يقتلوا • أي قصاصا من غير صلب قصاصا إن أفردوا القتل
أو يصلبوا • أي يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال وللفقهاء خلاف في أنه يقتل
ويصلب أو يصلب حيا ويترك أو يطعن حتى يموت • أو تقطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف • تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا • أو ينفوا من
الأرض • ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع إن اقتصروا على الإخافة
وفسر أبو حنيفة رضي الله عنه النفي بالحبس وأو في الآية على هذا للتفصيل وقيل إنه
للتخيير والإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق • ذلك لهم خزي في الدنيا
ذل وفضيحة • ولهم في الآخرة عذاب عظيم • لعظم ذنوبهم • إلا الذين تابوا من قبل
أن تقدروا عليهم • استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى
فاعلموا أن الله غفور رحيم • أما القتل قصاصا فإلى الأولياء يسقط بالتوبة وجوبه
لا جوازه • وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على أنها بعد القدرة لا تسقط
الحد وإن أسقطت العذاب • وأن الآية في قطاع المسلمين لأن توبة المشرك تدرء عنه
العقوبة قبل القدرة وبعدها • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة
أي ما تتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل
إلى كذا إذا تقرب إليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة • وجاهدوا في سبيله بمحاربة
أعدائه الظاهرة والباطنة • لعلكم تفلحون • بالوصول إلى الله تعالى والفوز
بكرامته • إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به • ليجعلوه (من صنوف الأموال)
فدية لأنفسهم • من عذاب يوم القيامة • واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو إذ
التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض • وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان إما لإجرائه
مجرى اسم الإشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك • أو لأن الواو في ومثله معه بمعنى مع
ما تقبل منهم • جواب لو ولو بما في حيزه خبر إن • والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه
لا سبيل لهم إلى الخلاص منه • ولهم عذاب أليم • تصريح بالمقصود منه • وكذلك قوله
يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم • وقرئ أن يخرجوا

من اخرج. وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة. والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما. جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما. وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت. وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل. والسرقة اخذ مال الغير في خفية. وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة القطع في ربع دينار فصاعدا. وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح. والمراد بالايدي الايمان. ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما. ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه. واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب. والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه. جزاء بما كسبا نكالا من الله. منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا. والله عزيز حكيم فمن تاب. من السراق. من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها. فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة. اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه. الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض. الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد. يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير. قدم التعذيب على المغفرة بناء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا. يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر. اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة. من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم. اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا. والواو يحتمل الحال والعطف. ومن الذين هادوا. عطف على من الذين قالوا. سماعون للكذب. خبر مبتدا محذوف اي هم سماعون. والضمير للفريقين او للذين يسارعون. ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره. اي ومن اليهود قوم سماعون. واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول. اي قابلون لما يفتريه الاحبار. او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه. سماعون لقوم آخرين لم ياتوك. اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء. والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم. ويجوز

ان

ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين. يحرفون الكلم من بعد مواضعه. اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه. واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده. والجملة صفة اخرى لقوم. او صفة لسماعون. او حال من الضمير فيه او استينافا فلا موضع له. او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك ٢ يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه. اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به. وان لم تؤتوه. بل افتاكم محمد بخلافه. فاحذروا. اي فاحذروا قبول ما افتاكم به. روي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا. فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها. اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم. من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي. هوان بالجزية والخوف من المؤمنين. ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار. والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب. كرره للتاكيد. اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة. وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق. وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر. فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم. تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة. وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يجب مطلقا. وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا. بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس. وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط. بالعدل الذي امر الله به. ان الله يحب المقسطين. فيحفظهم ويعظم شانهم. وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله. تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به

ضلالته او فضيحته

والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله فى زعمهم • وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف • وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة • ثم يتولون من بعد ذلك • ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجب • وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه • انا انزلنا التورية فيها هدى يهدى الى الحق • ونور يكشف ما استبهم من الاحكام • يحكم بها النبيون • يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به • الذين اسلموا • صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين • وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هداهم • للذين هادوا • متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم • والربانيون والاحبار • زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون • بما استحفظوا من كتاب الله • بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين • وكانوا عليه شهداء • رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا • فلا تخشوا الناس واخشون • نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير • ولا تشتروا باياتى • ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها • ثمنا قليلا • هو الرشوة والجاه • ومن لم يحكم بما انزل الله • مستهينا به منكرا له • فاولئك هم الكافرون • لاستهانتهم وتمردهم بان حكموا بغيره • ولذلك وصفهم بقوله الكافرون الظالمون الفاسقون • فكفرهم لانكارهم • وظلمهم بالحكم على خلافه • وفسقهم بالخروج عنه • ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى • وكتبنا عليهم • وفرضنا على اليهود • فيها • فى التورية • ان النفس بالنفس • اى ان النفس تقتل بالنفس • والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن • رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى فكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول • او جمل مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن • والسن

مقلوعة

مقلوعة بالسن • او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى • والجروح قصاص • اى ذات قصاص • وقرأه الكسائى بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل • فمن تصدق • من المستحقين • به • بالقصاص اى فمن عفا عنه • فهو • فالتصدق • كفارة له • للمتصدق يكفر الله به ذنوبه • وقيل للجانى يسقط عنه ما لزمه • وقرئ فهو كفارته له اى فالتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ • ومن لم يحكم بما انزل الله • من القصاص وغيره • فاولئك هم الظالمون • وقفينا على آثارهم • اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين • بعيسى ابن مريم • مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء • مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل • وقرئ بفتح الهمزة • فيه هدى ونور • فى موضع النصب على الحال • ومصدقا لما بين يديه من التورية • عطف عليه وكذا قوله • وهدى وموعظة للمتقين • ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف • وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه • عليه فى قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم • وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم • ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون • عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به • والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر • وانزلنا اليك الكتاب • اى القرآن • بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب • من جنس الكتب المنزلة • فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس • ومهيمنا عليه • ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات • وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر • فاحكم بينهم بما انزل الله • اى بما انزل اليك • ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق • بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف • او حال من فاعله • اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك • لكل جعلنا منكم • ايها الناس • شرعة • شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية • وقرئ بفتح الشين • ومنهاجا • وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح • واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل • ومفعول شاء محذوف دل عليه الجواب • وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه • ولكن

ليبلوكم فيما آتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم إلى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وأن احكم بينهم بما أنزل الله عطف على الكتاب أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم أو على الحق أي أنزلنا بالحق وبأن احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي أن يضلوك ويصرفوك عنه وأن بصلته بدل منهم بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد عليه السلام لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن تولوا عن الحكم المنزل وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها وإن كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه أفحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله عليه السلام أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه في الصلة كما في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية يبغون أي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي عندهم واللام للبيان كما في قوله تعالى هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم الذين يرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب بعضهم أولياء بعض إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضارتكم ومن يتولهم منكم فإنه منهم أي ومن والاهم فإنه من جملتهم وهذا التشديد

التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما أو لأن الموالين لهم كانوا منافقين إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن أبي وأضرابه يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار روي أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من موالاتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا أي هؤلاء المنافقون على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة أبو عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به أهؤلاء الذين أقسموا جهد أيمانهم إنهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم وما أخسرهم يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه قراءة على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول

من ارتد في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبنوا حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى
مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه ابو بكر بجند المسلمين فقتله الوحشي قاتل حمزة وبنوا اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو
سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم
سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر
بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يد ابو بكر رضي الله عنه وفي امرة عمر
غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأت الله بقوم يحبهم
ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال
قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال
هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة
وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي
الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن
في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين
عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن
خافضين لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه
وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير
في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين
المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف
المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون
شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له
والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم
يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه
ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم

وقيل

وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان
ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته
فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور
والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر
وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه
وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى
زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله
هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان
عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها
بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة
وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين
باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان
عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على
الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه
الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك
المعاصي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين
بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة و
المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوات روي ان نصرانيا كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار
واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان
السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ
تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان
بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم
الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون

من ارتد في خلافة ابي بكر رضي الله عنه سبع

وفي امرة عمر رضي الله عنه واحد

محبة الله تعالى لعباده ومحبة العباد له

المتولي

منه • او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف • او على ما • اى وما تنقمون
منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم • او على علة محذوفة • والتقدير هل تنقمون منا
الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم • او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اى ولا
تنقمون ان اكثركم فاسقون • او رفع على الابتداء والخبر محذوف • اى وفسقكم ثابت معلوم
عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف • والآية خطاب ليهود سئلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون
فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم • قل هل انبئكم بشر من ذلك •
اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله • جزاء ثابتا عند الله • والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة
بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع • ونصبها على
التمييز عن بشر • من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير • بدل من بشر
على حذف مضاف • اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله • او بشر من ذلك دين من لعنه الله
او خبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات • ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت • وبعضهم
خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام • وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت
شبانهم قردة ومشايخهم خنازير • وعبد الطاغوت • عطف على صلة من وكذا عبد
الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت • وعبد الطاغوت صار معبودا فيكون الراجع
محذوفا اى فيهم او بينهم • ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ • او
عبد الطاغوت على انه جمع كخدم • او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة • عطفه على القردة
ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من • والمراد من الطاغوت العجل • وقيل الكهنة وكل من
اطاعوه فى معصية الله • اولئك • اى الملعونون • شر مكانا • جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ
فى الدلالة على شرارتهم • وقيل مكانا منصرفا • واضل عن سواء السبيل • قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود • والمراد بصيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين فى الشرارة والضلال • واذا جاؤكم قالوا آمنا • نزلت فى يهود نافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم او فى عامة المنافقين • وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • اى
يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك • والجملتان حالان من فاعل
قالوا • وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا • وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم
وكان الرسول يظنه • ولذلك قال • والله اعلم بما كانوا يكتمون • اى من الكفر وفيه وعيد لهم
وترى كثيرا منهم • اى من اليهود والمنافقين • يسارعون فى الاثم • اى الحرام • وقيل الكذب لقوله

تعالى

تعالى عن قولهم الاثم • والعدوان • الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى • وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى الى غيرهم • واكلهم السحت • اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة • لبئس ما كانوا يعملون
لبئس شيئا عملوه • لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس
ما كانوا • تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك • فان لولا اذا دخل الماضى افاد التوبيخ واذا دخل
المستقبل افاد التحضيض • لبئس ما كانوا يصنعون • ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث
ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة • ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك
الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها
فكان جديرا بابلغ الذم • وقالت اليهود يد الله مغلولة • اى هو ممسك يقتر بالرزق • وغل
اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط • ولذلك يستعمل
حيث لا يتصور ذلك كقوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده •
ونظيره من المجازات المركبة • شابت لمة الليل • وقيل معناه انه فقير ونحن اغنياء • غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا • دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة • او بغل الايدى
حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث
اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره • بل يداه مبسوطتان • ثنى اليد
مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه
بيديه • وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام • ينفق كيف
يشاء • تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته
ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد • ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل
بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية
نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة
بشؤم تكذيبهم محمدا صلوات الله وسلامه عليه • واشترك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • اى هم طاغون كافرون ويزدادون
طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة • فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله • كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا
حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا
فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين • وللحرب صلة اوقدوا او صفة
نارا • ويسعون فى الارض فسادا • اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحرب والفتن
وهتك المحارم • والله لا يحب المفسدين • فلا يجازيهم الا شرا • ولو ان اهل الكتاب آمنوا

بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم
اى التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من داخلين
فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان
جل وان الكتابى لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما
فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من
حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او يكثر ثمرات الاشجار وغلة
الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على
الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا
واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير
غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته
وكثير منهم ساء ما يعملون اى بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اى ما اسوء عملهم وهو
المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه او الافراط فى العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك جميع ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل فان لم تبلغ
جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع
ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت
شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة
واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض
الاعادى وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبى عليه الصلوة والسلام بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الى ان لم
تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس
فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق
به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه
قل يا اهل الكتاب لستم على شىء اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل
حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد
والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب
الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة

طغيانهم

طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فانى وقيار
بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما
كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل
الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر
ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف ولا يجوز
عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ
وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب
كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء ٢٢ وقيل
الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان
او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف
عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من
صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا
لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما
جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل
الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا و
مستقبلا ومحافظة على رؤس الاى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى حسب بنو اسرائيل
ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لا
تكون بالرفع على ان ان هى المخففة من المثقلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى
للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان او ان بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه
فعموا عن الدين والدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم
تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما
على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير
منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدأ محذوف

اى عموا وصموا كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في
مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم
الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأويه النار
فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام
كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى نبه على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى
عليه السلام وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم
القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله
واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات
الا الله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا
عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا
منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على
كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة الباطلة ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر
لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بايات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى في يد موسى
عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان
الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب
لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية و
يقتضي ان يكون من اعداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال
هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات عجيب واعراضهم عنها اعجب
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك

بتمليك

بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به
من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها
على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية
وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد
فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق
اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة
وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم
وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم واضلوا كثيرا من شايعهم
على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام
بعد مبعثه بما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني
اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
بن مريم اى لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا
خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع
المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له ولا
ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون
تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين
كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى
لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص
محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم
الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم
وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك

بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه
أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم
والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت في كافر وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول
ترى أعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة
خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء
فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها
مما عرفوا من الحق من الأولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فإنه بعض
الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا
بذلك أو بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته
أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من
الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام إنكار واستبعاد
لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في
مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من
معنى الفعل أي وأي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله أي بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين
أو بكتابه ورسوله فإن الإيمان بهما إيمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع
عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل فيها عامل
الأولى مقيدا بها أو نؤمن فأثابهم الله بما قالوا أي عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان أي معتقده جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور والآيات
الأربع روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه
فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفر
أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل في ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه
وفدوا على رسول الله عليه السلام فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر
وهو ضرب منه لأن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم في موضع المصدقين
جمعا بين الترغيب والترهيب يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
أي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس
ورفض الشهوات عقبه النهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما
فقال ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود

ما

ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية
إلى القصد بينهما روي أن رسول الله عليه السلام وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ في إنذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا
على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فقال لهم إني لم
أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام
وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله
فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لأنه نكرة ويجوز أن يكون
من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز أن يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول أو العائد
المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله بلى والله وإليه ذهب
الإمام الشافعي رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن أنه كذلك ولم يكن وإليه ذهب أبو حنيفة
رحمه الله تعالى وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة
والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم
وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه أي الفعلة التي تذهب إثمه
وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية
لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت
الذي هو خير إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم من أقصده
في النوع أو القدر وهو مد لكل مسكين عندنا أو نصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لأنه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ما
تطعمون أو الرفع على البدل من إطعام وأهلوكم كأرضون وقرئ أهاليكم بسكون
الياء على لغة من يسكنها في الأحوال الثلث كالألف وهو جمع أهل كالليالي في جمع ليل
والأراضي في جمع أرض وقيل هو جمع أهلاة أو كسوتهم عطف على إطعام أو من
أوسط إن جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء أو إزار
وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة أو كأسوتهم يعني أو كمثل ما تطعمون

اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل
الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي
رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال
الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام
ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه
فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت
كتابا ولم يتواتر سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها
ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل
ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون
نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه
يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التي نصبت للعبادة
والازلام سبق تفسيره في اوائل السورة رجس قذر تعاف عنه العقول
وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطي
الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير
للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون اى لكي تفلحوا بالاجتناب عنه
واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام
والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت
او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين
ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما
خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر
الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب
الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد
عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا
بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا
الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه

البلاغ

البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات صح
اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد
كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا
وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون
هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى
والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان
بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب
الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا
من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة و
تهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من
فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم
الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم
التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند
ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم
وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب
اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به
فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم
واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام يقتلن في
الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفارة والكلب وفي رواية اخرى الحية
بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل
يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه
قتل ما يقتل والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ
واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد

روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت
فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي
مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل
ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي
رحمهما الله تعالى والقيمة عند ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه وقال يقوم الصيد حيث
صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته وبين ان يشتري بها طعاما
فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين
يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق يحكم به ذوا عدل
منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته
او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج
المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على
ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة
او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا
لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال
ابو حنيفة رحمه الله يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء
ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او
خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من
غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين
وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل
ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق
ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله
واصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما
في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو
ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله

عزيز

عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا
يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل
ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر
وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة ولسيارتكم
يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيها
فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور
على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او لم يصد لكم
ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي
اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس
اي انتعاشا لهم سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه بما اعل في فعله ونصبه على
المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر
الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس ذلك
اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار وجلب المنافع
المرتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص
ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد
ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على
الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ
ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة
عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب في صالح العمل
وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة
والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطا الكل معتبر ولذلك قال
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب
وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في
حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين

امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم • الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء • والمعنى لا تسئلوا رسول الله
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسئلوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم • وهما كمقدمتين
تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه • واشياء اسم جمع
كطرفاء غير انه قلب لامه فجعل لفعاء • وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيئ على ان اصله
شيئ كهين او شيئ كصديق فخفف • وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات
ويرده منع صرفه • عفا الله عنها • صفة اخرى اى عن اشياء عفى الله عنها ولم يكلف
بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو
وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت • او استيناف اى عفا الله عما سلف
من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها • والله غفور حليم • لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم
ويعفو عن كثير • وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم
غضبان من كثرة ما يسئلون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسئل عن شيئ الا اجبت فقال رجل
اين ابي فقال في النار • وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت • قد
سألها قوم • الضمير للمسئلة التي دل عليها لا تسئلوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء
بحذف الجار • من قبلكم • متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون
صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها • ثم اصبحوا بها كافرين • اى بسببها حيث لم
يأتمروا بما سألوا جحودا • ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام • رد
وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر
بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب • وكان الرجل منهم يقول ان
شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها • واذا ولدت الشاة
انثى فهو لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح
لها الذكر • واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى
وقالوا قد حمى ظهره • ومعنى ما جعل ما شرع ووضع • ولذلك تعدى الى مفعول واحد
وهو البحيرة • ومن مزيدة • ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب • بتحريم
ذلك ونسبته اليه • واكثرهم لا يعقلون • اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر
من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم • وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة
وتقليد الآباء ان يعترفوا به • واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا • بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند

لهم

لهم سواه • اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون • الواو للحال والهمزة
دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحالة اى احسبهم ما وجدوا عليه آباؤهم
ولو كانوا جهلة ضالين • والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك
لا يعرف الا بالحجة • يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم • احفظوها والزموا
اصلاحها • والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم • وقرئ
بالرفع على الابتداء • لا يضركم من ضل اذا اهتديتم • لا يضركم الضلال اذا كنتم
مهتدين • ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من
رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه • والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم • وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت • ولا يضركم يحتمل الرفع
على انه مستانف • ويؤيده انه قرئ لا يضيركم • والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت
الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة • وينصره قراءة من قرأ لا يضركم
بالفتح • ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره • الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون • وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا
لا يؤاخذ بفعل غيره • يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم • اى فيما امرتم شهادة
بينكم • والمراد بالشهادة الاشهاد • واضافها الى الظرف على الاتساع • وقرئ شهادة
بالنصب والتنوين على ليقم • اذا حضر احدكم الموت • اذا شارفه وظهرت اماراته
وهو ظرف للشهادة • حين الوصية • بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما
ينبغي ان لا يتهاون فيه • او ظرف حضر • اثنان • فاعل شهادة • ويجوز ان يكون خبرها
على حذف المضاف • ذوا عدل منكم • اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان
لاثنان • او آخران من غيركم • عطف على اثنان • ومن فسر الغير باهل الذمة جعله
منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا • ان انتم ضربتم في الارض • اى
سافرتم فيها • فاصابتكم مصيبة الموت • اى قاربتم الاجل • تحبسونهما • تقفونهما
وتصبرونهما صفة لآخران • والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من
غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر
فمن غيركم • او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما •
من بعد الصلوة • صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار • وقيل اى صلوة • فيقسمان بالله ان ارتبتم • ان ارتاب الوارث
منكم • لا نشتري به ثمنا • مقسم عليه • وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم

بجال الارتياب . والمعنى لانستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا . اى لانحلف بالله
كاذبا لطمع . ولو كان ذا قربى . ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه محذوف اى
لانشترى . ولانكتم شهادة الله . اى الشهادة التى امرنا بها باقامتها . وعن الشعبى
انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن . انا اذا لمن الاثمين . اى ان كتمنا . وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها . فان عثر . فان
اطلع . على انهما استحقا اثما . اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف . فآخران فشاهدان
آخران . يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم . من الذين جنى عليهم وهم الورثة
وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان . الاوليان . الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما . وهو خبر محذوف اى هما الاوليان . او خبر آخران . او مبتدأ خبره
آخران . او بدل منهما او من الضمير فى يقومان . وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم
الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم . وقرئ الاولين على
التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان . فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما . اصدق منها واولى ان تقبل . وما اعتدينا . وما
تجاوزنا فيها الحق . انا اذا لمن الظالمين . الواضعين الباطل موضع الحق والظالمين
انفسهم ان اعتدينا . ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد
عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما
بان كان فى سفر فآخران من غيرهم . ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان
بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من
اوليائه من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف
الشاهد ولايعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى
الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته او
لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الى
الشام مرض بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا
فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما

فاتاهما بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان
نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابى وداعة السهميان وحلفا . ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة
ذلك . اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد . ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة . او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم . اى ترد اليمين
على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة . وانما جمع الضمير لانه
حكم يعم الشهود كلهم . واتقوا الله واسمعوا . ما توصون به سمع اجابة . والله لايهدى
القوم الفاسقين . اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم
الفاسقين اى لايهديهم الى حجة او الى طريق الجنة . يوم يجمع الله الرسل . ظرف له . وقيل
بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال . او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا
خبر يوم جمعه . او منصوب باضمار اذكر . فيقول . اى للرسل . ماذا اجبتم . اى اجابة
اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر . او باى شئ اجبتم فحذف الجار . وهذا السؤال
لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد . ولذلك قالوا لا علم لنا . اى لاعلم لنا
بما لست تعلمه ايانا . انك انت علام الغيوب . فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا
وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم . وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم
وقيل المعنى لاعلم لنا الى جنب علمك . او لاعلم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة . وقرئ
علام بالنصب اى على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك
المعروفة . وعلام منصوب على الاختصاص او النداء . وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر غين الغيوب
حيث وقع . اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك . بدل من يوم
يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار . والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة
يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم
سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة . او نصب باضمار اذكر . اذ ايدتك . قويتك وهو
ظرف لنعمتى او حال منه . وقرئ آيدتك . بروح القدس . بجبريل عليه السلام او بالكلام
الذى يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام . ويؤيده قوله تكلم الناس
فى المهد وكهلا . اى كائنا فى المهد وكهلا . والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة
على سواء . والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولية فى كمال العقل والتكلم . وبه
استدل انه سينزل فانه رفع قبل التكهل . واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى
وتبرئ الاكمه والابرص باذنى . سبق تفسيره فى سورة آل عمران . وقرأ نافع ويعقوب

طائرًا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر • واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود
حين همّوا بقتله فقال الذين • اذ جئتهم بالبينات • ظرف لكففت • فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين • اي ما هذا الذي جئت به الا سحر
وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام • واذ اوحيت الى
الحواريين • اي امرتهم على السنة رسلي • ان آمنوا بي وبرسولي • يجوز ان يكون ان
مصدرية وان يكون مفسرة • قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون • مخلصون
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم • منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيهًا
على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم • هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة • وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة • وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب • وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى
هل تسأله ذلك من غير صارف • والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد
اذا تحرك • او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه • ونظيرها قولهم شجرة
مطعمة • قال اتقوا الله • من امثال هذا السؤال • ان كنتم مؤمنين • بكمال قدرته وصحة
نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان • قالوا نريد ان ناكل منها • تمهيد عذر وبيان لما
دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها • وتطمئن قلوبنا • بانضمام علم المشاهدة
الى علم الاستدلال بكمال قدرته • ونعلم ان قد صدقتنا • في ادعاء النبوة وان الله يجيب
دعوتنا • ونكون عليها من الشاهدين • اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر • قال عيسى ابن مريم • لما راى ان لهم غرضًا صحيحًا في ذلك او انهم لا يقلعون
عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها • اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا
عيدًا • اي يكون يوم نزولها عيدًا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم
العيد عيدًا • وقرئ تكن على جواب الامر • لاولنا وآخرنا • بدل من لنا باعادة العامل
اي عيدًا لمتقدمينا ومتاخرينا • روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدًا • وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا • وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة • وآية
عطف على عيدًا • منك • صفة لها اي آية منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي
وارزقنا • المائدة او الشكر عليها • وانت خير الرازقين • خير من يرزق لانه خالق
الرزق ومعطيه بلا عوض • قال الله اني منزلها عليكم • اجابة الى سؤالكم وقرا
نافع وابن عامر وعاصم منزّلها بالتشديد • فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابًا
اي تعذيبًا • ويجوز ان يجعل مفعولًا به على السعة • لا اعذبه • الضمير للمصدر

او

او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر • احدًا من العالمين • اي من عالمي
زمانهم او العالمين مطلقًا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها
مثلة وعقوبة • ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسمًا وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد • فقال شمعون
يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة • قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته
كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله • فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه
الآية آية اخرى • فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا • وقيل كانت تاتيهم اربعين يومًا غبًّا يجتمع
عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدًا • ثم اوحى الله
تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلًا • وقيل لما وعدهم الله انزالها
بهذه الشريطة استغفروا وقالوا لا نريدها فلم تنزل • وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه
الله لمقترحي المعجزات • وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها
غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن • وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم
يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى
حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحّوا فيه فسال لاجل اقتراحهم
فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له
ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالًا بعيدًا • واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • يريد به
توبيخ الكفرة وتبكيتهم • ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني • ومعنى دون
اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع
عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق
العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي
الهين متوصلين بنا الى الله • قال سبحانك • اي انزهك تنزيهًا من ان يكون لك شريك

مايكون لى ان اقول ما ليس لى بحق • ما ينبغى لى ان اقول قولا لايحق لى ان اقوله • ان
كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك • تعلم ما اخفيه فى
نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك • وقوله فى نفسك للمشاكلة
وقيل المراد بالنفس الذات • انك انت علام الغيوب • تقرير للجملتين باعتبار منطوقه
ومفهومه • ما قلت لهم الا ما امرتنى به • تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم مايدل
عليه • ان اعبدوا الله ربى وربكم • عطف بيان للضمير فى به او بدل منه • وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع • او خبر مضمر
او مفعوله مثل هو او اعنى • ولايجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لايكون مفعول
القول • ولا ان يكون مفسرة لان الامر مسندا الى الله تعالى وهو لايقول اعبدوا الله
ربى وربكم والقول لايفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان مثل
ما امرتهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله • وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم • اى
رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه • او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان
فلما توفيتنى • بالرفع الى السماء كقوله انى متوفيك ورافعك الى • والتوفى اخذ الشئ
وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت
فى منامها • كنت انت الرقيب عليهم • المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من
القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه بها بارسال الرسل وانزال الآيات • وانت
على كل شئ شهيد • مطلع عليه مراقب له • ان تعذبهم فانهم عبادك •
اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه
وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك اولانهم عبادك وقد عبدوا غيرك • وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم • فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب
الذى لايثيب ولايعاقب الا عن حكمة وصواب • فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان
عذبت فعدل وان غفرت ففضل • وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع
فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان • قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف • او ظرف مستقر وقع خبرا
والمعنى هذا الذى من كلام عيسى واقع يوم ينفع • وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته
الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب • والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان
النافع ما كان حال التكليف • لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى
الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم • بيان للنفع • لله ملك السموات والارض
وما فيهن وهو على كل شئ قدير • تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم

فى

فى المسيح وامه • وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير
اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم
وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية • ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى
بارادة العموم • عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى
عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

مائة وخمس وستون آية

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث من قوله تعالى قل تعالوا وهى مائة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض • اخبر بانه تعالى
حقيق بالحمد • ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة
على الذين هم بربهم يعدلون • وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة
بالذات متفاوتة الآثار والحركات • وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
وجعل الظلمات والنور • انشأهما • والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد
ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين • ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لايقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية • وجمع الظلمات لكثرة
اسبابها والاجرام الحاملة لها • او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد
والضلال متعدد • وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات • ومن زعم ان الظلمة عرض
يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لايتعلق
به الجعل • ثم الذين كفروا بربهم يعدلون • عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته
ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان
يحمد عليها ولايكفر • او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لايقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به ما لايقدر على شئ منه • ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء
على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة • اى يعدلون عنه ليقع الانكار على
نفس الفعل • وعلى الثانى متعلقة بيعدلون • والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اى يسوون بها • هو الذى خلقكم من طين • اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان
آدم الذى هو اصل البشر خلق منه • او خلق اباكم فحذف المضاف • ثم قضى اجلا • اجل الموت
واجل مسمى عنده • اجل القيامة • وقيل الاول ما بين الخلق والموت • والثانى ما بين الموت
والبعث • فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها • وقيل الاول النوم والثانى الموت
وقيل الاول الموت لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى • واجل نكرة خصصت بالصفة

مطلب الفرق بين خلق وجعل

ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بأنه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير والخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه • ثم انتم تمترون • استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك • واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع • وهو الله • الضمير لله والله خبره • في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله • يعلم سركم وجهركم • والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل • ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم • ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب • ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن • الا كانوا عنها معرضين • تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه • فقد كذبوا بالحق لما جاءهم • يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم • او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء • فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون • اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن • اى من اهل زمان • والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة • وقيل ثمانون سنة • وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت • واشتقاقه من قرنت • مكناهم في الارض • جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها • او اعطيناهم من القوى والآلات ما يتمكنون بها من انواع التصرف فيها • ما لم نمكن لكم • ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة • او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب • وارسلنا السماء عليهم • اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها • مدرارا • مغزارا • وجعلنا الانهار تجري من تحتهم • فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار

والثمار • فاهلكناهم بذنوبهم • اى لم يغن ذلك عنهم شيئا • وانشأنا • واحدثنا • من بعدهم قرنا آخرين • بدلا منهم • والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم • ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس • مكتوبا في رق • فلمسوه بايديهم • فمسوه • وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع • وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء • لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • تعنتا وعنادا • وقالوا لولا انزل عليه ملك • هلا انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا • ولو انزلنا ملكا لقضي الامر • جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه • والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم • ثم لا ينظرون • بعد نزوله طرفة عين • ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون • جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب • وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك • وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة • والمعنى لو جعلنا قرينك ملكا يعاينونه • او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته • وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية • وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم • وقرئ لبسنا بلا لام • ولبسنا بالتشديد للمبالغة • ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه • فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون • فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله • او فنزل بهم وبال استهزائهم • قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين • كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا • ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا • ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين • قل لمن ما في السموات والارض • خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت • قل لله • تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره • كتب على نفسه الرحمة • التزمها تفضلا واحسانا • والمراد بالرحمة ما يعم الدارين • ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفرة

ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى
ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيمة والى
بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم
لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين
او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن
خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر
ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن فى
الليل والنهار من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن
الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم
فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير
الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى
الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله عنه ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان
يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى
الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع وبالنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم
يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء
وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات
والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم
بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط
قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى سابق امته فى الدين ولا تكونن من
المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستو
جبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه
الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب
وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف
او يومئذ على حذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له

فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر
فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شيء اكبر شهادة نزلت حين
قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر
ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم
اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان
اكبر شيء شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر
الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل
مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجو دون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله
ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اى بل اشهد ان لا اله الا هو واننى برىء مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التورية
والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين
فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا
بالقرآن او المعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان
كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون
فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشرهم
ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليتفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء
فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من
فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا
به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم

ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر
كقولهم من كانت امك. والباقون بالياء والنصب. والله ربنا ما كنا مشركين.
يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون
ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود. وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو
لا يوافق قوله. انظر كيف كذبوا على انفسهم. اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في
الدنيا تعسف يخل بالنظم. ونظير ذلك قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم. وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح. وضل عنهم
ما كانوا يفترون. من الشركاء. ومنهم من يستمع اليك. حين تتلو القرآن. والمراد
ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته
ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم. وجعلنا
على قلوبهم اكنة. اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء. ان يفقهوه. كراهة
ان يفقهوه. وفي آذانهم وقرا. ما يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في سورة البقرة
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها. لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم. حتى اذا جاؤك
يجادلونك. اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك. وحتى هي التي بعدها
الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو. يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير
الاولين. فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب. ويجادلونك
حال لمجيئهم. ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب
ويقول تفسير له. والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر
واصله السطر بمعنى الخط. وهم ينهون عنه. اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول
صلى الله عليه وسلم والايمان به. وينأون عنه. بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب. وان يهلكون الا
وما يهلكون بذلك
انفسهم وما يشعرون. ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم. ولو ترى اذ وقفوا على النار
جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها
او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا. وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا. فقالوا يا ليتنا نرد. تمنيا للرجوع الى الدنيا. ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم
دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير
فيه اي في نرد فيكون في حكم المتمني. وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من

الوعد

الوعد. ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراها
مجرى الفاء. وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب. بل بدا
لهم ما كانوا يخفون من قبل. الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه
ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو
ردوا لآمنوا. ولو ردوا. الى الدنيا بعد الوقوف والظهور. لعادوا لما نهوا عنه. من
الكفر والمعاصي. وانهم لكاذبون. فيما وعدوا من انفسهم. وقالوا. عطف على لعادوا
او على انهم لكاذبون. او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا. ان هي الا حياتنا
الدنيا. الضمير للحياة. وما نحن بمبعوثين. ولو ترى اذ وقفوا على ربهم. مجاز عن الحبس
للسؤال والتوبيخ. وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه. او عرفوه حق التعريف
قال أليس هذا بالحق. كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ. والهمزة للتقريع
على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب. قالوا بلى وربنا.
اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء. قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون. بسبب كفركم او ببدله. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله. اذ فاتهم
النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه. حتى اذا جاءتهم
الساعة. غاية لكذبوا لا لخسروا لان خسرانهم لا غاية له. بغتة. فجأة. ونصبها على
الحال او المصدر فانها نوع من المجيء. قالوا يا حسرتنا. اي تعالي فهذا اوانك. على
ما فرطنا. قصرنا. فيها. في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في
الساعة يعني في شانها والايمان بها. وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم. تمثيل لاستحقا
قهم آصار الآثام. الا ساء ما يزرون. بئس شيئا يزرونه وزرهم. وما الحياة
الدنيا الا لعب ولهو. اي ما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة
دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا. وللدار الآخرة خير
للذين يتقون. لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها. وقوله للذين يتقون تنبيه على
ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو. وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة. افلا تعقلون.
اي الامرين خير. وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين
او تغليب الحاضرين على الغائبين. قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون. معنى قد زيادة
الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله. والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك
من احزن. فانهم لا يكذبونك. في الحقيقة. وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه
اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. ولكنهم
يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا

بجحودهم او جحدوا اليتمرتهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان ابا
جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام وفيه دليل على
ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا به واوذوا
على تكذيبهم وايذائهم فتأسّ بهم واصبر حتى اتيهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر
للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اى من قصصهم
وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك
وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد
فيه الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز
ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا
ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اوّلوه بانه لو شاء لجمعهم على
الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب
الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او ألقى السمع وهو شهيد
وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم
الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اى آية مما
اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا
قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق
الجبل او آية ان جحدوا هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها
وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير
ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر
يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر
بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود
من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه

قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني
اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان
ولا جماد او القرآن فانه قد دوّن فيه ما يحتاج اليه امر الدين مفصلا ومجملا ومن مزيدة
وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى
الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف
بعضها من بعض كما روى انه تعالى يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله عنه
حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة
على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات خبر ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة
العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله
من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على
صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب
والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك
زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل
وللزم في الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم
آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع أرايتكم وأرايت وأرايتم وأفرايت وشبهه
اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون
يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم
الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء عاء
كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون
اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على
كشف العذاب دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من
قبلك اى قبلك ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم
بالبأساء بالشدة والفقر والضراء بالضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر
لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا
تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف

لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم. فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به. فتحنا عليهم
ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم
بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه صلى الله عليه
وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة. وقرا ابن عامر فتّحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه
يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف. حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم
ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه. اخذناهم بغتة فاذا
هم مبلسون متحسرون آيسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم
يبق احد منهم من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه. والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم
نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها. قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم
وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم. من اله غير الله
ياتيكم به اي بذلك او بما اخذ او ختم عليه او باحد هذه المذكورات. انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين. ثم هم يصدفون يعرضون
عنها. وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها. قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة من غير مقدمة. او جهرة يتقدمها امارة تؤذن بحلوله. وقيل ليلا او نهارا
وقرئ بغتة وجهرة. هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم
الظالمون. ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه. وقرئ يهلك بفتح الياء. وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى
بهم. فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم. فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوت الثواب. والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل
العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف. بما
كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة. قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه. ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب
عليه دليل وهو من جملة المقول. ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر
على ما يقدرون عليه. ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية
وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد
مدعاه. قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم

او مدعي

او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة. افلا تتفكرون فتهتدوا
او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه. وانذر به الضمير
لما يوحى الي. الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر
مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين
باستحالته. ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو
الحشر على هذه الحال. لعلهم يتقون لكي يتقوا. ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش. روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار
وصهيب وخباب وسلمان رضي الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم. وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو
فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت
والمراد بذلك الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر. وقرا ابن عامر بالغدوة
يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر. ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب
ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا
وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن
غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم. وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم. وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه
فتطردهم فتبعدهم. وهو جواب النفي. فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه
على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر. وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك
الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين
فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان. ليقولوا اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا
ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء. وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم
باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه. واللام للعاقبة او للتعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا. اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر
فيوفقه وبمن لا يقع فيخذله. واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب

ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم او يبلغ سلام
الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون
لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر
من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم
سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر رضي الله عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب
ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل السوء
واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فعله غفرانه وكذلك ومثل ذلك
التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين
منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على
معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن
كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتستبين سبيلهم
والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة
مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت
بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من
دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل
لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن
متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه
تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا
يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن
والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز
ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او
للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم

فا

فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب
وتاخيره يقض الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها يقض
فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه
منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين
القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي
الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم
بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ
وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو
المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها
الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في
ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص
العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله
الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله
او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او
للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويرا فيكم
قبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز
فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا
للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية
خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه
تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم
بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم
على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر
فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون
والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان

أزجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه
احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك
الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ
بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه
مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له
الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب
شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من
شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب
ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا
واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول
اي يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة
الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل
كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع
تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على انه من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده
راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح
ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل
من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر
والنبات او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال
بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق
بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا
محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب
او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به
مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في
الآخرة واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها
فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على
معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى
النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع

القوم

القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من
قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء ما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على
محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين
يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقويهم ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر
الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود
عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم
الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذي جعل ميقاتا في عبادتهم
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا
لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على
الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر
به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها
واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي
ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها
الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقا
ئدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل
لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم
قل اندعوا اتعبد من دون الله ما لا ينفعنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد
على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام
كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى
يهوي اذا ذهب وقرئ حمزة استهواه بالالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اي مشبهين بالذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران

ولا يضرنا

وهذا مبني على ما زعمه العرب وتعتقده من ان الجن تستهويه
الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان
والمسلمون يدعونه فلا يلتفت اليهم

متحيرًا ضالًّا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان
يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر
ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده
وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى
الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة
وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على
موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلوة روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر
رضى الله عنه دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا
القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو
الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق
والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله
الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله
الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات اوالهاء فى واتقوه
او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او
حين تقوم الساعة فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها وله الملك يوم ينفخ فى
الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم
الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر هو عطف بيان
لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موزنه
او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم
صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم
ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد ازر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا
وتقريرا ويدل عليه ان قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم
وقرء يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال مبين
ظاهر الدلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية
وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل

ط بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة
وهو اسم صنم ومعناد التعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ
اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم
الانكار لانه كالبيان له كشاف

رآى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى
اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان
الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله
الخصم ثم ينكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته واول
اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال
والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما رأى القمر بازغا
مبتدئا بالطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم
الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه
ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها
فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة
للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت
قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص
يخصصها بما يختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت عليه
هذه الممكنات فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا
من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه
رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه
فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد
هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا
تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب
لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديدهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا
تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا
يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه
اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم
ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى
الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا
من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب

عما استفهم عنه • والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق ذلك على
الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه • فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو
ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم • ولبس الايمان به ان يصدق
بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به • وقيل المعصية • وتلك اشارة
الى ما احتج به ابرهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون
او من قوله اتحاجوني اليه الى قوله وهم مهتدون • حجتنا آتيناها ابرهيم • ارشدناه اليها
وعلمناه اياها • على قومه • متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك • وبمحذوف ان جعل بدله
اي آتيناها ابرهيم حجة على قومه • نرفع درجات من نشاء • في العلم والحكمة • وقرأ الكوفيون
ويعقوب بالتنوين • ان ربك حكيم • في رفعه وخفضه • عليم • بحال من يرفعه و
استعداده له • ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا • اي كلا منهما • ونوحا هدينا
من قبل • اي من قبل ابرهيم • عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه • وشرف الوالد يتعدى
الى الولد • ومن ذريته • الضمير لابرهيم عليه السلام اذ الكلام فيه • وقيل لنوح لانه
اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم لاختص البيان بالمعدودين
في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا • داود وسليمن
وايوب • ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق • ويوسف وموسى وهرون وكذلك
نجزي المحسنين • اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة
اولاده والنبوة فيهم • وزكريا ويحيى وعيسى • وهو ابن مريم • وفي ذكره دليل على ان الذرية
تتناول اولاد البنت • والياس • قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في
الآية الاولى • وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى • كل من الصالحين • الكاملين في الصلاح
وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي • واسمعيل واليسع • هو اليسع بن اخطوب وقرأ
حمزة والكسائي والليسع • وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في
قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا • شديدا باعباء الخلافة كاهله • ويونس • هو يونس
بن متى • ولوطا • هو ابن هاران اخي ابرهيم • وكلا فضلنا على العالمين • بالنبوة • وفيه
دليل فضلهم على من عداهم من الخلق • ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم • عطف على كلا او
نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من
لم يكن نبيا ولا مهديا • واجتبيناهم • عطف على فضلنا او هدينا • وهديناهم الى
صراط مستقيم • تكرير لبيان ما هدوا اليه • ذلك هدى الله • اشارة الى ما دانوا به
يهدي به من يشاء من عباده • دليل على انه متفضل بالهداية • ولو اشركوا • اي لو اشرك
هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم • لحبط عنهم ما كانوا يعملون • لكانوا كغيرهم في

حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها • اولئك الذين آتيناهم الكتاب • يريد به الجنس • والحكم
الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق • والنبوة • والرسالة • فان يكفر بها
اي بهذه الثلثة • هؤلاء • يعني قريشا • فقد وكلنا بها • اي بمراعاتها • قوما ليسوا بها
بكافرين • وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم • وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم او كل من آمن به او الفرس • وقيل الملائكة • اولئك الذين هدى الله
يريد الانبياء المتقدم ذكرهم • فبهديهم اقتده • فاختص طريقهم بالاقتداء • والمراد
بهديهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست
هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم
متعبد بشرع من قبله • والهاء في اقتده للوقف • ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير
ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف • وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة
والكسائي • واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر • وكسر الهاء
بغير اشباع برواية هشام • قل لا اسألكم عليه • اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا
من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين • وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه
ان هو • اي التبليغ او القرآن او الغرض • الا ذكرى للعالمين • الا تذكيرا وعظة لهم •
وما قدروا الله حق قدره • وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد • اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شيء • حين انكروا الوحي وبعثة الانبياء • وذلك من عظائم
رحمته وجلائل نعمته • او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة
والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم
بقوله • قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس • وقرأ الجمهور تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا • بالتاء • وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا • وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه • روي ان مالك بن
الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى عليه السلام
هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال فانت الحبر السمين • وقيل هم المشركون والزامهم
بانزال التورية لانه كان من المشهورات الزايغة عندهم • ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم • وعلمتم • على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم • زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى
آبائكم الذين كانوا اعلم منكم • ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون • وقيل الخطاب لمن آمن من قريش • قل الله • اي انزله الله او الله انزله امره

بان يجيب عنهم اشعارًا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيهًا على انهم بهتوا بحيث لا
يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام
الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله
او فاعل يلعبون او منهم ان كان في والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى
عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام
القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجمعهم واعظم
القرى شانًا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ
ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اي اهل الشرق والغرب والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة
خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم
او الكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين
وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبًا فزعم انه بعثه نبيًا كمسيلمة والاسود
العنسي او اختلق عليه احكامًا كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله تعالى ثم انشاناه خلقًا آخر
قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبًا من تفصيل خلق الانسان فقال صلى
الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم
صادقًا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبًا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل
مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده
من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي
المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظًا وتعنيفًا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به
وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون
اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي
كاذبًا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن

او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى
وقرئ فرادًا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل
منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من
الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اي مجيئًا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم اي في الدنيا فشغلتم به
عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئًا ولم تحتملوا نقيرًا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من
الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعًا والمعنى
وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة
يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت ما لا ينمو
كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ
الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي
المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش
الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح
الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنًا يسكن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسًا به او يسكن فيه الخلق
من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه
قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك
قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون
والشمس والقمر عطفًا على محل الليل ويشهد به قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرًا
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانًا اي على ادوار مختلفة
تحسب بها الاوقات وتكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر
مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانًا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص

العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها
لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة
او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر
بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر
ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريون بكسر القاف
على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا
دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان
امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل
من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به اي
بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة
المختلفة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه اي من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كأعور
وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا بالماء من النخل نخلا من طلعها قنوان او من
النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه
والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو
وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية
الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها
عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل
شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات او ومن الكرم جنات ولا
يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات
او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من
الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون
والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك قرأ حمزة والكسائي بضم
الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره
كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا

بضم ميم

نفع

نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ
بالضم وهو لغة فيه وبانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من
حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو
رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
او حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم
وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك
حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير
وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا
عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما
يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه في سورة البقرة ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره
انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من
وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة
مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد
ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد
ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه عالم لذاته بكل
المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة
والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة

وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به
الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل
به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية
عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل
بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار محيط علمه بها وهو
اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف
اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا
من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم
البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها
فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق
وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ اعمالكم فيجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك
نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا درست
صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست
اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت
هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست
ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست
اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن
اى عفون ودرس اى درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات اى قديمات او ذات
درس لقوله تعالى عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود
التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك بالتدين به
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى
الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله
منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم
اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب
الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من
القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب
ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى
انه عليه السلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك
فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه
دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر
كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا
او تخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين
سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه
واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر فى موضع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه
التحكم على الرسول فى طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء بقدرتى
وارادتى وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اى الآية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه
على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى
لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء
الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء
وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم
حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب
افئدتهم عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه
وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الآيات اول
مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المتقين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا
انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى
كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر
بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل شيء وانما جاز ذلك
لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم

الاحوال • اى لا يؤمنون في حال الاحوال مشية الله تعالى ايمانهم • وقيل منقطع وهو حجة واضحة
على المعتزلة • ولكن اكثرهم يجهلون • انهم لو اوتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يشعرون • ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم • او ولكن
اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم • وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا • اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان
عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه • شياطين الانس والجن • مردة الفريقين وهو
بدل من عدوا • او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه
يوحي بعضهم الى بعض • يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس • او بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض • زخرف القول • الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه • غرورا • مفعول
له او مصدر في موقع الحال • ولو شاء ربك • ايمانهم • ما فعلوه • اى ما فعلوا ذلك
يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف • ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور
وهو ايضا دليل على المعتزلة • فذرهم وما يفترون • وكفرهم • ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالاخرة • عطف على غرورا ان جعل علة • او متعلق بمحذوف اى وليكون
ذلك جعلنا لكل نبي عدوا • والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة • او لام القسم كسرت
لما لم يؤكد الفعل بالنون • او لام الامر وضعفه اظهر • والصغو الميل والضمير لما له الضمير
في فعلوه • وليرضوه • لانفسهم • وليقترفوا • وليكتسبوا • ما هم مقترفون • من الاثام
افغير الله ابتغي حكما • على ارادة القول • اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل • وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه • ويحتمل عكسه • وحكما
ابلغ من حاكم • ولذلك لا يوصف به غير العادل • وهو الذي انزل اليكم الكتاب • اى القرآن
مفصلا • مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس • وفيه تنبيه على ان القرآن
باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات • والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق • تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به
لتصديقه ما عندهم مع انه صلى الله عليه وسلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم • وانما
وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل • وقيل
المراد مؤمنوا اهل الكتاب • وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد • فلا تكونن
من الممترين • في انهم يعلمون ذلك • او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به • فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين • او خطاب الرسول لخطاب الامة • وقيل الخطاب لكل
واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه • وتمت
كلمات ربك • بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده • صدقا • في الاخبار والمواعيد

وعدلا • في الاقضية والاحكام • ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له • لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل • او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما
فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون
او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها او يبدل احكامها • وقرا الكوفيون ويعقوب كلمت ربك اى
ما تكلم به او القرآن • وهو السميع • بما يقولون • العليم • بما يضمرون فلا يهملهم • وان
تطع اكثر من في الارض • اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى • وقيل
الارض ارض مكة • يضلوك عن سبيل الله • عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب
الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال • ان يتبعون الا الظن • وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق
او جهالاتهم واراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم • وان هم الا يخرصون
يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه
وتحليل الميتة وتحريم البحاير • او يقدرون انهم على شيء • وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين الخرص
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • اى اعلم بالفريقين • ومن
موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم • لا به • فان افعل لا ينصب الظاهر في
مثل ذلك • او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل • والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المتعدي • او مجرورة باضافة اعلم
اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله • او من اضللته اذا وجدته ضالا • والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه • مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحللون الحرام • والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف
انفه • ان كنتم باياته مؤمنين • فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب
ما حرمه • وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه • واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما
يمنعكم عنه • وقد فصل لكم ما حرم عليكم • مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة • وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل لكم على البناء للمفعول • ونافع ويعقوب وحفص حرم على
البناء للفاعل • الا ما اضطررتم اليه • مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة • وان
كثيرا ليضلون • بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراءة الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
باهوائهم بغير علم • بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم • ان ربك هو اعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام • وذروا ظاهر الاثم وباطنه • ما يعلن وما
يسر • او ما بالجوارح وما بالقلب • وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان • ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون • يكسبون • ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه

ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدًا او نسيانًا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال
مالك والشافعي بخلافه لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق
فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه ولا تاكلوا وان
الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون
ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان
اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله
وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو
مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين
من ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر
او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا
في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى
صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا
جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي
ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل
رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية
يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالاته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا
صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان
يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له

له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما
يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في
قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا
بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر
عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع
عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه
واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى
يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل
وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم
عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار
السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم
عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مولاهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب
اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر
او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر
الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم واضلالهم او منهم بان
جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من
الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم
على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم
يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما
فعلوا من اطاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار

منه

انهم كانوا يعوذون بهم

مثويكم منزلكم او ذات مثويكم • خالدين فيها • حال والعامل فيها مثويكم ان جعل
مصدرًا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا • الا ما شاء الله • الا الاوقات التي ينقلون
فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما
امهلكم • ان ربك حكيم • في افعاله • عليم • باحوال الثقلين واعمالهم • وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا • نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم • او اولياء بعض
وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا • بما كانوا يكسبون • من الكفر والمعاصي • يا معشر
الجن والانس الم يأتكم رسل منكم • الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره
قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله
ولوا الى قومهم منذرين • يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيمة • قالوا جوابا • شهدنا على انفسنا • بالجرم والعصيان وهو اعتراف
منهم بالكفر واستيجاب العذاب • وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين • ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية و
اللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم • ذلك •
اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدء محذوف اي الامر ذلك • ان لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم واهلها غافلون • تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من
الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى
بسبب ظلم فعلوه • او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل
من ذلك • ولكل • من المكلفين • درجات • مراتب • مما عملوا • من اعمالهم او من جزائها او من
اجلها • وما ربك بغافل عما يعملون • فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق من ثواب او عقاب
وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة • وربك الغني • عن العباد والعبادة
ذو الرحمة • يترحم عليكم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على
ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو
قوله • ان يشأ يذهبكم • اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء • من الخلق • كما انشأكم من ذرية قوم آخرين • اي قرنا
بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم • انما توعدون • من البعث واحواله • لآت • لكائن
لا محالة • وما انتم بمعجزين • طالبكم به • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل •
على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم

وجهتكم

وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة • وقرأ ابو بكر عن عاصم
مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد • والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم • اني عامل •
ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد
كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان
المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه • فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار • ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي
خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اي فسوف تعرفون الذي له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه
على وثوق المنذر بانه محق • وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي
انه لا يفلح الظالمون • وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة • وجعلوا •
اي مشركوا العرب • لله مما ذرأ • خلق • من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا
منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوه لله ازكى
بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم • وفي قوله مما ذرأ تنبيه
على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا
الزاكي له • وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به • وقرأ الكسائي بالضم في
الموضعين وهو لغة فيه • وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود • ساء ما يحكمون • حكمهم هذا •
وكذلك • ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات • زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد
ونحرهم لآلهتهم • شركاؤهم • من الجن او من السدنة وهو فاعل زين • وقرأ ابن عامر زين على
البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا
بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها
متمكنا زج القلوص ابي مزادة • وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار
فعل دل عليه زين • ليردوهم • ليهلكوهم بالاغواء • وليلبسوا عليهم دينهم • وليخلطوا
عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به • واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة • ولو شاء الله ما فعلوه • ما فعل
المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك • فذرهم وما يفترون •
افتراءهم او ما يفترونه من الافك • وقالوا هذه • اشارة الى ما جعل لآلهتهم • انعام و
حرث حجر • حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى

وقرئ حُجُرٌ بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحاير والسوائب
والحوامي لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون
على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقوّل على الله والجار متعلق بقالوا
او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم
بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة
البحاير والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون
الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه
سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر
ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة
كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر
مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانها
لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه
لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم
الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد
خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون
بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير
بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر
وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في
مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات
من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه
الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري
والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية [البوادي]
والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند
الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون
والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك
ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه

يوم

يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم
به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ
ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بالكسر وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق
لقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام
حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش المنسوج — للذبح او ما يفرش
المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من
الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل
دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش
والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب
وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين
ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما
حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم
شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى
انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله
حرمها ام كنتم شهداء بل كنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه ما لم يحرمه والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو
بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد
في ما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي
لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام
ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على انه

كان هي التامة وقوله أو دماً مسفوحاً عطف على أنْ مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما
مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال أو لحم خنزير فإنه رجس فان
الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث مخبث أو فسقاً عطف على لحم خنزير وما بينهما
اعتراض للتعليل أهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله
في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من أهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى
ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك
غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
والآية محكمة لأنها تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها الى نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا
على حل الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ماله اصبع كالابل والسباع
والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما أو الحوايا او ما اشتملت
على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل
هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك اي التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون
في الاخبار او الوعد والوعيد فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على
التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين
ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد
بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم
سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله
ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء
كقوله تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم
على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله ايا
ها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين
من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب
الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى
ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا

تخرصون

تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك
حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية
المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها
تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها
ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم
فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم
من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين
هل ام فحذفت الالف بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا يدخل الامر ويكون
متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني
قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم
كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهود بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فإن شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين
لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم اتل
اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لأنه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة
بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل
المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا به شيئا يحتمل المصدر والمفعول
وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما
للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم
من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع
لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا
ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا
وصاكم به اي بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا

الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر
الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ما ل اليتيم الا بالتي هي احسن الا
بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو
جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل والسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر
معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في
حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع
ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون
بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ
حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة
بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا
صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل اي الاديان المختلفة
او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن
الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في
الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ثم
اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على كل
من احسن القيام به ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى
عليه السلام او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما
له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون
عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف
على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير
النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا
كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم تكن غير كتبهم وان كنا

ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها
وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان
عرف صحتها او تمكن في معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او
صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن
لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت
او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء ههنا وفي النحل او يأتي ربك اي امره بالعذاب
او كل آية يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط
الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى عليه السلام ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى الضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها
غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا
الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت
عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت
فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون
له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض
وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا
اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم
وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية

ايمانها صح

السيف

انما امرهم الى الله • يتولى جزاءهم • ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون • بالعقاب • من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها • اى عشر حسنات امثالها فضلاً من الله • وقرأ يعقوب عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف • وهذا اقل ما وعد من الاضعاف • وقد جاء الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب • ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد • ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الا مثلها • قضية للعدل • وهم لا يظلمون • بنقص الثواب وزيادة العقاب • قل
انني هدانى ربى الى صراط مستقيم • بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج • دينا • بدل
من محل الى صراط • اذ المعنى وهدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما • او مفعول فعل مضمر
دل عليه الملفوظ • قيما • فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم باعتبار الزنة
والمستقيم باعتبار الصيغة • وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر
نعت به • وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام • ملة ابرهيم • عطف بيان
لدينا • حنيفا • حال من ابرهيم • وما كان من المشركين • عطف عليه • قل ان صلوتى ونسكى
عبادتى كلها • او قربانى او حجى • ومحياى ومماتى • وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان
والطاعة • او طاعة الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير • او الحياة والممات انفسهما
وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف • لله رب العالمين لا شريك
له • خالصة له لا اشرك فيها غيره • وبذلك • القول او الاخلاص • امرت وانا اول المسلمين •
لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته • قل اغير الله ابغى ربا • فاشركه فى عبادتى
وهو جواب عن دعائهم الى عبادة آلهتهم • وهو رب كل شئ • حال فى موقع العلة للانكار
والدليل له • اى وكل ما سواه مربوب مثلى لا يصلح للربوبية • ولا تكسب كل نفس الا عليها •
فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك • ولا تزر وازرة وزر اخرى • جواب
عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم • ثم الى ربكم مرجعكم • يوم القيمة • فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون • بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل • وهو الذى جعلكم
خلائف الارض • يخلف بعضكم بعضا • او خلفاء الله فى ارضه يتصرفون فيها • على ان
الخطاب للمؤمنين • ورفع بعضكم فوق بعض درجات • فى الشرف والغنى • ليبلوكم
فى ما آتيكم • من الجاه والمال • ان ربك سريع العقاب • لان ما هو آت قريب • او لانه
يسرع اذا اراده • وانه لغفور رحيم • وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه • ووصف
ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة • واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها
على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها
سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له

اولئك

اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية

الا ثمان آيات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض
عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم
المص • سبق الكلام فى مثله • كتاب • خبر محذوف اى هو كتاب • او خبر المص والمراد به السورة
او القرآن • انزل اليك • صفته • فلا يكن فى صدرك حرج منه • اى شك • فان الشاك حرج
الصدر • او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر فى القيام بحقه • وتوجيه النهى
اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا • والفاء يحتمل العطف والجواب • فكانه قيل اذا انزل اليك
لتنذر به فلا يحرج صدرك • لتنذر به • متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله
جسر على الانذار • وكذا اذا لم يخشهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه • وذكرى للمؤمنين •
يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير • والجر عطفا على محل
تنذر • والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف • اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم • يعم القرآن
والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى • ولا تتبعوا من دونه اولياء •
يضلونكم من الجن والانس • وقيل الضمير فى من دونه لما انزل • اى لا تتبعوا من دون دين الله دين
اولياء • وقرئ ولا تبتغوا • قليلا ما تذكرون • اى تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث
تتركون دين الله وتتبعون غيره • وما مزيدة لتاكيد القلة • وان جعلت مصدرية لم ينتصب
قليلا بتذكرون • وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء • وابن عامر
يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى صلى الله عليه وسلم • وكم من قرية • وكثيرا من القرى
اهلكناها • اردنا اهلاكها • او اهلكناها بالخذلان • فجاءها • فجاء اهلها • باسنا • عذابنا
بياتا • بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال • او هم قائلون • عطف عليه • اى
قائلين نصف النهار كقوم شعيب • وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى العطف
فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح • وفى التعبير مبالغة
فى غفلتهم وامنهم عن العذاب • ولذلك خص الوقتين بالغفلة • ولانهما وقت دعة واستراحة
فيكون مجئ العذاب فيهما افظع • فما كان دعويهم • اى دعاؤهم واستغاثتهم او ما
كانوا يدعونه من دينهم • اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين • الا اعترافهم
بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه • فلنسئلن الذين ارسل اليهم • عن قبول
الرسالة واجابتهم الرسل • ولنسئلن المرسلين • عما اجيبوا به • والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم • والمنفى فى قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام • او الاول

في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة • فلنقصن عليهم • على الرسل حين يقولون
لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب • أو على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه • بعلم • عالمين بظواهرهم
وبواطنهم أو بمعلومنا منهم • وما كنا غائبين • عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم • والوزن •
أي القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء • والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان
له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفوا
بها بألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة • وقيل يوزن الأشخاص لما روي عنه عليه
السلام إنه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة • يومئذ • خبر المبتداء
الذي هو الوزن • الحق • صفته أو خبر محذوف • ومعناه العدل السوي • فمن ثقلت موازينه •
حسناته أو ما يوزن به حسناته • وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع
موزون أو ميزان • فأولئك هم المفلحون • الفائزون بالنجاة والثواب • ومن خفت موازينه
فأولئك الذين خسروا أنفسهم • بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها
للعذاب • بما كانوا بآياتنا يظلمون • فيكذبون بدل التصديق • ولقد مكناكم في الأرض •
أي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها • وجعلنا لكم فيها معايش • أسبابا تعيشون
بها جمع معيشة وعن نافع أنه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف • قليلا ما تشكرون •
فيما صنعت لكم • ولقد خلقناكم ثم صورناكم • أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه
نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره • أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا
آدم ثم صورناه • ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقيل ثم لتأخير الإخبار • فسجدوا إلا
إبليس لم يكن من الساجدين • ممن سجد لآدم • قال ما منعك ألا تسجد • أي أن تسجد ولا صلة مثلها
في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود • وقيل
الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك إلى أن لا تسجد • إذ أمرتك • دليل على أن
مطلق الأمر للوجوب والفور • قال أنا خير منه • جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا
لأن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول
فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا • خلقتني من
نار وخلقته من طين • تعليل لفضله عليه • وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن له خواص

ط [illegible]فضل باعتبار الغاية [illegible] [illegible] الفضيل هو العلم والمعرفة

ليست

ليست لغيره • والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة • ولعل
إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشياطين إلى النار باعتبار الجزء الغالب • قال فاهبط منها
من السماء أو الجنة • فما يكون لك • فما يصح أن تتكبر فيها • وتعصي فإنها مكان الخاشع
المطيع • وفيه دليل على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه تعالى إنما طرده وأهبطه
لتكبره لا لمجرد عصيانه قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله • فاخرج إنك من الصاغرين • ممن أهانه الله لتكبره • قال فأنظرني إلى يوم يبعثون •
أي أمهلني إلى يوم القيمة ولا تمتني أو لا تعجل عقوبتي • قال إنك من المنظرين • يقتضي
الإجابة إلى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله إلى يوم الوقت المعلوم
وهو النفخة الأولى أو وقت يعلمه الله انتهاء أجله فيه • وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته • قال فبما أغويتني • أي بعد أن أمهلتني لأجتهدن في إغوائهم
بأي طريق يمكنني بسبب إغوائك إياي بواسطتهم تسمية أو حملا على الغي أو تكليفا بما
غويت لأجله • والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فإن اللام تصد عنه و
قيل الباء للقسم لا بأقعدن فإن اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم • لأقعدن لهم • ترصدا
بهم كما يقعد القطاع للسابلة • صراطك المستقيم • طريق الإسلام • ونصبه على الظرف
كقوله • لدن بهز الكف يعسل متنه • فيه كما عسل الطريق الثعلب • وقيل تقديره على
صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن
أيمانهم وعن شمائلهم • أي من جميع الجهات الأربع • مثل قصده إياهم بالتسويل والإضلال
من أي وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع • ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم
وقيل لم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل منه • ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين أيديهم من قبل الآخرة • ومن خلفهم من قبل الدنيا • وعن
أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم • ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون
ويقدرون التحرز عنه • ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون • وعن أيمانهم وعن شمائلهم
من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم • وإنما عدى
الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم • وإلى الآخرين بحرف المجاوزة فإن الآتي
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم • ونظيره قوله جلست عن يمينه • ولا تجد أكثرهم شاكرين
مطيعين • وإنما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ
الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا • وقيل سمعه من الملائكة • قال اخرج منها مذؤوما
مذموما من ذأمه إذا ذمه • وقرئ مذوما كمسول في مسؤول أو كمكول في مكيل من
ذامه يذيمه ذيما • مدحورا • مطرودا • لمن تبعك منهم • اللام فيه لتوطئة القسم

وجوابه لأملأن جهنم منكم أجمعين وهو سادّ مسدّ جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيّا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهو فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطّي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوّتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او متلبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلصقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصّفان من خصّف ويخصّفان واصله يختصفان وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان

السلطان

الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقضى آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه فى الارض تعيشون لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل المال ومنه تريش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سوّلوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة

متناهية في القبح كعبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول
لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر
بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم
عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع ويستنقصه العقل المستقيم وقيل
هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم قالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل
ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على بمنع
خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله
قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها
نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد
حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة
عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون
وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل
فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم
ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم
وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عوراتكم
عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه
دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر
في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم
فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط
الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في آية فقال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من
الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان
كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل

والمشارب

والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والمشارب والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد
قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما
يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة
بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على حرمة اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل
مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت
مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا
يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما
يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه
على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما التأكيد معنى
الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء
في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي
مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال
من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما
كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط
المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين اعترفوا انهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله
لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصا
حبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا
كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا

فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت أخراهم اي دخولا او منزلة
وهم الاتباع لأولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا
سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع ٢
فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على
الانفصال وقالت اولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم
على جواب الله تعالى لأخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا
واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث
غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب وبالتاء على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى
يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ
الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو
الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو ما
يخاط به كالحزام والحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم
من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن
الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم
الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان
يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب
في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا
ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا
التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري

من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه
واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير
واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في
الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي
له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيه معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع الخمسة
هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه
تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا
لان ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعدهم به كالبعث والحساب ونعيم اهل
الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو صاحب
الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي
وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة
القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين
مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه
والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب
بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف
وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف
الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة
من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء
وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة
يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي
اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة
او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها
وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا

وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء

طائفة من الموحدين قصروا في العمل

صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين اى فى النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم
تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت
الكفرة تحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه
الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون
الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على
الاستيناف تقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اى صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء
او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلايم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا
وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف
الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم
الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار كما نسوا لقاء
يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما
كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من
العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما
وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه
اى على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من
الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه
بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل
تركوه ترك الناسى قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين لهم انهم جاؤا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفا على فيشفعوا لنا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول فالمسؤل احد الامرين وعلى الثانى
ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذى كنا نعمل
جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم

فى الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذى خلق
السموات والارض فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره
او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى
خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة وحدة دليل الاختيار واعتبار للنظار
وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان
الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه
الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمى به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه
به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب
الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى
الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ
والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول
بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها
بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء
والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى
بالوحدانية فى الالوهية وتعظم فى التفرد بالربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها
بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية
فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين
ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله
وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين بقوله فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات
والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى المجاوزين

وثنائى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا

ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة
الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عليه
السلام سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ صلى الله عليه وسلم
انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء
وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمعا في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمت الله قريب من المحسنين
ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه
صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر
كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر
نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم
بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
وبشرى للبشارة بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملته واشتقاقه من
القلة فان المقل للشيء يستقله ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله ولاحيائه
او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق
في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل
انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي
كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى
من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون بان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات
وحسنه وكثرة نفعه لانه اوقعه في مقابله والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج
الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث
لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا

وقرئ

وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا
بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها
ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف
ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع
وقوع ما صدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن
خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم
من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ حيث وقع واذا كان قبل الاله من
التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي
ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او نزول الطوفان
قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنريك في ضلال
زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في
النفي والاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار
ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله تعالى
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف
ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي
اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس عليهما السلام وزيادة اللام في لكم للدلالة
على امحاض النصح وفي اعلم من الله تقريرلما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه
او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف
اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل
على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر
ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة
الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة
حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد
على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به
وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه حام وسام ويافث وستة ممن آمن به في
الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ

عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات • والى عاد اخاهم • عطف على نوح الى قومه • هودا •
عطف بيان لاخاهم • والمراد به الواحد منهم من قولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن
الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح • وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم
ابي عاد • وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه • قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره • استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذا
جوابهم • افلا تتقون • عذاب الله • وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال • قال
الملأ الذين كفروا من قومه • اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد • انا لنراك في سفاهة •
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك • وانا لنظنك من الكاذبين •
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي
وانا لكم ناصح امين • اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم • سبق تفسيره
وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة
وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على
انهم عرفوه بالامرين • واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح • اي في مساكنهم او في
الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر
عمان خوفهم من عذاب الله تعالى ثم ذكرهم بانعامه • وزادكم في الخلق بسطة • قامة
وقوة تعميم بعد تخصيص • فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون • لكي يفضي بكم ذكر النعم الى
شكرها المؤدي الى الفلاح • قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا •
استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه • ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من
السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني • فاتنا بما تعدنا • من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون • ان كنت من الصادقين • فيه • قال قد وقع
عليكم • قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع • من ربكم رجس •
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب • وغضب • ارادة انتقام • اتجادلونني في اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان • اي في اشياء سميتموها
آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو
استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم
وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى
من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم • واستدل به على ان الاسم هو
المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة

وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا

مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفه ظاهر • فانتظروا • لما وضح الحق وانتم
مصرون على العناد فانتظروا نزول العذاب • اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين
معه • في الدين • برحمة منا • عليهم • وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا • اي استأصلناهم
وما كانوا مؤمنين • تعريض لمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من
هلك هو الايمان • روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا
عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم و
مشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه
قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد
عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم
واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له • فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه
مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله
يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما • حتى غنتا
به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله سقيتم • فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات
ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا • والى ثمود • قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن سام • وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى
وادي القرى • اخاهم صالحا • صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم • معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي وقوله • هذه ناقة الله لكم آية • استئناف لبيانها • وآية نصب على
الحال والعامل فيها معنى الاشارة • ولكم بيان لمن هي له آية • ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او
عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية • واضافة الناقة الى الله تعالى لتعظيمها او لانها جاءت
من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية • فذروها تاكل في ارض الله •
العشب • ولا تمسوها بسوء • نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع

دوام

لهم

قوله جرادتان وهما اسم قينتين لكم اسم احدهما وردة والاخرى جرادة فهذا من باب التغليب

لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر • فيأخذكم عذاب اليم • جواب للنهى
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض • ارض الحجر • تتخذون من سهو
لها قصورا • اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والاجر وتنحتون
الجبال بيوتا • وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع • وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون • فاذكروا آلاء الله ولا
تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه • عن الايمان • للذين استضعفوا
اى للذين استضعفوهم واسترذلوهم • لمن آمن منهم • بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان
كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين • وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو • اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه • قالوه على الاستهزاء • قالوا انا بما ارسل به مؤمنون • عدلوا به
عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على
ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال • قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم
به كافرون • على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما
فعقروا الناقة • فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم
وعتوا عن امر ربهم • واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله
فذروها • وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين • فاخذتهم الرجفة •
فاصبحوا فى دارهم جاثمين • خامدين ميتين • روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تبقى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب
وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون • قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار
سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم
لئن فعلت لتؤمنن فقالوا نعم • فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب
اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا
فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو
ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها عنيزة ام غنم وصدقة

بنت

بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يدفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة
واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه
الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين • ظاهره ان توليه عنهم كان بعد
ان ابصرهم جاثمين • ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
او ذكر على سبيل التحسر عليهم • ولوطا • اى وارسلنا لوطا • اذ قال لقومه • وقت قوله
لهم • او واذكر لوطا • واذ بدل منه • اتأتون الفاحشة • توبيخ وتقريع على تلك الفعلة
المتمادية فى القبح • ما سبقكم بها من احد من العالمين • ما فعلها قبلكم احد قط والباء
للتعدية • ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف
مقرر للانكار وكأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء • انكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء • بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ
فى الانكار والتوبيخ • وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف • وشهوة مفعول
له او مصدر فى موقع الحال • وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة • وتنبيه على ان
العاقل ينبغى ان يكون الداعى الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر • بل
انتم قوم مسرفون • اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها
وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ • او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم • او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف • وما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم من قريتكم • اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر
بالاخراج فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون
اى من الفواحش • فانجيناه واهله • اى من آمن به • الا امرأته • استثناء من اهله فانها كانت
تسر الكفر • كانت من الغابرين • من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا • والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا • اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين • روى ان لوطا بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرا
هيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله
وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا • وقيل

قصة صالح

قصة لوط عليه السلام

قصة مدين عليه السلام

خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم • وإلى مدين أخاهم شعيبا • اى
وأرسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال
له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم • يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ما هى
وما روى من محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة
وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع متأخر
عن هذه المقالة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته • فأوفوا الكيل
اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان
كما قال فى سورة هود • أو فأوفوا الكيل ووزن الميزان • ويجوز ان يكون الميزان مصدرا
كالميعاد • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • ولا تنقصوهم حقوقهم • وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير • وقيل كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا الا مكسوه • ولا تفسدوا فى الارض • بالكفر والحيف • بعد اصلاحها
بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع • او اصلحوا فيها والاضافة
اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار • ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين • اشارة
الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه • ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية
وحسن الاحدوثة وجمع المال • ولا تقعدوا بكل صراط توعدون • بكل طريق من
طرق الدين كالشيطان • وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى فى شىء منها منعوه • وقيل كانوا يجلسون على
المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن
آمن به • وقيل كانوا يقطعون الطريق • وتصدون عن سبيل الله • يعنى الذى قعدوا
عليه • فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه
وتقبيحا لما كانوا عليه • او الايمان بالله • من آمن به • اى بالله او بكل صراط على الاول
ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم
وتوعدون بما عطف عليه فى موضع الحال من الضمير فى تقعدوا • وتبغونها عوجا •
وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه • او وصفها للناس بانها معوجة • واذكروا
اذ كنتم قليلا • عددكم او عُددكم • فكثركم • بالبركة فى النسل او المال • وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين • من الامم قبلكم واعتبروا بهم • وان كان طائفة منكم
آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا • فتربصوا • حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين • اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه • قال الملأ الذين

اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين

استكبروا

استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
فى ملتنا • اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر • وشعيب
لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد
فخوطب هو وقومه بخطابهم • وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله • قال أولو كنا
كارهين • اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها • او اتعيدوننا فى حال كراهتنا
قد افترينا على الله كذبا • قد اختلقنا عليه • ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها • شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع
لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل قد لتقريبه من الحال • اى قد افترينا الآن ان هممنا
بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل
وما انتم عليه حق • وقيل انه جواب قسم وتقديره والله قد افترينا • وما يكون لنا
وما يصح لنا • ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا • خذلاننا وارتدادنا • وفيه دليل
على ان الكفر بمشيئة الله تعالى • وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على ما لا
يكون • وسع ربنا كل شىء علما • اى احاط علمه بكل شىء مما كان وما يكون منا ومنكم
على الله توكلنا • فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار • ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق • احكم بيننا وبينهم • والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة • او اظهر امرنا
حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه • وانت خير
الفاتحين • على المعنيين • وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا
وتركتم دينكم • انكم اذا لخاسرون • لاستبدالكم ضلالته بهداكم • او لفوات ما
يحصل لكم بالبخس والتطفيف • وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام
فأخذتهم الرجفة • الزلزلة • وفى سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
فاصبحوا فى دارهم جاثمين • اى فى مدينتهم • الذين كذبوا شعيبا • مبتدأ خبره • كأن لم
يغنوا فيها • اى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها • والمغنى المنزل • الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين • دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم • قاله تأسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال • فكيف آسى على قوم كافرين • ليسوا
اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم • او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه
عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا
قولى فكيف آسى عليكم • وقرئ فكيف ايسى بامالتين • وما ارسلنا فى قرية من نبى الا

اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كى يتضرعوا
ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا عليه من
البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا
يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا للذكر واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء
والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا
فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل
المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما
كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر
فى بياتا اوامن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد
ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون
يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم
يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون
ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ان الشأن لو نشاء لاصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه
بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون
عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى
وطبعنا لانه فى سياق جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع
تفهم واعتبار تلك القرى يعنى قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى
خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن
للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل

الرسل

الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا
حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام
لتأكيد النفى والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته بحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على
قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر
وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد
من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات و
نصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اى علمناهم لفاسقين من وجدت
زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا فى المبتدأ والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم
موسى الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعنى المعجزات
الى فرعون وملئه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها
ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك
فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة
وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأه
نافع فقلب لأمن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان
اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء
لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبى بالباء
وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى
يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال
قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندى ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين فى الدعوى فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل

قصة موسى عليه السلام مع فرعون

معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصى ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي
بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة او بيضاء
للناظرين في جبلتها روى انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت
ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم
فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فامر فحكى
عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون
تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل
ساحر عليم كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير
اى اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك
ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية
ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء
بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل
وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا
يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما
كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده
اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا
وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا
من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم انّ لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد
مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما
القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم
وجاؤا بسحر عظيم في فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت
الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية
فاذا هي تلقف ما يأفكون اى ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه
ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى

او انها كانت بيضاء

برواية ابن ذكوان

بان تخيلوا اليها ما للحقيقة بخلافه

فصارت

فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرا حفص عن عاصم
تلقف ههنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من
السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين اذلاء مبهوتين او رجعوا الى
المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك
او ان الله تعالى الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب
الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى
وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهموا انهم ارادوا به فرعون قال فرعون
امنتم به اى بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص امنتم به على
الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وامنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا
مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين
الثانية قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط
وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين
تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما
لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا
منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم
بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال
واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه
فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال
الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول
الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك
ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال

كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن • وآلهتك • معبوداتك قيل كان
يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك • قال فرعون • سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم • كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه
المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده • وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف • وانا فوقهم قاهرون • غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا • قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا • لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم • ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده • تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله
والتثبت في الامر • والعاقبة للمتقين • وعد لهم بالنصر وتذكير لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له • وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض تحتمل العهد والجنس • قالوا • اي بنو اسرائيل • اوذينا من قبل ان تأتينا • بالرسالة
بقتل الابناء • ومن بعد ما جئتنا • باعادته • قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض • تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله
اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم • وقد روي ان مصر
انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام • فينظر كيف تعملون • فيرى ما تعملون من شكر
وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم • ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين • بالجدوب لقلة الامطار والمياه • والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما
يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا • ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات • لعلهم يذكرون • لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده • فاذا جاءتهم
الحسنة • من الخصب والسعة • قالوا لنا هذه • لاجلنا ونحن مستحقوها • وان تصبهم سيئة
جدب وبلاء • يطيروا بموسى ومن معه • يتشاءمون ويقولون ما اصابتنا الا
بشؤمهم • وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة • فان الشدائد ترقق القلوب
وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل
زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة
وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك
لندورها وعدم القصد بها الا بالتبع • الا انما طائرهم عند الله • اي سبب خيرهم وشرهم
عنده وهو حكمته ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده
فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم • وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع • وقيل هو جمع • ولكن

اكثرهم

اكثرهم لا يعلمون • ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم • وقالوا مهما • اصلها ما
الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير • وقيل
مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب
بفعل يفسره • تأتنا به • اي ايما شيء تحضرنا تأتنا به • من آية • بيان لمهما • وانما سموها
آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا • لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين •
اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ
وانث بعد باعتبار المعنى • فارسلنا عليهم الطوفان • ما طاف بهم وغشي اماكنهم و
حروثهم من مطر وسيل • وقيل الجدري • وقيل الموتان • وقيل الطاعون • والجراد والقمل
قيل وهو كبار القردان • وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها • والضفادع والدم •
روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء
بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم
يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم
اسبوعا فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا
فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم
الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا
اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي
التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في طعامهم
ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن
انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت
فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم
ففزعوا فيه وتضرعوا فاخذ عليهم العهد ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم
ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء
فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه
وقيل سلط الله عليهم الرعاف • آيات • نصب على الحال • مفصلات • مبينات لا يشكل
على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين
شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا • وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد
ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل • فاستكبروا عن الايمان • وكانوا
قوما مجرمين • ولما وقع عليهم الرجز • يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم
بعد ذلك • قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك • بعهده عندك وهو النبوة

أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك، وهو صلة لادع أو
حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عندك، أو متعلق بفعل محذوف
دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك، أو قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد
الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن. فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل
هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق
أو الموت. وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم
فاجؤوا النكث من غير توقف وتأمل فيه. فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم
فأغرقناهم في اليم أي في البحر الذي لا يدرك قعره، وقيل لجته. بأنهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها
حتى صاروا كالغافلين عنها، وقيل الضمير للنقمة المدلول عليه بقوله فانتقمنا. وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ومصر
ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها. التي باركنا فيها بالخصب
وسعة العيش. وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز
عدته إياهم بالنصر والتمكين، وهو قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض
ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين إلى قوله ما كانوا يحذرون. وقرئ كلمات ربك
لتعدد المواعيد. بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد. ودمرنا وخربنا ما كان يصنع
فرعون وقومه من القصور والعمارات. وما كانوا يعرشون من الجنات، أو ما كانوا يرفعون
من البنيان كصرح هامان. وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو بكر يعرشون بالضم. وهذا آخر
قصة فرعون وقومه. وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو
إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وإيقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا
عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم. روي أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء
بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكراً. فأتوا على قوم فمروا عليهم. يعكفون
على أصنام لهم يقيمون على عبادتها، قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل، والقوم
كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم، وقيل من لخم. وقرأ حمزة والكسائي يعكفون
بالكسر. قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً مثالاً نعبده. كما لهم آلهة يعبدونها، وما كافة
للكاف. قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم
بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل. إن هؤلاء إشارة إلى القوم. متبر مكسر مدمر

ماهم

بالاستعباد وذبح الأبناء من تستضعفهم

ما هم فيه يعني أن الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها
رضاضاً. وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله
تعالى، وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما
عملوا بالبطلان، وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبراً لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق
لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيراً وتحذيراً عما طلبوا
قال أغير الله أبغيكم إلهاً أطلب لكم معبوداً. وهو فضلكم على العالمين والحال
أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم، وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص
الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من
مخلوقاته. وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت. وقرأ
ابن عامر أنجاكم. يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين
أو من آل فرعون أو منهما. يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين.
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة. وقرأ
نافع يقتلون بفتح الياء وسكون القاف وضم التاء مخففاً. وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
ذا القعدة، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وعدنا. وأتممناها بعشر من ذي الحجة. فتم
ميقات ربه أربعين ليلة بالغاً أربعين. روي أن موسى عليه السلام وعد بني
إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما
يذرون، فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين، فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله تعالى أن يزيد
عليها عشراً. وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في
العشر وكلمه فيها. وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم
وأصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم، أو كن مصلحاً. ولا تتبع سبيل المفسدين
ولا تتبع سبيل من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه. ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه، واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا. وكلمه ربه
من غير وسط كما يكلم الملائكة، وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين. قال رب أرني
أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك، وهو
دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال
وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله تعالى، ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن
أريك أو لن تنظر إلي تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد

بعده وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها • ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين • والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية • قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك يريد ان يبين له انه لا يطيقه • وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن • والجبل قيل جبل زبير • فلما تجلى ربه للجبل • ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره • وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى راه • جعله دكا • مدكوكا • والدك والدق اخوان كالشك والشق • وقرا حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية • ومنه ناقة دكاء للتى لا اسنام لها • وقرا دكا اى قطعا دكا جمع دكاء • وخر موسى صعقا • مغشيا عليه من هول ما راى • فلما افاق قال • تعظيما لما راى • سبحانك تبت اليك • من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن • وانا اول المؤمنين • مر تفسيره • وقيل معناه وانا اول من امن بانك لا ترى فى الدنيا • قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس • اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع • برسالاتى • يعنى اسفار التورية • وقرا ابن كثير ونافع برسالتى • وبكلامى • وبتكليمى اياك • فخذ ما اتيتك • اعطيتك من الرسالة • وكن من الشاكرين • على النعمة فيه • روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر • وكتبنا له فى الالواح من كل شىء • مما يحتاجون اليه من امر الدين • موعظة وتفصيلا لكل شىء • بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شىء من المواعظ وتفصيل الاحكام • واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه فكان فيها التورية او غيرها • فخذها • على اضمار القول عطفا على كتبنا • او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شىء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات • بقوة • بجد وعزيمة • وامر قومك ياخذوا باحسنها • اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم • او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره • ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء • ساوريكم دار الفاسقين • دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها • او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا ولا تفسقوا • او دارهم فى الاخرة وهى جهنم • وقرى ساوريكم بمعنى سابين لكم من اورثت الزند وساو

ويؤيده قوله واورثنا القوم • ساصرف عن اياتى • المنصوبة فى الافاق والانفس • الذين يتكبرون فى الارض • بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها • وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم • بغير الحق • صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله • وان يروا كل اية • منزلة او معجزة • لا يؤمنوا بها • لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول • وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا • لاستيلاء الشيطنة عليهم • وقرا حمزة والكسائى الرشد بفتحتين • وقرى الرشاد • وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام • وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين • اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات • ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اى ساصرف ذلك الصرف بسببهما • والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة • اى ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله فى الاخرة • حبطت اعمالهم • لا ينتفعون بها • هل يجزون الا ما كانوا يعملون • الا جزاء اعمالهم • واتخذ قوم موسى من بعده • من بعد ذهابه للميقات • من حليهم • التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم • وهو جمع حلى كثدى وثدى • وقرا حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلى • ويعقوب على الافراد • عجلا جسدا • بدنا ذا لحم ودم • او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل • له خوار • صوت البقر • روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا • وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم الها • وقرى جؤار اى صياح • الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا • تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر • والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر • اتخذوه • تكرير للذم • اى اتخذوه الها • وكانوا ظالمين • واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم • ولما سقط فى ايديهم • كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها • وقرى سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها • وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم • وراوا • وعلموا • انهم قد ضلوا • باتخاذ العجل • قالوا لئن لم يرحمنا ربنا • بانزال التورية • ويغفر لنا • بالتجاوز عن الخطيئة • لنكونن من الخاسرين • وقرا حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء • ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا • شديد الغضب • وقيل حزينا • قال بئسما خلفتمونى من بعدى • بئس ما خلفتمونى بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة • او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة • والخطاب لهرون والمؤمنين

والمؤمنين معه • وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم • ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي
او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه • أعجلتم
أمر ربكم • أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته • او عجلتم وعد
ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد
انبيائهم • وألقى الألواح • طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين • روي
ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة
اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام • وأخذ برأس
أخيه • بشعر رأسه • يجره اليه • توهما بانه قصر في كفهم • وهرون كان اكبر منه بثلث
سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل • قال ابن أم • ذكر الام ليرققه
عليه وكانا من اب وام • وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه
يا ابن أم بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء • والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر • ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني • ازاحة لتوهم التقصير في حقه • والمعنى بذلت وسعي
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي • فلا تشمت بي الأعداء • فلا تفعل بي
ما يشمتون بي لأجله • ولا تجعلني مع القوم الظالمين • معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
او نسبة التقصير • قال رب اغفر لي • بما صنعت باخي • ولأخي • ان فرط في كفهم ضم اليه
نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه • وأدخلنا في رحمتك • بمزيد الانعام
علينا • وأنت أرحم الراحمين • فانت ارحم بنا منا على انفسنا • ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب من ربهم • وهو ما امرهم به من قتل انفسهم • وذلة في الحيوة الدنيا •
وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية • وكذلك نجزي المفترين • على الله ولا فرية اعظم من
فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى • ولعله لم يفتر احد مثلها قبلهم ولا بعدهم
والذين عملوا السيئات • من الكفر والمعاصي • ثم تابوا من بعدها • من بعد السيئات
وآمنوا • واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة • ان ربك من بعدها
من بعد التوبة • لغفور رحيم • وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل
ولما سكت • سكن وقد قرئ به • عن موسى الغضب • باعتذار هرون او بتوبتهم وفي
هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري
عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت • وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى
او اخوه • او الذين تابوا • أخذ الألواح • التي ألقاها • وفي نسختها • وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة

بمعنى

بمعنى مفعول كالخطبة • وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة • هدى • بيان للحق • ورحمة • ارشاد
الى الصلاح والخير • للذين هم لربهم يرهبون • دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير
او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصيه لربهم • واختار موسى قومه •
اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه • سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة •
روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب
مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم
موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها • قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي • تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك
قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم او باغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم
بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك • أتهلكنا بما فعل السفهاء
منا • من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها
الله عنهم • ان هي الا فتنتك • ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او
اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به • تضل بها من تشاء • ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايل • وتهدي من تشاء • هداه فيقوى بها ايمانه • انت ولينا • القائم بامرنا • فاغفر لنا •
بمغفرة ما قارفنا • وارحمنا وانت خير الغافرين • تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة • واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة • حسن معيشة وتوفيق طاعة • وفي الآخرة • الجنة • انا هدنا اليك •
تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع • وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا امالة • ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا وأملنا اليك • ويجوز ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض • قال عذابي اصيب به من اشاء • تعذيبه
ورحمتي وسعت كل شيء • في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره • فسأكتبها • فاثبتها
في الآخرة • او فساكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل • للذين يتقون • الكفر والمعاصي
ويؤتون الزكوة • خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم • والذين هم بآياتنا
يؤمنون • فلا يكفرون بشيء منها • الذين يتبعون الرسول النبي • مبتدأ خبره يأمرهم
او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين • او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل
والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم • وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا

ورجفوا
صح

بالاضافة الى العباد. الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه
مع حاله احدى معجزاته. الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل. اسما وصفة
يأمرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات. مما حرم عليهم كالشحوم
ويحرم عليهم الخبائث. كالدم ولحم الخنزير او كالربو والرشوة. ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم. ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص
في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي
يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله. وقرأ ابن عامر آصارهم. فالذين آمنوا به وعزروه
وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير. ونصروه واتبعوا النور
الذي انزل معه. اي مع نبوته يعني القرآن. وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره
مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها. ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي
واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
اولئك هم المفلحون. الفائزون بالرحمة الابدية. ومضمون الآية جواب دعاء موسى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم. الخطاب عام. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم. جميعا. حال من اليكم. الذي له ملك
السموات والارض. صفة لله تعالى وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه
كالمتقدم عليه. او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره. لا اله الا هو. وعلى الوجوه
الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره. وفي يحيي ويميت. مزيد تقرير
لاختصاصه بالالوهية. فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه. وقرئ وكلمته على ارادة الجنس والقرآن
او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه. وانما عدل عن التكلم
الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له. واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه
فهو بعد في خطط الضلالة. ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون. بينهم
بالحكم والمراد به الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم
على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر
وقيل مؤمنو اهل الكتاب. وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فآمنوا به. وقطعناهم. وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض. اثنتي عشرة
اسباطا. مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير. او حال. وتأنيثه للحمل على الامة او
القطعة. امما. اسباطا بدل منه ولذلك جمع. او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة

اسباط

اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة. وقرئ بكسر الشين واسكانها. امما على
الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا. واوحينا الى
موسى اذ استسقيه قومه. في التيه. ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي
فضرب فانبجست. وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه
لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته. منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
مشربهم وظللنا عليهم الغمام. ليقيهم حر الشمس. وانزلنا عليهم المن والسلوى
كلوا. اي وقلنا لهم كلوا. من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون.
سبق تفسيره في سورة البقرة. واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية. باضمار اذكر والقرية
بيت المقدس. وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا. مثل ما في
البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له
ههنا اكتفاء بذكره ثمه او بدلالة الحال عليه. واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر
له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما. نغفر لكم خطاياكم
سنزيد المحسنين. وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة. وانما اخرج الثاني
مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به. وقرأ نافع وابن
عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول. وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه
وحد. وقرأ ابو عمرو خطاياكم. وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالهمزة ورفع التاء من غير الف على
التوحيد. وقرئ نافع كذلك الا انه على الجمع. فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون. مضى تفسيره فيها. واسألهم
للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم
او وحي ليكون لك معجزة عليهم. عن القرية. عن خبرها وما وقع باهلها. التي كانت حاضرة
البحر. قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية
اذ يعدون في السبت. يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت. واذ ظرف لكانت
او حاضرة. او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال. اذ تأتيهم حيتانهم. ظرف
ليعدون. او بدل بعد بدل. وقرئ يعدون. واصله يعتدون. ويعدون من الاعداد
اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة. يوم سبتهم
شرعا. يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم لليوم. والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه. ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم
وقوله. ويوم لا يسبتون لا تأتيهم. وقرئ لا يسبتون من اسبت. ولا يسبتون على البناء
للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت. وشرعا حال من الحيتان. ومعناه ظاهرة على وجه الماء

من شرع علينا اذا دنا واشرف. كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. مثل ذلك البلاء
الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل اتيانهم
يوم السبت والباء متعلق بيعدون. واذ قالت عطف على اذ يعدون. امة منهم
جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم. او معذبهم عذابا شديدا. فى الآخرة لتماديهم
فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه و
كانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من
الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم. قالوا معذرة الى ربكم جواب
للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله تعالى حتى لا ننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ
حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة
ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك. فلما نسوا تركوا ترك الناسى
ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم. انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بالاعتداء ومخالفة امره. بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس
بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون
الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع
بيس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم. فلما عتوا عن ما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تع
وعتوا عن امر ربهم. قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشىء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون. والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب
شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى
روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه
باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم
فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتى انسباءهم وتشم ثيابهم
وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم. واذ تاذن
ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشىء
يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه
وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة. والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على
اليهود. من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد
سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم

كما قلبت فى ذيب او على
انه فعل الذم وصف
به فجعل اسما وقرئ
بيس كريس على
قلب الهمزة ياء
صح

وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر. ان ربك لسريع العقاب
عاقبهم فى الدنيا. وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن. وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم
فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط. وامما مفعول
ثان او حال. منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم
كفرتهم وفسقتهم. وبلوناهم بالحسنات والسيئات اى بالنعم والنقم لعلهم يرجعون
ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه. فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل
سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف
بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورثوا الكتاب
التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها. ياخذون عرض هذا الادنى حطام
هذا الشىء الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى
فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو. ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر
ياخذون. وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة
مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه. الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اى فى الكتاب. ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان
لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله
وخروج عن ميثاق الكتاب. ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير
او على ورثوا وهو اعتراض. والدار الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء. افلا
تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ
نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين. والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ
خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على
ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها
على سائر انواع التمسكات. واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم
واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما اظلك. وظنوا
وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به
وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها

فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول
اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل
مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون
قبايح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من
بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم اى نصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها
وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى
شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننتبه
عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام
على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون
يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى آدم اخرج من ظهره
ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر
رضى الله عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد
هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص
بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر
والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اى عن التقليد
واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذى آتيناه آياتنا هو احد
علماء بنى اسرائيل او امية ابن ابى الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى
مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ
منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه
فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى
ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا
فى التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات
وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هويه
فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيته

الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشية
وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به
كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع
هويه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته
التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر
الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال
والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة
للمبالغة والبيان وقيل لما دعى على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل
يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود
فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم
اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا
بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا
على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما
ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله
فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى
وان هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى
الاول والجمع فى الثانى لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه
على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز
بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعنى المصرين على
الكفر فى علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله
ولهم اعين لا يبصرون بها اى لا ينظرون بها الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون
بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام فى عدم الفقه والابصار
للاعتبار والاستماع للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة
عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها
ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك
هم الغافلون الكاملون فى الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان

هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات ، فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء
وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف
فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم ويا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم
ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على
الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا
عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون ، وقرأ حمزة هنا وفي فصلت
يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ، وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه
يعدلون ، ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه
خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين بالامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه
في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال من امتي طائفة على الحق
الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول صلى الله عليه وسلم او غيره لم يكن لذكره
فائدة فانه معلوم ، والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك
قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة ، من
حيث لا يعلمون ، ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تعالى
بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب ، واملي لهم وامهلهم
عطف على سنستدرجهم ، ان كيدي متين ، ان اخذي شديد وانما سماه كيدا
لان ظاهره احسان وباطنه خذلان ، اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه
الصلوة والسلام ، من جنة ، من جنون روي انه عليه الصلوة والسلام صعد على
الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات
يهوت الى الصباح فنزلت ، ان هو الا نذير مبين ، موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر
اولم ينظروا ، نظر استدلال ، في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما
يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة
مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه ، وان عسى ان
يكون قد اقترب اجلهم ، عطف على ملكوت ، وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمه
ضمير الشان وكذا اسم يكون ، والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب ، فبأي حديث
بعده ، اي بعد القرآن ، يؤمنون ، اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان ، كأنه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر ، وقيل هو متعلق بقوله تعالى
عسى ان يكون ، كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وما

ذا

ذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به
وقوله ، من يضلل الله فلا هادي له ، كالتقرير والتعليل له ، ويذرهم في طغيانهم ، بالرفع على
الاستيناف ، وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى من يضلل الله ، وحمزة والكسائي
به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهديه احد غيره ويذرهم ، يعمهون ، حال
منهم ، يسئلونك عن الساعة ، اي عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ، ايان مرسيها ، متى
ارساؤها اي اثباتها ، ورسو الشيء ثباته واستقراره ، ومنه رسا الجبل وارسى السفينة ،
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل ، قل انما علمها
عند ربي ، استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، لا يجليها لوقتها ، لا يظهر
امرها في وقتها ، الا هو ، والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ، واللام
للتوقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ، ثقلت في السموات والارض ، عظمت
على اهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها ، لا تأتيكم الا بغتة ،
فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ، يسئلونك
كأنك حفي عنها ، عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن
الشيء والبحث عنه استحكم علمه ، ولذلك عدي بعن ، وقيل هي صلة يسئلونك ، وقيل هي
من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
والمعنى يسئلونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها ، وقيل معناه
كأنك حفي بالشيء اذا فرح بالسؤال عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر
الله بعلمه ، قل انما علمها عند الله ، كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة و
المبالغة ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه ، قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا ، جلب نفع ولا دفع ضرر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم
بالغيوب ، الا ما شاء الله ، من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ، ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ، ان انا الا نذير وبشير ، وما انا الا عبد مرسل للانذار
والبشارة ، لقوم يؤمنون ، فانهم المنتفعون بهما ، ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير و
متعلق النذير محذوف ، هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، هو آدم عليه السلام ، وجعل
منها ، من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا
زوجها ، حواء ، ليسكن اليها ، ليأنس بها ويطمئن اليها اطمينان الشيء الى جزئه او جنسه

والما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب • فلما تغشيها اى جامعها • حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه ما يلقى الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة • فمرت
به • فاستمرت به وقامت وقعدت • وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور
وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به • فلما اثقلت • صارت
ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها • وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها به • دعوا الله ربهما
لئن اتيتنا صالحا • ولدا سويا قد صلح بدنه • لنكونن من الشاكرين • لك على هذه النعمة
المجددة • فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتيهما • اى جعل اولادهما له شركاء
فيما اتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى • فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون • يعنى الاصنام • وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها
ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك
وذكرت لادم عليه السلام فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله
ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق وكان اسمه حارثا فى الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث
بالانبياء • ويحتمل ان يكون الخطاب لال قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها
زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله تعالى الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار • ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما • وقرا نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء
وهم ضمير الاصنام جئ بهم على تسميتهم اياها الهة • ولا يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم
ولا انفسهم ينصرون • فيدفعون عنها ما يعتريها • وان تدعوهم الى الهدى • اى الاسلام
لا يتبعوكم • وقرا نافع بالتخفيف وفتح الباء • وقيل الخطاب للمشركين • وهم ضمير الاصنام اى المشركين
اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله • سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون • وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من
حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم • فكانه قال سواء
عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم • ان الذين تدعون من دون
الله • اى تعبدونهم وتسمونهم الهة • عباد امثالكم • من حيث انها مملوكة مسخرة • فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين • انهم الهة • ويحتمل انهم لما نحتوها بصور
الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال • الهم ارجل يمشون بها ام
لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها • وقرئ ان الذين

بتخفيف

بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله • ويبطشون بالضم ههنا
وفى القصص والدخان • قل ادعوا شركاءكم • واستعينوا بهم فى عداوتى • ثم كيدون • فبالغوا
فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم • فلا تنظرون • فلا تمهلون فانى لا ابالى بكم لوثوقى
على ولاية الله وحفظه • ان وليى الله الذى نزل الكتاب • القرآن • وهو يتولى الصالحين
اى ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه • والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون • من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم • وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • يشبهون الناظرين
اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه • خذ العفو • اى خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد • او خذ العفو عن المذنبين
او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة • وامر بالعرف • المعروف المستحسن
من الافعال • واعرض عن الجاهلين • فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم ومثل افعالهم وهذه الاية
جامعة لمكارم الاخلاق وامرة للرسول عليه السلام باستجماعها • واما ينزغنك من الشيطان
نزغ • ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب
وفكرة • والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا
بغرز السائق ما يسوقه • فاستعذ بالله انه سميع • يسمع استعاذتك • عليم • يعلم
ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه • او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها
مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان • ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان • لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم
يقدر ان يؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا • وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى
ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره • تذكروا • ما امر الله به ونهى عنه • فاذا هم مبصرون • بسبب التذكر
مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير
لما قبلها وكذا قوله • واخوانهم يمدونهم • اى اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم
الشياطين • فى الغى • بالتزيين والحمل عليه • وقرئ يمدونهم من امد • ويمادونهم كانهم يعينونهم
بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال • ثم لا يقصرون • لا يمسكون
عن اغوائهم حتى يردوهم • ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون
كالمتقين • ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على
ما هو له • واذا لم تاتهم باية • من القرآن او مما اقترحوه • قالوا لولا اجتبيتها • هلا
جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه • او هلا طلبتها من الله تعالى • قل انما اتبع ما يوحى

الى من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا بصائر
للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها
فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له فظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن
مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على
المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما
او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي تضرعا
وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون
الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ
والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين
عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره
وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويلتى امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف
جعل الله تعالى يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم عليه السلام شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال اي الغنائم
يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي به ما يشرطه
الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص
بهما يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يامره الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي
وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد
بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي

واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ علنفال
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اي
يسئلك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات
بينكم الحالة التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتسليم امره الى الله
تعالى وتسليم امره الى الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم واطيعوا الله ورسوله
فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان
كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين
بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت
اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان
النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول الايمان يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه
امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة
والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا
لهم درجات عند ربهم كرامات وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم
ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي
امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحال
في كراهتهم له او صفة مصدر للفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال تثبت
لله والرسول مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما
خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم واموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وسلم لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل
ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق

بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال الا يرضى
رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو
ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادي ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما
قريشا فاستشار فيه اصحابه رضي الله عنهم فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأ
هب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد
اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو
امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم
وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حين يتصل الى ديارهم فتخوف ان
لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا
يا رسول الله قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم
وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو
في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما و
عدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق اي في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه السلام
كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت
وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة
وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل
عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير

انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا صح

فانه

فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم
وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته
ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته
ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا
مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل
الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها
ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق
الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص لهم من القتال اخذوا يقولون
اي رب انصرنا على عدوك واغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه عليه السلام فقال ابو بكر رضي الله عنه
يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني
ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول
او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين
المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبينه المشهور ان المراد بالالف الذي كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل
عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم
وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر
منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع
بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن

كثير وابو عمرو ويغشاكم النعاس بالرفع أمنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار
المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة
فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما
غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله تعالى لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان
يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من
السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان
يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم
تصلون محدثين ومجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله فاشفقوا
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه
الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله تعالى بهم
ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم
وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء الوحي مجراه فثبتوا
الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في
قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم
قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان
قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال لهم
قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا
منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى
الضرب او الامر به والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد من المخاطبين قبل
بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من
المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد
لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره

مثل

مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم
او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه
موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على
الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم
كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع
على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم
او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب
زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد
الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم
من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا
متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف
لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه
في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء
الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه
جبريل وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها
وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت
والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم وما رميت يا محمد رميا
توصله الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى
اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت
ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ
رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف
يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن

فاصاب لبابة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم
نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الايات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود
او الرمي ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء
المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين
وخير المنزلتين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته ولن تغني ولن تدفع عنكم
فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين
كان ذلك وقيل الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا
عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وان
تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حين كثرتكم اذا لم يكن الله تعالى
معكم بالنصر فانه تعالى مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فان المراد
من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه
على ان طاعة الله تعالى في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون
القران والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة
والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون
راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق
البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به
وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات
لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا
به او ارتدوا بعد [redacted] القبول وهم معرضون لعنادهم وكانوا يقولون للنبي صلى
الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى

التصديق والقبول

لاسمعهم

لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم
وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم روي انه
عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي
قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا
لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية
فانها حيوة القلب والجهل موته وقال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه
صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين
قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير
مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته
وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى
الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين
اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد
على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على ان معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم
خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى
النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام
واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا
لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض
للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا
ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة
تستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة لانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس
والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا

معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم
من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم
روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوا
نهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد
بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا
عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة
لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب
على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة
من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر
عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين
الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمن واذلال الكافرين او مخرجا
من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر
لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم
عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر
اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته

لا

لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبّتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك
او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار و
مبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة
شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا
فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال
بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن
غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رأيه فاتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا
رضي الله عنه على مضجعه فخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله
برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر
وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم وقتلوا والله خير الماكرين لا يؤبه بمكرهم
دون مكره واسناد امثال هذا مما يصلح للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من
ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا قول
النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم
وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره صلى الله عليه وسلم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ
لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام
ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه
السلام ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر
الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين
والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله
لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذ
بهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف

بهم

في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلى الله
عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما
استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون • وما لهم الا يعذبهم الله
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون • وهم يصدون عن المسجد الحرام
وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم
عام الحديبية • وما كانوا اولياءه • مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء • ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره • وقيل الضميران لله • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان لا ولاية
لهم عليه كأنه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وما كان صلوتهم عند البيت • اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة • او ما يضعون موضعها
الا مكاء • صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر • وقرئ بالقصر كالبكا • وتصدية • تصفيقا
تفعلة من الصدى او من صد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء • وقرئ صلوتهم بالنصب
على انه الخبر المقدم لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد
فانها لا تليق بمن هذه صلوته • روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون • وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله
عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا • فذوقوا العذاب • يعني
القتل والاسر يوم بدر • وقيل عذاب الآخرة • واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا
بعذاب اليم • بما كنتم تكفرون • اعتقادا وعملا • ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله • نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد
منهم عشر جزر • او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب
وانفق عليهم اربعين اوقية • او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا
المال على حرب محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه
واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم • فسينفقونها • بتمامها • ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد • ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد • ثم تكون عليهم حسرة • ندما وغما لفوتها
من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة • ثم يغلبون • آخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك • والذين كفروا • اي الذين ثبتوا على كفرهم منهم اذ اسلم
بعضهم • الى جهنم يحشرون • يساقون • ليميز الله الخبيث من الطيب • الكافر من المؤمن

او

او الفساد من الصلاح • واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون • او ما انفقه المشركون في
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته • واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة • وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا • فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكموا
لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين • فيجعله
في جهنم كله • اولئك • اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث • او الى المنفقين
هم الخاسرون • الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم • قل للذين كفروا
يعني ابا سفيان واصحابه • والمعنى قل لاجلهم • ان ينتهوا • عن معاداة الرسول بالدخول
في الاسلام • يغفر لهم ما قد سلف • من ذنوبهم • وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى • وان يعودوا • الى قتاله • فقد مضت سنت الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك • وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة • لا يوجد فيهم شرك • ويكون الدين كله لله • وتضمحل عنهم
الاديان الباطلة • فان انتهوا • عن الكفر • فان الله بما يعملون بصير • فيجازيهم على
انتهائهم عنه واسلامهم • وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد
والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب
وان تولوا • ولم ينتهوا • فاعلموا ان الله مولاكم • ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى • لا يضيع من تولاه • ونعم النصير • لا يغلب من نصره • واعلموا انما غنمتم
اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا • من شيء • مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط • فان لله خمسه
مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه • وقرئ فان لله بالكسر والجمهور على ان ذكر الله
للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه • وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل • فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف
الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما • وقيل الى الامام
وقيل الى الاصناف الاربعة • وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته و
صار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية • وعن مالك الامر فيه مفوض الى الامام يصرفه
الى ما يراه اهم • وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى
الكعبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي
على خمسة • وقيل سهم الله لبيت المال • وقيل مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم

وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه صلى الله عليه وسلم قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما
نحن وهم بمنزلة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك
بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل
هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين
وابن السبيل من كان منهم فالعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني
قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين من الهجرة ان كنتم
آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل
الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به
لم يرد منه العلم المجرد لانه المقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على
عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بالضمتين
اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى
الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير
والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات
الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء
كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من
القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل
وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة
العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا
ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد
اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم
ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها

ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر
من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على
استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله
لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر
باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك
في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات
والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات
الصدور يعلم ما سيكون فيها وما تغير من احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين
حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة
جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم
حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات
تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره
لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا
اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا
يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان
لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا

جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ • وتذهب ريحكم بالجزم
والذيح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها
في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح
يبعثه الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور • واصبروا
ان الله مع الصابرين • بالكلالة والنصر • ولاتكونوا كالذين خرجوا •
من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير • بطرا فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة
وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله
حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا
من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهوا المؤمنين
ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص
من حيث ان النهى عن الشيء امر بضده • ويصدون عن سبيل الله معطوف
على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل
المصدر • والله بما يعملون محيط • فيجازيكم عليه • واذ زين لهم الشيطان
مقدر باذكر • اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم • وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانيه والمعنى انه القى
في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم
انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس
صلته والا لانتصب كقولك لاضاربا زيدا عندنا • فلما تراءت الفئتان
اى تلاقى الفريقان • نكص على عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد
ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم • وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله • اى تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم
لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجمعت قريش على المسير
ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم
ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني
مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث
بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون
ودفع في صدر الحارث فانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم

الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا فعلموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله
اني اخاف الله اى اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لا يرى قبل والاول ما قال الحسن
واختاره ابن بحر • والله شديد العقاب • يجوز ان يكون من كلامه
وان يكون مستانفا • اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض • والذين
لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل
المنافقون والعطف لتغاير الوصفين • غر هؤلاء يعنون المؤمنين • دينهم
حتى تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف
ومن يتوكل على الله • جواب لهم • فان الله عزيز • غالب لا يذل من استجار به
وان قل • حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه
ولو ترى • ولو رايت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان • اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة • ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة
او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء
ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره • يضربون وجوههم
والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول
حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين • وادبارهم ظهورهم
واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر • وذوقوا
عذاب الحريق • عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا
التهب النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله • ذلك • الضرب
والعذاب • بما قدمت ايديكم • بسبب ما اكتسبتم من الكفر والمعاصي
وهو خبر لذلك • وان الله ليس بظلام للعبيد • عطف عليه للدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمام اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا
ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد
كداب ال فرعون • اى دابهم مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى
دابوا فيه اى داموا عليه • والذين من قبلهم من قبل ال فرعون • كفروا
بايات الله • تفسير لدابهم • فاخذهم الله بذنوبهم • كما اخذ هؤلاء • ان الله

قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ٥ ذلك ٥ اشارة الى ما حل
بهم ٥ بان الله ٥ بسبب ان الله ٥ لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم ٥ مبدلا اياها
بالنعمة ٥ حتى يغيروا ما بانفسهم ٥ يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوء كتغير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعادات الرسول
ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى
غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى
يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى تغيروا حالهم
واصل يك يكون فحذف الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون
لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا ان الله سميع لما يقولون عليم ٥ بما يفعلون
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون ٥ تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات
ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني
والثاني لتشبيه التغيير للنعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل ٥ من الغرقى
المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش ٥ كانوا ظالمين ٥ انفسهم بالظلم
والمعاصي ٥ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ٥ اصروا على الكفر
ورسخوا فيه ٥ فهم لا يؤمنون ٥ فلا يتوقع منهم الايمان ولعله اخبار عن قوم
مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق
المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله ٥ الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ٥ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان
والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالئوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة والمحاربة
وهم لا يتقون ٥ سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره
على المؤمنين وتسليطه عليهم ٥ فاما تثقفنهم ٥ فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم ٥ في الحرب فشرد بهم ٥ ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية
فيهم من خلفهم ٥ من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب
وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء ٥ واما تخافن

من قوم

من قوم ٥ معاهدين ٥ خيانة ٥ نقض عهد بامارات تلوح لك ٥ فانبذ
اليهم ٥ فاطرح عليهم عهدهم ٥ على سواء ٥ على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم
بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على وجه الاول اي ثابتا على طريق
سوي او منه او من المنبوذ او منهما على غيره وقوله ٥ ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
الاستيناف ولا تحسبن ٥ خطاب للنبي وقوله ٥ الذين كفروا سبقوا ٥
مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد
او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على
تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف
او على ايقاع الفعل على ٥ انهم لا يعجزون ٥ بالفتح على قراءة ابن عامر وان
لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي
اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف
ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقد نزلت فيمن
افلت من فل المشركين ٥ واعدوا ٥ ايها المؤمنون ٥ لهم ٥ لناقضي العهد او الكفار
ما استطعتم من قوة ٥ من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر
سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه
السلام خصه بالذكر لانه اقواه ٥ ومن رباط الخيل ٥ اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا
ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرائيل وميكائيل
على الملائكة ٥ ترهبون به ٥ تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد
والضمير لما استطعتم او للاعداد ٥ عدو الله وعدوكم ٥ يعني كفار مكة
وآخرين من دونهم ٥ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون
وقيل الفرس ٥ لا تعلمونهم ٥ لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم ٥ يعرفهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ٥ جزاؤه ٥ وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل ونقص الثواب وان جنحوا ٥ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى
باللام والى ٥ للسلم ٥ للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها

وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ
منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك
من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسخها اية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك وكافيك
قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع
ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام
بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات
بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله
الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء
انه عزيز تام القدرة والغلبة ما يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم
انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم
احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف
بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبى حسبك الله
كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما فى محل النصب على المفعول معه
كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا
او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك
الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى
ثلاثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن
عباس نزلت فى اسلامه يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال بالغ
فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت
وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط بمعنى الامر بمصابرة
الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا
ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الايتين ووافقهم البصريان فى وان تكن

منكم

منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون
ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون
من الله الا الهوان والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف
عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف
عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل
والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها وفيها لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله
مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبى وقرئ للنبى
على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن فى الارض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله
من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون
عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة يريد لكم ثواب الاخرة
او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار
المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب
اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت
الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك
واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك
وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكنى
من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو
ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان
الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم
قال عليه السلام فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا
الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال

ابکی علی اصحابك فی اخذهم الفداء ولقد عرض علی عذابهم ادنی من هذه
الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل علی ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون
خطا ولكن لا يقرون ○ لولا كتاب من الله سبق ○ لا حكم من الله سبق
اثباته فی اللوح وهو ان لا يعاقب المخطی فی اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما
بما لم يصرح لهم بالنهی عنه او ان الفدية التی اخذوها ستحل لهم ○ لمسكم ○ لنالكم
فيما اخذتم ○ من الفداء ○ عذاب عظيم ○ روی انه عليه السلام قال لو نزل العذاب
لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان
فكلوا مما غنمتم ○ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا من
الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم
فكلوه وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة ○ حلالا
حال من المغنوم او صفة للمصدر ای اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع
فی نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه
بقوله ○ طيبا واتقوا الله ○ فی مخالفته ○ ان الله غفور ○ غفر لكم ذنبكم رحيم
اباح لكم ما اخذتم ○ يا ايها النبی قل لمن فی ايديكم من الاسری ○ وقرا ابو عمرو
من الاساری ○ ان يعلم الله فی قلوبكم خيرا ○ ايمانا واخلاصا ○ يؤتكم خيرا مما
اخذ منكم ○ من الفداء روی انها نزلت فی العباس كلفه رسول الله ان يفدی
نفسه وابنی اخويه عقيل ابن ابی طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتنی اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه السلام فاين الذهب الذی
دفعته الی ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انی لا ادری ما يصيبنی
فی وجهی هذا فان حدث بی حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
وقثم فقال وما يدريك قال اخبرنی به ربی تعالى قال اشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك لرسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفعته اليها فی سواد الليل قال العباس فابدلنی الله خيرا من ذلك لی الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فی عشرين الفا واعطانی زمزم ما احب
ان لی بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنی الموعود بقوله
ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا ○ يعنی الاسری ○ خيانتك ○ نقض
ما عاهدوك ○ فقد خانوا الله ○ بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل
من قبل فامكن منهم ○ ای فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الی الخيانة
فيمكنك منهم ○ والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون

عليه السلام

هاجروا

هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها فی
الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم فی سبيل الله بمباشرة
القتال ○ والذين آووا ونصروا ○ هم الانصار آووا المهاجرين الی ديارهم
ونصروهم على اعدائهم ○ اولئك بعضهم اولياء بعض ○ فی الميراث وكان
المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتی نسخ
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولی ببعض او بالنصرة والمظاهرة ○ والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شیء حتی يهاجروا ○ ای من توليهم
فی الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا ○ وان استنصروكم فی الدين
فعليكم النصر ○ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين ○ الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق ○ عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم ○ والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ○ فی الميراث والموازرة وهو بمفهومه
يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين ○ الا تفعلوه ○
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولی بعضكم لبعض حتی فی التوارث
وقطع العلائق بينكم وبين الكفار ○ تكن فتنة فی الارض ○ يحصل فتنة فيها
عظيمة وهی ضعف الايمان وظهور الكفر ○ وفساد كبير ○ فی الدين وقری كثير
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فی سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك
هم المؤمنون حقا ○ لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين
فی الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد
وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم
لا تبعة لهم ولا منة فيه ثم الحق بهم فی الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم
فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم
ای من جملتكم ايها المهاجرون والانصار ○ واولوا الارحام بعضهم اولی
ببعض ○ فی التوارث من الاجانب ○ فی كتاب الله ○ فی حكمه او فی اللوح
او فی القران واستدل به على توريث ذوی الارحام ○ ان الله بكل شیء عليم
من المواريث والحكمة فی اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبی عليه السلام من قرا سورة الانفال فانا شفيع
له يوم القيمة وشاهد انه بریء من النفاق واعطی عشر حسنات بعدد كل
منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة براءة مدنية وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي اخر
ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة
والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة
وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي
تبرية منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وايها مائة وثلاثون وقيل
تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله
امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية
بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل
لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال
او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله ۝ بَرَاءَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ ۝
هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله
ويجوز ان يكون براءة لتخصيصها بصفتها والخبر ۝ اِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله برئا من العهد الذي
عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة
باذن الله واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي
العرب فنكثوا الا اناسا منهم من بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد
الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال
فسيحوا في الارض اربعة اشهر ۝ شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم
لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع
الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها
لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء
ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت
بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنى علي سمع ابو بكر الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال
مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام
علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله

اليكم

اليكم فقال لوا بما ذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني
ليس على العموم فانه بعث عليه السلام لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته
بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة
الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل
من اهلي ۝ واعلموا انكم غير معجزي الله ۝ لا تفوتونه وان امهلكم ۝ وان الله مخزي
الكافرين ۝ بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة ۝ واذان من الله ورسوله
الى الناس ۝ اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة
على الوجهين ۝ يوم الحج الاكبر ۝ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم
افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند
الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع
في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز
المسلمين وذل المشركين ۝ اَنَّ اللّٰهَ ۝ اي بان الله ۝ بريء من المشركين ۝ اي من عهودهم
وَرَسُولُهُ ۝ عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها
اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى
مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ۝ فان تبتم ۝ من الكفر
والغدر ۝ فهو ۝ فالتوبة ۝ خير لكم وان توليتم ۝ عن التوبة او ثبتم على التولي عن
الاسلام والوفاء ۝ فاعلموا انكم غير معجزي الله ۝ لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا
في الدنيا ۝ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ ۝ في الاخرة ۝ الا الذين عاهدتم
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان
امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ۝ ولم يظاهروا عليكم
احدا ۝ من اعدائكم ۝ فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ۝ الى تمام مدتهم ولا تجروهم
مجرى الناكثين ۝ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم
من باب التقوى ۝ فاذا انسلخ ۝ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه

من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو
القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف بالاجماع فانه يقتضي بقاء
حرمة الاشهر الحرام اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ
الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
فان تابوا من الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا
لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم لا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك
وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله
غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف
ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم
استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ثم ابلغه مامنه موضع امنه
ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك الامن والامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة
ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع غرة صدرهم او لان يفي
الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين
او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على
الاخير حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او
الجر على البدل والرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم
منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا
اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية او المصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد وبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله
خبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات

وان يظهروا

وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم الا حلفا
وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل
ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا تعقده
الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الل الشيء اذا حدده او من ال
البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئل ولا ذمة
عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان
حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز
جعله حالا من فاعل لا يرقبون فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعادات بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم
ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم
ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي من الغدر
والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله عن دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار
والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون
عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهو خاص بالذين اشتروا وهم اليهود
او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم
فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم
يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال
التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم فان نكثوا ما بايعوا عليه
من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح
الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير
للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل
وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به
او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر والكسائي وروح عن يعقوب

ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل واظهار الياء لحن وقرأ هشام بادخال
الف بين الهمزتين وروى عنه ايضا بخلاف ذلك ۝ انهم لا ايمان لهم ۝ اى لا
ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن
فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا
وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان
نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان والاسلام وتشبثت به من
لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله ۝ لعلهم ينتهون ۝ متعلق بقاتلوا
اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو
طريقة الموذين ۝ الا تقاتلون قوما ۝ تحريض على القتال لان الهمزة دخلت
على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل ۝ نكثوا ايمانهم ۝ التى حلفوها
مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة ۝
وهموا باخراج الرسول ۝ حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على ما ذكر
فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود ونكثوا عهد الرسول وهموا
باخراجه من المدينة ۝ وهم بدؤكم اول مرة ۝ بالمعادات والمقاتلة لانه
عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته
الى المعادات والمقاتلة فما يمنعكم ان يعارضوهم وتصادموهم ۝ اتخشونهم ۝
اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم ۝ فالله احق ان تخشوه ۝
فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ۝ ان كنتم مؤمنين ۝ فان قضية الايمان
ان لا يخشى الا منه ۝ قاتلوهم ۝ امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه
والتوعيد ۝ يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ۝ وعدلهم ان قاتلوهم
عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ۝ ويشف صدور قوم مؤمنين ۝ يعنى
خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها
اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان
الفرج قريب ۝ ويذهب غيظ قلوبهم ۝ لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم
والاية من المعجزات ۝ ويتوب الله على من يشاء ۝ ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه
من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم
اخرين ۝ والله عليم ۝ بما كان وما سيكون ۝ حكيم ۝ لا يفعل ولا يحكم الا على

وفى

وفى الحكمة ۝ ام حسبتم ۝ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ۝ ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ۝ ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث
ان تعلق العلم مستلزم لوقوعه ۝ ولم يتخذوا ۝ عطف على جاهدوا داخل
فى الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ۝ بطانة يوالونهم
ويفشون اليه اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك
متوقع ۝ والله خبير بما تعملون ۝ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله ۝ ما كان للمشركين ۝ ما صح لهم ۝ ان يعمروا مساجد
الله ۝ شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه
قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو
ويعقوب بالتوحيد ۝ شاهدين على انفسهم بالكفر ۝ باظهار الشرك وتكذيب
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك
وقطيعة الرحم واغلظ على رضى الله عنه فى القول فقال لما لكم تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى
فنزلت ۝ اولئك حبطت اعمالهم ۝ التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك ۝ وفى
النار هم فيها خالدون ۝ لاجله ۝ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
واقام الصلوة وآتى الزكوة ۝ انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات
العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة
العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم
زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه
الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ۝ ولم يخش الا
الله ۝ اى فى ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل
يتمالك عنها ۝ فعسى ان يكونوا من المهتدين ۝ ذكره بصيغة التوقع قطعا
لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع فانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك

باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها ۝ اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او جعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن
ويؤيد الاول قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه
المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ۝ لا يستوون عند الله ۝
وبين عدم تساويهم بقوله ۝ والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ اى الكفرة ظلمة
بالشرك ومعادات الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين
هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم
وبين المؤمنين ۝ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله ۝ اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم ۝ واولئك هم الفائزون ۝ بالثواب ونيل
الحسنى عند الله دونكم ۝ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
في الجنان ۝ نعيم مقيم ۝ دائم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به
اسعار بانه وراء التعيين والتعريف ۝ خالدين فيها ابدا ۝ اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ۝ ان الله عنده اجر عظيم ۝ يستحقر دونه
ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم اولياء ۝ نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا
قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين وقيل
نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ۝ ان استحبوا
الكفر على الايمان ۝ ان اختاروه وحرضوا عليه ۝ ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون ۝ لوضعهم الموالات في غير موضعها ۝ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ۝ اقرباؤكم ماخوذة من العشرة وقيل
من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشائركم ۝ واموال اقترفتموها ۝ اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها ۝ فوات وقت نفاقها ۝ ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله ۝ الحب الاختياري دون الطبيعي فانه
لا يدخل تحت التكليف للتحفظ عنه ۝ فتربصوا حتى ياتي الله بامره ۝ جواب

ووعيد

ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة ۝ والله لا يهدي
القوم الفاسقين ۝ لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ۝ يعني الحرب وهي مواقعها ۝ ويوم حنين
وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت
كمقتل الحسين ولا يمنع ابداله قوله ۝ اذ اعجبتكم كثرتكم ۝ منه ان يعطف على موضع
في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم
واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة وطائف حارب فيه
رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال
النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم
واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا
بلجامه وابن عمه ابي سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته
فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة
فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا
من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ۝ فلم تغن عنكم شيئا ۝
من الاغناء او من امر العدو ۝ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ۝ برحبها
اى سعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون
فيها كمن لا يسعه مكانه ۝ ثم وليتم ۝ الكفار ظهوركم ۝ مدبرين ۝ منهزمين
والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ۝ ثم انزل الله سكينته ۝ رحمته
التي سكنوا بها وامنوا ۝ على رسوله وعلى المؤمنين ۝ الذين انهزموا واعادة
الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا
وانزل جنودا لم تروها ۝ باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية
آلاف او ستة عشر على اختلاف الاقوال ۝ وعذب الذين كفروا ۝ بالقتل
والاسر والسبي ۝ وذلك جزاء الكافرين ۝ اى ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ۝ منهم بالتوفيق للاسلام ۝ والله
غفور رحيم ۝ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول
الله واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا

واخذت اموالنا وقد سبى يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال اختاروا اما سبايكم وما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان في يده سبى وطابت نفسه ان يرده
فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم
فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا ٥ يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس
لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم
لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه
دليل على ان ما الغالب نجاسة نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة
كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد فى كبد واكثر ما جاء
تابعا لرجس ٥ فلا يقربوا المسجد الحرام ٥ لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن
الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقاس مالك ساير المساجد
على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد
عامهم هذا ٥ يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ٥
وان خفتم عيلة ٥ فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم
من المكاسب والارزاق ٥ فسوف يغنيكم الله من فضله ٥ من عطائه او تفضله
بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا او وفق اهل تبالة
وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض وقرئ عايلة على انها مصدر كالعافية او حال
ان شاء ٥ قيد بالمشية لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل فى ذلك
وان المغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ٥ ان الله عليم
باحوالكم حكيم ٥ فيما يعطى ويمنع ٥ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر ٥ اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى اول البقرة فايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ٥ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل
رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ
اعتقادا وعملا ٥ ولا يدينون دين الحق ٥ الثابت الذى هو ناسخ ساير
الاديان ومبطلها ٥ من الذين اوتوا الكتاب ٥ بيان للذين لا يؤمنون

حتى

حتى يعطوا الجزية ٥ ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه
اذا قضاه عن يد ٥ حال من الضمير اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم
بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل
فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقراء او عن يد قاهرة عليهم
بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام
عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة ٥ وهم صاغرون ٥ اذلاء وعن ابن
عباس يؤخذ الجزية من الذمى ويوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضى تخصيص
الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من
المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان النبى عليه السلام اخذها من مجوس
هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا يؤخذ منها الجزية عندنا وعند ابى ح
رحمه الله يؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه السلام
صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك يؤخذ من كل كافر الا
المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة
على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شئ على فقير غير كسوب ٥ وقالت اليهود عزير ابن الله ٥ انما قاله
بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم
بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام
املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع
تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على انه
عربى مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه
للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين
او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف
لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر ٥ وقالت النصارى المسيح
ابن الله ٥ هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون له ولد
بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ٥ ذلك قولهم بافواههم ٥ اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم
ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل

الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان. يضاهون قول الذين
كفروا. اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه. من قبل. اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى
والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرا به عاصم ومنه قولهم امراة ضهيأ
على فعيل التي شابهت الرجال في انها لا تحيض. قاتلهم الله. دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم. انى يؤفكون. كيف يصرفون
عن الحق الى الباطل. اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله. بان اطاعوهم
في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم. والمسيح ابن مريم.
بان جعلوه ابنا لله. وما امروا. وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون
كالدليل على بطلان الاتخاذ. الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا. وهو الله تعالى
واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله
لا اله الا هو. صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد. سبحانه عما يشركون.
تنزيه له عن ان يكون له شريك. يريدون ان يطفئوا. يخمدوا. نور الله. حجته
الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم. بافواههم. بشركهم او تكذيبهم. ويابى الله. لا يرضى. الا ان يتم نوره.
باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث
في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب
لانه في معنى النفي. ولو كره الكافرون. محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. كالبيان
لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر. ولو كره المشركون. غير انه
وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين
للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم. يا ايها الذين
آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل.
ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه
ويصدون عن سبيل الله. دينه. والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله. يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان

فيكون

فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين
من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي
الله عنه لرسول الله فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي
من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد
عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه
واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح
من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره. فبشرهم بعذاب اليم. هي بهما يوم
يحمى عليها في نار جهنم. يوم يوقد النار ذات حمي شديد عليها واصله يحمى
بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير
وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي
رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا
ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب
اولى بهذا الحكم. فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. لان جمعهم
وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها
اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي
الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن
ومآخره وجنبتاه. هذا ما كنزتم. على ارادة القول. لانفسكم. لمنفعتها
وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها. فذوقوا ما كنتم تكنزون. اي وبال
كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون. ان عدة الشهور. اي مبلغ
عددها. عند الله. معمول عدة لانه مصدر. اثنا عشر شهرا في كتاب الله.
في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله. يوم خلق
السموات والارض. متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل
مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة

منها اربعة حرم ٥ واحد فرد وهو رجب وثلاث سرد ذوا القعدة وذو
الحجة والمحرم ٥ ذلك الدين القيم ٥ اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما ٥ فلا تظلموا
فيهن انفسكم ٥ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمتها
لمقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس ان يغزوا
في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه عليه السلام
حاصر الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة ٥ وقاتلوا المشركين
كافة كما يقاتلونكم كافة ٥ جميعا وهو مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال ٥ واعلموا ان الله مع المتقين ٥ بشارة
وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم ٥ انما النسئ ٥ اى تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر
كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى
رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد عن نافع انما النسى بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء في الياء وقرئ النسى بحذفها والنسا والنساء والنسئ
وثلاثتها مصادر نساه اذا اخره ٥ زيادة في الكفر ٥ لانه تحريم ما احله الله
وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم ٥ يضل به الذين كفروا ٥ ضلالا زائدا
وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل
على ان الفعل لله يحلونه عاما ٥ يحلون المنسى من الاشهر الحرم سنة ويحرمون
مكانه شهرا اخر ٥ ويحرمونه عاما ٥ فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث
ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي آلهتكم
قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ٥ ليواطئوا عدة ما حرم الله ٥ اى
ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلق بيحرمونه او بما دل عليه مجموع
الفعلين ٥ فيحلوا ما حرم الله ٥ بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت ٥ زين لهم سوء اعمالهم ٥ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى
خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا ٥ والله لا يهدي القوم
الكافرين ٥ هداية موصلة الى الاهتداء ٥ يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم ٥ تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم
على الاستفهام للتوبيخ الى الارض ٥ متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل

فعدى

فعدى بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف
في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ٥ ارضيتم
بالحيوة الدنيا ٥ وغرورها من الاخرة ٥ بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة
الدنيا ٥ فما التمتع بها ٥ في الاخرة ٥ في جنب الاخرة ٥ الا قليل ٥ مستحقر ٥ الا
تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه ٥ يعذبكم عذابا اليما ٥ بالاهلاك
بسبب فظيع كقحط وعدو ٥ ويستبدل قوما غيركم ٥ ويستبدل لكم آخرين
مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ٥ ولا تضروه شيئا ٥ اذ لا يقدح تثاقلكم
في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل شئ وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اى
ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق ٥ والله على كل شئ
قدير ٥ فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه
فقد نصره الله ٥ اى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله ٥ اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين ٥ ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو
كالدليل مقامه وان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك
الوقت فلن تخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله
تسبب لاذن الله له في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري
المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال ٥ اذ هما في الغار ٥
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور
والثور جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ٥ اذ يقول ٥ بدل ثان
او ظرف الثاني لصاحبه وهو ابو بكر ٥ لا تحزن ان الله معنا ٥ بالعصمة
والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفقوا ابو بكر على رسول
الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم عن الغار
فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه ٥ فانزل الله سكينته ٥ امنته الذى
يسكن عندها القلوب ٥ عليه ٥ على النبي عليه السلام او على صاحبه
هو الاظهر لانه كان منزعجا ٥ وايده بجنود لم تروها ٥ يعني الملائكة انزلهم
ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون
الجملة معطوفة على قوله نصره الله ٥ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ٥ يعني
الشرك او دعوة الكفر ٥ وكلمة الله هي العليا ٥ يعني التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبداء له

او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا
يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع لما فيه من الاشعار بان كلمة
الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه والاعتبار ولذلك وسط
الفصل ۝ والله عزيز حكيم ۝ في امره وتدبيره ۝ انفروا خفافا ۝ لنشاطكم له وثقالا
عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا
وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول
الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج ۝ وجاهدوا باموالكم
وانفسكم في سبيل الله ۝ بما امكن لكم منهما كليهما او احد ۝ ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون ۝ اي الجهاد خير لكم من تركه اي ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم
تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى صدق فبادروا اليه ۝ لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ ۝ وسفرا قاصدا ۝
متوسطا ۝ لاتبعوك ۝ لوافقوك ۝ ولكن بعدت عليهم الشقة ۝ المسافة التي
يقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين ۝ وسيحلفون بالله ۝ اي المتخلفون اذا
رجعت من تبوك معتذرين ۝ لو استطعنا ۝ يقولون لو كان لنا استطاعة العدة
او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا
الضلالة ۝ لخرجنا معكم ۝ ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات
لانه اخبار لما وقع قبل وقوعه ۝ يهلكون انفسهم ۝ بايقاعها في العذاب وهو
بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال
من فاعله ۝ والله يعلم انهم لكاذبون ۝ في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج
عفا الله عنك ۝ كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه ۝ لم اذنت لهم
بيان لما كنى عنه بالعفو والمعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود
حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت ۝ حتى يتبين لك الذين
صدقوا في الاعتذار ۝ وتعلم الكاذبين ۝ فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين
لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما ۝ لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ۝ اي ليس
من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون
اليه ولا يوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف او ان
يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا ۝ والله عليم بالمتقين ۝ شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه ۝ انما يستاذنك ۝ في التخلف ۝ الذين لا يؤمنون

بالله

بالله واليوم الآخر ۝ تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان
بهما ۝ وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ۝ يتحيرون ۝ ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له ۝ اي للخروج ۝ عدة ۝ اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند
الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة
وبغيرها ۝ ولكن كره الله انبعاثهم ۝ استدراك من مفهوم قوله ولو ارادوا
الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج ۝ فثبطهم ۝ فحبسهم بالجبن والكسل ۝ وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر
بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدون
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلوا عن ذم ۝ لو خرجوا فيكم
ما زادوكم ۝ بخروجهم شيئا ۝ الا خبالا ۝ فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك
ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوا لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي
وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ۝ ولاوضعوا خلالكم ۝ ولاسرعوا ركائبهم بينهم بالنميمة
والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع ۝ يبغونكم
الفتنة ۝ يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم
والجملة حال من الضمير في اوضعوا ۝ وفيكم سماعون لهم ۝ ضعفة يسمعون
قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ۝ والله عليم
فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم ۝ لقد ابتغوا الفتنة ۝ تشتيت امرك وتفريق
اصحابك ۝ من قبل ۝ يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك
بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم
احد ۝ وقلبوا لك الامور ۝ ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في
ابطال امرك ۝ حتى جاء الحق ۝ النصر والتاييد الالهي ۝ وظهر امر الله ۝ علا دينه
وهم كارهون ۝ اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين
على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ۝ ومنهم من يقول ائذن لي ۝ في القعود ۝ ولا
تفتني ۝ ولا توقعني في العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار

بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت
الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات اصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى
الا فى الفتنة سقطوا ۰ اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه ۰ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ۰ جامعة بهم
يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم كوجودها ۰ ان تصبك ۰ فى بعض
غزواتك حسنة ۰ ظفر وغنيمة ۰ تسؤهم ۰ لفرط حسدهم ۰ وان تصبك ۰
فى بعضها مصيبة ۰ شدة كما اصاب يوم احد ۰ يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
يتبجحوا بانصرافهم واستحمدوا اراءهم فى التخلف ۰ ويتولوا عن متحدثهم بذلك
ومجتمعهم له او عن الرسول ۰ وهم فرحون ۰ مسرورون ۰ قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا ۰ الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة
او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا
وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم
يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشىء فيما قصد به وقيل من
الصوب ۰ هو مولانا ۰ ناصرنا ومتولى امرنا ۰ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۰
لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره ۰ قل هل تربصون بنا ۰ تنتظرون بنا ۰ الا احدى
الحسنيين ۰ الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما احسنى العواقب النصرة
والشهادة ۰ ونحن نتربص بكم ۰ ايضا احدى السوئين ۰ ان يصيبكم بعذاب
من عنده ۰ بقارعة من السماء ۰ او بايدينا ۰ او بعذاب بايدينا وهو القتل
على الكفر ۰ فتربصوا ۰ ما هو عاقبتنا ۰ انا معكم متربصون ۰ ما هو عاقبتكم
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ۰ امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم
نفقاتكم التى انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين
فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم
وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل الامرين لا يؤخذ
منهم وان لا يثابوا عليه وقوله ۰ انكم كنتم قوما فاسقين ۰ تعليل له
على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له ۰ وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ۰ اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا
كفرهم وقرا حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ
ان يقبل على ان الفعل لله ۰ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ۰ متثاقلين

ولا

ولا ينفقون الا وهم كارهون ۰ لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما
عقابا ۰ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ۰ فان ذلك استدراج ووبال لهم
كما قال ۰ انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا ۰ بسبب ما يكابدون
لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد والمصايب
وتزهق انفسهم وهم كافرون ۰ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى
العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ۰
ويحلفون بالله انهم لمنكم ۰ لمن جملة المسلمين ۰ وما هم منكم ۰ لكفر قلوبهم ولكنهم
قوم يفرقون ۰ يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية ۰ لو يجدون ملجا ۰ حصنا يلجؤن اليه ۰ او مغارات ۰ غيرانا
او مدخلا ۰ ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل
وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل
واندخل ۰ لولوا اليه ۰ لاقبلوا نحوه ۰ وهم يجمحون ۰ يسرعون اسراعا لا يردهم
شىء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ۰ ومنهم من يلمزك ۰ يعيبك
وابن كثير يلامزك وقرا يعقوب يلمزك بالضم ۰ فى الصدقات ۰ فى قسمتها ۰
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ۰ قيل انها نزلت
فى ابى الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة
الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة راس الخوارج كان رسول
الله يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم
فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة
نائب مناب الفاء الجزائية ۰ ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله ۰ ما اعطاهم
الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله
الرسول كان بامره ۰ وقالوا حسبنا الله ۰ كفانا فضله ۰ سيؤتينا الله من فضله
صدقة او غنيمة اخرى ۰ ورسوله ۰ فيؤتينا اكثر مما اتانا ۰ انا الى الله راغبون
فى ان يغنينا من فضله والاية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان
خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال
انما الصدقات للفقراء والمساكين ۰ اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون
غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنايم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره
والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل

عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام يسال
المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة ۝ والعاملين
عليها ۝ الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم ۝ قوم اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام
نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين
والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان
يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم من خمس الخمس والاصح انه كان يعطيهم
من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها
على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام
فلما اعزه الله واكثر اهله سقط ۝ وفي الرقاب ۝ وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب
فتعتق وبه قال مالك واحمد وبان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في
للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها ۝
والغارمين ۝ المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة
لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين
فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او للعامل عليها ۝ وفي سبيل الله
وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح ٥
وقيل وفي بناء القناطر ۝ وابن السبيل ۝ المسافر المنقطع عن ماله ۝ فريضة
من الله ۝ مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال
من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ۝ والله عليم
حكيم ۝ يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة
التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد
وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابه وبه كان يفتي شيخي ووالدي
رحمه الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ۝ يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار بجملته آلة السماع كما سمي

الجاسوس

الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف
وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا
بما نقول ۝ قل اذن خير لكم ۝ تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي
ذموا به من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ۝ يؤمن بالله ۝
يصدق به لما قام عنده من الادلة ۝ ويؤمن للمؤمنين ۝ ويصدقهم لما علم
من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم
وايمان الامان ۝ ورحمة ۝ اي وهو رحمة ۝ للذين امنوا منكم ۝ لمن اظهر الايمان
حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم
بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب
على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف
فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان ۝ والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم ۝ بايذائه ۝ يحلفون بالله لكم ۝ على معاذيرهم فيما قالوا او
تخلفوا ۝ ليرضوكم ۝ لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ۝ والله ورسوله
احق ان يرضوه ۝ احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم
الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ۝ ان كانوا مؤمنين ۝ صدقا ۝ الم يعلموا انه ۝
ان الشان وقرئ بالتاء ۝ من يحادد الله ورسوله ۝ يشاقق فاعل من الحد
فان له نار جهنم خالدا فيها ۝ على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله
ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ۝ ذلك الخزي العظيم ۝ يعني الاهلاك الدايم
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم ۝ على المؤمنين ۝ سورة تنبئهم بما في قلوبهم
وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم
ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر
في معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله ۝ قل استهزؤا ان الله
مخرج ۝ مبرز او مظهر ۝ ما تحذرون ۝ اي ما تحذرونه من انزال السورة
فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ۝ ولئن سالتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب ۝ روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك
فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات

سمع

هيهات فاخبر الله به بنيته فدعاهم فقال قلتم كذا كذا فقالوا لا والله ماكنا
في شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر ۰ قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ۰ توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب
لا تعتذروا ۰ لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب ۰ قد كفرتم
قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن ۰ بعد ايمانكم ۰ بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم ۰ لتوبتهم واخلاصهم وتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ۰ مصرين على النفاق او مقدمين على
الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما
وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم
طائفة ۰ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ۰ اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم
لحال المؤمنين وهو قوله ۰ يامرون بالمنكر ۰ بالكفر والمعاصي ۰ وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ۰ ويقبضون ايديهم ۰ عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله ۰ اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ۰ فنسيهم ۰ فتركهم من لطفه وفضله
ان المنافقين هم الفاسقون ۰ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ۰ مقدرين
الخلود ۰ هي حسبهم ۰ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ۰ ولعنهم الله
ابعدهم من رحمته واهانهم ۰ ولهم عذاب مقيم ۰ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه
او ما يقاسون من تعب النفاق ۰ كالذين من قبلكم ۰ اي انتم مثل الذين او فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم ۰ كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا ۰ بيان
لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ۰ فاستمتعوا بخلاقهم ۰ نصيبهم من ملاذ الدنيا
واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه ۰ فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ۰ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي
في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم
وخضتم ۰ ودخلتم في الباطل ۰ كالذي خاضوا ۰ كالذين خاضوا او كالفوج الذي
خاضوا او كالخوض الذي خاضوه ۰ اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة

لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين ۰ واولئك هم الخاسرون ۰ الذين خسروا
الدنيا والآخرة ۰ الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ۰ اغرقوا بالطوفان
وعاد ۰ اهلكوا بالريح ۰ وثمود ۰ اهلكوا بالرجفة ۰ وقوم ابرهيم ۰ اهلك
نمرود ببعوض واهلك اصحابه ۰ واصحاب مدين ۰ واهل مدين وهم قوم
شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة ۰ والمؤتفكات ۰ قريات قوم لوط ائتفكت
بهم اي انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطروا الحجارة من سجيل وقيل
قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر ۰ اتتهم
رسلهم ۰ يعني الكل ۰ بالبينات فما كان الله ليظلمهم ۰ اي لم يكن من عادته ما يشابه
ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ۰ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۰ حيث عرضوها للعقاب
بالكفر والتكذيب ۰ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ۰ في مقابلة
قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ۰ يامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله ۰ في سائر
الامور ۰ اولئك سيرحمهم الله ۰ لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ۰ ان الله
عزيز ۰ غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده ۰ حكيم ۰ يضع الاشياء مواضعها
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة ۰ تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت الاحمر ۰ في جنات عدن ۰ اقامة وخلود وعنه عليه السلام
عدن دار الله لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى
تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها
لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفهم بانه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يخلوا عن شئ منها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين
لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ۰ ورضوان
من الله اكبر ۰ لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز
باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واي شئ افضل من ذلك قال احل لكم رضواني فلا اسخط

عليكم ابدا ۰ ذلك ۰ اى الرضوان او جميع ما تقدم ۰ هو الفوز العظيم ۰ الذى
يستحقر دونه الدنيا وما فيها ۰ يا ايها النبى جاهد الكفار ۰ بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود ۰ واغلظ عليهم ۰ فى ذلك ولا تحابهم ۰ ومأويهم
جهنم وبئس المصير ۰ مصيرهم ۰ يحلفون بالله ما قالوا ۰ روى انه عليه السلام
اقام غزوة تبوك شهرين نزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن
سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس
وحسنت توبته ۰ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ۰ واظهروا الكفر
بعد اظهار الاسلام ۰ وهموا بما لم ينالوا ۰ من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر
منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه من راحلته الى الوادى اذا تسنم
العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها
يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او
بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله ۰ وما نقموا ۰ وما انكروا او ما وجدوا
ما يورث نقمتهم ۰ الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله ۰ فان اكثر اهل المدينة
كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنايم وقتل
للجلاس مولى فامر رسول الله عليه السلام بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل ۰ فان يتوبوا يك خيرا لهم ۰ هو الذى
حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب ۰ وان يتولوا ۰ بالاصرار على النفاق
يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة ۰ بالقتل والنار ۰ وما لهم فى الارض
من ولى ولا نصير ۰ فينجيهم من العذاب ۰ ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ۰ نزلت فى ثعلبة ابن حاطب اتى
النبى عليه السلام وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذى بعثك بالحق لئن
رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا فانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول
الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه

الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله
منعنى ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال يا نفس هذا عملك فقد امرتك
فلم تطعنى فقبض رسول الله فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر فى خلافته
فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان ۰ فلما اتاهم من فضله بخلوا به ۰ منعوا حق الله منه
وتولوا ۰ عن طاعة الله ۰ وهم معرضون ۰ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ۰ فاعقبهم
نفاقا فى قلوبهم ۰ اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم
ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم ۰ الى يوم
يلقونه ۰ يلقون الله بالموت او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم القيمة ۰ بما اخلفوا
الله ما وعدوه ۰ بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح ۰ وبما كانوا
يكذبون ۰ وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب ومستقبح من
الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد ۰ الم يعلموا ۰ اى المنافقون
او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ۰ ان الله يعلم سرهم ۰ ما اسروه
فى انفسهم من النفاق والعزم على الاخلاف ۰ ونجويهم ۰ وما يتناجون به فيما بينهم
من المطاعن او تسمية الزكوة جزية ۰ وان الله علام الغيوب ۰ فلا يخفى عليه
ذلك ۰ الذين يلمزون ۰ ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير فى سرهم وقرئ
يلمزون بالضم ۰ المطوعين ۰ اى المتطوعين ۰ من المؤمنين فى الصدقات ۰ روى
انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف
درهم وقال كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك
الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق
عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع تمر فقال بت
ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره رسول
الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه
احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت ۰ والذين لا يجدون الا جهدهم
الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه ۰ فيسخرون
منهم ۰ يستهزؤن بهم ۰ سخر الله منهم ۰ جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ
بهم ۰ ولهم عذاب اليم ۰ على كفرهم ۰ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ۰ يريد التساوى
بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين

مرة فلن يغفر الله لهم ٥ روى ان عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال صلى الله
عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين
العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراه فبين له
ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين
والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه
العدد باسره ٥ ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ٥ اشارة الى الياس من
المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم
بسبب الكفر الصارف عنها ٥ والله لا يهدى القوم الفاسقين ٥ المتمردين
فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر
والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى والتنبيه
على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون
على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ٥ فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ٥ بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال اقام خلاف
الحى اى بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة والحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ٥ ايثارا للدعة والخفض على طاعة
الله تعالى وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال
والمهج ٥ وقالوا لا تنفروا فى الحر ٥ اى قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين
تثبيطا ٥ قل نار جهنم اشد حرا ٥ وقد اثرتموها بهذه المخالفة ٥ لو كانوا يفقهون ٥
ان مآبهم اليها او انها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ٥ فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ٥ اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا
والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون
الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم ٥ فان رجعك
الله الى طائفة منهم ٥ فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى
منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين اى من بقى منهم وكان المتخلفون اثنى
عشر رجلا ٥ فاستاذنوك للخروج ٥ الى غزوة اخرى بعد تبوك ٥ فقل لن تخرجوا
معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا ٥ اخبار فى معنى النهى للمبالغة ٥ انكم رضيتم

بالعقود

بالقعود اول مرة ٥ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم
على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك ٥ فاقعدوا مع الخالفين ٥ اى
المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين
على قصر الخالفين ٥ ولا تصل على احد منهم مات ابدا ٥ روى ان ابن ابى دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له
ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن
فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين
فى قميصه ونهى عن الصلوة لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان
مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء
للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله
مات ابدا يعنى الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع
فكانه لم يحى ٥ ولا تقم على قبره ٥ اى لا تقف عند قبره للدفن او الزيارة ٥
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ٥ تعليل للنهى او لتابيد
الموت ٥ ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون ٥ تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه
فى فريق غير الاول ٥ واذا انزلت سورة ٥ من القران ويجوز ان يراد بها بعضها
ان امنوا بالله ٥ بان امنوا بالله ويجوز ان يكون ان المفسرة ٥ وجاهدوا
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ٥ ذووا الفضل والسعة ٥ وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين ٥ الذين قعدوا لعذر ٥ رضوا بان يكونوا مع
الخوالف ٥ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٥ ما فى الجهاد وموافقة الرسول من
السعادة وما فى التخلف عنه من الشقاوة ٥ لكن الرسول والذين امنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم ٥ اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا
فقد جاهد من خير منهم ٥ واولئك لهم الخيرات ٥ منافع الدارين النصر و
الغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن
خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة ٥ واولئك هم المفلحون ٥
الفائزون بالمطالب ٥ اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم ٥ بيان لما لهم من الخيرات الاخروية ٥ وجاء المعذرون

مِنَ الأعرابِ لِيُؤذَنَ لهم يعني اسدا وعطفان استاذنوا في التخلف
متعذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا
ان غزونا معك اغارت طيّ على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من
عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد
لعذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب معذرين
من اعذر اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه
من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف
في انهم كانوا متعذرين بالتصنع او بالصحة فيكون وَقَعَدَ الذين كذبوا الله
ورسولَه في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء
الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سَيُصيبُ الذين كفروا
منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذابٌ اليم بالقتل والنار لَيسَ على الضعفاءِ ولا على المرضى كالهرمى
والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة
وبنوا عذرة حرجٌ اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان
والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او عاقدوا عليه
فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين
من سبيلٍ اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك والله غفورٌ رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين
وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء
وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل
وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انذرنا
الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك
فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن
معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه رضي الله عنهم
قلتَ لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد
تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اى تسيل من الدمع اى دمعها

فان

فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من
تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حَزَنًا
نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا
اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما
السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون
للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو
السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو الرضاء بالدناءة والانتظام
في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه
لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا
بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد
وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه
استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه
فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم
لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فلا توبخوهم انهم رجس لا ينفع
فيهم التانيب التوبيخ فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء
ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم
من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ
في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا
عتابهم جزاءً بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون
علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا ما كنتم تفعلون
بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اى فان رضاءكم لا يستلزم رضاء الله ورضاءكم وحده لا ينفعهم اذا كانوا
في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم
ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من
الاية النهي عن الرضاء عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض

وعدم الالتفات نحوهم ٥ الاعراب ٥ اهل البدو ٥ واشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم
وقلة استماعهم للكتاب والسنة ٥ واجدر ان لا يعلموا ٥ واحق
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ٥ من الشرايع فرائضها
وسننها ٥ والله عليم ٥ يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر ٥ حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ٥ ومن الاعراب
من يتخذ ٥ يعد ٥ ما ينفق ٥ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ٥ مغرما
غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما
ينفق رياء او تقية ٥ ويتربص بكم الدوائر ٥ دوائر الزمان وتوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون
عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها
عقبة الزمان والسوء بالفتح اضيف اليه للمبالغة وقرا ابن كثير وابو
عمرو السوء ههنا وفي الفتح بضم السين ٥ والله سميع ٥ لما يقولون
عند الانفاق عليم ٥ بما يضمرون ٥ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ٥ سبب قربات وهي ثاني مفعولي
يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ ٥ وصلوات الرسول ٥ وسبب
صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم
ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى لانه
منصبه فله ان يتفضل به على غيره ٥ الا انها قربة لهم ٥ شهادة من الله
بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه
وان المخففة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء ٥
سيدخلهم الله في رحمته ٥ وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه
وقوله ٥ ان الله غفور رحيم ٥ لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان
وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه ٥ والسابقون
الاولون من المهاجرين ٥ هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا
بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة ٥ والانصار ٥ اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين

قدم

قدم عليهم ابو ذرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان ٥ اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من
اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة ٥ رضي الله عنهم ٥ بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم ٥ ورضوا عنه ٥ بما نالوا من نعمه الدينية والدنياوية
واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار ٥ وقراء ابن كثير من تحتها كما هو في سائر
المواضع ٥ خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ٥ ممن حول بلدتكم
يعني المدينة ٥ من الاعراب منافقون ٥ هم جهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار كانوا نازلين حولها ٥ ومن اهل المدينة ٥ عطف على ممن حولكم
او خبر لمحذوف صفته ٥ مردوا على النفاق ٥ ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان
تمرنهم وتمهرهم في النفاق ٥ لا تعلمهم ٥ لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك ٥ نحن نعلمهم ٥ ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا
عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا ٥ سنعذبهم مرتين ٥ بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ٥ ثم يردون الى
عذاب عظيم ٥ الى عذاب النار ٥ واخرون اعترفوا بذنوبهم ٥ ولم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال
عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم
ان لا احلهم حتى او مر فيهم فنزلت فاطلقهم ٥ خلطوا عملا صالحا واخر
سيئا ٥ خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
باخر سيئ وهو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء
كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما
مخلوط بالاخر ٥ عسى الله ان يتوب عليهم ٥ ان يقبل توبتهم وهي مدلول
عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ٥ ان الله غفور رحيم ٥ يتجاوز عن التايب
ويتفضل عليه ٥ خذ من اموالهم صدقة ٥ روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت

ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب وحب المال
المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب
عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات
يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم
فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون
فانه لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه وآخرون من
المخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته
وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله
فى شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم
بان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله
تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور
رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن اميه ومرارة بن الربيع امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله والذين اتخذوا
مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر
بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم
فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد
ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة و
الليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم
معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن
والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا
بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قبا وارصادا
ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى الراهب فانه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتى
من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل
كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل
متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف
لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتيه فقال انا على جناح السفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل
كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا
الخصلة الحسنى وهى الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد
انهم لكاذبون فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس
على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد
رسول الله لقول ابى سعيد الخدرى رضى الله سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده
ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن
دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضات الله وقيل
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم
ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله
ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس
فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم
فقال رسول الله اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء

قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم
فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع
الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الماء فيه رجال يحبون ان يتطهروا افمن
اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به
لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو
ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووصفه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله
ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد
الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع
وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس على الاضافة
واسس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان
الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف
بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة
في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد
نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزال رسمه عن قلوبهم الا ان تقطع
قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية
المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب
بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص
وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب
الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للمفعول والفاعل والله
عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين

انفسهم

انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم
واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل
البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه
الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت
مذكور في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه
حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب
لكم عظيم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح
اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ
خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا
وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من
السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة
امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت والسائحون للجهاد او
طلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان
والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه
للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه
من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا
مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة
هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي
واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل
ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك
وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين روي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب

لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى وقال لا ازال استغفر
لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبرها ثم قام
مستعبرا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة قبرها فاذن لى فاستاذنته فى
الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل على الآيتين. ولو كانوا اولى قربى من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم. بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه
الكافر فقال. وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه.
وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان
فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهى
الوعد بالايمان. فلما تبين له انه عدو لله. بان مات على الكفر او اوحى فيه
بانه لن يؤمن. تبرأ منه. قطع استغفاره. ان ابراهيم لأواه. يكثر التأوه
وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم. صبور على الاذى والجملة لبيان
ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه. وما كان الله ليضل قوما اى
ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم. للاسلام حتى يبين لهم
ما يتقون. حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول
فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على
الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شئ عليم. فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له ملك السموت والارض
يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير. لما منعهم عن الاستغفار
للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم
ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا
نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم
مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين
والانصار. من اذن للمنافقين فى التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى
ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرون والانصار
لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه
ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام
الانبياء والصالحين من عباده. الذين اتبعوه فى ساعة العسرة.

فى وقتها

فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير
واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم. من الثبات عن الايمان او اتباع الرسول
وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرا حمزة
وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت
قلوب الذين منهم يعنى المتخلفين. ثم تاب عليهم. تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا امر العسرة والمراد انه تاب عليهم
لكيدودتهم. انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة. وتاب على الثلثة كعب
بن مالك وهلال بن اميه ومرارة بن الربيع. الذين خلفوا. تخلفوا عن
الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون. حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم انفسهم. قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور
وظنوا. وعلموا ان لا ملجأ من الله. من سخطه. الا اليه. الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم. بالتوفيق للتوبة. ليتوبوا. او انزل عليهم قبول توبتهم ليعدوا
فى جملة التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم. ان الله هو التواب. لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة. الرحيم
متفضل عليه بالنعمة. يا ايها الذين امنوا اتقوا الله. فيما لا يرضاه. وكونوا مع
الصادقين. فى ايمانهم وعهودهم او فى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ
من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله. نهى
عبر عنهم بصيغة النفى للتاكيد. ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه. لا يصونوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه من الاهوال روى ان ابا خيثمة
بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد
وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه هو ففرح رسول الله واستغفر له
وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم. ذلك. اشارة الى ما دل عليه قوله
ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة. بانهم. بسبب انهم لا يصيبهم

ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطاه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق

بالشفقة

بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا وسخرية وغيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي انه اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما انزل القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته

وقرا ورش بين اللفظين نسخ
اي بين الفتح والكسر

لم ينسخ شيء منها. اكان للناس عجبا. استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة
على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم. الى رجل منهم. اي من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور وجهلهم بحقيقة
الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر فيه الا في المال
وخفة الحال وعونهم في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه
بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام. ان انذر الناس. اي هي المفسرة
او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا. وبشر الذين امنوا. عمم الانذار
اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار
ما يصح ان يبشروا به. ان لهم. بان لهم. قدم صدق عند ربهم. سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق
لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية. قال الكافرون ان هذا
يعنون الكتاب وما جاء به الرسول. لسحر مبين. وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان
الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة
اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين. ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض. التي هي اصول الممكنات. في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر. يقدر امر
الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه
والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة. ما من شفيع الا من بعد اذنه
تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات
الشفاعة لمن اذن له. ذلكم الله. اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية
والربوبية. ربكم. لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك. فاعبدوه. وحدوه با
بالعبادة. افلا تذكرون. تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة
لا ما تعبدونه. اليه مرجعكم جميعا. بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه
وعد الله. مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله. حقا. مصدر
اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله. انه يبدا الخلق ثم يعيده. بعد بدئه
واهلاكه. ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط. اي بعدله او بعدالتهم
وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم
عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله. والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم

بما كانوا

بما كانوا يكفرون. فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب
كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين
بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء
اعتقادهم وسوء افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدا بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا
بما نصب وعد الله او بما نصب حقا. هو الذي جعل الشمس ضياء. اي ذات ضياء
وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو
وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين. والقمر
نورا. وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما
بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة بذاتها والقمر نيرا
بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها. وقدره منازل. الضمير لكل واحد اي قدر
مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة
سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله. لتعلموا عدد
السنين والحساب. وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق. الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة
يفصل الايات لقوم يعلمون. فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير و
البصريان وحفص بالياء. ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض. من انواع الكائنات. لايات. على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته. لقوم يتقون. العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر
ان الذين لا يرجون لقاءنا. لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها. ورضوا بالحياة الدنيا. من الاخرة لغفلتهم عنها. واطمانوا بها
وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها. والذين هم عن اياتنا غافلون. لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما
يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين
الذهول عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا
واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحياة الدنيا
وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له. اولئك

مأويهم النار بما كانوا يكسبون ٥ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ٥ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل
يؤدي الى الجنة او لادراك الحقايق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو
الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان
العمل الصالح كالتتمة والرديف تجري من تحتهم الانهار ٥ استيناف او خبر ثان
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم ٥ خبر او حال اخر منه
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها ٥ اي دعاؤهم سبحانك اللهم
اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ٥ ما يحيي بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم
فيها سلام واخر دعويهم ٥ اخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين ٥ اي ان يقولوا ذلك
ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى
فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب
الحمد ٥ ولو يعجل الله للناس الشر ٥ ولو يسرع اليهم ٥ استعجالهم بالخير ٥ وضع موضع
تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد
شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف
لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم ٥ لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضي
على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا ٥ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون ٥ عطف على فعل دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم
امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا ٥ لازالته مخلصا ٥ لجنبه
اي مضطجعا او قاعدا او قائما ٥ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف
المضار فلما كشفنا عنه ضره مر ٥ مضى على طريقته واستمر على كفره او مر على موقف
الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا ٥ كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال
ونحر مشرق الصدر كان ثدياه حقان الى ضر مسه ٥ الى كشف ضر كذلك ٥ مثل ذلك
التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون ٥ من الانهماك في الشهوات والاعراض عن
العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ٥ يا اهل مكة لما ظلموا ٥ حين ظلموا بالتكذيب
واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات ٥ بالحجج الدالة
على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا ٥ وما كانوا ليؤمنوا ٥

وما

وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه تعالى بانهم
يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك ٥ مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب
تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين
نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام
فيه ٥ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم ٥ استخلفناكم فيها بعد القرون التي
اهلكناها استخلاف من يختبر ٥ لننظر كيف تعملون ٥ اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله
وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث
ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى ٥ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقاءنا ٥ يعني المشركين ائت بقران غير هذا ٥ بكتاب اخر نقراه ليس فيه
ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا
او بدله ٥ بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك
كي يسعفهم اليه فيلزموه ٥ قل ما يكون لي ٥ ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي ٥ تعليل لما يكون فان
المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات
ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك قيد
التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي ٥ اي
بالتبديل عذاب يوم عظيم ٥ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله ٥ غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ٥ ولا اعلمكم به على لساني
وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان
غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم
ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء
بمعنى الدفع اي ولا اجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله
تعالى لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ٥ فقد لبثت فيكم عمرا
مقدار اربعين سنة من قبله ٥ من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان
القران معجز خارق فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل
منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب

عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله
أفلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم
على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر
والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله يشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي
الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة
الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع
لهم عنده قل أتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع
وتهكم بهم او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلم العالم بجميع المعلومات لا يكون له
تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان
ما تعبدونه من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء
الذين هم يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء
وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك
في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة
من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت
اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم
القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل
وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل
انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف
عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم
بجحودكم ما انزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة
صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها
والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم
بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم
قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج

او الجزاء

او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما تدبروا
في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله
وقرا ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة
كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح
جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف
شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم
اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كما احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول
او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجاؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب
المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة
الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته
او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه
مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او فعل دل عليه
البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه
انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازيأنت
على افعالت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن
اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها
ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بالحصيد من اصله كان
لم تغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على
الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو

زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض
حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوايح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه
من التشبيه المركب. كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون. فانهم المنتفعون به والله
يدعوا الى دار السلام. دار السلامة من التقضي والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم
ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة
ويهدي من يشاء. بالتوفيق. الى صراط مستقيم. هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع
بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلال لم يرد الله رشده. للذين احسنوا الحسنى. المثوبة الحسنى
وزيادة. وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل
حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء. ولا يرهق وجوههم. لا يغشاها
قتر. غبرة فيها سواد. ولا ذلة. هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم
ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال. اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون. دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها. والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها. عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد
والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازي سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان
الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها
على زيادة الباء او مقدر بمثلها. وترهقهم ذلة. وقرئ بالياء. ما لهم من الله من عاصم
ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين. كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما. لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال
من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور
والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي
ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه. اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون. مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار
لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة
من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه. ويوم نحشرهم جميعا. يعني الفريقين جميعا. ثم
نقول للذين اشركوا مكانكم. الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم. انتم.

تاكيدا للضمير المنتقل اليه من عامله. وشركاؤكم. عطف عليه وقرئ بالنصب
على المفعول معه. فزيلنا بينهم. ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم. وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون. مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم
انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق
الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد
بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين. فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم. فانه
العالم بكنه الحال. ان كنا عن عبادتكم لغافلين. ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة. هنالك. في ذلك المقام. تبلوا كل نفس ما اسلفت. تختبر ما قدمت من عمل
فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من
التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه
والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف
ما اسلفت من عملها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب
ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض. وردوا الى الله الى جزائه اياهم
بما اسلفوا. موليهم الحق. ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق
بالنصب على المدح او المصدر المؤكد. وضل عنهم. وضاع عنهم. ما كانوا يفترون.
من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة. قل من يرزقكم من السماء والارض.
اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل
واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء
والارض. امن يملك السمع والابصار. ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما
او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء. ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي. ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان
من النطفة والنطفة منه. ومن يدبر الامر. ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم
بعد تخصيص. فسيقولون الله. اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه. فقل افلا تتقون. انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه
في شيء من ذلك. فذلكم الله ربكم الحق. اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم
فماذا بعد الحق الا الضلال. استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال
فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال. فانى تصرفون. عن
الحق الى الضلال. كذلك حقت كلمة ربك. اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق

بعد الضلال او انهم مصروفون عن الحق الى الضلال حقت كلمة الله وحكمه
وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي اخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا
تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من
الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ
الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان
لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء
يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل
الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى
بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدّي بفتح الهاء
وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت
الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع
مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح
العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة
موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف
ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون
مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء
بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن
واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء
من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه افتراء للخلق مطابق لما تقدمه من الكتب
الالهية المشهودة على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار
عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه

منتفيا

منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون
حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين
خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه
اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق
الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون
بل يقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة
وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا
في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان
تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين
انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه
قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث
والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم
يبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه
لما كرروا عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين
من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به
من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن
يعاند او سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة
تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او
بالمصرين وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا او باطلا انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون
اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا
افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم
تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف
به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت

ما وفق بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني
الدقيقة ولم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم
البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك
البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية
كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم
وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان
يكون وعيدا بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرا حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم نحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول
ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي
حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال
اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون
يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب
منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين
لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاكتسبوا بها جهالات
ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم واما نرينك بنصرتك بعض الذي نعدهم
من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا
مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد
نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم
يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول
ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم
لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء

رسولهم

رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن
وعقاب الكافر كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون
متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب
منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم
فاستعجل في جلب العذاب الا ما شاء الله ان املكه او ولكن
ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم
فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون
فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم
عذابه الذي يستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء
من العذاب يستعجلون وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم
لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم
لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال او عرفوا الخطاه ويجوز ان يكون
الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او قوله
اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التاخير الان وقد كنتم به على ارادة القول اي قيل لهم
اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبؤنك
ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله
بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو
فانه تعريض بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر
مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبؤنك قل اي وربي انه لحق ان العذاب
لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو
من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده

وما انتم بمعجزين • فائتين العذاب • ولو ان لكل نفس ظلمت • بالشرك او التعدي على
على الغير ما في الارض • من خزائنها واموالها لافتدت به • لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم
افتداه بمعنى فداه • واسروا الندامة لما راوا العذاب • لانهم بهتوا لما عاينوا مما لم يحتسبوا
من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها
لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها
وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره • وقضي بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون • ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير
انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم • الا ان لله ما في السموت والارض • تقرير
لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب • الا ان وعد الله حق • ما وعده من الثواب
والعقاب كائن لا خلف فيه • ولكن اكثرهم لا يعلمون • لانهم لا يعلمون
لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا • هو يحيي ويميت • في الدنيا فهو يقدر
عليهما في الاخرة لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات
للحيوة والموت قابلة لهما ابدا • واليه ترجعون • بالموت والنشور • يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال
ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي
هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين
ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا من ظلمات الضلال الى نور الايمان
وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم • قل بفضل الله وبرحمته • بانزال القران والباء متعلقة بفعل
يفسره قوله • فبذلك فليفرحوا • فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد
والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل
دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء
الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح
وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ

فافرحوا

فافرحوا • هو خير مما يجمعون • من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير
ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما
تجمعون ايها المخاطبون • قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق • جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب
بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك
وبخ على التبعيض فقال • فجعلتم منه حراما وحلالا • مثل هذه انعام
وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
قل الله اذن لكم • في التحريم والتحليل فيقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل
مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها تقرير لافترائهم على الله • وما ظن الذين يفترون على الله الكذب • اي
شيء ظنهم يوم القيمة • ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد
تهديد عظيم • ان الله لذو فضل على الناس • حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم
بارسال الرسل وانزال الكتب • ولكن اكثرهم لا يشكرون • هذه النعمة • وما
تكون في شان • ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت
قصده والضمير في • وما تتلو منه • لان تلاوة القران معظم شان الرسول
ولان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو • من قران •
على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر
ثم بيانه تفخيم له او لله • ولا تعملون من عمل • تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث ما يتناول
الجليل والحقير • الا كنا عليكم شهودا • رقباء مطلعين عليه • اذ
تفيضون فيه • تخوضون فيه وتندفعون • وما يعزب عن ربك •
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاء • من مثقال ذرة •
موازن نملة صغيرة او هباء • في الارض ولا في السماء • اي في الوجود و
الامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما
وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة
علمه بها • ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين • كلام براسه
مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة

ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح
بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، الا ان اولياء الله ، الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة ، لا خوف عليهم ، من لحوق مكروه ، ولا هم يحزنون ، بفوات
مامول والاية مجمل فسره قوله ، الذين امنوا وكانوا يتقون ، وقيل الذين امنوا
وكانوا يتقون بيان لتوليهم لربهم ، لهم البشرى في الحيوة الدنيا ، وهو
ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما
يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ، وفي الاخرة ، بتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب
او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى
لا تبديل لكلمات الله ، لا تبديل لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك ، اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين ، هو الفوز العظيم ، هذه الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله
ولا يحزنك قولهم ، اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه
وكلاهما بمعنى ، ان العزة لله جميعا ، استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة
بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم ان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا
منها فهو يقهرهم وهو ينصرك عليهم ، هو السميع ، لاقوالهم ، العليم ، بعزماتهم
فيكافيهم عليها ، الا ان لله من في السموات ومن في الارض ، من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم
للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ، اي شركاء على الحقيقة وان كانوا
يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف
دل عليه ، ان يتبعون الا الظن ، اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم
انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة
على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من
الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم
لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون
الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم
وان هم الا يخرصون ، يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون

انما

انها شركاء تقديرا باطلا ، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ،
تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي
هو سبب ، ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ، سماع تدبر واعتبار ، قالوا اتخذ
الله ولدا ، اي تبناه ، سبحانه ، تنزيه له عن التبني فانه لا يصلح الا ممن يتصور له
الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء ، هو الغني ، علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة ، له ما في السموات وما في الارض ، تقرير لغناه ، ان عندكم من سلطان
بهذا ، نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم
وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون ، توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل
على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها
غير سائغ ، قل ان الذين يفترون على الله الكذب ، باتخاذ الولد واضافة الشريك
اليه ، لا يفلحون ، لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ، متاع في الدنيا ، خبر مبتدأ
محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم
متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ، ثم الينا مرجعهم ، بالموت
فيلقون الشقاء المؤبد ، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ، بسبب كفرهم
واتل عليهم نبا نوح ، خبره مع قومه ، اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم ، عظم
عليكم وشق ، مقامي ، نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة
مديدة او قيامي على الدعوة ، وتذكيري ، اياكم ، بايات الله فعلى الله توكلت ، وثقت به
فاجمعوا امركم ، فاعزموا عليه ، وشركاءكم ، اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع
عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم
بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم والاجتماع
على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ، ثم
لا يكن امركم ، في قصدي ، عليكم غمة ، مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه
اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي
وتذكيري ، ثم اقضوا الي ، ادوا الي ، ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء
اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ، ولا تنظرون ، اي ولا
تمهلوني ، فان توليتم ، اعرضتم عن تذكيري ، فما سالتكم من اجر ، يوجب توليكم

يثقل عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على
الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت
ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه
فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل
رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان
الله اياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة
الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال
واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب
العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون
الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا
قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك
قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما
بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة
ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف
بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم
ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله
سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام
موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان
العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم
قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك
بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين

فيما

فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار
عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه
سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به
خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ محذوف
اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم
ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق
الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون
ذلك فما امن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه
بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا به او مؤمن ال فرعون وامراته آسية وخازنه
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير
لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله
كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو
بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان
بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو
حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به
يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم
مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه
لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا
لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة
موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء
تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل
مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة

فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذونهم ويفتنونهم دينهم
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ . بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت
مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعل كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل
وظيفة صاحب الشريعة . وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً .
ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما . وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا . وانواعا من المال
رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ . دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم
انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلق بآتيت
ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال وكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله . رَبَّنَا
اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ . اهلكها والطمس المحق وقرئ وَاطْمُسْ بالضم وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
اي واقسها واطبع عليها حتى لا ينشرح للايمان . فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ
جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا . يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن . فَاسْتَقِيمَا . فاثبتا
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن
في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة . وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق والاطمينان بوعد
الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا
تَتْبَعَانِّ من تبع ولا تتبعان ايضا . وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ . اي جوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعل المراد بفاعل كضعّف
وضاعف . فَأَتْبَعَهُمْ . فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته . فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
وَعَدْوًا . باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وَعُدُوًّا . حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ
الحقه . قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ . بانه . لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وقرأ حمزه والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا
لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل . آلْآنَ . اتؤمن
الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار . وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ . قبل ذلك
مدة عمرك . وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . الضالين المضلين عن الايمان . فَالْيَوْمَ
نُنَجِّيكَ . ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك

على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء
اي نلقيك بناحية الساحل . بِبَدَنِكَ . في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن
الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من الذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا بينها . لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً . لمن وراءك علامة وهم بنوا
اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى
عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل او لمن
ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك
ومقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر
الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور . وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها . وَلَقَدْ بَوَّأْنَا . انزلنا . بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر . وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ . من اللذائذ .
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ . فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا
التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه
بنعوته وتظاهر معجزاته . إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك . فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
من القصص على سبيل الفرض والتقدير . فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ
فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد
بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم
بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك
قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل
من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه
تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم . لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ . واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات
القاطعة . فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . ايضا من باب

التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ان
الذين حقت عليهم . ثبتت عليهم كلمت ربك . بانهم يموتون على الكفر ويخلدون
في العذاب لا يؤمنون . اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه . ولو جاءتهم
كل آية . فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا
العذاب الاليم . وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون . فلولا كانت قرية آمنت
فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها
كما اخر فرعون فنفعها ايمانها . بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس
لكن قوم يونس لما آمنوا . اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا . ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي
لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة
الرفع على البدل ومتعناهم الى حين . الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث
الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما
دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضهم
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى
الله فرحمهم وكشف عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة . ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم . بحيث لا يشذ منهم احد جميعا . على الايمان لا يختلفون
فيه وهو دليل على القدرية بان الله لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن
لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس . بما لم يشأ
الله منهم حتى يكونوا مؤمنين . وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف
الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة
مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن التحريض عليه اذ روي
انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت فلذلك قرره بقوله . وما كان
لنفس ان تؤمن . بالله . الا باذن الله . الا بارادته والطافه واطلاقه وتوفيقه
فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله . ويجعل الرجس . العذاب والخذلان
فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون . على الذين لا يعقلون .
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه

لما على

لما على قلوبهم من الطبع ويؤيده الاول قوله . قل انظروا . تفكروا . ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت
استفهامية علقت انظروا عن العمل . وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب . فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم . مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها . قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين . لذلك
او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم . ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا
عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا ومن آمن بهم على حكاية حال الماضية . كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك . قل يا ايها الناس . خطاب لاهل مكة
ان كنتم في شك من ديني . وصحته . فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم . فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على
العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه
وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي
بالذكر للتهديد . وامرت ان اكون من المؤمنين . بما دل عليه العقل ونطق به الوحي
وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقولك
امرتك الخير فافعل ما امرت به . وان اقم وجهك للدين . عطف على ان اكون غير ان
صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها
بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر
منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين
او الوجه . ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته . فان فعلت . فان دعوته . فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال المقدر عن تبعة الدعاء . وان يمسسك الله
بضر . وان يصيبك به . فلا كاشف له . يرفعه . الا هو . الا الله . وان يردك بخير
فلا راد . فلا دافع . لفضله . الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر بالتلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل

بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده
يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته
بالطاعة ولا تيئسوا من غفرانه بالمعصية يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما
يهتدى لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال
الضلال عليه وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير
واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم
الله بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا فى حكمه
لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر درجات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود وهى مائة وثلاث
وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب مبتداء وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت اياته نظمت
نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد او النسخ
فان المراد ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت
حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او
بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ
ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم
وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى
لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقدير لاحكامها وتفصيلها
على اكمل ما ينبغى باعتبار ما ظهر امره وما خفى ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا
وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا
للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير
الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انى لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب
على الشرك او للثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق
لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز
ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم فى امن ودعة

الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال
والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمار لكنها مسماة بالاضافة الى كل
احد فلا تتغير ويؤت كل ذى فضل فضله ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله
فى الدنيا وفى الاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان
يتولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدايد
وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم
رجوعكم فى ذلك اليوم وهى شاذ على القياس وهو على كل شئ قدير فيقدر
على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم
يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبى او يولون
ظهورهم وقرئ تثنونى بالتاء والياء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنون
وتثنوى واصله تثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم
او مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة وتثنوى ليستخفوا
منه من الله بسترهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة
من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية
والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون
الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون فى قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
انه عليم بذات الصدور باسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما
من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه
تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها فى الحيوة الدنيا والممات والاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد
والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها فى كتاب
مبين مذكور فى اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات
كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما
سبق من الوعد والوعيد وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه فى الاعراف وما فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات
دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ◦ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء
واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا
العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ◦ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ◦
متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف
تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه
اعمالكم ودلائل وامارات يستدلون بها ويستنبطون منها وانما جاز تعليق
فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة
التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض
على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل
ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا
واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ◦ وَلَئِنْ قُلْتَ
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ◦ اى ما البعث
او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى
ذكرت او ليكون انكم بمعنى علكم اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ◦ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ
الْعَذَابَ الموعود ◦ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ◦ اى جماعة من الاوقات قليلة ◦ لَيَقُولُنَّ استهزاء
مَا يَحْبِسُهُ ◦ ما يمنعه من الوقوع ◦ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ◦ كيوم بدر ◦ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ◦
ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل
على جواز تقديم خبرها عليها ◦ وَحَاقَ بِهِمْ ◦ واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل
تحقيقا ومبالغة في التهديد ◦ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ◦ اى العذاب الذى كانوا به
يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ◦ وَلَئِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ◦ ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ◦ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ◦
ثم سلبنا تلك النعمة منه ◦ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ◦ قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره
وعدم ثقته به ◦ كَفُورٌ ◦ مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ◦ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ
ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ◦ كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ◦ لَيَقُولَنَّ
ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ◦ اى المصائب التى ساءتنى ◦ إِنَّهُ لَفَرِحٌ ◦ بطر بالنعم مغتر بها ◦ فَخُورٌ ◦ على الناس
مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر

باذنى

بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول ◦ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه ◦ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ◦ شكرا لآلائه
سابقها ولاحقها ◦ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ◦ لذنوبهم ◦ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ◦ اقله الجنة والاستثناء
من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله
على الكافر لسبق ذكره جعل الاستثناء منقطعا ◦ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ ◦ ترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة
ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعوا اليه وقوعه لجواز
ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في
التبليغ ههنا ◦ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ◦ وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان
تتلوه عليهم مخافة ◦ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ◦ ينفقه في الاستتباع كالملوك
أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ◦ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان تقولوا انما انت
نَذِيرٌ ◦ ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما لك
يضيق به صدرك ◦ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ◦ فتوكل عليه فانه عالم
بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ◦ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ◦ ام منقطعة والهاء
لما يوحى ◦ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ ◦ في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر
سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار
كل واحد ◦ مُفْتَرَيَاتٍ ◦ مختلفات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند
نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر
لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم ◦ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ ◦ الى المعاونة على المعارضة ◦ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ◦ انه مفترى ◦ فَإِلَّمْ
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ◦ باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول
او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه
يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ◦ فَاعْلَمُوا
أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ◦ ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه ◦ وَأَنْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ◦ واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم ◦ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ◦ ثابتوا على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم

اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى الظاهر لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرائيل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل

القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او يعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم ح لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشابها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن

بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق . هل يستويان . هل يستوي الفريقان . مثلاً . تمثيلاً او صفة او حال . افلا تذكرون . بضرب الامثال والتامل فيها . ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه اني لكم . باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول . نذير مبين . ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص . ان لا تعبدوا الا الله . بدل من اني لكم او مفعول لمبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم . مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشراً مثلنا . لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة . وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا . اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع رذل بادي الرأي . ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهراً من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل . وما نرى لكم . لك ولمتبعيك . علينا من فضل . يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة . بل نظنكم كاذبين . اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم . اخبروني . ان كنت على بينة من ربي . حجة شاهدة تصدق دعواي . وآتاني رحمة من عنده . بايتاء البينة او النبوة . فعميت عليكم . فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها . انكرهكم على الاهتداء بها . وانتم لها كارهون . لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعاً وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على

التبليغ

التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر . مالاً . جعلاً . ان اجري الا على الله . فانه المأمول منه . وما انا بطارد الذين آمنوا . جواب لهم حين سألوا طردهم . انهم ملاقوا ربهم . فيخاصمون طاردهم عنه . او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم . ولكني اريكم قوماً تجهلون . بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل . ويا قوم من ينصرني من الله . بدفع انتقامه . ان طردتهم . وهم بتلك الصفة والمثابة . افلا تذكرون . لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب . ولا اقول لكم عندي خزائن الله . خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي . ولا اعلم الغيب . عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعاداً او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول . ولا اقول اني ملك . حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا . ولا اقول للذين تزدري اعينكم . ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيراً . فان ما اعد لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا . الله اعلم بما في انفسهم اني اذاً لمن الظالمين . ان قلت شيئاً من ذلك . والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالاً لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم . قالوا يا نوح قد جادلتنا . خاصمتنا فاكثرت جدالنا . فاطلته او اتيت بانواعه . فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا . قال انما يأتيكم به الله ان شاء . عاجلاً او آجلاً . وما انتم بمعجزين . بدفع العذاب او الهرب منه . ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم . شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم . تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وكذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيداً فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال . وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك . هو ربكم . خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته . واليه ترجعون . فيجازيكم على اعمالكم . ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي . وباله وقرئ اجرامي على الجمع . وانا بريء مما تجرمون . من اجرامكم في اسناد الافتراء الي . واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء ووضع

الفلكَ بأعيننا • ملتبسًا بأعيننا عبّر بكثرة آلة الحسّ الذى يحفظ به الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل • ووحينا اليك كيف تصنعها • ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا • فلا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم • انّهم مغرقون • محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفّه • ويصنع الفلك • حكاية حالٍ ماضيةٍ • وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه • استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى بريّة بعيدة من الماء أوان عزّته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجّارًا بعد ما كنت نبيًّا • قال ان تسخروا منّا فانّا نسخر منكم كما تسخرون • اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة • وقيل المراد بالسخرية الاستجهال • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • يعنى به ايّاهم وبالعذاب الغرق • ويحلّ عليه عذاب • وينزل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه • عذاب مقيم • دائم وهو عذاب النار • حتّى اذا جاء أمرنا • غاية لقوله ويصنع الفلك • وما بينهما حال من الضمير فيه • او حتّى هى التى يبتدأ بعدها الكلام • وفار التنّور • نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور • والتنّور تنّور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها • او فى الهند او فى عين وردة من ارض الجزيرة • وقيل التنّور وجه الأرض او اشرف موضع منها • قلنا احمل فيها • فى السفينة • من كلٍّ • من كلّ نوع من الحيوانات المنتفع بها • زوجين اثنين • ذكرًا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كلّ زوجين اى من كلّ صنف ذكر وصنف انثى • واهلك عطف على زوجين او اثنين • فالمراد امرأته وبنوه ونساؤهم • الّا من سبق عليه القول منهم • بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامّه واعلة فانهما كانا كافرين • ومن آمن • والمؤمنين من غيرهم • وما آمن معه الّا قليل • قيل كانوا تسعة وسبعون زوجته المسلمة • وبنوه الثلثة حام وسام ويافث • ونساؤهم • وسبعون رجلًا وامرأة من غيرهم • روى انه عليه السلام اتّخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل فى اسفلها الدوابّ والوحش • وفى اوسطها الانس • وفى اعلاها الطير • وقال اركبوا فيها • اى صيروا فيها • وجعل ذلك ركوبًا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض • بسم الله مجريها ومرسيها • متّصل باركبوا حالٌ من الواو • اى اركبوا فيها مسمّين الله • او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها • او مكانهما على انّ المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر • والمضاف محذوف • كقولهم اتيتك خفوق النجم • وانتصابهما بما قدّرناه

حالا

حالًا • ويجوز رفعهما ببسم الله على انّ المراد بهما المصدر • او جملة من مبتدإ وخبر • اى اجراؤها بسم الله • على انّ بسم الله خبر • او صلة • والخبر محذوف • وهى امّا جملة مقتضبة لا تعلّق لها بما قبلها • او حال مقدّرة من الواو او الهاء • روى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت • واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست • ويجوز ان يكون الاسم مقحمًا كقوله • ثمّ اسم السلام عليكما • وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح والامالة من جرى • وقرئ مرسيها ايضًا من رسا • وكلاهما يحتمل الثلثة • ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله • انّ ربّى لغفور رحيم • اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته ايّاكم لما نجّاكم • وهى تجرى بهم • متّصل بمحذوف دلّ عليه اركبوا اى فركبوا مسمّين وهى تجرى وهم فيها • فى موج كالجبال • فى موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كلّ موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها • وما قيل من انّ الماء طبّق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت • والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعًا وان صحّ فلعلّ ذلك قبل التطبيق • ونادى نوح ابنه • كنعان • وقرأ على رضى الله عنه ابنها • وابنه • بحذف الالف • على انّ الضمير لامرأته وكان ربيبه • وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما • وهو خطأ • اذ الانبياء عصمت من ذلك • والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين • وقرئ ابناه • على الندبة • ولكونها حكاية سوّغ حذف الحرف • وكان فى معزل • عزل فيه نفسه عن ابيه • او عن دينه • مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده • يا بنىّ اركب معنا • فى السفينة • والجمهور كسروا الياء لتدلّ على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى موضع الاوّل باتفاق الرواة عنه • و فى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارًا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة • واختلف الرواية عنه فى سائر المواضع • وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما • ولا تكن مع الكافرين • فى الدين والانعزال • قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء • ان يغرقنى • قال لا عاصم اليوم من امر الله الّا من رحم • الّا الراحم وهو الله تعالى • او الّا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون • ردّ بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الّا معتصم المؤمنين وهو السفينة • وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله فى عيشة راضية • وقيل الاستثناء منقطع • اى لكن من رحمه الله يعصمه • وحال بينهما الموج • بين نوح وابنه • او بين ابنه والجبل • فكان من المغرقين • فصار من المهلكين بالماء • وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلًا لكمال قدرته وانقيادهما

اى كان هذا الابن ولد الزنا •

هذا جواب عن سؤال مقدّر تقديره ان يقال لو كان المراد من الآية ندبة لما جاز حذف حرف الندبة لانّ المراد فى الندبة مدّ الصوت وتطويل الصوت والحذف ينافى المدّ والتطويل وتحصيل الجواب ان الندبة ههنا محكيّة لا حالية والندبة التى لا يجوز فيها الحذف هى الندبة الحالية لا الندبة المحكيّة لانّ الحذف يجوز فى الندبة المحكيّة ه

لمحرّره

لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال
امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه • وابلعى النشف والاقلاع الامساك
وغيض الماء • نقص • وقضى الامر • انجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين
واستوت • واستقرت السفينة • على الجودى • جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل
بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك
اليوم وصار سنة • وقيل بعدا للقوم الظالمين • هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا بعد
بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية
فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى
عن الاخلال وفى ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين
فى نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر
عليه سوى الواحد القهار • ونادى نوح ربه • واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال
رب ان ابنى من اهلى • فانه النداء • وان وعدك الحق • وان كل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما له لم ينج • ويجوز ان يكون
هذا النداء قبل غرقه • وانت احكم الحاكمين • لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر
حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع • قال يا نوح انه ليس
من اهلك • لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واليه اشار بقوله • انه عمل غير صالح
فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل
للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة • ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال
وادبار • ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء
ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه • وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى
عمل عملا غير صالح • فلا تسألن ما ليس لك به علم • ما لم تعلم اصواب هو ام ليس
كذلك • وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شان ولده
او استفسار المانع للانجاز فى حقه • وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله • انى اعظك
ان تكون من الجاهلين • لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه • وقرأ ابن كثير
بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنى
فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت النون الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء
بالكسرة وعن نافع اثباتها فى الوصل برواية ورش • قال رب انى اعوذ بك ان اسألك
فيما يستقبل ما ليس لى به علم • ما لا علم لى بصحته • والا تغفر لى • وان لم تغفر لى ما فرط

منى

منى من سؤالى • وترحمنى • بالتوبة والتفضل على • اكن من الخاسرين • اعمالا • قيل يا نوح
اهبط بسلام منا • انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك
مكرما • وبركات عليك • ومباركا عليك او زيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا
وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير النامى • وعلى امم ممن معك • اى
وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم • او على امم ناشئة
ممن معك • والمراد المؤمنون لقوله • وامم سنمتعهم • اى وممن معك امم سنمتعهم
فى الدنيا • ثم يمسهم منا عذاب اليم • فى الآخرة • والمراد بهم الكفار من ذرية من
معه • وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب • والعذاب ما نزل بهم • تلك
اشارة الى قصة نوح • ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها • من انباء الغيب • اى بعضها
نوحيها اليك • خبر ثان والضمير لها • اى موحاة اليك او حال من الانباء • او هو
الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء • ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا • خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك • او حال
من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها • وفى ذكرهم
تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف
بواحد منهم • فاصبر • على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح • ان العاقبة • فى
الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز • للمتقين • عن الشرك والمعاصى • والى عاد
اخاهم هودا • عطف على قوله نوحا الى قومه • وهودا عطف بيان • قال يا قوم
اعبدوا الله • وحدوه • ما لكم من اله غيره • وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده
ان انتم الا مفترون • على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء • ويا قوم
لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى • خاطب كل رسول به قومه
ازاحة للتهمة وتمحيصا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع • افلا
تعقلون • افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه • اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا
اليها بالتوبة • وايضا التبرى عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما
عنده • يرسل السماء عليكم مدرارا • كثير الدر • ويزدكم قوة الى قوتكم • ويضاعف
قوتكم • وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه
السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل • ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه • مجرمين • مصرين على اجرامكم • قالوا يا هود ما جئتنا

عف

ببينة حجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات. وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن
قولك حال من الضمير في تاركي. وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم
بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ. قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به
عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا
لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجمعوا على الكيد في
اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء
الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن
من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من
الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم
عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي
وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على
الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون ما لم
يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك
لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك. ان ربي على
صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم
فان تولوا فان تتولوا. فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما
علي من الابلاغ والزام الحجة ولا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم. ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم
ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده
القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف. ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه. ان ربي على كل
شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول
عليه فلا يمكن ان يضره شيء. ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا
هودا والذين آمنوا معه برحمة منا. وكانوا اربعة آلاف. ونجيناهم من عذاب
غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة

وتخرج

وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا
والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب
الغليظ. وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى
قبورهم وديارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا
رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا
امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا
وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم. واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي
جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب. الا ان عادا كفروا
ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار. الا بعدا لعاد دعاء عليهم
بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى
عنهم. وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى
ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود. والى ثمود اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها
لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب. واستعمركم
فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل
هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم. فاستغفروه ثم توبوا اليه
ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه. قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في
الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك. اتنهانا
ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية. واننا لفي شك مما تدعونا اليه
من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة
على الاسناد المجازي من اراب في الامر. قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي
بيان وبصيرة. وحرف الشك باعتبار المخاطبين. وآتاني منه رحمة نبوة. فمن
ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن
الاشراك به. فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني
بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان

فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام

انسبكم الى الخسران • ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية • انتصب آية على الحال وعامله
معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها • فذروها تأكل في ارض الله
ترع نباتها وتشرب ماءها • ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب • عاجل لا
يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام الاربعا والخميس والجمعة ثم
تهلكون • ذلك وعد غير مكذوب • اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا • او غير مكذوب على المجاز
وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه • او وعد غير كذب
على انه مصدر كالمجلود والمعقول • فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ • اى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم
بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة • وقرأ نافع والكسائي هنا وفي المعارج
في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه • ان
ربك هو القوي العزيز • القادر على كل شيء والغالب عليه • واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين • قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف
كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم • وقرأ حفص وحمزة ان ثمود هنا وفي
سورة الفرقان وفي سورة العنكبوت بفتح الدال من غير تنوين • ونون الكسائي
بخفض الدال في قوله • الا بعدا لثمود • ذهابا الى الحي او الاب الاكبر • ولقد جاءت
رسلنا ابرهيم يعني الملائكة • قيل كانوا تسعة • وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل
واسرافيل • بالبشرى بشارة الولد • وقيل هلاك قوم لوط • قالوا سلاما • سلمنا
عليك سلاما • ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما • قال سلام • اى امركم او
جوابي سلام • او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم • وقرأ حمزة والكسائي
سلم • وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام • وقيل المراد به الصلح • فما
لبث ان جاء بعجل حنيذ • فما ابطأ مجيئه به • او فما تأخر عنه • والجار مقدر
او محذوف • والحنيذ المشوي بالرضف • وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس
اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين • فلما رأى ايديهم لا تصل اليه • لا يمدون
اليه ايديهم • نكرهم واوجس منهم خيفة • انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها
ونكر وانكر واستنكر بمعنى • والايجاس الادراك • وقيل الاضمار • قالوا له لما احس
منه اثر الخوف • لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط • انا ملائكة مرسلة اليهم
بالعذاب • وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل • وامرأته قائمة • وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة • فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك

اهل

اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان
العذاب ينزل بهذا القوم • وقيل فضحكت فحاضت • قال وعهدي بسلمى ضاحكا
في لبانة • يعني حقا لم يعدها ان تحلما • ومنه ضحكت الشمرة اذا انشق كمها • وقرئ بفتح
الحاء • فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب • نصبه ابن عامر وحمزة
وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام • وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق
يعقوب • وقيل انه معطوف على موضع باسحق • او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه
غير مصروف • ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف • وقرأ الباقون
بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده • وقيل الوراء ولد
الولد • ولعله سمي به لانه بعد الولد • وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان
يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته • وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما
في البشارة كيحيى • ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به • وتوجيه البشارة
اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها • ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد
قالت يا ويلتى • يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع • وقرئ بالياء
على الاصل • ءالد وانا عجوز • ابنة سبعين او تسع وتسعين • وهذا بعلي زوجي
واصله القائم بالامر • شيخا • ابن مائة او مائة وعشرين • ونصبه على الحال والعامل
فيها معنى اسم الاشارة • وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف • اى هو شيخ • او خبر
بعد خبر • او بعلي بدل • انه ان هذا لشيء عجيب • يعني الولد من هرمين وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة • ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته
عليكم اهل البيت • منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل
بيت النبوة ومهبط المعجزات • وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع
ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات
واهل البيت نصب على المدح • او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة • انه حميد • فاعل ما يستوجب به الحمد • مجيد • كثير الخير والاحسان • فلما
ذهب عن ابرهيم الروع • ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم • وجاءته
البشرى • بدل الروع • يجادلنا في قوم لوط • يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته
اياهم • قوله ان فيها لوطا • وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال
او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو • او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ
على خطابنا او شرع في جدالنا • او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا
ان ابرهيم لحليم • غير عجول على الانتقام من المسيء اليه • اواه • كثير التأوه من

الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له
على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اى قالت
الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى
قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم
لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز
عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم
وفي العنكبوت والملك والباقون باخلاص حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه
وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون
اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل
ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها
حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدا بهن اضيافه كرما
وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم
وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة على تناهي
خبث ما يرومون حتى ان ذاك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي
يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة و
التربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف
فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر
بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي
او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل
اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران
قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد
الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه
رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان
كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروي
انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت

الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن
يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا
فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا
يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة
منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه
انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات
بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى وراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي
عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على انه خلفها مع قومها او
اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر
فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون
اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه
استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم
ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه
علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه
العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب
مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا
عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما
للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله
حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر
عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل
اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا
منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار
الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيماء يتميز عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند

ربك في خزائنه • وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم • وعنه عليه السلام سأل جبرئيل فقال يعني ظالمي
امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام • وتذكير البعيد
على تأويل الحجر او المكان • والى مدين اخاهم شعيبا • ارادوا ولاد مدين بن ابرهيم
عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه • قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان • امرهم بالتوحيد اولا فانه
ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض
اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس
شكرا عليها لا ان تنقصوا على الناس حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه
وهو في الجملة علة النهي • واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط • لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره • والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب
الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان • صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة
وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة
لا يتأتى دونها • بالقسط • بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد
ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا • ولا تبخسوا الناس اشياءهم
تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره • وكذا قوله ولا تعثوا
في الارض مفسدين • فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل
المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات • والعثو السرقة وقطع الطريق
والغارة • وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم • بقيت الله
ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم • خير لكم • مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك
مشروط بالايمان • او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم • وقيل البقية الطاعة كقوله
والباقيات الصالحات • وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي • وما
انا عليكم بحفيظ • احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها
وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت • او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم
تتركوا سوء صنيعكم • قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا

من

من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلوته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما
تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر • وقرأ حمزة والكسائي
وحفص على الافراد • والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان
الرجل لا يؤمر بفعل غيره • او ان نفعل في اموالنا ما نشاء • عطف على ما اي بان
نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا • وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو
جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء • وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم فاراد
بذلك • انك لانت الحليم الرشيد • تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك
او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة • ورزقني منه رزقا حسنا • اشارة
الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف • تقديره فهل يسع لي مع هذا
الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخونه في وحيه واخالفه
في امره ونهيه • وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين
الآباء • والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله • وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه • اي ما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به
فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا
الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس • ان
اريد الا الاصلاح ما استطعت • ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي
عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما
نهيتكم • ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شأن • وهو التنبيه على ان العاقل
يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله
وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس • وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به
وانهكم عما نهيتكم عنه • وما مصدرية واقعة موقع الظرف • وقيل خبرية
بدل من الاصلاح • اي المقدار الذي استطعته • او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف • وما توفيقي الا بالله • وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته • عليه توكلت • فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد
ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار • وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي
هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ • واليه انيب • اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا

يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة
الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بمعاداتهم وتهديدهم
بالرجوع الى الله للجزاء. ويا قوم لا يجرمنكم. لا يكسبنكم. شقاقى معاداتى ان
يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح. من الغرق. او قوم هود. من الريح. او قوم صالح
من الرجفة. وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه تعدى الى واحد والى اثنين ككسب
وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول والاول افصح فان
اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء. وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت. حمامة فى غصون ذات اوقال. وما قوم لوط
منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم. او ليسوا ببعيد
منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم. وافراد البعيد لان المراد وما
اهلاكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث
لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق. واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما
انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين. ودود. فاعل بهم من اللطف و
الاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده. وهو وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار. قالوا يا شعيب ما نفقه. ما نفهم. كثيرا مما تقول. كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل
قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه. وانا
لنريك فينا ضعيفا. لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك
وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض
المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين. ولولا رهطك
قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى
العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك. لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه. وما انت
علينا بعزيز. فتمنعنا عزتك. وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد وفى ايلاء الضمير حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت العزة وان
المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك. قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا. وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد
والتكذيب. وظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربى بما تعملون

محيط

قوله لاضافته الى المبنى لان مثل وغير مع ما وان مخففة ومشددة يجوز بناؤهما على الفتح واعرابهما فيكون فتحته على هذه القراءة فتحة بناء وهو فاعل مرفوع محلا ويجوز ان يكون فتحة اعراب على انه نعت لمصدر محذوف اى اصابة مثل اصابة قوم نوح والفاعل مضمر يفسره سياق الكلام اى ان يصيبكم هو اى العذاب قوله لم يمنع الشرب منها البيت ضمير منها للراحلة وفى الكلام قلب اى لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت صوت حمامة فنفرت يريد انها حديدة النفس تنفر بادنى شئ وهو محمود فيها والاوقال جمع وقل بالتحريك وهو شجر اى فى غصون شجرة ذات اغصان كثيرة ذات احجار

سعد چلبى

محيط. فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها. ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى
عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه. سبق مثله فى سورة الانعام
والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك
وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل
ومن هو كاذب. عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب
منى ومنكم. وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم. وارتقبوا. فانتظروا ما
اقول لكم انى معكم رقيب. منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير
او المرتقب كالرفيع. ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له
بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله تعالى وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية. واخذت الذين ظلموا الصيحة
قيل صاح بهم جبريل فهلكوا. فاصبحوا فى ديارهم جاثمين. ميتين. واصل الجثوم
اللزوم فى المكان. كان لم يغنوا فيها. كان لم يقيموا فيها. الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود. شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم
وصيحة مدين كانت من فوقهم. وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير
لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر
المكسور. ولقد ارسلنا موسى بآياتنا. بالتورية او المعجزات. وسلطان مبين
هو المعجزات القاهرة او العصا. وافرادها بالذكر لانها ابهرها. ويجوز ان يراد بهما
واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه
او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا. والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة
والدليل القاطع. والسلطان يخص القاطع. والمبين يخص بما فيه جلاء. الى فرعون
وملئه فاتبعوا امر فرعون. فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما
اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاطعة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون
المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من
العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم. وما امر فرعون برشيد. مرشد
او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح. يقدم قومه يوم القيمة. الى النار
كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم. فاوردهم النار

ذكر بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا
ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون
برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد
ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه اى فى هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة اى يلعنون فى الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان
والعطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف
اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك اى ذلك النباء من انباء القرى المهلكة
نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم
وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من
الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن
ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما
نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شئ
لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك
او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى
هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان
المعنى على المضى وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه
اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه
او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه
وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه
الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه
بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الاخرة او ينزجر به من موجباته لعلمه
بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء
هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية
اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب
الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على
ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله
يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازات وذلك
يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف

مجرى

مجرى المفعول كقوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو
جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر
الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير
معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين
او الله عز وجل هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من
جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
الا باذنه الا باذن الله لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون
فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقى وجبت
له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل
الموقف وان لم يذكر لانه مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين
شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده و
استعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم
وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض
ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم
وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب تعبرون به عنه على
سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم
ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد
عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليها
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من
مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن
عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه الا ما شاء
ربك استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها
وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل اى الخلود يكفيه زواله عن
البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد
من مبداء معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وان هؤلاء

وأن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقي وسعيد تقسيماً صحيحاً لأن من شرطه أن يكون صفة كل قسم منتفية عن
قسيمه لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع وههنا
المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وأن حالهم لا يخلوا عن السعادة والشقاوة
وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين أو لأن أهل النار ينقلون منها
إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من
الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم
والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار
حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقاً غير مقيد
باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل
هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل إلا ههنا بمعنى سوى كقولك على ألف إلا
الألفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والأرض إن ربك فعال لما يريد من غير اعتراض وأما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير
مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من
الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى
أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة
فلا تك في مرية شك بعد ما أنزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء
من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع
ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن
المرية أي هم وآباؤهم سواء في الشرك أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم
أو ما يعبدون شيئاً إلا مثل ما عبدوه من الأوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من
ذلك فسيلحقهم مثله لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى
كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم
من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذراً لتأخر العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فإنك تقول وفيته
حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه

فآمن

فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيمة لقضي بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل
ليتميز به عن المحق وإنهم وإن كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب
موقع للريبة وإن كلاً وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين
بدل المضاف إليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتباراً
للأصل لما ليوفينهم ربك أعمالهم اللام الأولى موطئة للقسم والثانية
للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على أن أصله لمن ما فقلبت النون ميماً للادغام فاجتمعت ثلث ميمات
فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لماً بالتنوين
أي جميعاً كقوله أكلاً لماً وإن كل لما على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقد قرئ به
إنه بما يعملون خبير فلا يفوت عنه شيء وإن خفي فاستقم كما أمرت
لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة
في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين
والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من
غير تفريط وإفراط مفوت الحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال
عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك أي من تاب من الشرك والكفر
وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام
الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم إنه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للأمر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا إلى الذين ظلموا
ولا تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم
واستدامته فتمسكم النار بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى
ظلماً كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل إليهم
كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم
والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها
للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط و
تفريط فإنه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء
على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه وما لكم من دون الله من أولياء

من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم الله
اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم
بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله يعذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه
مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه
اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات
من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كيسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر
وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من
امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى
القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود و
دليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا
كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي
بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى
من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم
لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها
واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان
السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم الهوى وترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى
فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض
وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان تفسر به المشهور
ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون

فهلا كان ص

فيما

فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم
يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين
بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم
ربك الا ناسا هداهم من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة
فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام
للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده
او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما
اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به
ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من
الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة
واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من
انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في
هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى
للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا
على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا
منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض
خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر
بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون
انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر
النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وبهود وصالح وشعيب
ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات
السورة وهي المرادة بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز

وحفص عن عاصم

قوله بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل اى عليهما في كل شيء من العقايد المتعلقة باصول الدين او بفروعه او بغيرها من امور الدنيوية والذي حداه على ذلك عموم الناس وشمول الاختلاف لما في كل شيء وكون الحال كذلك فيكون الاستثناء منقطعا لا محالة فكان الاولى ان يقول لكن ناسا هداهم من فضله فاتفقوا بدل فاتفقوا حتى يكون بيانا لخبر لكن ودليلا على جعل الاستثناء منقطعا وقوله خلقهم بعد قوله لا تكاد تجد جعل الاستثناء متصلا مبناه على انه خص بما في اصول الدين ان الحكمة في كما هو الظاهر قوله واللام للعاقبة لان الظاهر خلقهم ليس الاختلاف ولئلا يخالف قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولئلا يلزم ان لا يعذبهم بسبب الاختلاف اذا خلقوا لاجله قوله او اليه والى الرحمة اى اليهما معا اى خلقهم وكان عاقبة خلقهم اختلاف الكل ورحمة البعض والاشارة بلفظ المفرد جائز كما في قوله عوان بين ذلك قوله وعيده يعني مجاز عن الوعيد اذا اريد بكلمة الجنة والناس وحقيقة اذا اريد بكلمة الملائكة سنان افندي عليه الرحمة

او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله • او لليهود ما سألوا •
اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت • انا انزلناه • اي الكتاب • قرآنا عربيا • سمي البعض
قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة • ونصبه على
الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا
صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف • لعلكم تعقلون
علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا
بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لا يتعلم القصص
معجز لا يتصور الا بالايحاء • نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه
اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات
والعبر • فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
بما اوحينا • بايحائنا • اليك هذا القرآن • يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول
نقص على ان احسن نصب على المصدر • وان كنت من قبله لمن الغافلين • عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة • اذ قال يوسف • بدل من احسن القصص ان جعل
مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر • ويوسف عبري ولو كان عربيا
لصرف • وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل
من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته • لابيه • يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام
وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
يا ابت • اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها
هاء في الوقف ابن كثير وابن عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها
ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة
وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض عنه • وقرئ بالضم اجراء
لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب • اني رأيت • من الرؤيا لا من
الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك على اخوتك • وقوله هذا تأويل رؤياي • احد
عشر كوكبا والشمس والقمر • روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل
عليه السلام فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم • فقال جربان

والطارق • والذيال • وقابس • وعمودان • والفليق • والمصبح • والضروح • والفرغ
ووثاب • وذو الكتفين • رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها • رأيتهم لي ساجدين • استئناف
لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بني • تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثني عشر سنة
وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء • لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا • فيحتالوا لاهلاكك حيلة • فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه
ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة
والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير
البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك • ثم ان المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة • ثم ان كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه • وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه
لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله • ان
الشيطان للانسان عدو مبين • ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحوا فلا يألو
جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد • وكذلك • اي وكما
اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس • يجتبيك ربك • للنبوة
والملك او لامور عظام • والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك
ويعلمك • كلام مبتدأ خارج عن التشبيه • كانه قيل وهو يعلمك • من تأويل الاحاديث
من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان
ان كانت كاذبة • او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء
وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل • ويتم نعمته عليك • بالنبوة او بان
يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة • وعلى آل يعقوب • يريد به سائر بنيه ولعله
استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله • كما اتمها على ابويك • بالرسالة
وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه
بذبح عظيم • من قبل • من قبلك او من هذا الوقت • ابرهيم واسحق • عطف بيان
لابويك • ان ربك عليم • بمن يستحق الاجتباء • حكيم • يفعل الاشياء على ما ينبغي

لقد كان في يوسف واخوته اى في قصتهم آيات . دلائل قدرة الله وحكمته او
علامات نبوتك . للسائلين . لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة
وهم يهوذا . وروبيل وشمعون . ولاوي . وزبالون . ويشجر . ودينة من بنت خالته
ليان تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون وهم دان . ونفتالى
وجاد . وآشر من سريتين . زلفة وبلهة . اذ قالوا ليوسف واخوه . بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين . احب الى ابينا منا
وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف
اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف . ونحن عصبة . والحال انا جماعة
اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما . والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم . ان ابانا لفي ضلال مبين .
لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة . روى انه كان احب اليه لما
يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له . اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا
وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون . او اطرحوه ارضا . منكورة
بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها . ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم . جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل
عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد . وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان . من بعده . بعد يوسف او الفراغ
من امره او قتله او طرحه . قوما صالحين . تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين
مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه . او صالحين في امور دنياكم
فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم . قال قائل منهم . يعني يهوذا وكان
احسنهم فيهم رايا . وقيل روبيل . لا تقتلوا يوسف . فان القتل عظيم
والقوه في غيابت الجب . في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر . وقرأ
نافع في غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات . وقرئ غيبة وغيابات
بالتشديد . يلتقطه . يأخذه بعض السيارة . بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين . بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف . لم تخافنا عليه . وانا له لناصحون .

ونحن

ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم
لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين . وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا
الى الصحراء . يرتع . نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب . ونلعب
بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى ونافع بالكسر
والياء فيه وفي يلعب . وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل
الى يوسف وقرئ نرتع من ارتع ماشيته . ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع
على الابتداء . وانا له لحافظون . ان يناله مكروه . قال اني ليحزنني ان تذهبوا
به . لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه . واخاف ان يأكله الذئب . لان الارض
كانت مذأبة . وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره
وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية البزي وابو عمرو وقفا وعاصم
وابن عامر وحمزة درجا . واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة
وانتم عنه غافلون . لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه . قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة . اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون ومستحقون لان يدعى عليهم بالخسار . والواو في ونحن للحال
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب . وعزموا على القائه فيها والبئر
ببيت المقدس او بئر بارض الاردن . او بين مصر ومدين . او على ثلثة فراسخ
من مقام يعقوب . وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى . فقد
روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع
الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه
وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء جبريل
بالوحي كما قال . واوحينا اليه . وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا
اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم
عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب وجعله
في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه يوسف . لتنبئنهم بامرهم

هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك . وهم لا يشعرون . انك يوسف لعلو شانك وبعده
عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات . وذلك اشارة الى ما قال لهم
بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا
له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم
لا يشعرون ذلك . وجاؤا اباهم عشاء يبكون . آخر النهار وقرئ عشيا وهو
تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين
روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف . قالوا يا ابانا انا
ذهبنا نستبق . نتسابق فى العدو او فى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما
انت بمؤمن لنا . بمصدق لنا . ولو كنا صادقين . لسوء ظنك بنا وفرط محبتك
ليوسف . وجاؤا على قميصه بدم كذب . اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه
ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا
كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج
على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع
النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور
روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه واخذ والقاه على وجهه
وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا
اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك . قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى
سهلت لكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء . فصبر
جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى
لا شكوى فيه اى الى الخلق . والله المستعان على ما تصفون . على احتمال ما
تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنباءهم ان صح .
وجاءت سيارة . رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان
ذلك بعد ثلاث من القائه فيه . فارسلوا واردهم . الذى يرد الماء ويستقى
لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى . فادلى دلوه . فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى
بها يوسف فلما رآه . قال يا بشرى هذا غلام . نادى البشرى بشارة لنفسه
او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك . وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه
على اخراجه . وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وقرئ يا بشرى بالادغام
وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف . واسروه اى الوارد واصحابه

من

من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ
فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه و
سكت يوسف مخافة ان يقتلوه . بضاعة . نصب على الحال اى اخفوه متاع التجارة
واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة . والله عليم بما يعملون . لم يخف
عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم . وشروه . وباعوه .
وفى مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته . بثمن بخس . مبخوس لزيفه او نقصانه
دراهم . بدل من الثمن معدودة . قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون
ما دونها . قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين . وكانوا فيه . فى يوسف
من الزاهدين . الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان
للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف
عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه
متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول . وقال
الذى اشتريه من مصر . وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير
او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف ومات
فى حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب
الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه وهو ابن سبعة عشر سنة ولبث فى منزله
ثلث عشر سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفى وهو ابن
مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون
دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا . لامرأته . راعيل
او زليخا اكرمى مثويه . اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده
عسى ان ينفعنا . فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا . او نتخذه ولدا .
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من رشده ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك
مكنا ليوسف فى الارض وكما مكنا محبته فى قلب العزيز او كما مكنا فى منزله او كما
انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها . ولنعلمه من تأويل الاحاديث .
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد

فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معانى كتب الله و
احكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها
ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه • والله غالب على امره لا يرده
شيئ ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا
واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ان الامر
كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه • ولما بلغ اشده • منتهى اشتداد
جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه
بلوغ الحلم • آتيناه حكما • حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما • يعنى الفقه فى الدين او علم تأويل الاحاديث • وكذلك نجزى المحسنين
تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقانه فى عنفوان
امره • وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه • طلبت منه وتمحلت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب الشيئ ومنه الرائد • وغلقت الابواب
قيل كانت سبعة • والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق • وقالت هيت
لك اى اقبل وبادر او تهيئت • والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح
كاين • واللام للتبيين كالتى فى سقيا لك • وقرء ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث
ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه • وقرئ هئت من هاء يهيئ
اذا تهيئ • وعلى هذا فاللام من صلته • قال معاذ الله • اعوذ بالله معاذا
انه • اى الشان • ربى احسن مثواى • سيدى قطفير احسن تعهدى • فما لك
فى اكرامى فما جزاؤه ان اخونه فى اهله • وقيل الضمير لله اى خالقى واحسن منزلتى
بان عطف قلبه فلا اعصيه • انه لا يفلح الظالمون • المجازون الحسن بالسيئ
وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى وعلى المزنى باهله • ولقد همت به وهم
بها • قصدت مخالطته وقصد مخالطتها • والهم بالشيئ قصده والعزم عليه
ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشيئ امضاه • والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختيارى • وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة
الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله • لولا ان رأى برهان ربه • فى قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة • ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب
لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه
وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل

نودى

نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء • كذلك • اى مثل
ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك • لنصرف عنه السوء • خيانة السيد
والفحشاء • الزنا • انه من عبادنا المخلصين • الذين اخلصهم الله لطاعته وقرء
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الف ولام
اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى • واستبقا الباب • اى تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار • وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه
لتمنعه الخروج • وقدت قميصه من دبر • اجتذبته من ورائه فانقد قميصه
والقد الشق طولا والقط الشق عرضا • والفيا سيدها • فصادفا زوجها
لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم •
ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها عنده وجا وتغييره على يوسف واغرائه
به انتقاما منه • وما نافية او استفهامية بمعنى اى شيئ جزاؤه الا السجن
قال هى راودتنى عن نفسى • طالبتنى بالمواتاة • وانما قال ذلك دفعا لما عرضته
له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله • وشهد شاهد من اهلها
قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم
اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم
وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها • ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين • لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله
فانقد جيبه • وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين • لانه
يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته • والشرطية محكية على ارادة القول
او على ان فعل الشهادة من القول • وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها • والجمع بين
ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه • ونظيره قولك ان احسنت الى فقد
احسنت اليك من قبل • فان معناه ان تمنن على باحسانك امنن عليك باحسانى
لك السابق • وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح
كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين • فلما رأى قميصه قد من
دبر قال انه • ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء • او ان هذا الامر من
كيدكن • من حيلتكن • والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء • ان كيدكن عظيم •
فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن
به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة • يوسف • حذف منه حرف النداء

لقربه وتفطنه للحديث • اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره • واستغفري لذنبك • يا راعيل • انك كنت من الخاطئين • من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب • وقال نسوة • هي اسم لجمع امرأة • وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي • ولذلك جرد فعله • وضم النون لغة فيها • في المدينة • ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر • او صفة نسوة وكن خمسا • زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان • وصاحب الدواب • امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه • تطلب موافقة غلامها اياها • والعزيز بلسان العرب الملك • واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة • قد شغفها حبا • شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا • ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه • وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه • انا لنراها في ضلال مبين • في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب • فلما سمعت بمكرهن • باغتيابهن • وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره • او قلن ذلك لترين يوسف • او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها • ارسلت اليهن • تدعوهن • قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس • واعتدت لهن متكأ • ما يتكئن عليه من الوسائد • وآتت كل واحدة منهن سكينا • حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين • وقرئ متكا بحذف الهمزة • ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح • ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه • ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ • وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه • عظمنه وهبن حسنه الفائق • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر • وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران • وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق • وقطعن ايديهن • جرحنها بالسكين من فرط الدهشة • وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله • واصله حاشا كما قرأه

ابو عمرو

ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك • وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله تعالى وحاشا لله تعالى بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية • وفاعله ضمير يوسف عليه السلام اي صار في ناحية لله تعالى مما يتوهم فيه • ما هذا بشرا • لان هذا الجمال غير معهود للبشر • وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال • وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم • وبشرى اي بعبد مشترى لئيم • ان هذا الا ملك كريم • فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة • او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك • قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني • او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه • ولقد راودته عن نفسه فاستعصم • فامتنع طلبا للعصمة • اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاوننها على الانة عريكته • ولئن لم يفعل ما آمره • بحذف الجار • او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف • ليسجنن وليكونا من الصاغرين • الاذلة • وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا • والصغير من صغر بالضم صغرا • وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة تشبيها بالتنوين • قال رب السجن • وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر • احب الي مما يدعونني اليه • اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة • وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه • واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها • او دعونه الى انفسهن • وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية • ولذلك رد رسول الله على من كان يسأل الصبر • والا تصرف عني • وان لم تصرف عني كيدهن • في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة • اصب اليهن • امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي • والصبوة الميل الى الهوى • ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها • وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق • واكن من الجاهلين • من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح • او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء • فاستجاب له ربه • فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف • فصرف عنه كيدهن • فثبته بالعصمة

قوله ولذلك رد اشارة الى ما رواه الترمذي عن معاذ رضي [illegible] عن النبي عليه السلام انه سمع رجلا وهو يقول اللهم اني اسألك الصبر فقال سألت الله البلاء فاسأله العافية
شهاب

حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع
لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الايات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف
كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل
بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه
زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين
وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه
وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق ان
ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان
يسمّانه قال احدهما اني اراني في المنام يعني الشرابي اعصر خمرا اى عنبا وسماه
بما يؤول اليه وهي حكاية حال ماضية وقال الآخر اى الخباز اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين
من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في
السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بتاويل ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما
بتاويله اى بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته
وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين
منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك التاويل
مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمني ذلك لاني
تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدا
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه
والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير
الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر
الانبياء ان نشرك بالله من شيء اى شيء كان ذلك اى التوحيد من فضل
الله علينا بالوحي وعلى الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن
اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون

او من

او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه
او صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب
متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية
القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب
لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها
من سلطان اى الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم
يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون
عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت
عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج
في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة
ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق
العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو
الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن
اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود
الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اى قطع الامر الذي
تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا
في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما
الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول
الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته
له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره
ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت
محمودة في الجملة لكنه لا يليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين

البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع • وقال الملك انى ارى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف • لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان
خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان • وسبع سنبلات
خضر • قد انعقد حبها • واخر يابسات • وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها • وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال
البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التميز بها ووصف السبع الثانى
بالعجاف لتعذر التميز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه
جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه • يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى
عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون • ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال
من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل
لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى
فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا • قالوا اضغاث
احلام • اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث • واصله ما جمع من
اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة • وانما جمعوا للمبالغة فى وصف
الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة • وما نحن
بتأويل الاحلام بعالمين • يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى
ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية
للعذر فى جهلهم بتأويله • وقال الذى نجا منهما • من صاحبى السجن وهو الشرابى
وادكر بعد امة • وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم الله عليه بالنجاة وامه اى نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول • انا انبئكم بتأويله
فارسلون • اى الى من عنده علمه او الى السجن • يوسف ايها الصديق • اى فارسل الى
يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه
جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه • افتنا فى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات • اى فى
رؤيا ذلك • لعلى ارجع الى الناس • اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ
قيل ان السجن لم يكن فيه • لعلهم يعلمون • تأويلها او فضلك او مكانك وانما
لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من

ان يرتفع علمهم

علمهم • قال تزرعون سبع سنين دأبا • اى على عادتكم المستمرة • وانتصابه على
الحال بمعنى دائبين • او المصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا
وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر
اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله • فما حصدتم فذروه فى سنبله • لئلا ياكله
السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة • الا قليلا مما تاكلون • فى تلك
السنين • ثم ياتى من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن • اى ياكل اهلهن
ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به • الا قليلا مما
تحصنون • تحرزون لبذر الزراعة • ثم ياتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث • وفيه يعصرون • ما يعصر كالعنب
والزيتون لكثرة الثمار • وقيل يحلبون الضروع • وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على
تغليب المستفتى • وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه • ويحتمل ان يكون
المبنى للفاعل اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا • او من اعصرت السحابة عليهم فعدى
بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر • وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف اليابسات بسنين مجدبة • وابتلاع
العجاف للسمان باكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة • ولعله علم ذلك
بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب • او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده
بعد ما ضيق عليهم • وقال الملك ائتونى به • بعد ما جاء الرسول بالتعبير • فلما
جاءه الرسول • ليخرجه • قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن
ايديهن • انما تانى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله ليظهر براءة
ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره • وفيه
دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواضعها • وعن النبى صلى الله عليه
وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة • وانما قال فاسأله
ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق
الحال • وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب • وقرئ
النسوة بضم النون • ان ربى بكيدهن عليم • حين قلن لى اطع مولاتك • وفيه
تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد
لهن على كيدهن • قال ما خطبكن • قال الملك لهن ما شانكن • والخطب امر يحق ان
يخاطب فيه صاحبه • اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله • تنزيه
له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله • ما علمنا عليه من سوء • من ذنب

قوله وقرئ يعصرون على بناء المفعول من عصره اذا انجاه
اى ينجون من كرب القحط والجدب ويصلون الى سعة العيش
وكثرة النعم من العصرة وهى النجاة والعصير الملجأ وبعضه
هذا الوجه مطابقة لقوله فيه يغاث الناس سواء فسر يغاث
يمطرون او ينقذون من الكرب والشدة ويحتمل ان يكون المبنى
للفاعل اى يعصرهم بمعنى انجاه ويكون المعنى يغيثهم الله
بالامطار ويغيث بعضهم بعضا وينقذه من كرب الجدب

قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا
القى مباركه ليناخ قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته ونار بسلمى نوءه
ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ
على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى
عن نفسى ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى
ذلك التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل
والمفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب
وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض
براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسى
اى لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم
الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له
جبريل عليه السلام ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء
من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى
اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة ربى او الا ما رحمه الله من
النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى
تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربى
غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر
لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال
الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما كلمه اى
فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا
مكين امين مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك [illegible] من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال
ما هذا اللسان قال لسان ابائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه
بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى
قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء

وولد

وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض
ارض مصر انى حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله
عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لا محالة آثر ما يعم فوائده ويجل عوائده
وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر
اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد
ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف فى الارض فى ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء فى الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجورهم
عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روى انه لما استوزره الملك اقام العدل
واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم
القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير
حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد
عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه
غير بنيامين للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف
ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم
انه هلك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه
من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر
ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل
من بلدة الى اخرى وما يزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال
ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك
فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به
من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا
بعضكم عندى رهينة وائتونى باخ لكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفس حملا فسألوا حملا زائدا
لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون

أني أوفي الكيل أتمه. وأنا خير المنزلين للضيف وللمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم
وضيافتهم. فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون. أي لا تقربوني
ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء. قالوا سنراود
عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه. وإنا لفاعلون. ذلك لا نتوانى فيه
وقال لفتيته. لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي لفتيانه على
جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكل بكل رحل
واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما فعل
ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفقا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من
أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به. لعلهم يعرفونها. لعلهم يعرفون حق ردها
أو لكي يعرفوها. إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون. لعل معرفتهم ذلك
تدعوهم إلى الرجوع. فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل حكم بمنعه
بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين. فأرسل معنا أخانا نكتل. نرفع المانع من الكيل
ونكتل ما نحتاج إليه. وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أو يكتل
لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا. وإنا له لحافظون. عن أن يناله مكروه. قال
هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل. وقد قلتم في يوسف وإنا له
لحافظون. فالله خير حافظا. فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه. وهو أرحم الراحمين
فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين. وانتصاب حفظا على التمييز
وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ وخير الحافظين. ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت إليهم. وقرئ ردت إليهم بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في
بيع وقيل. قالوا يا أبانا ما نبغي. ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك إحسانا أو لا نبغي
في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه. وقرئ ما تبغي على الخطاب أي أي شيء
تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الدليل على صدقنا. هذه بضاعتنا ردت إلينا
استئناف موضح لقوله ما نبغي. ونمير أهلنا. معطوف على محذوف أي ردت إلينا
فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك. ونحفظ أخانا. عن المخاوف في ذهابنا
وإيابنا. ونزداد كيل بعير. وسق بعير باستصحاب أخينا هذا إذا كانت ما
استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن يكون الجمل معطوفة
على ما نبغي أي ما نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا. ذلك كيل يسير. أي مكيل

قليل

قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك
أو يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم. ويجوز أن يكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء
قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه. وقيل إنه من كلام يعقوب ومعناه
إن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد. قال لن أرسله معكم إذ رأيت
منكم ما رأيت. حتى تؤتون موثقا من الله. حتى تعطوني ما أوثق به من عند
الله. أي عهدا مؤكدا بذكر الله. لتأتنني به. جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا
بالله لتأتنني به. إلا أن يحاط بكم. إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك. أو إلا أن
تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير لتأتنني به على كل
حال إلا حال الإحاطة بكم أو من أعم العلل على أن قوله لتأتنني به في تأويل النفي
أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله إلا فعلت. أي
ما أطلب إلا فعلك. فلما آتوه موثقهم. أي عهدهم. قال الله على ما نقول
من طلب الموثق وإتيانه. وكيل. رقيب مطلع. وقال يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من أبواب متفرقة. لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين
في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي
إليها خوفه على بنيامين. وللنفس آثار منها العين. والذي يدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم في عوذته اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين
لامة. وما أغني عنكم من الله من شيء. مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر
لا يمنع القدر. إن الحكم إلا لله. يصيبكم لا محالة إن قضى عليكم سوء ولا ينفعكم
ذلك. عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون. جمع بين الحرفين في عطف
الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب فإن
فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم. ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم. أي من
أبواب متفرقة في البلد. ما كان يغني عنهم. رأي يعقوب واتباعهم له
من الله من شيء. مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان
الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب. إلا حاجة في نفس يعقوب
قضاها استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته
من أن يعانوا. قضاها. أظهرها ووصى بها. وإنه لذو علم لما علمناه. بالوحي
ونصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره. ولكن
أكثر الناس لا يعلمون. سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر. ولما دخلوا على يوسف

آوى إليه أخاه ضمّ إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روي أنه أضافهم
فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً لجلس
معي فأجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون
معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد
أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا
تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية المشربة في رحل أخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعاً يكال به
وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن
نادى منادٍ أيتها العير إنكم لسارقون لعله لم يقله بأمر يوسف أو كان تعبئة
السقاية والنداء برضا بنيامين وقيل معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو أئنكم
لسارقون والعير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد
فقيل لأصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل
كسقف ففعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون أي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء
عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تُفقِدون من أفقدته إذا وجدته فقيداً
قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصوغ
من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلاً له وأنا به زعيم كفيل
أؤديه إلى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم
لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد
البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد
قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف
إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه
أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه سنة هكذا كان شرع يعقوب
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط
أو جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة

وقيل العير بالكسر جمع عَير بالفتح وهو حمار الوحشي والأهلي أيضاً وأصلها عُيُر بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لئلا تنقلب الواو ياء ثم فعل ذلك في بيض جمع أبيض لأن أصله بُيْض بضم الباء كحُمْر جمع أحمر لعين لا أصل اسم للجماعة الحمير ثم أطلق على قافلة الحمير ثم توسع فأطلق على كل قافلة تشبيهاً لها بقافلة الحمير شيخزاده

فني

فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه
بنيامين نفياً للتهمة ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث
من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين
الملك ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق
وهو بيان الكيد إلا أن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء
من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعاً أي لكن أخذه بمشيئة الله وإذنه نرفع
درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم أرفع
درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان
فوقه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم
ولأن العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه
وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق بنيامين
فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وريث عمته من أبيها منطقة
إبراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها
فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت
محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أمه صنم فسرقه
وكسره وألقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطى السائل
فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم أكنها ولم يظهرها لهم والضمير
للإجابة والمقالة أو لنسبة السرقة إليه وقيل إنها كناية بشريطة التفسير و
يفسرها قوله قال أنتم شر مكاناً فإنه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه
أنتم شر مكاناً أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم
عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر إذ المفسر بالجملة لا يكون
إلا ضمير الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون
قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً في السن أو في القدر ذكروا له حاله استعطافاً
له عليه فخذ أحدنا مكانه بدله فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس
به إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من المتعودين الإحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده فإن
أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه إنا إذاً لظالمون في مذهبكم

قوله فبدأ المؤذن [illegible]

هذا وأن مراده أن الله أذن أن نأخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه
عليه فلو اخذت غيره كنت خاطئا • فلما استيأسوا منه • يئسوا من يوسف وأجابتهم
اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة • خلصوا • انفردوا واعتزلوا • نجيا •
متناجين • وانما وحده لانه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية
كندي وأندية • قال كبيرهم • في السن وهو روبيل أو في الرأي وهو شمعون • وقيل
يهودا • الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله • عهدا وميثاقا • وانما
جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته • ومن قبل • من قبل
هذا • ما فرطتم في يوسف • قصرتم في شأنه • وما مزيدة • ويجوز أن يكون مصدرية
في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا • فلا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف • أو على اسم أن وخبره في يوسف • أو من قبل • أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل
وفيه نظر لأن قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وأن يكون
موصولة • أي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم •
فلن ابرح الارض • فلن افارق ارض مصر • حتى يأذن لي أبي • في الرجوع • أو يحكم الله
لي • أو يقضي لي بالرجوع منها أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة منهم لتخليصه روي
انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة
تضع منها الحوامل • ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه
قم الى جنبه فمسه • وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه
فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب • وهو خير الحاكمين • لأن
حكمه لا يكون الا بالحق • ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق • على ما شهد
من ظاهر الامر • وقرئ سرق أي نسب الى السرقة • وما شهدنا • عليه • الا بما علمنا
بأن رأينا بأن الصواع استخرج من وعائه • وما كنا للغيب حافظين • فلا ندري
انه سرق أو سرق ودس الصاع في رحله • أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين
اعطيناك الموثق انه سيسرق أو انك تصاب به كما اصبت بيوسف • واسأل القرية
التي كنا فيها • يعني مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها • والمعنى أرسل الى أهلها
واسألهم عن القصة • والعير التي اقبلنا فيها • واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا
معهم • وانا لصادقون • تأكيد في محل القسم • قال بل سولت • أي فلما رجعوا الى أبيهم
وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت أي زينت وسهلت • لكم انفسكم أمرا
اردتموه فقررتموه والا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته • فصبر جميل

اى

اى فأمري صبر جميل • أو فصبر جميل أجمل • عسى الله ان يأتيني بهم جميعا •
بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر • انه هو العليم • بحالي وحالهم
الحكيم • في تدبيرها • وتولى عنهم • واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا أسفا على يوسف • أي يا أسفي تعال فهذا أوانك • والأسف أشد
الحزن والحسرة • والألف بدل من ياء المتكلم • وانما تأسف على يوسف دون
أخويه والحادث رزؤهما لأن رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا
بمجامع قلبه • ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته • وفي الحديث لم تعط أمة
من الأمم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد الا ترى أن يعقوب
حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا أسفا • وابيضت عيناه من الحزن •
لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادها • وقيل ضعف بصره • وقيل
عمي • وقرئ من الحزن • وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع • ولعل
امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد • ولقد
بكى رسول الله على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون • فهو كظيم • مملوء من الغيظ على أولاده ممسك
له في قلبه لا يظهره • فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا
شده على ملئه • أو بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ
من كظم الغيظ اذا اجترعه • واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه • قالوا تالله
تفتؤ تذكر يوسف • أي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه • فحذف لا كما في قوله فقلت
يمين الله أبرح قاعدا لأنه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات كان على النفي • حتى تكون حرضا • مريضا مشفيا على الهلاك • وقيل الحرض
الذي أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر • ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت
بالكسر كدنف ودنف • وقد قرئ به وبضمتين كجنب • أو تكون من الهالكين •
من الميتين • قال انما اشكو بثي وحزني • همي الذي لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى
النشر • الى الله • لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي • واعلم من الله • من صنعه
ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه • ما لا تعلمون • او من الله بنوع
من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف • قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه
فقال هو حي • وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا • يا بني
اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه • فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس
طلب الاحساس • ولا تيأسوا من روح الله • لا تقنطوا من فرج الله وتنفيسه

وقرئ من رُوح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد. انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون. بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية. مسنا
واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة. ردية او قليلة ترد وتدفع
رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته. ومنه تزجية الزمان. قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا. وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل. فاوف لنا
الكيل. فاتم لنا الكيل وتصدق علينا. برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة
على ما يساويها. واختلف فى ان حرمة التصدق تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه السلام
ان الله يجزى المتصدقين احسن الجزاء. والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله
عليه السلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه
اختص عرفا بما يبتغى به ثواب الله. قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى
كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون. قبحه. فلذلك اقدمتم
عليه او عاقبته. وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما
رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا. وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص
بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك
وانما جهلهم لان فعلهم ذا فعل الجهال او لانهم كانوا ح صبيانا طياشين. قالوا ءانك
لانت يوسف. استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه. وقرأ ابن كثير
على الايجاب. قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به. وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة
ويعقوب مثلها. قال انا يوسف وهذا اخى من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه و
تفخيما لشانه وادخالا له فى قوله. قد من الله علينا. اى بالسلامة والكرامة. انه
من يتق اى يتق الله. ويصبر على البليات او الطاعات وعن المعاصى. فان الله لا يضيع
اجر المحسنين. وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين
التقوى والصبر. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا. اختارك علينا بحسن الصورة
وكمال السيرة. وان كنا لخاطئين. والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك
قال لا تثريب عليكم. لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى
يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب
ماء الوجه. اليوم. متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم

اليوم

اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم. لانه صفح
عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها. وهو ارحم الراحمين. فانه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب. ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال
ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع
بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم
اخوتى وانى من حفدة ابرهيم. اذهبوا بقميصى هذا. القميص الذى كان عليه
وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ. فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا.
اى يرجع بصيرا اى يصير. وأتونى انتم وابى باهلكم اجمعين. بنسائكم وذراريكم
ومواليكم. ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها. قال ابوهم لمن حضره
انى لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه
يهودا من ثمانين فرسخا. لولا ان تفندون. تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل
يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا
محذوف تقديره لصدقتمونى او لقلت انه قريب. قالوا اى الحاضرون. تالله انك
لفى ضلالك القديم. لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار
ذكره والتوقع للقائه. فلما ان جاء البشير يهودا. روى انه قال كما احزنته
بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه. القاه على وجهه. طرح البشير
القميص على وجه يعقوب او يعقوب بنفسه. فارتد بصيرا. عاد بصيرا لما
انتعش فيه من القوة. قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون. من
حياة يوسف وانزال الفرج. وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا
من روح الله او انى لاجد ريح يوسف. قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا
كنا خاطئين. ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم. اخره الى السحر او الى صلاة
الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة. او الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة. ويؤيده انه استقبل
القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد
مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم
كان قبل استنبائهم. فلما دخلوا على يوسف. روى انه وجه اليه رواحل واموالا

ليتجهز إليه بمن معه واستقبله الملك والملك بأهل مصر وكان أولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى
ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى
إليه أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة
الأب في قوله وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق أو لأن يعقوب تزوجها بعد
أمه والرابة تدعى أما وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من القحط وأصناف
المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع
خارج البلد حين استقبلهم ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا تحية
وتكرمة فإن السجود عندهم كان يجري مجراها وقيل معناه خروا لأجله سجدا
لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لأبويه وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم
لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل رأيتها
أيام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ولم
يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لأنهم كانوا
أصحاب المواشي وأهل البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي
أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري إن ربي
لطيف لما يشاء لطيف التدبير له إذ ما من صعب إلا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل
دونها إنه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقت
على وجه يقتضي الحكمة روي أن يوسف طاف بأبيه عليهما السلام في خزائنه
فلما أدخله خزينة القرطاس قال يا بني ما أغفلك عندك هذه القراطيس وما
كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط مني
إليه فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك إني أخاف أن يأكله الذئب
قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني
من تأويل الأحاديث الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للتبعيض لأنه لم يؤت كل
التأويل فاطر السموات والأرض مبدعهما وانتصابه على أنه صفة المنادى
أو منادى برأسه أنت وليي ناصري أو متولي أمري في الدنيا والآخرة
يتولاني بالنعم فيهما توفني مسلما اقبضني وألحقني بالصالحين من آبائي
أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي أن يعقوب أقام معه أربعا
وعشرين سنة ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه فذهب به ودفنه
ثمة وعاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه إلى الملك المخلد

فتمنى

فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم
يصل إلى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى إلى مدفن آبائه وكان عمره مائة
وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل إفرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون
ورحمة امرأة أيوب ذلك أي ما ذكر من نبإ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو
مبتدأ من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران له وما كنت لديهم إذ أجمعوا
أمرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه
إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه
في غيابة الجب وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على
مكذبيك أنك ما لقيت أحدا سمع ذلك فتعلمته منه وإنما حذف هذا الشق
استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل
هذا وما أكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم بالغيب في إظهار الآيات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على
الأنباء أو القرآن من أجر جعل كما يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر
عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي
عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده
في السموات والأرض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون
فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الأرض وقرئ والأرض يمشون
عليها أي يترددون فيها فيرون آثار الأمم الهالكة وما يؤمن أكثرهم بالله
في إقرارهم بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادة غيره أو باتخاذ
الأحبار أربابا ونسبة التبني إليه أو القول بالنور والظلمة أو النظر إلى الأسباب
ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب أفأمنوا
أن تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة
بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بإتيانها غير مستعدين
لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر
السبيل بقوله أدعو إلى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة
واضحة غير عمياء أنا تأكيد للمستتر في أدعو أو على بصيرة لأنه حال منه أو
مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما أنا من

وانزهه تنزيها من الشركاء • وما ارسلنا من قبلك الا رجالا • رد لقولهم لو شاء ربنا
لانزل ملائكة • وقيل معناه نفي استنباء النساء • يوحي اليهم • كما اوحي اليك وتميزوا
بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القرآن • ووافقه حمزة والكسائي في سورة
الانبياء • من اهل القرى • لان اهلها اعلم بذلك واحلم من اهل البدو • افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • من المكذبين بالرسل والآيات
فيحذروا تكذيبك او من المشعوفين بالدنيا المتهالكين عليها فينقلعوا عن حبها
ولدار الآخرة • ولدار الحال والساعة او الحيوة الآخرة • خير للذين اتقوا • الشرك
والمعاصي • افلا يعقلون • يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير • وقرا نافع وابن
عامر وعاصم بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون • حتى
اذا استيأس الرسل • غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم
فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفين متمادين فيه من غير وازع • وظنوا انهم قد كذبوا •
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل
الضمير للمرسل اليهم • وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للمرسل فظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما
وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم • وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم
اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق
الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا
غير الكوفيين بالتشديد اي فظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ
كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند
قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا • جاءهم نصرنا فنجي من نشاء • النبي والمؤ
منين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم
فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول
وقرئ فنجا • ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين • اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين
لقد كان في قصصهم • في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب • لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى • ما كان القرآن حديثا يفترى • ولكن تصديق الذي بين
يديه • من الكتب الالهية • وتفصيل كل شيء • يحتاج اليه في الدين اذ
ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط • وهدى • من الضلال

ورحمة

قوله وفيه بيان المشتبهين اي لمن شاء الله نجاتهم لانه يعلم من المقابلة انهم ليسوا المجرمين وهم المؤمنون ... والقاضي زكريا ... فقد تدبر كلا القولين

ورحمة • ينال به خير الدارين • لقوم يؤمنون • يصدقونه • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية وآيها اربعون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • المر •
قيل معناه انا الله اعلم وارى • تلك آيات الكتاب • يعني بالكتاب السورة • وتلك
اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن • والذي انزل اليك
من ربك • هو القرآن كله • ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص
او احد الصفتين على الاخرى • او الرفع بالابتداء • وخبره الحق • والجملة كالحجة على الجملة
الاولى • وتعريف الصفتين دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل
صريحا وضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه • ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون • لاخلالهم بالنظر والتامل فيه • الله الذي رفع السموات •
مبتدا وخبر • ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر • بغير عمد
اساطين جمع عماد كاهاب واهب • او عمود كاديم وادم • وقرئ عمد كرسل
ترونها • صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية
واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح
بعض الممكنات على بعضها بارادته • وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات • ثم
استوى على العرش • بالحفظ والتدبير • وسخر الشمس والقمر • ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها • كل
يجري لاجل مسمى • لمدة معينة يتم فيها ادواره • او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت • يدبر الامر • امر ملكوته
من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك • يفصل الآيات • ينزلها
ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد • لعلكم بلقاء ربكم
توقنون • لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على
خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء • وهو الذي مد الارض •
بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان • وجعل فيها
رواسي • جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع راسية • والتاء للتانيث
على انها صفة اجبل او للمبالغة • وانهارا • ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا

قوله قيل معناه انا الله اعلم وارى هذا بناء على انها حروف مقتطعة من كلمات وهو احد الاقوال السابقة وتخصيصه بهذا الوجه لانه مأثور روي عن مجاهد كما في الدر المنثور فما قيل من انه لا وجه له لا وجه له شهاب

من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها
زوجين اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض
والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير
الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يغشّى بالتشديد
ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفى الارض قطع
متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها
يصلح للزراعة دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله
على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها ٢
متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرعٌ ونخيلٌ بالرفع عطفا على جنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص
بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض فى الاكل فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على
الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر
مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة
والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم
حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر
شيء عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان
الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ءاذا كنا
ترابا ءانا لفى خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل
عليه ءانا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على
البعث واولئك الاغلال فى اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم
او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها
وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا

استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه
اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين
والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بضم الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل
فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع
ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم لولا
عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه
واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من
الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ٢
ولكل قوم هاد نبى مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى
الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدى الا من يشاء
هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول
قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان
اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق
قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اى حملها او ما تحمله انه
على اى حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد
وما تنقصه وما تزداده فى الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين
عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابى حنيفة روى ان الضحاك ولد
لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف
اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعى اخبرنى شيخ باليمن ان امرأته ولدت
بطونا فى كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا
ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان
يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء
عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة

اليه يقتضي ذلك • عالم الغيب • الغائب عن الحس • والشهادة • الحاضر • الكبير • العظيم
الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء • المتعال • المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي
كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه • سواء منكم من اسر القول • في نفسه • ومن جهر
به • لغيره • ومن هو مستخف بالليل • طالب للخفاء في مختبإ بالليل • وسارب • بارز
بالنهار • يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من
في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان • كانه قال سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار • والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له
لمن اسر او جهر واستخفى او سرب • معقبات • ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من
عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا • او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونه • او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة • او لان
المراد بالمعقبات جماعات • وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض التاء
من احدى القافين • من بين يديه ومن خلفه • من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر
يحفظونه من امر الله • من بأسه متى اذنب بالاستمهال والاستغفار له • او يحفظونه
من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله • وقد قرئ به • وقيل من بمعنى الباء • وقيل
من امر الله صفة ثانية لمعقبات • وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه من قضاء الله • ان الله لا يغير ما بقوم • من العافية والنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم • من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة • واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له • فلا رد له • فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب • وما لهم
من دونه من وال • ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء • وفيه دليل على ان خلاف
مراد الله محال • هو الذي يريكم البرق خوفا • من اذاه • وطمعا • في الغيث وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع
او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل
للمبالغة • وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه • وينشئ السحاب
الغيم المنسحب في الهواء • الثقال • وهو جمع ثقيلة • وانما وصف به السحاب لانه
اسم جنس في معنى الجمع • ويسبح الرعد • ويسبح سامعوه • بحمده • ملتبسين به فيضجون
بسبحان الله والحمد لله • او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته
ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته • وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب • والملائكة من خيفته • من خوف الله واجلاله • وقيل الضمير للرعد

و

قوله كقوله هو للفرزدق من شعر مشهور ذكر فيه ذئبا لقيه بفلاة فصحبه واضافه ومنه فقلت له لما تكشر ضاحكا وقائم سيفي من يدي بمكان تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان والشاهد فيه اطلاق من على متعدد ومراعاة معناه بتثنية الضمير قوله وقائم سيفي اي واني قابض على سيفي متمكن منه يظهر تجلده وشجاعته وتكشر بمعنى ابدى اسنانه ضاحكا وقوله يا ذئب معترض بين اجزاء الصلة شهاب

قوله عن ابن عباس رضي الله عنهما اخرجه الترمذي وصححه والنسائي والمخاريق جمع مخراق وهو ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا اذا لعبوا ويطلق على السيف مجازا والمراد هنا آلة تسوق بها الملائكة السحاب شهاب

ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء • فيهلكه • وهم يجادلون في الله • حيث يكذبون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية
واعادة الناس ومجازاتهم • والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل • والواو اما
لعطف الجملة على الجملة • او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد
وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار
اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت • وهو شديد المحال • المماحلة
والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك • ومنه تمحل اذا تكلف
استعمال الحيل ولعل اصله المحل بمعنى القحط • وقيل فعال من المحل بمعنى القوة • وقيل
مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل
من حال يحول اذا احتال • ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة
كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد • له دعوة الحق • الدعاء الحق فانه الذي يحق
ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره • او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب
ويؤيده ما بعده • والحق على الوجهين ما يناقض الباطل • واضافة الدعوة اليه لما بينهما
من الملابسة • او على تأويل دعوة المدعو الحق • وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق • والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا
به محال من الله واجابة لدعوة رسول الله • او دلالة على انه على الحق • وان كانت عامة
فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهد
يدهم باجابة دعاء الرسول • او بيان ضلالهم وفساد رأيهم • والذين يدعون
اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون
الاصنام فحذف المفعول للدلالة • من دونه • عليه • لا يستجيبون لهم بشيء
من الطلبات • الا كباسط كفيه • الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه • الى الماء ليبلغ
فاه • يطلب منه ان يبلغه • وما هو ببالغه • لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر
على اجابته • والاتيان بغير ما جبل عليه • وكذلك آلهتهم • وقيل شبهوا في قلة جدوى
دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه • وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين • وما
دعاء الكافرين الا في ضلال • في ضياع وخسار او باطل • ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها • يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون
من الثقلين طوعا حالتي الشدة والضرورة • وظلالهم • بالعرض • وان يراد به انقيادهم
والرخاء والكفرة حال الشدة

قوله فساعد الله هو حديث صحيح وفي نهاية ابن الاثير في حديث البحيرة فساعد الله اشد وموساه احد اي لو اراد الله تحريمها بشق اذانها لخلقها كذلك فانه يقول لها كن فيكون ولذلك قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول كقوله عليه السلام شهاب

لإحداث ما أراده فهم شاؤا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل • قل من رب السموات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما • قل الله أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به • قل أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالتهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم • قل هل يستوي الأعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك • وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم • أم هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد • وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء • أم جعلوا لله شركاء • بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله • خلقوا كخلقه • صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار • فتشابه الخلق عليهم • خلق الله وخلقهم • والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق • قل الله خالق كل شيء • لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله • وهو الواحد أي المتوحد بالألوهية • القهار • الغالب على كل شيء • أنزل من السماء ماء • من السحاب أو من جانب السماء أو من نفسها فإن المبادي منه • فسالت أودية أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه • وتنكيرها لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع • بقدرها • بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر • فاحتمل السيل زبدا رفعه • والزبد وضر الغليان • رابيا • عاليا • ومما توقدون عليه في النار • يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهارا لكبريائه • ابتغاء حلية • طلب حلي • أو متاع • كالأواني وآلات الحرث والحرب • والمقصود من ذلك بيان منافعها • زبد مثله • ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه

ومن للابتداء أو التبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به • كذلك يضرب الله الحق والباطل • مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فيسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله • فأما الزبد فيذهب جفاء • يجفو به أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال والمعنى واحد • وأما ما ينفع الناس • كالماء وخلاصة الفلز • فيمكث في الأرض • ينتفع بها أهلها • كذلك يضرب الله الأمثال • لإيضاح المشتبهات • للذين استجابوا • للمؤمنين الذين استجابوا • لربهم الحسنى • الاستجابة الحسنى • والذين لم يستجيبوا له • وهم الكفرة • واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما • وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والجنة • والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره • لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به • وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين • أولئك لهم سوء الحساب • وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء • ومأواهم • مرجعهم • جهنم وبئس المهاد • المستقر والمخصوص بالذم محذوف • أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق • فيستجيب • كمن هو أعمى • عمي القلب لا يستبصر فيستجيب • والهمزة لإنكار أن يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل • إنما يتذكر أولوا الألباب • ذوو العقول المبرأة من متابعة الإلف ومعارضة الوهم • الذين يوفون بعهد الله • ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه • ولا ينقضون الميثاق • ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص • والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل • من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس • ويخشون ربهم • وعيده عموما • ويخافون سوء الحساب • خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا • والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم • طلب الرضاه لا لفخر أو سمعة أو نحوها • وأقاموا الصلاة • المفروضة • وأنفقوا مما رزقناهم • بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه • سرا • لمن لم يعرف بالمال • وعلانية • لمن عرف به • ويدرؤون بالحسنة السيئة • ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان • أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها • أولئك لهم عقبى الدار • عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون

قوله على أنه جعل ضرب المثل أي على أنه سبحانه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لأنفسهما وأراد بهما المؤمنين والكفار وشأنهما الحق والباطل والشأن بمعنى الحال والصفة سبكه فتدبر قوله ضرب المثل لهما قوله لشأن الفريقين يعني الحق والباطل أي لأهل الحق الذي هو المستجيب وأهل الباطل الذي هو غير المستجيب فإن قيل فعلى هذا يكون اللام هي الداخلة على الممثل له فلم لم تجعل الداخلة على المضروب له قلنا لو كان كذلك لتعين الفصل للناس أو لقوم يعقلون ولم يفصل هذا التفصيل فليتأمل
سعدي قدس

ما لأهلها وهي الجنة • والجملة خبر للموصولات إن رفعت بالابتداء • وإن جعلت صفاً
لأولي الألباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات • جنات عدن بدل
من عقبى الدار • أو مبتداء خبره يدخلونها • والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها
وقيل هو بطنان الجنة • ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم • عطف على
المرفوع في يدخلون • وإنما ساغ الفصل بالضمير الآخر • أو مفعول معه • والمعنى أنه
يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم وهو
دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة • وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم • والتقييد بالصلاح
دلالة على أن مجرد الأنساب لا ينفع • والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • من
أبواب المنازل • أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين • سلام عليكم • بشارة بدوام
السلامة • بما صبرتم • متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر
فاصل • والباء للسببية أو البدلية • فنعم عقبى الدار • وقرئ فنعم بفتح النون والأصل
نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره • والذين ينقضون عهد الله يعني
مقابلي الأولين • من بعد ميثاقه • من بعد ما أوثقوه من الإقرار والقبول •
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض • بالظلم وتهييج الفتن • أولئك
لهم اللعنة • ولهم سوء الدار • عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة
عقبى الدار • الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • يوسعه ويضيقه • وفرحوا
أي أهل مكة • بالحيوة الدنيا • بما بسط لهم في الدنيا • وما الحيوة الدنيا في الآخرة
في جنب الآخرة • إلا متاع • إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي • والمعنى أنهم
أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو
في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال • ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه
قل إن الله يضل من يشاء • باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات • ويهدي إليه من
أناب • أقبل إلى الحق ورجع عن العناد • وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه
قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم
وإن أنزلت كل آية • ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات • الذين آمنوا
بدل من من أو خبر مبتداء محذوف • وتطمئن قلوبهم بذكر الله • أنساً به واعتماداً
عليه ورجاء منه • أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته • أو بذكر دلائله الدالة على
وجوده ووحدانيته • أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات • ألا بذكر الله
تطمئن القلوب • تسكن إليه • الذين آمنوا وعملوا الصالحات • مبتداء خبره

طوبى

قوله أو من أبواب الفتوح والتحف الفتوح جمع فتح وهو الرزق الذي يفتح الله به عليهم مما لم يكن على بال من الأرزاق وليس التحف عطف تفسير له شهاب

طوبى لهم • وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واواً لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى
وزلفى • ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ • وحسن مآب • بالنصب • كذلك مثل
ذلك يعني إرسال الرسل قبلك • أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم • تقدمتها
أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليها • لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك • لتقرأ
عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك • وهم يكفرون بالرحمن • وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة
الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصاً
ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية
عليهم • وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن • قل هو ربي
أي الرحمن خالقي ومتولي أمري • لا إله إلا هو • لا مستحق للعبادة سواه • عليه توكلت •
في نصرتي عليكم • وإليه متاب • مرجعي ومرجعكم • ولو أن قرآناً سيرت به الجبال •
شرط حذف جوابه • والمراد منه تعظيم شأن القرآن • أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي
ولو أن كتاباً زعزعت به الجبال عن مقارها • أو قطعت به الأرض • تصدعت من
خشية الله عند قراءته • أو شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً • أو كلم به الموتى • فتقرأه
أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في
التذكير والإنذار • أو لما آمنوا به لقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية • وقيل إن قريشاً
قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
بساتين وقطايع • أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام • أو ابعث لنا به قصي بن كلاب
وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت • وعلى هذا فتقطيع الأرض بالسير • وقيل الجواب مقدم
وهو وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض • وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر
الحقيقي • بل لله الأمر جميعاً • بل لله القدرة على كل شيء • وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى
النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك
لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم • ويؤيد ذلك قوله • أفلم ييأس الذين آمنوا • عن إيمانهم
مع ما رأوا من أحوالهم • وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما روي أن علياً وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا أفلم يتبين • وهو تفسيره • وإنما استعمل اليأس
بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميؤوس عنه لا يكون إلا معلوماً • ولذلك علقه
بقوله • أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً • فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشية باهتدائهم • وعلى الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا من
إيمانهم علماً منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً أو بآمنوا • ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا • من الكفر وسوء الأعمال • قارعة • داهية تقرعهم وتقلقلهم

او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار
مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان
عليه السلام لا يزال يبعث السرايا فيغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز
ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتى
وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب
في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن هو
قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من
اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم فالخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على الخبر المقدر للمبتدأ اى افمن هو بهذه
الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون
الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم
تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما
يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ
تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم
او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول
ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي
كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين
للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وصدوا بالفتح
اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله
يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه
وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التى وعد المتقون
صفتها التى هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا
عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجرى من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد
اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار او على زيادة
المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع

ثمرها

ثمرها وظلها اى وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اى الجنة
الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن
من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعنى كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه و
السيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق
ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب المنكرين اى
قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم
الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب
الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا
لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى
لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها
انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب
ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك
اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم
بنسخ ذلك مالك من الله من ولى ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم
لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هى لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتى بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله
فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته
وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا
ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك

قوله لكل وقت وامد حكم يكتب آه يعطف الامد على الوقت تفسيرا له الى ان الاجل وان كان في اللغة عبارة عن مدة الشيء الا انه قد يطلق على جميع المدة وعلى آخرها وان المراد به في الآية آخر المدة لان الامد بمعنى الغاية كالمدة فهو اخص من الوقت كأنه قيل لكل وقت ولكل انتهاء كل مدة حكم شيخ زاده

وكيف ما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك فإنما عليك البلاغ
لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
فإنا فاعلون له وهذا طلائعه أولم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من
أطرافها بما نفتحه على الإسلام منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته
الذي يعقب الشيء بالإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه
بالاقتضاء والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن
تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال أي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا وقد مكر
الذين من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا إذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب
كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث ما يأتيهم
العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على أن المراد
بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو
والكافر على إرادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله وسيعلم من أعلمه
إذا أخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التورية
وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ وهو الله أي وكفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ و
من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول ويجوز
أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم بالحرف والبناء
للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر
حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيمة ويبعث من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وآيها خمسون وآيتان

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أي هو كتاب
أنزلناه إليك لتخرج الناس بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من الظلمات من أنواع الضلال
إلى النور إلى الهدى بإذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل
الحجاب وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله إلى صراط العزيز بدل من قوله
إلى النور بتكرير العامل أو استيناف على أنه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط

إما لأنه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب
سابله الله الذي له ما في السموات وما في الأرض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ
وخبر أو الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لأنه كالعلم
لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب
ولم يخرج به من الظلمات إلى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لأنه
مصدر إلا أنه لم يشتق منه لكنه رفع لإفادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الآخرة يختارونها عليها فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها
من غيرها ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الإيمان وقرئ ويصدون من أصده
وهو منقول من صد صدودا إذا تنكب وليس فصيحا لأن في صده مندوحة عن تكلف
التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار
وأوصل الفعل إلى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم و
الرفع عليه وعلى أنه مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه
بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للملابسة وما أرسلنا من رسول
إلا بلسان قومه إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما أمروا
به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فإنهم أولى الناس إليه
بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته
أولا ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز
لكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم
المتشعبة منها وما في إتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب
وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع
كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أنزل الكتب كلها
بالعربية ثم ترجمها جبريل أو كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم
فإنه ضمير القوم والتورية والإنجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من
يشاء فيخذله عن الإيمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا
يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمة ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور
بمعنى أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول أو بأن أخرج فإن صيغ الأفعال سواء
في الدلالة على المصدر فيصح أن يوصل بها أن الناصبة وذكرهم بأيام الله بوقائعه
التي وقعت على الأمم الدائرة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه إن في ذلك

بوقايعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه
ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع
بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من
الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر
عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل
فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة
غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من
نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب هنا غير المراد به فى سورة
البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمه والمعطوف عليه التذبيح هنا وهو اما
جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفى ذلكم من حيث انه باقدار
الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى
الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى
آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا
ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول محذوف
او مفعول تاذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم حميد مستحق للحمد فى ذاته
محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبأ الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله
ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها
تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا اليهم باطباق
الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب
لهم سواه او ردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون

تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم
وما اوحى اليهم من الحكم والشرايع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى
شك مما تدعوننا اليه مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس وان
لا يطمئن الى الشيء قالت رسلهم افى الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان
الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة
وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة
او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم
الى المغفرة كقوله دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به من
ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل
جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان و
حيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر
اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا
ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم و
استحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات
والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان
ترجيح بعض الجايزات على بعض بمشية الله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن
الله اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولا يستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه و
انما هو امر يتعلق بمشية الله تعالى فيخص كل نبى بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فلنتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار
بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل
على الله اى عذر لنا فى ان لا نتوكل وقد هدينا سبلنا التى بها نعرفه ونعلم ان
الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفى العنكبوت ولنصبرن على ما
آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار

مز الايمان وقرئ تدعونا بالادغام

عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى
ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم
وهو بمعنى تصيرن لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول
ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اى الى رسلهم
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم
الارض من بعدهم اى ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى
كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان
المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم
القيمة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب
او عذابى الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم
وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر
المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد
اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم
اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من
جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى
ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه
والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان
اى اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من
اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين
يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود
فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة
طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجا
ءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين

كفروا

قوله فانه مرصد بها بفتح الميم والصاد اى مراقب مشارف يقال رصد به اذا قعد على طريقه يترقبه وفى نسخة مرصد لها بضم الميم وباللام اى معدة لها من ارصدت له العقوبة اذا هيأتها سهات

كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم
بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع
الرياح فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله
نهاره صائم وليله قائم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف و
عتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب
وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو
الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبى والمراد به امته
وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا
للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم
كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه
ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص
له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء
لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم
يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش
ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ
الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف
الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض
عن نصائحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار
مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان
واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض
شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا

واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض

له • لهديناكم • ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا • او لو هدانا
الله طريق النجاة من العذاب • لهديناكم • واغنيناه عنكم كما عرضناكم لكن سد دوننا
طرق الخلاص • سواء علينا اجزعنا ام صبرنا • مستويان علينا الجزع والصبر • ما لنا من
محيص • منجى ومهرب من العذاب • من الحيص وهو العدول على جهة الفرار • وهو يحتمل ان
يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب • ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين
ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا • وقال الشيطان لما قضي الامر •
احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين من الجن والانس
ان الله وعدكم وعد الحق • وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث
والجزاء • ووعدتكم • وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم
فاخلفتكم • جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه • وما كان لي عليكم من سلطان • تسلط
فالجئكم الى الكفر والمعاصي • الا ان دعوتكم • الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس
السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع • ويجوز ان يكون الاستثناء
منقطعا • فاستجبتم لي • اسرعتم اجابتي • فلا تلوموني • بوسوستي فان من صرح العداوة
لا يلام بامثال ذلك • ولوموا انفسكم • حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم
لما دعاكم • واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل
عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا
ما انا بمصرخكم • بمغيثكم من العذاب • وما انتم بمصرخي • بمغيثي • وقرأ حمزة بكسر الياء
على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث
كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها
ياء • او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته
واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة • اني كفرت بما اشركتمون من قبل • ما اما
مصدرية • ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم
اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته لقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا • ومن متعلقة بكفرت
اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم • واشرك منقول من
شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان • ان الظالمين لهم عذاب اليم • تتمة كلامه او ابتداء
الكلام من الله تعالى • وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم

ويتدبروا

خطبة الشيطان

قوله وهو ليس من جنس السلطان اي حقيقة ولكنه من جنس ادعاء فلذا كان الاستثناء متصلا من تأكيد الشيء بضده كقوله وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع وهو من التهكم شهاب
قوله ولكنه على طريقة قولهم اي على طريق ادعاء كون ما ينافي الشيء من افراد ذلك الشيء تحقيقا لانتفاء ذلك الشيء كما ادعى الشاعر كون الضرب الوجيع من افراد التحية تحقيقا لانتفائها فيما بينهم وكذا اللعين ادعى كون دعائه اياهم الى المعاصي من قبيل السلطنة والقسر لتحقيق انتفاء تسلطه عليهم فيه شيخ زاده

قال الطيبي رحمه الله ما لا تستعمل في ذوي العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كأنه قيل سبحان العظيم الشأن الذي سخرهن لنا اي فاذكر من شأن لكن لنا او فليكن لاجلنا ومعناه التعجب من تسخيرهن النساء للرجال مع مكرهن وكيدهن من الشهاب

ويتدبروا عواقبهم • وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم • باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة • وقرئ ادخل على التكلم
فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام • اي تحييهم الملائكة فيها بالسلام
باذن ربهم • الم تر كيف ضرب الله مثلا • كيف اعتمده ووضعه • كلمة طيبة كشجرة
طيبة • اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة • وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا • ويجوز
ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون
اولا مفعولا ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء • اصلها ثابت • في
الارض ضارب بعروقه فيها • وفرعها • واعلاها • في السماء • ويجوز ان يريد وفروعها
اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة • وقرئ ثابت اصلها
والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ • تؤتي اكلها • تعطي ثمرها كل حين
اقته الله لاثمارها • باذن ربها • بارادة خالقها • ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون • لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس • ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة • كمثل شجرة خبيثة • اجتثت • استؤصلت واخذت جثتها
بالكلية • من فوق الارض • لان عروقها قريبة منه • ما لها من قرار • استقرار واختلف
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن
والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما يعم
ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان
على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا والشجرة
الخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ما يعم ذلك • يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت • الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم • في الحيوة الدنيا • فلا يزلون اذا
فتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود
وفي الاخرة • فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة
روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت • ويضل الله الظالمين • الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن • ويفعل الله ما يشاء
من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه • الم تر الى الذين بدلوا نعمت
الله كفرا • اي شكر نعمته كفرا بان وضعوا مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما

كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم
الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو
المغيرة وبنو امية واما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين
واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم
عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها
او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله
اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب
بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها
وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان
الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه
فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم
وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل
لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب
الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا
ولم يحسن قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما
بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي
سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء
المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او
يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا
انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم
والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان

يراد

قيل انه لا يخفى ان قصيدة مدح بها النبي عليه السلام وقوله محمد منادى حذف منه حرف النداء اراد تفد فحذف لام الامر وابقى الكسر والتبال سوء العاقبة واصل التبال الوبال قال الجوهري التبال الهلاك بمعنى هلكهم والمعنى لتفد نفسك يا رسول الله كل نفس اي لكن لها فداء فاذا خفت بالا كان منه فليجتنب عنك صح

[illegible]

يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم
وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف
بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه
سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى
المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال
ويجوز ان يكون ما نافية في موقع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم
يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا
بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد
الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب
وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل
على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده
وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما
كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت
بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
فمن تبعني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور
رحيم تقدر ان تغفر له وترحم ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل
ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت
من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن
ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة لانها
حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما
ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا

قوله وفيه دليل يرد عليه ان الاستغراق ليس مأخوذا من الاضافة بل من الحكم بعدم العد والاحصاء وفيه نظر لان الحكم المذكور يقتضي صحة ارادته ولولاه تنافيا سهاب

قوله ويسمونها الدوار وهو بضم الدال وفتحها وتخفيف الدال وتشديدها قال ابن الانباري هي حجارة كانوا يدورون حولها تشبيها بالطائفين بالكعبة شرفها الله تعالى سهاب

٧ علي دبغي م

اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان اوما سيؤل
اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل ع
فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله
عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما
وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا
الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع
من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتو
سيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء تو
فيقهم لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم
الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة
الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم
ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ
آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من ع
افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف
وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم
شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى الى غيره وتهوى من هوى
يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك
اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك ع
اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك قيل ما نخفي من
وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في
اللجاء والتضرع الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم
بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد اسمعيل لتسع وتسعين سنة
واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك
كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله

على

على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه
ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني
مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في واجعلني ع
والتبعيض لعلمه باعلام الله واستقرار عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار
ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ
لابوي وقد تقدم عذر لاستغفاره لهما وقيل المراد بهما آدم وحوى وللمؤمنين يوم
يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم
اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما كان عليه من انه مطلع على احوالهم
وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل
من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي
رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع
اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والد

هشة

هشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من
الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم
يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان
لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب
عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن
بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى
اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه
حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم
اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
كعاد وثمود واصل سكن ان يتعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء

فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار • وتبين لكم كيف فعلنا بهم • بما تشاهدون فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم • وضربنا لكم الامثال • من احوالهم
اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وما فعل بهم التى
هى فى الغرابة كالامثال المضروبة • وقد مكروا مكرهم • المستفرغ فيه جهدهم لابطال
الحق وتقرير الباطل • وعند الله مكرهم • ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه
او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له • وان كان مكرهم • فى العظم والشدة
لتزول منه الجبال • مسوى لازالة الجبال ومعدا • وقيل ان نافية • واللام مؤكدة
لها لقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى ونحوه • وقيل مخففة
من المثقلة • والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله
وشرايعه • وقرأ الكسائى لتزول بالفتح على انها المخففة واللام هى الفاصلة • ومعناه تعظيم
مكرهم • وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى • وقرئ وان كاد مكرهم • فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله • مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى
واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا
كقوله ان الله لا يخلف الميعاد • واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله
ان الله عزيز • غالب لا يماكر قادر لا يدافع • ذو انتقام • لاوليائه من اعدائه • يوم
تبدل الارض غير الارض • بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر
او لا يخلف وعده • ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده
والسموات • عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات • والتبديل يكون
فى الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير • وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها • وفى
الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها • وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم
حسنات • والاية تحتملهما • وعن على رضى الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من
ذهب • وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها احد خطيئة
وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير صفاتها • ويدل عليه ما روى ابو هريرة
عنه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى
لا ترى فيها عوجا ولا امتا • واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل
بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة • ولا يبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين • وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين
وبرزوا • من اجداثهم • لله الواحد القهار • لمحاسبته ومجازاته • وتوصيفه بالوصفين
للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

فان

فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
وترى المجرمين يومئذ مقرنين • قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد
والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت • او قرنوا مع الشياطين • او مع ما اكتسبوا
من العقائد الزايغة والملكات الباطلة • او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم • فى الاصفاد • متعلق
بمقرنين او حال من ضميره • والصفد القيد • وقيل الغل • قال سلامة بن جندل • وزيد
الخيل قد لاقى صفادا • يعض بساعد وبعظم ساق • واصله الشد • سرابيلهم • قمصانهم
من قطران • وجاء قطران لغتين فيه • وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى
فيحرق الجرب بحدته • وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل
النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن
ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية
فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام • وعن يعقوب قطرٍ آنٍ • والقطر النحاس او الصفر
المذاب • والانى المتناهى حره • والجملة حال ثانية • او حال من الضمير فى مقرنين • وتغشى
وجوههم النار • اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم
وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة من المعرفة
مملوة بالجهالات • ونظيره قوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله
تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم • ليجزى الله كل نفس • اى يفعل بهم ذلك
ليجزى كل نفس مجرمة • ما كسبت • او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان
المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم • ويتعين ذلك ان علق
اللام ببرزوا • ان الله سريع الحساب • لانه لا يشغله حساب عن حساب • هذا • اشارة
الى القرآن او السورة • او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن
الله • بلاغ للناس • كفاية لهم فى الموعظة • ولينذروا به • معطوف على محذوف اى
لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ • ويجوز ان يتعلق
بمحذوف تقديره ولينذروا به • انزل او تلى • وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا
علمه واستعد له • وليعلموا انما هو اله واحد • بالنظر والتامل فيما فيه من الايات
الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه • وليذكر اولوا الالباب • فيرتدعوا عما
يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم • واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد التى هى
الغاية والحكمة فى انزال الكتب • تكميل الرسل للناس • واستكمال القوة النظرية التى منتهى

قوله والصفد القيد اى الذى يوضع فى الرجل والغل بالضم
هو ما فى اليد والعنق وما يضم به اليد والرجل الى العنق
ويسمى جامعة وهو المذكور فى الشعر فمن قال فى تفسيره قوله
بعض خبر زيد بعد خبر او صفة صفادا او حال من ضمير لاقى
اى زيد يعض على ساعده وعلى ساقه اخرى ليتخلص من
الوثاق فلا شك انه لم يصب اذ المراد ان الغل جمعهما
جمعا ضيقا حتى كانه يولمه بعض ساعده وساقه
شهاب

كما لها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من
الفائزين بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
من عبد الاصنام ومن لم يعبد

سورة الحجر مكية وآيها تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن
مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى
آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم
القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربّما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات
ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن
الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى
كالماضى فى تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من
الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام
مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة
فان كانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى
قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم
الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف
يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءهم والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن
ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر
كتب فى اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله وما
اهلكنا من قرية الا لها منذرون لكن لما شابهت صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها
بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اى وما يستأخرون عنه وتذكير
ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى صلى الله
عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله تعالى انك لمجنون والمعنى انك
لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لو ما تأتينا ركب لو
مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك
ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب
على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين فى دعواك
ما تنزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون

وابو

وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا
له بالايمان وقيل الحق الوحى او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم
وجزاء الشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه بقوله وانا له لحافظون اى
من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير
نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان
نطعن فيه بانه المنزل وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا
من قبلك فى شيع الاولين فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق
ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار
والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما
للحال لا تدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال
الماضية كذلك نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء فى
الشيء كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه
تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب
المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف
اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى الرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من
المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة
الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا
لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون اليها فيرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة و
هم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا
سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر
ويدل عليه قراءة [illegible] من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد
سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة
على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا

في السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة
مع بساطة السماء • وزيناها • بالأشكال والهيئات البهية • للناظرين • المعتبرين
المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها • وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها
إلا من استرق السمع • بدل من كل شيطان • واستراق السمع اختلاسه سرا شبه
به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من
أوضاع الكواكب وحركاتها • وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا لا يحجبون عن
السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه
السلام منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب
أخر وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع • فأتبعه • فتبعه ولحقه
شهاب مبين • ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة • وقد تطلق
للكوكب والسنان لما فيهما من البريق • والأرض مددناها • بسطناها • وألقينا فيها
رواسي • جبالا ثوابت • وأنبتنا فيها • في الأرض أو فيها وفي الجبال • من كل شيء موزون
مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته • أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون
أو ما يوزن ويقدر • أو له وزن في أبواب النعمة والمنفعة • وجعلنا لكم فيها معايش
تعيشون بها من المطاعم والملابس • وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل • ومن لستم
له برازقين • عطف على معايش أو على محل لكم • فالمراد به العيال والخدم والمماليك
وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا فإن الله يرزقهم وإياهم • وفذلكة
الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء
في الوضع محدثة فيها أنواع الحيوان والنبات المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز
أن لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في ألوهيته والامتنان على
العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال تعالى وإن
من شيء إلا عندنا خزائنه • أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه
أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره • أو شبه مقدوراته بالأشياء
المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد • وما ننزله • من بقاع القدرة • إلا
بقدر معلوم • حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض
الأوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم • وأرسلنا الرياح لواقح
حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون
كذلك بالعقيم وما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض

أو ملقحات

أو ملقحات للشجر والسحاب • ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط
مما تطيح الطوائح • وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس • فأنزلنا
من السماء ماء فأسقيناكموه • فجعلناه لكم سقيا • وما أنتم له
بخازنين • قادرين متمكنين من إخراجه • نفى عنهم ما أثبته لنفسه
أو حافظين في الغدران والعيون والآبار • وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم
كما تدل حركة الهوى في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به
الناس • فإن طبيعة الماء تقتضي الغور • فوقوفه دون حد لا بد له من سبب
مخصص • وإنا لنحن نحيي • بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة له • ونميت • بإزالتها
وقد أول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات • وتكرير الضمير للدلالة
على الحصر • ونحن الوارثون • الباقون إذا مات الخلائق كلها • ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستأخرين • من استقدم ولادة وموتا ومن
استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام
والجهاد وسبق إلى الطاعة أو تأخر لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان
لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما دل على كمال قدرته دليل
على علمه • وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الأول فازدحموا عليه
فنزلت • وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت • وإن
ربك هو يحشرهم • لا محالة للجزاء • وتوسيط الضمير للدلالة على أنه
القادر والمتولي لحشرهم لا غيره • وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه
على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على
صحة الحكم كما صرح به بقوله • إنه حكيم • باهر الحكمة متقن في
أفعاله • عليم • وسع علمه كل شيء • ولقد خلقنا الإنسان من صلصال
من طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر • وقيل هو من صلصل إذا أنتن
تضعيف صل • من حمإ • طين تغير واسود من طول مجاورة الماء
وهو صفة صلصال أي كائن من حمإ • مسنون • مصور من سنة
الوجه أو مصبوب لييبس من سن ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس
حتى إذا نقر صلصل غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه ثم
أو منتن من سننت الحجر بالحجر إذا حككته به فإن ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى

سَنينا • والجان • ابا الجن • وقيل ابليس وجنوده • ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا
منها • وانتصابه بفعل يفسره • خلقناه من قبل • من قبل خلق الانسان
من نار السموم • من نار الحر الشديد النافذ في المسام
ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في
الجواهر المجردة فضلا عن الاجسام المؤلفة التي الغالب فيها الجزء
الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي • وقوله
من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب • ومساق الاية كما هو
للدلالة على كمال قدرة الله وبيان خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي تتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول
المواد للجمع والاحياء • واذ قال ربك • واذكر وقت قوله للملائكة •
اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون • فاذا سويته •
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه • ونفخت فيه من روحي
حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه • واصل النفخ اجراء الريح في
تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث
من القلب

ويقبض

ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن
جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء • فقعوا له • فاسقطوا
له ساجدين • امر من وقع يقع • فسجد الملائكة كلهم اجمعون • اكد بتاكيدين للمبالغة
في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة • وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين
دفعة واحدة • وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا • الا ابليس ان جعل
منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين • اي ولكن ابليس ابى • وان جعل متصلا
كان استينافا على انه جواب سائل قال هل لا يسجد • قال يا ابليس ما لك الا تكون • اي غرض
لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم عليه السلام • قال لم اكن لاسجد • اللام لتاكيد
النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته
من صلصال من حما مسنون • وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرف فها استنقص
ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف • قال فاخرج منها
من السماء او من الجنة او من زمر الملائكة • فانك رجيم • مطرود من رحمة الله والخير والكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب • وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته
وان عليك اللعنة • هذا الطرد والابعاد • الى يوم الدين • فانه منتهى امد اللعن لانه
يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء • وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله
على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه • وقيل انما حد اللعن لانه ابعد غاية يضربها الناس
او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل • قال رب فانظرني • فاخرني والفاء
متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم • الى يوم يبعثون • اراد بهذا فسحة
في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني • قال
فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم • المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس
كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور • ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلف
العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت • وثانيا بيوم البعث
اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التضليل • وثالثا بالمعلوم لوقوعه
في الكلامين فلا يلزم من ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه
وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب
الله تعالى على سبيل الاهانة والاذلال • قال رب بما اغويتني • الباء للقسم وما مصدرية
وجوابه لازينن لهم في الارض • والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في
الدنيا التي هي دار الغرور • كقوله اخلد الى الارض • وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف
وقيل للسببية • والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود

[illegible]

لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له
وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه ومن
تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على اولى الالباب ولاغوينهم
اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم
لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو
عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى قال هذا صراط علي حق
علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المؤمنين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير
اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا
من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين
ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم
ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما
قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تنا
قض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير
اوحال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة
ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون منها لكثرتهم او طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع
جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر
جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا
تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة
في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من
ماء غير آسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم

العين

قوله ومنهم حال منه اي من جزء وجاء من النكرة لتقدمه ووصفها والظرف لا رادبه الجار والمجرور الواقع خبرا ولم يجعله صفة لباب لانه يقتضي ان يقال منها سهاب

بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع
الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر بالتنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين
من الآفات والزوال ونزعنا في الدنيا بما ألف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في
صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجوا ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من
الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها
معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او
حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر
لا يمسهم فيها نصب استيناف وحال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم
منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على
انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته با
لغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف
ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك
لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله
بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف
منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم
اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه
او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة
تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير
بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة
على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء
قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق
وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر
على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال

قوله على ارادة القول ليرتبط بما قبله ولا يكون اجنبيا وجوابا حال بتقدير وقد قيل لهم ادخلوها فلا يرد انه بعد الحكم بانهم في الجنة كيف يقال ادخلوها او بتقدير مقولا لهم ذلك فيكون مستانفا والمقارنة عرفية لا نضمامها او بتقدير يقال لهم سهاب

قوله وفي عطف ونبئهم الخ اي لما تضمنت ما قبله ذكر الوعد والوعيد عطفت هذه القصة عليه لتحقيقه فانها تضمنت ذلك لما فيها من البشرى واهلاك قوم لوط وكلا منهما للاعتبار سهاب

قوله او انكار ... اوله للنفي ...

لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون • وقرأ ابو عمرو والكسائي ومن يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح • قال فما خطبكم ايها المرسلون • اى فما شأنكم الذى ارسلتم لأجله سوى البشارة • ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى البشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لأنهم بشروه فى تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • يعنى قوم لوط • الا آل لوط • ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام • وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به • وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط • ويدل عليه قوله • انا لمنجوهم اجمعين • اى مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ويتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع • وعلى هذا جاز ان يكون قوله • الا امرأته • استثناء من آل لوط او من ضميرهم • وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا • وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا • قدرنا انها لمن الغابرين • الباقين مع الكفرة لتهلك معهم • وقرأ ابو بكر عن عاصم ههنا وفى النمل قدرنا بالتخفيف • وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم • ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره • واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به • فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون • تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر • قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفيك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه • وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم • وانا لصادقون • فيما اخبرناك به • فاسر باهلك • فاذهب بهم فى الليل • وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى • وقرئ فسر من السير • بقطع من الليل • فى طائفة من الليل • وقيل فى آخره • قال • فافتحى الباب وانظرى فى النجوم • كم علينا من قطع ليل • واتبع ادبارهم • وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم • ولا يلتفت منكم احد • لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه • او فيصيبه ما اصابهم • او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب • وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة • وامضوا حيث تؤمرون • الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع • وقضينا اليه • اى واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى • ذلك الامر • مبهم تفسيره • ان دابر هؤلاء مقطوع • ومحله النصب على البدل منه • وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له • وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد • مصبحين • داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء • او من الضمير فى مقطوع • وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء • وجاء اهل المدينة • سدوم • يستبشرون • باضياف لوط طمعا فيهم • قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون • بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه • واتقوا الله • فى ركوب الفاحشة • ولا تخزون • تذلونى بسببهم من الخزى وهو الهوان • او ولا تخجلونى فيهم من الخزاية وهو الحياء • قالوا اولم ننهك عن العالمين • عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنه بقدر وسعه • او عن ضيافة الناس وانزالهم • قال هؤلاء بناتى • يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم • وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود • ان كنتم فاعلين • قضاء الوطر او ما اقول لكم • لعمرك • قسم بحياة المخاطب وهو النبى عليه السلام • وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك • والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم • انهم لفى سكرتهم • لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم • يعمهون • يتحيرون فكيف يسمعون نصحك • وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض • فاخذتهم الصيحة • يعنى صيحة هائلة مهلكة • وقيل صيحة جبريل عليه السلام • مشرقين • داخلين فى وقت شروق الشمس • فجعلنا عاليها • عالى المدينة او عالى قراهم • سافلها • فصارت منقلبة بهم • وامطرنا عليهم حجارة من سجيل • من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق من بيان هذه القصة فى سورة هود عليه السلام • ان فى ذلك لآيات للمتوسمين • المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته • وانها • وان المدينة او القرى • لبسبيل مقيم • ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها • ان فى ذلك لآية للمؤمنين • بالله ورسوله • وان كان اصحاب الايكة لظالمين • هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة • فانتقمنا منهم • بالاهلاك • وانهما • يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر • لبامام مبين • لبطريق واضح • والامام اسم ما يؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء والطريق لانها مما يؤتم به • ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين • يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع • ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه

من المؤمنين. والحجر وادٍ بين المدينة والشام يسكنونها. وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين. يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقبها وشربها
ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين. من
الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم
أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه. فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون. من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد. وما
خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق. إلا خلقاً ملتبساً بالحق لا يلائم استمرار
الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة
فسادهم من الأرض. وإن الساعة لآتية. فينتقم الله لك فيها ممن كذبك. فاصفح
الصفح الجميل. ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم. قيل
وهو منسوخ بآية السيف. إن ربك هو الخلاق. الذي خلقك وخلقهم
وبيده أمرك وأمرهم. العليم. بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل إليه ليحكم
بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح
وفي مصحف عثمان وأبي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص
بالكثير. ولقد آتيناك سبعاً. سبع آيات وهي الفاتحة. وقيل سبع سور وهي
الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما
بالتسمية. وقيل التوبة. وقيل يونس أو الحواميم السبع. وقيل سبع صحائف وهي
الأسباع من المثاني. بيان للسبع والمثاني من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك مثنى
تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز
أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد
بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فيكون من للتبعيض. والقرآن العظيم. إن أريد بالسبع
الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به
الأسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر. لا تمدن عينيك. لا تطمح ببصرك
طموح راغب. إلى ما متعنا به أزواجاً منهم. أصنافاً من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة
إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات. وفي حديث أبي بكر
رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر
عظيماً وعظم صغيراً. وروي أنه عليه الصلوة والسلام وافى بأذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال
المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد

اعطيتم

أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع. ولا تحزن عليهم. أنهم لم يؤمنوا
وقيل أنهم المتمتعون به. واخفض جناحك للمؤمنين. وتواضع لهم وارفق بهم
وقل إني أنا النذير المبين. أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا
كما أنزلنا على المقتسمين. مثل العذاب الذي أنزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم
مقامه. والمقتسمون هم الإثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا
الناس عن الإيمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر أو الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا
صالحاً عليه السلام. وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك
فإنه بمعنى أنزلنا إليك. والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عناداً
بعضه حق موافق للتورية والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما. أو قسموه إلى شعر وسحر
وكهانة وأساطير الأولين. أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن
القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون
قوله لا تمدن إلى آخره اعتراضاً ممداً لها. الذين جعلوا القرآن عضين. أجزاء جمع عضة
وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء. وقيل فعلة من عضهته إذا
بهته. وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة. وقيل
أسحاراً. وعن عكرمة العضه السحر. وإنما جمع جمع السلامة جبراً لما حذف منه. والمو
صول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره. فوربك لنسألنهم أجمعين
عما كانوا يعملون. من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه. وقيل عام في كل ما فعلوا
من الكفر والمعاصي. فاصدع بما تؤمر. فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو
افرق به بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز. وما مصدرية أو موصولة
والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع. وأعرض عن المشركين. فلا تلتفت إلى ما يقولون
إنا كفيناك المستهزئين. بقمعهم وإهلاكهم. قيل كانوا خمسة من أشراف قريش
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود
بن المطلب يبالغون في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل للنبي
عليه السلام أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف
تعظماً لأخذه فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات. وأومى إلى أخمص العاص فدخلت
فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات. وأشار إلى أنف حارث
فامتخط قيحاً فمات. وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح
برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات. وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي
الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون. عاقبة أمرهم في الدارين. ولقد نعلم

انك يضيق صدرك بما يقولون • من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك ٢
فسبح بحمد ربك • فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك
او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق • وكن من الساجدين • من المصلين
وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة • واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين • اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق • والمعنى فاعبده مادمت
حيا ولا تخل بالعبادة لحظة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه • كانوا يستعجلون
ما اوعدهم الرسول عليه السلام من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر ٢
استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت
والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا
وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه • سبحانه وتعالى عما يشركون • تبرأ وجل
عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله
فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب • او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم و
لغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس ٢
رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه • ينزل الملائكة بالروح • بالوحى والقرآن فانه يحيى به
القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك ٢
اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول تحقق ما يوعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه
بالعلم به • وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ ابو بكر رحمه الله ينزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل من امره • بامره ومن اجله
على من يشاء من عباده ان ينزل رسولا • ان انذروا • اى بان انذروا واى اعلموا
من انذرت بكذا اذا اعلمته • انه لا اله الا انا فاتقون • ان الشان لا اله الا انا فاتقون
او خوفوا اهل الكفر والمعاصى بانه لا اله الا انا • وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود • وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول • او مصدرية
فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض • او مخففة من الثقيلة • والآية
تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى
هو منتهى تمام القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوة العملية
وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل

على

على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان
له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع • خلق السموات والارض بالحق اوجدهما
على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته
تعالى عما يشركون • منهما او مما يفتقر فى وجوده وبقائه اليهما او مما لا يقدر
على خلقهما • وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام • خلق الانسان من نطفة
جمادا لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل • فاذا هو خصيم ٢
منطيق مناظر مجادل • مبين • للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام
وهى رميم • روى ان ابى بن خلف رئيس المنافقين اتى النبى صلى الله عليه وسلم
بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت • والانعام
الابل والبقر والغنم • وانتصابها بمضمر يفسره • خلقها لكم • او بالعطف على
الانسان • وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له • فيها دفء • ما
يدفأ به فيقى البرد • ومنافع • نسلها ودرها وظهورها • وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول عوضها • ومنها تأكلون • اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم و
الالبان • وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآية • او لان الاكل منها هو المعتاد
والمعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى
او التفكه • ولكم فيها جمال • زينة • حين تريحون • تردونها من مراعيها الى مراحها
بالعشى • وحين تسرحون • تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها فى
الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها • وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها
تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها • وقرئ حينا
على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه • وتحمل
اثقالكم • احمالكم • الى بلد لم تكونوا بالغيه • اى ان لم يكن لكم الانعام ولم تخلق فضلا
من ان تحملوها على ظهوركم اليه • الا بشق الانفس • الا بكلفة ومشقة • وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه • وقيل المفتوح مصدر شق عليه الامر واصله الصدع
والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب • ان ربكم لرؤف رحيم
حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم • والخيل والبغال والحمير •
عطف على الانعام • لتركبوها وزينة • اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة • وقيل
معطوفة على محل لتركبوها • وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله
ولان المقصود من خلقها الركوب • واما التزين بها فحاصل بالعرض • وقرئ بغير واو
وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها • او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين

اى متزينين او متزينا بها. واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا. ويدل عليه
ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر
ويخلق ما لا تعلمون. لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضرورى اجمل غيرها. ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا
به. وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر. وعلى الله قصد
السبيل. بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا
او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قاصد وقصد اى
مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه. والمراد بالسبيل الجنس
ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر. مائل عن القصد او عن الله. وتغيير
الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله
وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض. وقرئ ومنكم جائر عن القصد. ولو
شاء لهداكم اجمعين. اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية
مستلزمة للاهتداء. هو الذى انزل من السماء. من السحاب او من جانب السماء
ماء لكم منه شراب. ما تشربونه. ولكم صلة انزل او خبر شراب. ومن تبعيضية متعلقة
به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله
فسلكه ينابيع. وقوله فاسكناه فى الارض. ومنه شجر. ومنه يكون شجر يعنى الشجر
الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر. قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر.
والخيل فى اطعامها ضرر. فيه تسيمون. ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات. ينبت لكم به
الزرع. وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم. والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار. ولعل تقديم ما يسام فيه على
ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية. ومن هذا تقديم
الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها. ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون
على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة
تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها
ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام
مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتأثيرات
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد.

والانداد

والانداد. ولعل فصل الآية به لذلك. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هيأها لمنافعكم. مسخرات بامره. حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات
لله خلقها ودبرها كيف شاء. او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه. وفيه ايذان
بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه
المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر جمع لاختلاف الانواع. وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه. ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا. ان فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون. جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول
السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات. وما ذرأ لكم فى الارض عطف
على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات. مختلفا الوانه. اصنافه
فانها تتخالف باللون غالبا. ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون. ان اختلافها فى الطبايع
والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم. وهو الذى سخر البحر. جعله بحيث تتمكنون
من الانتفاع بالركوب والاصطياد والغوص. لتأكلوا منه لحما طريا. هو السمك
ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله. ولاظهار
قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق. وتمسك به مالك والثورى على ان
من حلف لا يأكل لحما حنث باكل السمك. واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف
وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث
الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه. وتستخرجوا منه حلية تلبسونها. كاللؤلؤ
والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم
وترى الفلك. السفن. مواخر فيه. جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو
شق الماء. وقيل صوت جرى الفلك. ولتبتغوا من فضله. من سعة رزقه بركوبها
للتجارة. ولعلكم تشكرون. اى تعرفون نعم الله فتقومون بحقها. ولعل تخصيصه
بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش. والقى فى الارض رواسى. جبالا رواسى. ان تميد بكم. كراهة
ان تميل بكم وتضطرب. وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية
بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك باذنى
سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة. وقيل لما خلق الله الارض

جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم اوالى معرفة الله وعلامات معالم ليستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مساريهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدليل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوى ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعم لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدورة ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وحفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لا تعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون وهم لا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء

على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءى اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم فيتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام

التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة • ظالمى انفسهم • بان عرضوها للعذاب
المخلد • فالقوا السلم • فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت • ماكنا نعمل • قائلين ماكنا
نعمل من سوء • كفر وعدوان • ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال
على الاستسلام بلى اى فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون • فهو يجازيكم
عليه • وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة
وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ماكنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا
عاملين بسوء • واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم • فادخلوا ابواب جهنم •
اصناف عذابها • خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين • جهنم • وقيل للذين اتقوا يعنى المؤمنين
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا • اى انزل خيرا • وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب
واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبى عليه السلام فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا
جاء المؤمنين قالوا له ذلك • للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة • مكافاة فى الدنيا • ولدار
الاخرة خير • اى ولثوابهم فى الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم • ويجوز ان
يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا • ولنعم دار المتقين •
دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن • خبر مبتدإ محذوف • ويجوز
ان يكون المخصوص بالمدح • يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن • من انواع
المشتهيات • وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة • كذلك
يجزى الله المتقين • مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول • الذين تتوفيهم
الملائكة طيبين • طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم فى الجنة • او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى حضرة القدس • يقولون سلام عليكم • لا يحيقكم بعد مكروه • ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون • حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم • وقيل هذا التوفى وفاة الحشر
لان الامر بالدخول حينئذ • هل ينظرون • ما ينتظرون الكفار المار ذكرهم • الا ان تاتيهم
الملائكة • لقبض ارواحهم • وقرأ حمزة والكسائى بالياء • او ياتى امر ربك • القيمة او
العذاب المستاصل • كذلك • مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب • فعل الذين من قبلهم
فاصابهم ما اصابهم • وما ظلمهم الله • بتدميرهم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بكفرهم
ومعاصيهم المؤدية اليه • فاصابهم سيئات ما عملوا • اى جزاء سيئات اعمالهم
على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • واحاط بهم
جزاؤه • والحيق لا يستعمل الا فى الشر • وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من

نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء
شىء • انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله
يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما • او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم
البحائر محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها ولشاء خلافه ملجئا
اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين • كذلك
فعل الذين من قبلهم • فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله • فهل على الرسل
الا البلاغ المبين • الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر فى هدى من شاء الله هداه ولكنه
مؤد اليه على سبيل التوسط • وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب
قدرها له • ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من اراد
اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه
ويضر المنحرف ويفنيه بقوله • ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت • يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت • فمنهم من هدى الله • وفقهم
للايمان بارشاده • ومنهم من حقت عليه الضلالة • اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم • وفيه
تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلالة وثباته بفعله
وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الاية الاخرى • فسيروا فى
الارض • يا معشر قريش • فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون • ان تحرص • يا محمد • على هداهم فان الله لا يهدى من يضل •
من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة • وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على
البناء للمفعول وهو ابلغ • وما لهم من ناصرين • من ينصرهم بدفع العذاب عنهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • عطف على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على
فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى • يبعثهم • وعدا • مصدر مؤكد لنفسه
وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله • عليه • انجازه لامتناع الخلف فى
وعده • او لان البعث مقتضى حكمته • حقا • صفة اخرى للوعد • ولكن اكثر الناس لا
يعلمون • انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته
بمراعاتها • واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه • ثم انه تعالى بين الامرين
فقال • ليبين لهم • اى يبعثهم ليبين لهم • الذى يختلفون فيه • وهو الحق • وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين • فيما كانوا يزعمون • وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث
المقتضى له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال • انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • وهو بيان امكانه وتقريره ان

تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر • والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه • لنبوئنهم في الدنيا حسنة • مباءة حسنة • ولاجر الآخرة اكبر • مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل • لو كانوا يعلمون • الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم اي المهاجرين • وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم • الذين صبروا • على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن و محله النصب او الرفع على المدح • وعلى ربهم يتوكلون • منقطعين الى الله مفوضين الامر كله اليه • وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم • رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه • فاسئلوا اهل الذكر • اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم • ان كنتم لا تعلمون • وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة • واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء • وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبرئيل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم • بالبينات والزبر • اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا • ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا • اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط • او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات • او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض • او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام • وانزلنا اليك الذكر • اي القرآن • وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه • لتبين للناس ما نزل اليهم • في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم • والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل • ولعلهم يتفكرون • وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق • أفأمن الذين مكروا السيئات • اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك

لهلاك الانبياء • او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان • ان يخسف الله بهم الارض • كما خسف بقارون • او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون • بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط • او يأخذهم في تقلبهم • اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم • فما هم بمعجزين • او يأخذهم على تخوف • على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون • او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى هلكوا من تخوفته اذا تنقصته • روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم • قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته • تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن • فقال عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم • فان ربكم لرؤف رحيم • حيث لا يعاجلكم بالعقوبة • اولم يروا الى ما خلق الله من شيء • استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه • وما موصولة مبهمة بيانها • يتفيؤ ظلاله • اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة • عن اليمين والشمائل • عن ايمانها وشمائلها او عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله • سجدا لله وهم داخرون • وهما حالان من الضمير في ظلاله • والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار • يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب • او سجدا حال من الظلال • وهم داخرون حال من الضمير • والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر • لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد • والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها • وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء • وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض • ولله يسجد ما في السموات وما في الارض • اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض • وقوله • من دابة • بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء • والملائكة • عطف على المبين به عطف جبرئيل على الملائكة للتعظيم

او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة • او بيان لما في
الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما • او المراد بها ملائكتها
من الحفظة وغيرهم • وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان
اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء • وهم لا يستكبرون • عن عبادته • يخافون ربهم من
فوقهم • يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم • او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده • والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من
خاف الله لا يستكبر عن عبادته • ويفعلون ما يؤمرون • من الطاعة والتدبير وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء • وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين • ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه • او ايماء بان
الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله • انما هو اله واحد • للدلالة على
ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية • او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالوهية • فاياي فارهبون • نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا
بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير • وله ما في السموات
والارض • خلقا وملكا له • وله الدين واصبا • لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق
بان يرهب منه • وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة • وقيل الدين الجزاء اي وله
الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر • افغير الله تتقون • ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال • وما بكم من نعمة فمن الله • اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من
الله • وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار والحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه • ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون • فما تتضرعون الا اليه • والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة
قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا • ثم اذا • كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون • بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم • ويجوز ان تكون من للتبعيض على ان
يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد • ليكفروا بما آتيناهم • من
نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله • فتمتعوا امر
تهديد • فسوف تعلمون • اغلظ الوعيد • وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب • ويجعلون لما لا يعلمون
اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما • او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها
جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف • او لجهلهم على ان ما مصدرية

والجعو

والمجعول له محذوف للعلم به • نصيبا مما رزقناهم • من الزروع والانعام • تالله
لتسألن عما كنتم تفترون • من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه
ويجعلون لله البنات • كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله • سبحانه
تنزيه له من قولهم وتعجب منه • ولهم ما يشتهون • يعني البنين • ويجوز في ما يشتهون
الرفع بالابتداء • او النصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف • واذا بشر
احدهم بالانثى • اخبر بولادتها • ظل وجهه • صار او دام النهار كله • مسودا • من
الكآبة والحياء من الناس • واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير • وهو كظيم • مملوء
غيظا من المرأة • يتوارى من القوم • يستخفي منهم • من سوء ما بشر به • من سوء المبشر به
عرفا • ايمسكه • محدثا في نفسه متفكرا في ان يتركه • على هون • ذل • ام يدسه في التراب
ام يخفيه فيه ويئده • وتذكير الضمير للفظ ما • وقرئ بالتانيث فيهما • الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم • للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا
بهم وكراهة الاناث ووأدهن به خشية الاملاق • ولله المثل الاعلى • وهو الوجوب
الذاتي والغنى المطلق والوجود الفائق والنزاهة عن صفة المخلوقين • وهو العزيز
الحكيم • المتفرد بكمال القدرة والحكمة • ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم • بكفرهم
ومعاصيهم • ما ترك عليها • على الارض • وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها • من دابة • قط بشؤم ظلمهم • وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب
ابن آدم • او من دابة ظالمة • وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء • ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى • سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا • فاذا جاء اجلهم لا يستأ
خرون ساعة ولا يستقدمون • بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة • ولا يلزم من عموم
الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم • ويجعلون لله ما يكرهون • لانفسهم من البنات والشركاء
في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذال الاموال • وتصف السنتهم الكذب • مع ذلك ان
لهم الحسنى • اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • وقرئ الكذب
صفة للالسنة • لا جرم ان لهم النار • رد لكلامهم واثبات لضده • وانهم مفرطون
مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته • وقرا نافع بكسر الراء على انه من
الافراط في المعاصي • وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء • ومكسورا من التفريط
في الطاعات • تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم • فاصروا

على قبائحها وكفروا بالمرسلين • فهو وليهم اليوم • اي في الدنيا • وعبر باليوم عن زمانها • او فهو
وليهم حين كان يزين لهم • او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية • ويجوز ان يكون الضمير لقريش
اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم • وان يكون
بتقدير مضاف اي فهو ولي امثالهم • والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه
ولهم عذاب اليم • في القيمة • وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم • للناس • الذي اختلفوا
فيه • من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال • وهدى ورحمة لقوم يؤمنون •
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين • والله الذي انزل من السماء
ماء فاحيا به الارض بعد موتها • انبت فيها انواع النبات بعد يبسها • ان في ذلك لآية
لقوم يسمعون • سماع تدبر وانصاف • وان لكم في الانعام لعبرة • لدلالة يعبر بها من
الجهل الى العلم • نسقيكم مما في بطونه • استيناف لبيان العبرة • وانما ذكر الضمير ووحده هنا
للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع • ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش • ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها
دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس • وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين • من بين فرث ودم لبنا • فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله
فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما • ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة
الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها
مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير
الحكيم العليم • ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى
الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا • ومن تدبر صنع الله في احداث
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل
وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته • ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض
ما في بطونها • والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ
منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم • او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره • وللتنبيه على انه موضع
العبرة • خالصا • صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث • او مصفى عما يصحبه من الاجزاء

الكثيفة

الكثيفة بتضييق مخرجه • سائغا للشاربين • سهل المرور في حلقهم • وقرئ سيغا
بالتشديد والتخفيف • ومن ثمرات النخيل والاعناب • متعلق بمحذوف اي ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب من عصيرها وقوله • تتخذون منه سكرا • استيناف لبيان
الاسقاء او بتتخذون • ومنه تكرير للظرف تأكيدا • او خبر لمحذوف صفته تتخذون
اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه • وتذكير الضمير على الوجهين الاولين
لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر • والسكر مصدر سمي
به الخمر • ورزقا حسنا • كالتمر والزبيب والدبس والخل • والاية ان كانت سابقة على تحريم
الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة • وقيل السكر النبيذ • وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا • اي تنقلت باعراضهم • وقيل ما يسد الجوع من السكر
فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه • ان في ذلك لآية لقوم يعقلون • يستعملون عقو
لهم بالنظر والتأمل في الايات • واوحى ربك الى النحل • الهمها وقذف في قلوبها • وقرئ
النحل بفتحتين • ان اتخذي • بان اتخذي • ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء
معنى القول • وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر • من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون • ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل شجر وكل جبل وكل ما يعرش من
كرم او سقف ولا في كل مكان منها • وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء
الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين
الا بآلات وانظار دقيقة • ولعل ذكره للتنبيه على ذلك • وقرئ بيوتا بكسر الباء
وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء • ثم كلي من كل الثمرات • من كل ثمرة تشتهيها
مرها وحلوها • فاسلكي • ما اكلت • سبل ربك • في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النور المر عسلا من اجوافك تلتبس • ذللا • جمع ذلول وهي حال من السبل اي
مذللة ذللها الله وسهلها لك • او من الضمير في اسلكي • اي وانت ذلل منقادة لما امرت
به • يخرج من بطونها • عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم
والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم • شراب • يعني العسل لانه مما يشرب • واحتج
به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء
ادخارا للشتاء • ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة
على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه
مختلف الوانه • ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل
فيه شفاء للناس • اما بنفسه كما في الامراض البلغمية • او مع غيره كما في سائر الامراض
اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون

للتعظيم. وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل ثم ذهب فرجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكأنما أنشط من عقال. وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل. إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعا أنه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه. والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة. ومنكم من يرد يعاد. إلى أرذل العمر أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل. وقيل هو خمس وتسعون سنة. وقيل خمس وسبعون. لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم. إن الله عليم بمقادير أعمارهم. قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني. وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم. ولو كان مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ. والله فضل بعضكم على بعض في الرزق. فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك. فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم. على ما ملكت أيمانهم على مماليكهم فإن ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم. فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في أن الله رزقهم. فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه. أفبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر. وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم. والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل خلق حواء من آدم. وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وأولادا أولاد أو بنات فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة. وقيل هم الأختان على البنات. وقيل الربائب. ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين. ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو من الحلالات. ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها. أفبالباطل يؤمنون وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من

الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب. وبنعمة الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم. وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل. ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات. ورزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل عنه. ولا يستطيعون أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا. وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في معنى الآلهة. ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد. فلا تضربوا لله الأمثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال. إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه. ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون. مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء. واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق. وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فإنه أيضا عبد الله. وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون. وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك. والأظهر أن من نكرة موصوفة ليطابق عبدا. وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنس فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد. الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها. بل أكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها. وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم. لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله. وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي أمره. أينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في أمر. وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي. لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم. هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل. وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى

وأنتم لا تعلمون فدعوا رأيكم دون نصيحة وتحري أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال

الى مطلب الاولى بلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات لهذين الوصفين لانهما كمال
ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او
للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب
فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب
عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة الا في سرعته وسهولته
الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها
اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدئ فيه فانه تعالى
يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه
ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو
اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة
كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم
وقرئ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة
مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها
ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم
البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا
ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب
بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه
الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث
يمكن الطيران فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون
بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا المتخذة
من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة
على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم
حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول فيه
وقرأ الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها

والبصريان

الحجازيان وهما نافع وابن كثير
والبصريان وهما ابو عمرو
ويعقوب ...

اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها
لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل
لكم مما خلق من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم
من الجبال اكنانا مواضع تستكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن
وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه
بالذكر اكتفاء باحد الضدين عن الآخر او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم
باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه
النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون
به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب
او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف
المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم
ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن
اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر
الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او لتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة
لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم
نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم
من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره
اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب
جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما
عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام به ح

او الشياطين فانهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي • والقوا • والقى الذين ظلموا • الى الله يومئذ السلم
الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا • وضل عنهم • وضاع عنهم وبطل ما كانوا
يفترون • من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم • الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله • بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر • زدناهم عذابا • لصدهم
فوق العذاب • المستحق بكفرهم • بما كانوا يفسدون • بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم • يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث
منهم • وجئنا بك • يا محمد • شهيدا على هؤلاء • على امتك • ونزلنا عليك الكتاب
استيناف او حال باضمار قد • تبيانا • بيانا بليغا • لكل شيء • من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس • وهدى ورحمة • للجميع • وانما حرمان المحروم من
تفريطه • وبشرى للمسلمين • خاصة • ان الله يأمر بالعدل • بالتوسط في الامور اعتقادا
كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر
وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب • وخلقا كالجود المتوسط
بين البخل والتبذير • والاحسان • احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك • وايتاء ذي القربى • واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد
تعميم للمبالغة • وينهى عن الفحشاء • عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فانه
اقبح احوال الانسان واشنعها • والمنكر • ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي • والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى
القوة الوهمية • ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط
احد هذه القوى الثلث • ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه
الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين • ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه • يعظكم • بالامر والنهي والميز بين الخير والشر
لعلكم تذكرون • تتعظون • واوفوا بعهد الله • يعني البيعة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله • وقيل كل امر يجب
الوفاء به ولا يلايمه قوله • اذا عاهدتم • وقيل النذور • وقيل الايمان بالله • ولا تنقضوا
الايمان • ايمان البيعة او مطلق الايمان • بعد توكيدها • توثيقها بذكر الله • ومنه اكد
بقلب الواو همزة • وقد جعلتم الله عليكم كفيلا • شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل

مراع

مراعٍ لحال المكفول به رقيب عليه • ان الله يعلم ما تفعلون • في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها • ما غزلته مصدر بمعنى المفعول • من بعد قوة • متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام • انكاثا • طاقات نكثت فتلها جمع
نكث • وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت • والمراد
تشبيه الناقض بمن هذا شانه • وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت
خرقاء تفعل كذلك • تتخذون ايمانكم دخلا بينكم • حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار
الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي • ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم • واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه • ان تكون امة هي اربى من
امة • بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة • والمعنى لا تغدروا بقوم
لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي
حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم • انما يبلوكم الله به • الضمير لان تكون امة
لانه بمعنى المصدر • اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة
رسوله • ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم • وقيل الضمير للربو
وقيل للامر بالوفاء • وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون • اذا جازاكم على
اعمالكم بالثواب والعقاب • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • متفقة على الاسلام
ولكن يضل من يشاء • بالخذلان • ويهدي من يشاء • بالتوفيق • ولتسئلن عما كنتم
تعملون • سؤال تبكيت ومجازاة • ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم • تصريح بالنهي
عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي • فتزل قدم • اي عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها • عليها • والمراد اقدامهم • وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم
واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة • وتذوقوا السوء • العذاب في الدنيا • بما صددتم
عن سبيل الله • بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد
جعل ذلك سنة لغيره • ولكم عذاب عظيم • في الاخرة • ولا تشتروا بعهد الله • ولا
تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله • ثمنا قليلا • عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش
يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد • انما عند الله • من النصر والغنائم
في الدنيا والثواب في الاخرة • هو خير لكم • مما يعدونكم • ان كنتم تعلمون • ان كنتم
من اهل العلم والتمييز • ما عندكم • من اعراض الدنيا • ينفد • ينقضي ويفنى • وما
عند الله باق • لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق • ودليل على ان نعيم اهل الجنة
باق • ولنجزين الذين صبروا اجرهم • على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف
وقرا ابن كثير وعاصم بالنون • باحسن ما كانوا يعملون • بما يترجح فعله من اعمالهم

٧ من خزائن رحمته

من عمل صالحا من ذكر او انثى • بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص • وهو مؤمن • اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب • فلنحيينه حيوة
طيبة • فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب
عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان
معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنّأ بعيشه • وقيل
فى الآخرة • ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • من الطاعة • فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم • فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
فى القراءة • والجمهور على انه للاستحباب • وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة
لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا • وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل • وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم • فقال قل اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرئيل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ • انه
ليس له سلطان • تسلط وولاية • على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون • على اولياء
الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا
فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة • فذكر السلطنة بعد الامر
بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا • انما سلطانه على الذين يتولونه •
يحبونه ويطيعونه • والذين هم به مشركون • واذا بدلنا آية مكان آية • بالنسخ فجعلنا
الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما • والله اعلم بما ينزل • من المصالح • فلعل
ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة
الآن فيثبته مكانه • وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف • قالوا • اى الكفرة • انما
انت مفتر • متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه • وهو جواب اذا • والله
اعلم بما ينزل • اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم • ويجوز ان
يكون حالا • بل اكثرهم لا يعلمون • حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب • قل
نزله روح القدس • يعنى جبرئيل عليه السلام • واضافة الروح الى القدس وهو الطهر
كقولهم حاتم الجود • وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف • وفى ينزل ونزله تنبيه على ان
انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل • من ربك بالحق • ملتبسا بالحكمة
ليثبت الذين آمنوا • على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه
من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم • وهدى وبشرى
للمسلمين • المنقادين لحكمه • وهما معطوفان على محل ليثبت بالتخفيف • ولقد

تعلم

اى بلقه اوبسبب الشيطان

اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت

نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر • يعنون جبرا غلام رومى لعامر بن الحضرمى • وقيل
جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول عليه
السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه • وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى وكان
قد اسلم وكان صاحب كتب • وقيل سلمان الفارسى • لسان الذى يلحدون اليه اعجمى •
لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر • وقرأ حمزة
والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى • غير بين • وهذا • وهذا القرآن
لسان عربى مبين • ذو بيان وفصاحة • والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم
وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه من كلام اعجمى لا يفهمه هو ولا انتم
والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه • وثانيهما هب انه
تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمى وهذا عربى والقرآن
كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن
تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من
غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره على كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم • ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله • لا يصدقون انها من عند الله • لا يهديهم الله • الى الحق او الى سبيل النجاة •
وقيل الجنة • ولهم عذاب اليم • فى الآخرة هددهم على الكفر بالقرآن بعد ما اماط
شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب الذين لا
يؤمنون بآيات الله • لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه • واولئك • اشارة
الى الذين كفروا او الى قريش • هم الكاذبون • اى الكاذبون على الحقيقة • او الكاملون فى
الكذب لان تكذيب الآيات والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين
عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة • او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر
انما يعلمه بشر • من كفر بالله من بعد ايمانه • بدل من الذين لا يؤمنون • وما بينهما
اعتراض او من اولئك او من الكاذبون • او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم
غضب • ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب • الا من
اكره • على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان • وقلبه مطمئن بالايمان • لم تتغير عقيدته • وفيه دليل على ان الايمان هو
التصديق بالقلب • ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم • اذ لا اعظم من جرمه • روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية
على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من

جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى لسحه

رفع

اعتقد وطاب نفسا

اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه
ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا
لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان فيه دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه
يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول
في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد
صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
اى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم
انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار بالولاية و
النصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى من
بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من
بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على
ما صنعوا بعده يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها
تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل
نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله
مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله
بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها لان المطرد جمع فعل على افعل لا فعلة
الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل
عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر

الرداء

الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف
لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني
ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك
فاعتجر منه بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم
بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد ووقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمة الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم
عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبها الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل
لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الآية وسياق مقتضى
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل
كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما
مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحلوا
ولا تحرموا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة
في وصف كلامهم بالكذب فان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها
بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف
السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل
مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم
فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا

الاعتجار لف العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك صحاح

فكانهم لباس الجوع والخوف

يعني ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا للتعليل الصحيح اذ ليس افتراء على الله غرضا لهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون التحريم والتحليل اليه تعالى ويقولون انه تعالى امرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى شيخ زاده عليه الرحمة

حرمنا ما قصصنا عليك من قبل اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين
غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء
يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء رحيم يثيبه على الانابة ان ابرهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل
لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم
ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته
كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الى الحق
الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله وآتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه
الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى
السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى
بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى
ابرهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على
حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم
السبت والتخلى فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى
عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ
فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه
اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف
او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليه الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة

النعم

بالمقالة

بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات
المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة
عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع
فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك
بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة
العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه
السلام لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز
وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن
صبرتم لهو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال
واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق صدر من مكرهم
وقرأ ابن كثير فى ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق
ان الله مع الذين اتقوا المعاصى والذين هم محسنون فى اعمالهم بالولاية والفضل
او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها
او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

تم الجزء الاول من انوار التنزيل
واسرار التاويل والحمد لله
وحده

ضبط بالخاء المعجمة والقاف اى التخلق والاتصاف به
فى معاملة الخلق ولو قرئت بالفاء
كان له وجه

على خلقه

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى الله ربه ذى المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابا
وكفى عبده

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ، سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل
علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال ، قد قلت لما جاءني فخره ، سبحان من علقمة
الفاخر ، وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد
وأسرى وسرى بمعنى ، وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة
الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به ، من المسجد الحرام ، بعينه
لما روي انه عليه السلام قال بينا انا نائم في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذا اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق
المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من
ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا
فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد
صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته
طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد
اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم
لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ، واختلفوا في انه كان
في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج
به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه ، والاستحالة مدفوعة
بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية ، وقد برهن
في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات
فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله
والتعجب من لوازم المعجزات ، الى المسجد الاقصى ، بيت المقدس فانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ، ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن
موسى ومحفوف بالانهار والاشجار ، لنريه من آياتنا ، كذهابه في برهة من الليل مسيرة
شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام

من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات ، وقرئ ليريه بالياء ، انه هو السميع
لاقوال محمد ، البصير ، بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ، وآتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا ، اي على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل
وقرأ ابو عمرو بالياء على لان لا يتخذوا ، من دوني وكيلا ، ربا تكلون اليه اموركم غيري
ذرية من حملنا مع نوح ، نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ الا تتخذوا بالتاء او
على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا ، وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو يتخذوا
وذرية بكسر الذال ، وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في
السفينة ، انه ، ان نوحا عليه السلام ، كان عبدا شكورا ، يحمد الله تعالى على مجامع حالاته
وفيه ايماء بان انجائه ومن معه كان ببركة شكره وحث الذرية على الاقتداء به ، وقيل
الضمير لموسى عليه السلام ، وقضينا الى بني اسرائيل ، واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا
في الكتاب ، في التورية ، لتفسدن في الارض ، جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء
القضاء المبتوت مجرى القسم ، مرتين ، افسادتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل
شعياء وقيل ارمياء ، وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ، ولتعلن علوا كبيرا
ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس ، فاذا جاء وعد اوليهما ، وعد
عقاب اوليهما ، بعثنا عليكم عبادا لنا ، بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده
وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى ، اولي بأس شديد ، ذوي قوة
وبطش في الحرب شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا
صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد ، والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع ، وكان وعدا مفعولا ، وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة ، اي الدولة والغلبة ، عليهم ، على الذين بعثوا عليكم وذلك بان
القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة
عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله ، وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا ، مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ، ان احسنتم احسنتم لانفسكم ، لان ثوابها لها وان
اسأتم فلها ، فان وبالها عليها ، وانما ذكر باللام ازدواجا ، فاذا جاء وعد الآخرة
وعد عقوبة المرة الآخرة ، ليسوءوا وجوهكم ، اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه ، وقرأ ابن عامر وحمزة

فرددوا الطلب وقرئ بالحاء وهما اخوان

وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو البعث أو لله ويعضده قراءة الكسائي
بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على
الأوجه الأربعة على أنه جواب إذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو
بعثناهم كما دخلوه أول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة
علوهم تتبيرا وذلك بأن سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه خردوز وقيل خردوش قيل صاحب الجيش دخل مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا
منهم فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم يحيى عليه السلام
فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك
فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحدا منهم فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة
وإن عدتم نوبة أخرى عدنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد عليه السلام
وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير وضرب الجزية على
الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها
أبد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم للحالة
أو الطريقة التي هي أقوم الحالات أو الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وأن الذين لا يؤمنون
بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر ويدع الإنسان بالشر
ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو
شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الإنسان عجولا يسارع إلى كل ما يخطر بباله
لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط و
روي أنه عليه السلام دفع أسيرا إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت
كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه
فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز أن يراد بالإنسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك فأجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين
تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بإمكان غيره فمحونا آية الليل أي الآية
التي هي الليل بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود وجعلنا آية
النهار مبصرة مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر أو مبصرا أهله كقولهم

أجنبي

لنسوءن ولنسوءن وليسوءن وليسوءن
أي لنبعثن وليبعثن وبالنون المثقلة

أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري
الليل والنهار آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر جعلناها مظلمة
في نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيئا فشيئا إلى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس
مبصرة جعلناها ذات شعاع تبصر الأشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في
بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم ولتعلموا باختلافهما أو بحركاتهما
عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا
فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل إنسان ألزمناه طائره عمله وما قدر له
كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر
وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم
الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة
بآثار أعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكررها
لها ملكات ونصبه بأنه مفعوله أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده
قراءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج أي الله عز وجل يلقاه منشورا
لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ
ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على إرادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء زائدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه إما
بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا
أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره على أن الحساب و
الشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه
ومن ضل فإنما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة
وزر أخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل إنما تحمل وزرها وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على أن
لا وجوب قبل الشرع وإذا أردنا أن نهلك قرية وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ
قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة
أمرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثناه إليهم ويدل
على ذلك ما قبله وما بعده فإن الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على
الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك أمرته
فقرأ فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة على أن الأمر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بأن
صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوي

السنوح ضد البارح يقال سنح لي الظبي يسنح سنوحا إذا مر من مياسرك إلى ميامنك والسانح ما ولاك ميامنه والعرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح وهو ما ولاك مياسره

كقوله أمرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشيء وآمرته فأمر إذا كثرته وفي الحديث
خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وهو أيضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده
قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمّرنا عن أبي عمرو ويحتمل أن يكون منقولا من أمُر بالضم
إمارة أي جعلناهم أمراء وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر
على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارها وكم أهلكنا
وكثيرا أهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير
لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد
جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله
به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا
من رحمة الله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الإتيان بما أمر والانتهاء
عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص وهو مؤمن
إيمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة فأولئك الجامعون للشرائط الثلاثة
كان سعيهم مشكورا من الله مقبولا عنده مثابا عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف إليه نمد بالعطاء مرة بعد أخرى
ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه
متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن
ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا
على الحال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي التفاوت في الآخرة أكبر لأن التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب للرسول والمراد
به أمته أو لكل أحد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز
من قولهم قعد عن الشيء إذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم
من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وأمر أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا بأن لا تعبدوا إلا
إياه لأن غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام وهو كالتفصيل

لسعي

لسعي الآخرة ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا ناهية وبالوالدين إحسانا وبأن تحسنوا
أو وأحسنوا بالوالدين إحسانا لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز أن يتعلق الباء
بالإحسان لأن صلته لا يتقدم عليه إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما إن
الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل وأحدهما فاعل يبلغن
أو بدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف يبلغان الراجع إلى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما
فاعلا أو بدلا ولذلك لم يجز أن يكون تأكيدا للألف ومعنى عندك أن يكونا في كنفه وكفالته
فلا تقل لهما أف فلا تضجر مما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على
تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو تضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة
نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا
وبالضم للإتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياسا
بطريق الأولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حذيفة من قتل أبيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الأمر
بالإحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم
أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما
جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة
ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وأمره
بخفضها مبالغة أو أراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وإضافته إلى الذل
للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم إلى الجود والمعنى اخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل
بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما
إلى من كان أفقر خلق الله إليهما وقل رب ارحمهما وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا
تكتف برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة
مثل رحمتهما علي وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي أن رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت
تريد موتهما ربكم أعلم بما في نفوسكم من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير
وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا إن تكونوا صالحين قاصدين للصلاح
فإنه كان للأوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه
تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته
لوروده على أثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال

ابو حنيفة رحمه الله وسعة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان تنفق عليهم وقيل المراد
بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لسعد بن وقاص وهو يتوضأ ما هذا السرف قال او في الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان
التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في
المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا
في الكفر به فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين
وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرا له و
قيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة
الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد ونحس الرجل وقيل
القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلا لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا
بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف
وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه
وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من
ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة
فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم
ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم
ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل
القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم
ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من

فينبغي ان لا يطاع ع

قطع

قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطئا كاثم اثما وقرأ ابن عامر
خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن
كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء
تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه من منقع الماء راسب وهو
مبني عليه وقرئ خطاء بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا او مكسورا ولا
تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة
ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي
الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث
كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب
للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا
بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على
ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل
من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل
ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما
انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا
بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب
القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا
بالطريقة التي هي احسن بان تحفظه وتثمره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي فيه او
مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما
يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان
مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي وهو رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب
واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل
من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه
القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من

اتباع الظن. وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع. وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج. وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب. ولا اقفوا الحواصن ان قفينا. ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام. كان عنه مسؤلا. في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل عنه صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح. ولا تمش في الارض مرحا. اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت. انك لن تخرق الارض. لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك. ولن تبلغ الجبال طولا. بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل. كل ذلك. اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر. وعن ابن عباس رضي الله عنه انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه. يعني المنهي عنه فان المذكور مامورات ومناهي. وقراء الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها. بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام الدليل القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى. ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة. التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به. ولا تجعل مع الله الها آخر. كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عايدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فتلقى في جهنم ملوما. تلوم نفسك. مدحورا. مبعدا من رحمة الله. افاصفاكم ربكم بالبنين. خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون. واتخذ من الملائكة اناثا. بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادا

انكم

انكم لتقولون قولا عظيما. باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم. ولقد صرفنا. كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير. في هذا القرآن. في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه. وقرئ صرفنا بالتخفيف. ليذكروا. ليتذكروا وقراء حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر. وما يزيدهم الا نفورا. عن الحق وقلة طمانينة اليه. قل لو كان معه آلهة كما تقولون. ايها المشركون. وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول. ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا. جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو ملك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة. سبحانه. تنزه تنزها. وتعالى عما يقولون علوا. تعاليا. كبيرا. متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه. تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده. ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته. ولكن لا تفقهون تسبيحهم. ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه اللفظ وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ المشترك على معنييه. وقراء ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء. انه كان حليما. حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم. غفورا. لمن تاب منكم. واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا. يحجبهم عن فهم ما تقراه عليهم مستورا ذا ستر كقوله كان وعده ماتيا. وقولهم سيل مفعم. او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون. نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة. تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه. كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه. وفي آذانهم وقرا. يمنعهم عن استماعه. ولما كان القرآن معجزا

من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك
وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر
ويحتمل ان يكون جمع نجى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر
او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم
هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس
ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالساحر والشاعر والكاهن
والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى الطعن بوجه فيتها
فتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه
لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او
حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ
منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا
كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه
مما لم يعهد له فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد
منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى
يكون في زمن قريب وان يكون اسم عسى فخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر
امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اى حامدين
لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا و
تستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول
وقل لعبادى يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد

الفساد

الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان
يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام
امرهم غيب لا يعلمه الا الله تعالى وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم
تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم
وروى ان المشركين لما افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل شتم عمر رضى الله عنه رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات
والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان
يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع
حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتى من الملك وقيل
هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه
على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في
الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد
كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده
قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا
من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو
يبتغون اى يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك
كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها
قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت
به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض

الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة
بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها
فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالآيات المقترحة
الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء
مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان
ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط
بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في
اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية
مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله
اذ يريكهم الله في منامك ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم
هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما
من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه
باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة
الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة
او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز
ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي ءاسجد له واصله
طين وفيه على الوجوه ايماء لعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد
الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة
صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن
اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته

الا

الا قليلا اي لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك
الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له استنباطا
من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة
وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته له
نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على
الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم
فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى
تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان
تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة
وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله
عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا
لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده
حتى استأصلهم وقرأ حفص رجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحذر وحذر ومعناه
وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من
الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك
فيه كتسمية عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكاء على كرامة الآباء وتأخير التوبة
لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء
بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك
وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم
الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم
رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في
البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه
وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه
من اغاثتكم الا الله فلما نجيكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران
النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان
الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر

أن يهلككم في البر بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه الله وانتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الى الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اى كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم أو كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج والاعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا

يشعر

يشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن وكانت الفه في حكم المتوسطة في اعماكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد اماله حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تستلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع

اى من الف لفظة اعماكم

ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله ان كادوا ليستفز
ونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم
فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على
المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة
لله فاضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه قوله ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس
حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من
الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلث خلون
الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقران الفجر وصلوة الصبح
سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها
ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل
الامر باقامتها على الوجوب في الفجر نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم
الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية
جامعة للصلوة الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب
وقيل المراد بالصلوة المفروضة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل
بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن
الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك
فريضة زائدة لك على الصلوة المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق
في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام
قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه
وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او
بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي
في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق
اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منها سالما

ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة
لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه صح

وقيل

وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله
في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى
ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان
حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان
الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم
الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء
الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة و
كان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسر وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض
كالفاتحة وايات الشفاء وقرا البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله
ونا بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز
ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان
هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واما الكسائي وخلف فتحة النون
والهمزة في السورتين واما خلف فتحة الهمزة فيهما فقط واما ابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص
فتحها هناك وورش على اصله في ذوات الياء واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا
شديد الياس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات
الكائنة من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان
السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استاثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل
الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم
من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما

هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا من أحواله المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما
لم يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على الجواب كما اقتصر
موسى عليه السلام في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي أنه عليه
السلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب
شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية
أن يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو
بالإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه
كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف
والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا
محفوظا إلا رحمة من ربك فإنها إن نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن
يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بإبقائه بعد المنة في تنزيله إن فضله كان عليك كبيرا كإرساله وإنزال الكتاب عليه
وإبقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل
التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا
جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الإتيان به ولعله
لم يذكر الملائكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولأنهم كانوا وسائط في
إتيانه ويجوز أن يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الأنفس فأبى أكثر الناس إلا كفورا إلا جحودا
وإنما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيدا لأنه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الأرض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما ألزمهم الحجة ببيان إعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات إليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والأرض أرض مكة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو يكون لك بستان

يشتمل

قوله وإنما جاز ذلك إلخ جواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال إن حذف المستثنى منه غير جائز في كلام موجب فلا يقال ضربت إلا زيدا فما معنى فأبى أكثر الناس إلا كفورا والكلام موجب مع أنه حذف فيه المستثنى منه فأجاب بأنه متأول بالنفي لأن معنى فأبى أكثر الناس فلم يرضوا إلا كفورا

يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى إن نشأ
نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد
سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في الروم وابن
عامر إلا في هذه السورة ونافع وأبو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو إما مخفف
من المفتوح كسدر وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن أو تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر
في قوله ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب أو جماعة فيكون حالا
من الملائكة أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة أو
ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم
عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي أي قال
الرسول هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره
الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله
حتى تتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر لقوله
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس أن يؤمنوا
إذ جاءهم الهدى أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا أن قالوا
أبعث الله بشرا رسولا إلا قولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان
في الأرض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا ليتمكنوا من الاجتماع به والتلقي منه وأما الإنس فعامتهم
عماة عن إدراك الملك والتلقف منه فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس
وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا والأول أوفق
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على أني رسول إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواي
أو على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال أو التمييز
إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه
وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فلن تجد لهم أولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون

على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون
بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع
الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
موفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم
ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة
والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا
اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم
ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب
فيه هو الموت او يوم القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل
يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير
المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم
مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره
لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم
وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة
العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد و
القمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل
وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود
ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم
مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسأل بني اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة

ايف الزرع اذا اصابته افة

رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا
او سال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم
او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى
بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك
على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب
السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال
واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
اي ما صرفك عن هذا وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه او هالكا قارع ظنه
بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول
اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام
الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم
من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه
جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من
بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا
جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم
لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف
الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا
بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه
من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط
الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه
نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كقوله ويوما شهدناه
وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس
على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده
كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل
له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة

وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه

للمطيع بالثواب

وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك
وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه
قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم
القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى وشكرا
لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن
عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه
كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب
فان الاول للشكر وعند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم
باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه
لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن
فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله تعالى في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما مطلقان
على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو
المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب
لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليها وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام
ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر
يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر
ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين
ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة ليدفعها
بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا

وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق الحمد لانه الكامل الذات
المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد
في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في حقه في ذلك روي انه عليه السلام اذا
افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية الا قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي وآيها مائة واحد عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب
استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد
والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال
في اللفظ وتناف في المعنى وانحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان
قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا
له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر
تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون
العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم
وتأخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف
المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا
من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما
لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه
او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه
من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الابن والاب بمعنى
المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين
تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيه من التشبيه
والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من

افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات
هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ها هنا بمعنى
بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته
اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن بهذا القرآن
والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية
انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم
ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه
وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا تزهيدا فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى
انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله صعيدا املس لا نبات فيه
ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة
كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع
الفائتة الحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم
ردها اليها ليست بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي او حجري رقمت
فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون
لاهلهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا
ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط
النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته
في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا
ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت
فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال الآخر كان لي فضل
واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك
فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال لها اجيبي له واغيثي عيالك فأتت وسلمت الي نفسها
فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة
ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع

حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت
فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي
حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج عنهم فخرجوا
وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم
دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت
منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها
حجابا يمنع السماع يعني انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف
في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل
التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق
علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم
او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من
معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له
ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا
تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس
من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية
آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر
على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا
بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ
قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون
هلا يأتون على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه
دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم
لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم و
معبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز

أن يكون ما مصدرية على تقدير وإذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله
ويعبدون الأصنام كسائر المشركين ويجوز وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن يكون
نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة
وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا
كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أو لكل أحد إذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم
لأن الكهف كان جنوبيا أو لأن الله تعالى زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي
وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى
الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم
وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه أي وهم في متسع
من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك
لأن باب الكهف في مقابلة بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان
ومغربه والشمس إذا كان مدارها تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب
محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع
عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف
شأنه كذلك أو إخبارك قصتهم أو ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله
من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه
على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار
ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم أيقاظا
لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات
الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء
والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى
تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال أنا أحب
أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده
قراءة من قرأ وكالبهم أي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك
أعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت
عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا هربت منهم وفرارا

يحتمل

يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ
صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة
مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له
ابن العباس ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد
للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم
آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا
ما أنعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم
لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى الله تعالى قالوا ربكم أعلم بما لبثتم
ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين عليهم وقيل إنهم لما دخلوا الكهف
غدوة انتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذي بعده فقالوا ذلك فلما نظروا إلى
طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما
يهمهم وقالوا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت
أو غيرها وقرأ أبو بكر وحمزة وأبو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف
في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد الإدغام لالتقاء الساكنين على غير حده
وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أزكى طعاما أحل
وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى
لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور إنهم
إن يظهروا عليكم إن يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم
يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم في ملتهم أو يصيروكم إليها كرها من العود بمعنى الصيرورة
وقيل كانوا أولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا إذا أبدا إن دخلتم في ملتهم وكذلك أعثرنا
عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين أطلعناهم
على حالهم أن وعد الله بالبعث أو الموعود الذي هو البعث حق لأن نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة لا ريب فيها وأن القيامة لا ريب في إمكانها فإن من
توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنين حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها
قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر أبدانها فيردها عليها إذ يتنازعون
ظرف لأعثرنا أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم أمر دينهم وكان بعضهم يقول
تبعث الأرواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما يبعثان

معاً أو أمر الفتية حين اماتهم الله تعالى ثانياً بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون
ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنياناً يسكنه الناس ويتخذونه قرية
وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجداً نصلي فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنياناً
ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً وقوله ربهم اعلم بهم
اعتراض اما من الله رداً على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين
فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل
السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزاً فذهبوا به الى
الملك وكان نصرانياً موحداً فقص عليهم القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية
فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر
وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجداً وقيل
لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولاً لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل
فبنوا ثمة مسجداً سيقولون اي الخائضون في قصتهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه
اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطورياً رجماً بالغيب
يرمون رمياً بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتياناً به او ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن
اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم
كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما السلام وايماء الله اليهم بان
اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجماً بالغيب
وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم
ايراد رابع في هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله
رجماً بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة
تشبيهاً لها بالواقعة حالاً عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان
اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا
ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب
يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم
افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهراً

ولا

ولا تستفت فيهم منهم احداً ولا تجادل في شان الفتية الا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احداً ولا
تسال احداً منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم
لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه محمد عليه السلام
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غداً
اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء
من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبساً
بمشيئته قائلاً ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه
بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر
ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا
نسيت اذا فرط منك نسيان ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك
جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق
ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول
السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا
تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك
المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشداً لاقرب رشداً
واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف والرقيم وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص
الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة او لاقرب رشداً وادنى خيراً من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
وازدادوا تسعاً يعني لبثهم فيه احياء مضروباً على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل
وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين
بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما
حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من
ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيها وخفي
من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علماً ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على
ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت

دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله تعالى ومحله
الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى
صيغة الامر فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب
على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة
للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من
ولي متولي امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ
ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن
على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي
معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر
على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به
واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في
مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر
فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك
عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد
عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول عليه السلام ان يزدري
بفقراء المؤمنين وتعلو عينيه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة
الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا
قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك
لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات و
انهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان
مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا
وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا
كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا بقوله واتبع
هويه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء
ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة
الله لا ما تقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن ولا بكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال

العبد

العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا هيأنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل
السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان
يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة
ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت وساءت
النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا
منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد
او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات او اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما
اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من
الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به
وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان
واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما
هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ
واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما
اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف
دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل
امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن
عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل
او صفة لرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما اي الجنتين مؤزرا بها
كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده
الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما زرعا ليكون كل
منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا
الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم

على م

الاولى الآية

منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد اي تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سويك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لانه منشأ الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذف الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل

وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمتهما وكذلك في قوله واحيط بثمره صح صح

ان يكون

ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهو الصواعق وقيل هو المصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره وهو تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك اي السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه

بعضاً من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات الماء حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه
فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس
للمبالغة في كثرته • فأصبح هشيماً • مهشوماً مكسوراً • تذروه الرياح • تفرقه وقرئ
تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال
النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن • وكان
الله على كل شيء • من الإنشاء والإفناء • مقتدراً • قادراً • المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا • يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه عن قريب • والباقيات الصالحات • و
أعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد • ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوة وأعمال
الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر • والكلام الطيب
خير عند ربك • من المال والبنين • ثواباً • عائدة • وخير أملاً • لأن صاحبها ينال بها في الآخرة
ما كان يؤمل بها في الدنيا • ويوم نسير الجبال • واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو أو نذهب
بها فنجعلها هباء منبثاً • ويجوز عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند
ربك ويوم القيمة • وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول • وقرئ
تسير من سارت • وترى الأرض بارزة • بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها
وقرئ ترى على بناء المفعول • وحشرناهم • وجمعناهم إلى الموقف • ومجيئه ماضياً بعد نسير
وترى لتحقيق الحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم
وعلى هذا تكون الواو للحال بإضمار قد • فلم نغادر • فلم نترك • منهم أحداً • يقال غادره وأغدره إذا
تركه • ومنه الغدر لترك الوفاء • والغدير لما غادره السيل • وقرئ بالياء • وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم • صفاً • مصطفين لا يحجب
أحد أحداً • لقد جئتمونا • على إضمار القول على وجه يكون حالاً أو عاملاً في يوم نسير • كما خلقناكم
أول مرة • عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى • أو أحياء كخلقتكم
الأولى لقوله بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً • وقتاً لإنجاز الوعد بالبعث والنشور وأن
الأنبياء كذبوكم به • وبل للخروج من قصة إلى أخرى • ووضع الكتاب • صحائف الأعمال في الأيمان
والشمائل أو في الميزان • وقيل هو كناية عن وضع الحساب • فترى المجرمين مشفقين • خائفين مما
فيه • من الذنوب • ويقولون يا ويلتنا • ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات •
مال هذا الكتاب • تعجباً من شأنه • لا يغادر صغيرة • هنة صغيرة • ولا كبيرة إلا أحصيها •
إلا عدها وأحاط بها • ووجدوا ما عملوا حاضراً • مكتوباً في الصحف • ولا يظلم ربك أحداً •
فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله • وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا إبليس • كرره في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال
المواضع

وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور
بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم أولاً في
زخارف الدنيا بأنها عرضة للزوال والأعمال الصالحات خير وأبقى من أنفسها وأعلاها ثم نفرهم
عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهذا مذهب كل تكرير في القرآن • كان من الجن • حال
بإضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن • ففسق عن أمر ربه • فخرج
من أمره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على أن الملك لا يعصي البتة وإنما عصى إبليس لأنه
كان جنياً في أصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة • أفتتخذونه • أعقيب ما وجد منه
تتخذونه والهمزة للإنكار والتعجب • وذريته • أولاده أو أتباعه وسماهم ذرية مجازاً • أولياء
من دوني • فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي • وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً •
من الله إبليس وذريته • ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم • نفى إحضار
إبليس وذريته خلق السموات والأرض وإحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد
بهم في ذلك كما صرح به بقوله • وما كنت متخذ المضلين عضداً • أي أعواناً رداً لاتخاذهم
أولياء من دون الله شركاء له في العبادة فإن استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك
فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم واستبعاداً للاعتضاد
بهم • وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها
غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون ولا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين فإنه
لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني • ويعضده قراءة من قرأ وما كنتَ خطاباً للرسول
عليه السلام • وقرئ متخذاً المضلين على الأصل • وعضداً بالتخفيف • وعضداً بالإتباع • وعضداً وعضداً
ككدم جمع عاضد من عضده إذا قواه • ويوم يقول • أي الله للكفار • وقرأ حمزة بالنون •
نادوا شركائي الذين زعمتم • أنهم شركائي أو شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي • وإضافة
الشركاء إلى زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل إبليس وذريته • فدعوهم • فنادوهم
للإغاثة • فلم يستجيبوا لهم • فلم يغيثوهم • وجعلنا بينهم • بين الكفار وآلهتهم • موبقاً •
مهلكاً يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه
لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً • اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقاً إذا هلك
وقيل البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيمة • ورأى المجرمون النار
فظنوا • فأيقنوا • أنهم مواقعوها • مخالطوها واقعون فيها • ولم يجدوا عنها مصرفاً •
انصرافاً أو مكاناً ينصرفون إليه • ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل • من كل جنس
يحتاجون إليه • وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً • خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز يتأتى منه الجدل
وما منع الناس أن يؤمنوا • من الإيمان • إذ جاءهم الهدى • وهو الرسول عليه السلام

الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم من الاستغفار عن الذنوب إلا أن تأتيهم
سنة الأولين إلا طلب أو انتظار أو تقدير أن تأتيهم سنة الأولين وهو الاستيصال
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ
الكوفيون قُبُلا بضمتين وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع وقرئ بفتحتين وهو أيضا لغة وقبلا
يقال لقيته مقابلة وقبلا وقُبُلا وقَبَلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب وما نرسل
المرسلين إلا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا
بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وذلك قولهم للرسل
ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن
وما أنذروا وإنذارهم أو والذي أنذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزْوا بالسكون
وهو ما يستهزؤون به ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه بالقرآن فأعرض عنها فلم يتدبرها ولم
يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما إنا جعلنا على
قلوبهم أكنة تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه
وتذكير الضمير وإفراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه وإن تدعهم
إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا تحقيقا ولا تقليدا لأنهم لا يفقهون فلا يسمعون وإذا كما
عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم فإن حرصه
على إسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم
في عداوة الرسول عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر أو يوم القيمة لن يجدوا
من دونه موئلا منجى يقال وأل إذا نجى ووأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يعني قرى
عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره أهلكناهم أو مفعول مضمر مفسر به
والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا
كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لإهلاكهم وقتا معلوما
لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم
وقرأ أبو بكر لمهلَكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من
مصادر يفعِل كالمرجع والمحيض وإذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن إفرائيم
بن يوسف عليه السلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا أبرح
لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى أبلغ مجمع البحرين من حيث إنها
تستدعي ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر

فحذف

فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح بمعنى
لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام
فإن موسى عليه السلام كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمِع بكسر الميم
على الشذوذ من يفعَل كالمشرق والمطلع أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والمعنى حتى
يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات المجمع والحقب
الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي أن موسى خطب الناس بعد هلاك القبط
ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أن أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى
الله إليه بل أعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في أيام أفريدون وكان
على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك
أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق
ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب
كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه
قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ
حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا
يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما أي مجمع البحرين وبينهما ظرف أضيف إليه على الاتساع
أو بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن
يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي أن موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي
ووثب في البحر معجزة لموسى والخضر عليهما السلام وقيل توضأ يوشع من ماء الحيوة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمارة
على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا
من قوله وسارب بالنهار وقيل أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه
ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما
جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد إلى الظهر
ألقي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الإشارة
قال أرأيت إذ أوينا أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها
موسى وقيل الصخرة التي دون نهر الزيت فإني نسيت الحوت فقدته أو نسيت ذكره
بما رأيت منه وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان

فإن أن أذكره بدل من الضمير وقرئ أن أذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوسا
وسه والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة أمثالها عند موسى
وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره إلى جناب
القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسبه إلى الشيطان هضما لنفسه أو لأن
عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله
في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف
وقيل هو مصدر فعله المضمر أي قال في آخر كلامه أو موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال
وقيل الفعل لموسى أي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك أي أمر الحوت ما كنا نبغ
نطلب لأنه أمارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه
قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل
الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص
بنا ولا يعلم إلا بتوقيفنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني
على شرط أن تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو
إصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول
علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز أن يكون
علة لأتبعك أو مصدر بإضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم
من غيره ما لم يكن شرطا في أبواب الدين فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما
بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب
فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعا له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض
ما أنعم الله عليه قال إنك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه
من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم
تحط به خبرا أي وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظاهرها وباطنها لم يحط
به خبرك وخبرا تمييز أو مصدر لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني إن شاء الله
صابرا معك غير منكر عليك ولا أعصي لك أمرا عطف على صابرا أي ستجدني صابرا
وغير عاص أو على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الأمر فإن
مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على أن أفعال العباد
واقعة بمشيئة الله قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء
أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى أحدث لك منه ذكرا حتى أبتدئك ببيانه وقرأ

نافع

نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى
إذا ركبا في السفينة خرقها أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها
قال أخرقتها لتغرق أهلها فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها وقرئ
لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها على إسناده إلى الأهل لقد جئت شيئا
إمرا أتيت أمرا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير
لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته أو بشيء نسيته يعني وصيته بأن
لا يعترض عليه أو بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام
المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة وقيل إنه من معاريض
الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من أمري عسرا ولا تغشني عسرا من أمري بالمضايقة
والمؤاخذة على المنسي فإن ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فإنه يقال رهقه
إذا غشيه وأرهقه إياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا أي بعد ما خرجا من السفينة حتى إذا
لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه والفاء
للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قال أقتلت نفسا زكية
بغير نفس أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية
والأول أبلغ وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم غفرت
ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبا
يقتضي قتلها أو قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على أن القتل إنما يباح حدا أو قصاصا وكلاهما
منتف ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا في
الأولى وفي الثانية جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لأن القتل أقبح والاعتراض عليه
أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا
أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وأبو بكر نكرا بضمتين
قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول
مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وإن
سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني
عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب وقرأ
نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي
وأبو بكر لدني بتحريك النون وإسكان الدال إسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى إذا أتيا

أهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما أهلها فأبوا
أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه إذا نزل به ضيفا وأضافه
وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال فوجدا فيها
جدارا يريد أن ينقض يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير
لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال
إن دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته
ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه أو افعل من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاص
بالصاد المهملة من انقاصت السن إذا انشقت طولا فأقامه بعمارته أو بعمود عمد
به وقيل مسح بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا
تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى
الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي لأخذت
وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمها الباقون قال هذا فراق بيني وبينك
الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت أي
هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر
إلى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الأصل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر
الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر أما السفينة فكانت لمسا
كين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئا إذا لم
يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة
خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فأردت أن أعيبها أجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار
بن جلندى الأزدي يأخذ كل سفينة غصبا من أصحابها وكان من حق النظم أن يتأخر قوله
فأردت أن أعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لأن إرادة التعييب مسبب عن خوف الغصب
ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزئين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم
وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما
أن يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره
فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا بإضلاله أو بممالأته
على طغيانه وكفره حبا وإنما خشي ذلك لأن الله أعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه أن
نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب إليه

وإنما قدم للعناية أو لأن السبب لما كان
مجموع الأمرين وهما خوف الغصب

إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليه السلام فلك أن تقتل فخاف ربك أي
فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل
فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب
والأخلاق الردية وأقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن
عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل فيه اسم التفضيل وكذلك
زكاة وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول
جيسور وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في
قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل
من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد
رسول الله وكان أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما
وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما أي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز أن
يكون علة أو مصدرا لأراد فإن إرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت
رحمة من ربك ولعل إسناد الإرادة أولا إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب وثانيا إلى الله وإلى نفسه
لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله وثالثا إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين
أو لأن الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى
الوسائط وقيل متعلق بمحذوف تقديره بل فعلت رحمة من ربك وما فعلته وما فعلت ما رأيته
عن أمري عن رأيي وإنما فعلته بأمر الله تعالى ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل
أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم
تسطع عليه صبرا أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء
بعلمه ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل
للمعلم ويراعي الأدب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم
يهاجر ويسألونك عن ذي القرنين يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل ملك
المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لأنه
انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان
ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع لأنه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع

نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه فالسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا
مكة • قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله
انا مكنا له فى الارض اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول • وآتيناه من
كل شيء اراده وتوجه اليه سببا • وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة •
فاتبع سببا فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه • حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب فى عين حمئة • ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة •
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية اى حارة • ولا تنافى بينهما لجواز ان تكون
العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ
ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب و
لم يقل كانت تغرب • وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث
معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية
ووجد عندها عند تلك العين قوما • قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم
ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب • اى بالقتل على الكفر • واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد
وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول
قوله • قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار
الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذى هو
الشرك فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ويعذبه الله عز وجل فى الآخرة عذابا
منكرا لم يعهد مثله • واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى • فعلية الحسنى
وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة
الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى جزاء او التمييز • وقرئ
منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين • ومنونا مرفوعا على انه
المبتدأ والحسنى بدله • ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء
الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى • وسنقول له من
امرنا • ما نأمر به يسرا • سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر • وقرئ بضمتين
ثم اتبع سببا • ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق • حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع
الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض • وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف
اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر • وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها

سترا

وهو ما يقتضيه الايمان صح

سترا من اللباس والبناء • فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب
بدل الابنية • كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة
الملك • او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار • ويجوز ان يكون صفة
مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل التى تغرب
عليهم الشمس فى الكفر والحكم • وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب
خبرا • علما تعلق بظواهره وخفاياه • والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به
الا اللطيف الخبير • ثم اتبع سببا • يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا
من الجنوب الى الشمال • حتى اذا بلغ بين السدين • بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا
ارمينية واذربيجان • وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما
يأجوج ومأجوج • وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين
بالضم وهما لغتان • وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل
مصدر سمى به حدث يحدثه الناس • وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من
الظروف المتصرفة • وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا • لغرابة لغتهم و
قلة فطنتهم • وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه
لتلعثمهم فيه • قالوا يا ذا القرنين • اى قال مترجموهم • وفى مصحف ابن مسعود قال الذين
من دونهم • ان يأجوج ومأجوج • قبيلتان من ولد يافث بن نوح • وقيل يأجوج من الترك
ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف • وقيل عربيان من اج الظليم
اذا اسرع • واصلهما الهمز كما قرأ عاصم • ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث • مفسدون
فى الارض • اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع • قيل كانوا يخرجون ايام الربيع
فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه • وقيل كانوا يأكلون الناس • فهل
نجعل لك خرجا • جعلا نخرجه من اموالنا • وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد
كالنول والنوال • وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج مصدر • على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا • يحجز دون خروجهم علينا • وقد مر ان من ضم السدين غير حمزة والكسائى • قال ما مكنى
فيه ربى خير • ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة
بى اليه • وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل • فاعينونى بقوة • اى بقوة فعلة او بما اتقوى
به من الآلات • اجعل بينكم وبينهم ردما • حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع • آتونى زبر الحديد • قطعه • والزبرة القطعة
الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة
ويدل عليه قراءة ابى بكر ايتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر

الحديد والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة
دون الخراج على العمل حتى إذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها
وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح
الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لأن كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه
التصادف للتقابل قال انفخوا أي قال للعملة انفخوا في الأكوار والحديد حتى إذا جعله
نارا كالنار بالإحماء قال آتوني أفرغ عليه قطرا أي نحاسا مذابا أفرغ عليه قطرا
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد أولى إذ لو كان قطرا مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ حذرا من الإلباس وقرأ
حمزة وأبو بكر قال ائتوني موصولة الألف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي
متقاربين وقرأ حمزة بالإدغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا أن
يظهروه أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته
قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط
والتصق بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد أو الإقدار
على تسويته رحمة من ربي على عباده فإذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج
أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة جعله دكاء مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض
مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أي
أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجان مما
وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون
ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم
جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وأبرزناها وأظهرناها لهم الذين
كانت أعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا
لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن الحق فإن الأصم قد يستطيع
السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم بالكلية أفحسب الذين كفروا أفظنوا
والاستفهام للإنكار أن يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني أولياء
معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن
يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة وأن بما في حيزه
مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له

بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخر مرتبطا

أو خبر له إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم
وراءها من العذاب ما يستحقرون دونه قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا نصب على التمييز وجمع
لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم
وعجبهم كالرهابنة فإنهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فإنه جواب
السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم
أنهم على الحق أولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة
ولقائه بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه فحبطت أعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن
به أعمالهم لانحباطها ذلك الأمر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز أن يكون
ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم أو جزاؤهم بدله أو جزاؤهم خبره وجهنم
عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا بسبب ذلك إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة
وأصله البستان الذي يجمع النخل والكرم خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا
إذ لا يجدون أطيب منها حتى ينازعهم إليها أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود قل لو كان
البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي
لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر بأسره لأن كل جسم متناه قبل أن تنفد كلمات
ربي فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا بمثله بمثل البحر
الموجود مددا زيادة ومعونة لأن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام
لا يكون إلا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفد قبل أن ينفد غير المتناهي لا محالة
وقرئ ينفد بالياء ومدادا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومددا وسبب نزولها أن
اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا
قل إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي الإحاطة على كلماته يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وإنما تميزت
عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه فليعمل عملا
صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا بأن يرائيه ويطلب منه أجرا روي
أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع أحد
سرني فقال عليه السلام إن الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام
اتقوا الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي
العلم والعمل وهما التوحيد والعمل وهما التوحيد والإخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا يتلألأ من مضجعه حشوه ذلك النور ملائكة

الى البيت المعمور

يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له
نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء ونافع بين
بين وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون لان الفات اسماء التهجي
ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان
أول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ
حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكّر على الامر عبده مفعول
الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او
عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء
اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه موا
ليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون
وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير
للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما
فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر
ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ
النار وانتشاره وفشوه بالشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس
الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة
للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما
دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن
معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من
اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي وعن ابن كثير بالقصر والمد بفتح الياء وهو متعلق
بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي اي الذين يلون الامر من ورائي وقرئ
خفّت الموالي من ورائي اي قلّوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفّوا ودرجوا قدامي فعلى
هذا كان الظرف متعلقا بخفّت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله
لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني
ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انه جواب الدعاء والمراد

الشرع

وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث
من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكرياء او عمران
بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير
لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن
المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له
من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى
وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر
انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه
او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين
والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته
وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا
له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة
الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت
اوكما وعدت وهو على ذلك يهون علي لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال
الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل
على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة
اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك
من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي ههنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام
الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة
فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا
ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه
وان تحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية
بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة
وقيل الحكم الله عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة و
تعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة
اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا

او كما وعدت وهو على هين

عن المعاصي. وبرا بوالديه وبارا بهما. ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه. وسلام
عليه من الله. يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم. ويوم يموت من عذاب
القبر. ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول يوم القيمة. واذكر في الكتاب في القرآن
مريم يعني قصتها. اذ انتبذت اعتزلت وانفردت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد
او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا
محالة. من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت. فاتخذت من دونهم
حجابا سترا. فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وقد كانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود
اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق
لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها. قالت اني اعوذ بالرحمن
منك من غاية عفافها. ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعوذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان
يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك. قال انما
انا رسول ربك الذي استعذت به. لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في
الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه وتعالى. ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن
نافع ويعقوب بالياء. زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن
على الخير والصلاح. قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال
فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحوها وتعضده
عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه وادغمت ثم كسرت الغين
اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب
كطالق. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين
به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات. آية للناس علامة
لهم وبرهانا على كمال قدرتنا. ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده. وكان امرا
مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان
يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة. فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل
ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين

حيضتين. فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار
والمجرور في محل الحال. مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار. فاجاءها المخاض
فالجاها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ
المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج. الى جذع النخلة لتستتر
به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت
كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها
الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها. قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس
ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت. وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب
ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به
اي بالفتح والهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته. منسيا منسي الذكر لا
يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع. فناداها من تحتها عيسى عليه السلام وقيل
جبريل كان يقبل المولود وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص
وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني
اي لا تحزني او بان لا تحزني. قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا
من السرو وهو عيسى عليه السلام. وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة
للتاكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع. تساقط
عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص
تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء
للجذع. رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان
الوقت شتاء فهزتها فجعل الله سبحانه وتعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على
ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع
ما فيه من الطعام والشراب ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء
السري او من الرطب وعصيره. وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر
وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من
القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه
فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا. وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة
وحرف اللين. فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم

فلن أكلم اليوم إنسيا بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل أخبرتهم
بنذرها بالإشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فإنه قاطع في
قطع الطاعن فأتت به مع ولدها قومها راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس
تحمله حاملة إياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد إذا
قطعه يا أخت هرون يعنون هارون النبي وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة
الأخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان
في زمانهم شبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها ما كان أبوك امرأ سوء
وما كانت أمك بغيا تقرير لأن ما جاءت به فري وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين
أفحش فأشارت إليه إلى عيسى أن كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن
فيه أو تامة أو دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما أو بمعنى صار قال إني عبد الله أنطقه
الله به أولا لأنه أول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الإنجيل و
جعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق
في قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا أين ما
كنت حيث كنت وأوصاني وأمرني بالصلوة والزكوة زكوة المال إن ملكته أو تطهير
النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على
أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام
علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والأظهر
أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده
عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى
ذلك عيسى ابن مريم أي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو
تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعل الموصوف بأضداد
ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة
للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدل أو خبر ثان ومعناه
كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال
الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود
ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه
تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون

تبكيت

تبكيت لهم بأن من إذا أراد شيئا أوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد
بإحبال الإناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان أن بالفتح على
ولأن وقيل هو معطوف على الصلوة فاختلف الأحزاب من بينهم اليهود والنصارى
أو فرق النصارى نسطورية قالوا إنه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلى الأرض
ثم صعد إلى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة أو من وقت الشهود
أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم
وآرابهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى
وأمه أسمع بهم وأبصر تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا أي يوم القيمة
جديران بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين أوقع الظالمين موقع الضمير إشعارا بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر
حين ينفعهم وسجل على إغفالهم بأنه ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الإنسان
المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
إلى الجنة والنار وإذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال
متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين
فيكون حالا متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لأحد غيرنا عليها
وعليهم ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه وإلينا
يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا ملازما للصدق
كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه
الله إذ قال بدل من إبراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا لأبيه
يا أبت التاء معوضة من ياء الإضافة ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا وإنما يذكر
للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك
ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله
واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشده برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب
العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته
التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو الخالق الرازق المحيي

المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يكون يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو
كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن
عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يرى مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة
فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق القويم والصراط
المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا أبت إني قد جاءني من
العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم
الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع
خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الآمر به فقال
يا أبت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه فإن الشيطان مستعص على ربك
المولي للنعم كلها بقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل
عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه
فقال يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب
يليه ويليك أو ثابتا في موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر
الخوف والمس وتنكير العذاب إما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان
من جناياته لارتقاء همته في الربانية أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته لآدم
وذريته منبهة عليها قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم قابل استعطافه ولطفه بالفظاظة
وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره
بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال
لئن لم تنته عن مقالك أو الرغبة عنها لأرجمنك بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت
أو تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني مليا زمانا
طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة
للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك
ربي لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما
يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة إنه كان بي حفيا بليغا في البر والألطاف
وأعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وأدعو ربي وأعبده وحده عسى أن
لا أكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع
وهضم النفس والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته
وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الشام وهبنا له إسحق ويعقوب
بدل من فارقهم من الكفرة قيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت

له إسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر
إسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما أو منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة
والأموال والأولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة
لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم و
إضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم
لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا
موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه
وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله تعالى إلى الخلق
فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى وناديناه من جانب الطور الأيمن
من ناحيته اليمنى وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون بأن تمثل له الكلام من تلك
الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من
أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي أنه رفع فوق السموات حتى
سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا أخاه
معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته اجعل لي وزيرا من أهلي فإنه كان أسن من موسى
وهو بدل أو مفعول هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب إسمعيل
إنه كان صادق الوعد ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب
لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين فوفى
وكان رسولا نبيا يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبرهيم
كانوا على شريعته وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس
له بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم
وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة
وكان عند ربه مرضيا لاستقامة أقواله وأفعاله واذكر في الكتاب إدريس وهو سبط
شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه إذ روي أنه
تعالى أنزل عليه ثلثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب إنه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة
وقيل السماء السادسة أو الرابعة أولئك الذين إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا
إلى إدريس أنعم الله عليهم بأنواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول
من ذرية آدم بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم

اعم من الانبياء واخص من الذرية ومن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا خصوصا
وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون
واسرائيل عطف على ابرهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
وفيه دليل ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا
للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت المو
صول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما
لهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبى صلى الله عليه
وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد
وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم
خلف فعقبهم وجاء من بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء
بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها واخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال
نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد
وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله شعر فمن يلق خيرا يحمد
الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما او جزاء غى كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق
الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان
الاية فى الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء
للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب
شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن
بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف
ما اضيف اليه بقوله التى وعد الرحمن عباده بالغيب اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم
او هم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده مأتيا يأتيها اهلها
الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا الا
سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او
تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون
لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان
معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل
المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليه

عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ مستعمل فى
التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد واسقاط
وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن
يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه
رسول الله لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا
ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه
وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى
النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله
على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن او الاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل
فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اى ما كان عدم
النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة
وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى
وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم
اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات
والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده
واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك
او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة
وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق
كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا
يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى
ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله
ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على
مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله
كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى
ابن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت
لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار
لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد

اولاد البنات من الذرية

اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة
واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان إذا ما مت
بهمزة واحدة مكسورة على الخبر أولا يذكر الإنسان عطف على يقول وتوسيط همزة الإنكار بينه
وبين العاطف مع أن الأصل أن يتقدمهما للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن
المعطوف عليه إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان
عدما صرفا لم يقل ذلك فإنه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان منها من
الأعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر
وقرئ يتذكر على الأصل فوربك لنحشرنهم والشياطين عطف أو مفعول معه لما روي
أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا
وإن كان مخصوصا بهم ساغ نسبته إلى الجنس بأسره فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله
منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة فيزدادوا غيظا
من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من
هول المطلع أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب وأهل الموقف
جاثون لقوله تعالى وترى كل أمة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وإن كان المراد
بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم أو لعجزهم عن
القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من كل أمة شاعت دينا أيهم
أشد على الرحمن عتيا من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الأشد تنبيه على
أنه تعالى يعفو كثيرا من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم
فأعتاهم ونطرحهم في النار على الترتيب أو ندخل كلا طبقتها التي تليق بهم وأيهم مبني على
الضم عند سيبويه لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم
الإضافة فإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك
قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره إما بالابتداء على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية
وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه
معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من أو على
معنى لننزعن بعض كل شيعة وأما بشيعة لأنها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بأفعل
وكذا الباء في قوله ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي لنحن أعلم بالذين هم أولى
بالصلي أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء
الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم وإن منكم وما منكم التفات إلى الإنسان

أقسم باسمه مضافا إلى نبيه تفخيما للأمر وتعظيما لشأن الرسول

وإن فسر الإنسان بالعموم فالمعنى أنهم يجثون حال عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة وقرأ حمزة والكسائي جثيا بكسر الجيم

ويؤيده أنه قرئ وإن منهم إلا واردها إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة
وتنهار بغيرهم وعن جابر أنه عليه السلام سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله
تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود
عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد
به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون إلى الجنة وقرأ الكسائي
ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثمه بفتح الثاء أي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا
بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة
بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات
الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول أو واضحات الإعجاز قال الذين كفروا
للذين آمنوا لأجلهم أو معهم أي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع
قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ومنزل وأحسن نديا مجلسا ومجتمعا
والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها أخذوا في الافتخار
بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال على أن زيادة حظهم فيها تدل على فضلهم وحسن حالهم
عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع
التهديد نقضا بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا وكم مفعول أهلكنا
ومن قرن بيانه وإنما سمي أهل عصر قرنا لأنه يتقدم من بعدهم وهم أحسن صفة لكم وأثاثا
تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل
من الرؤية لما يرى كالطحن والذبح وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وإدغامها أو على
أنه من الري الذي هو النعمة وأبو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي
وهو الجمع فإنه محاسن مجموعة ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام وإنما العيار
على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده
ويمهله بطول العمر والتمتع به وإنما أخرجه على لفظ الأمر إيذانا بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله
استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية للمد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا
أي الفريقين حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة تفصيل للموعود فإنه
إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيامة
وما ينالهم من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بأن عاينوا الأمر
على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة

محكية بعد حتى واضعف جندا اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن
النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم بظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه
بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصه بل لان الله
عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كانه قيل
من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات
الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من
النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب
الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم
الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى
تكفر بمحمد قال والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتنى فيكون
لى ثمة مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى
الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ
حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب
اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان
يؤتى فى الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا
بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل
الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما
تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا
ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب
جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستا
او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر
دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعنى المال والولد ويأتينا يوم القيامة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل فردا رافضا
لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث
يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون

بعبادتهم

بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين
اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز
اى ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها
نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة
المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد على
من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله اقلى اللوم
عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا
لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب
رسول الله عليه السلام من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح
الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون
من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم
فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن
الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام
فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد
على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا
عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء لا يملكون الشفاعة
الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله
او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة
من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين
لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة
وادنى الامر واودنى اثقلنى وعظم على تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى بالياء يتفطرن منه
يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول
ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض

وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى
ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام
العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد
قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على
حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه
خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها ادعاء الولد للرحمن
فيكون دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل ما دعى
له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغى للرحمن
ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل
ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو
مبدا النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به فى قوله ان كل
من فى السموات والارض اى وما منهم الا آتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوى اليه
بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث
لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم
فان كل شئ عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه
شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى عليه السلام
اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادى فى السماء ان
الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة
مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود فى القيمة
حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك
بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه اى انزلناه بلغتك
لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين فى
كل لديد اى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف
للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه
او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى واصل التركيب هو الخفاء
ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم
وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع الله ٢٢٢

سورة طه مكية وآيها مائة واربع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل
وفخم الطاء وحده ابو عمرو لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل
معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار و
الاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها فى خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطأ
الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء
او قلبت فى يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى
هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن
يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطرى الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على
انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما
به ومنادى له ان جعلته نداء واستينافا ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا
او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر
قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع
بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار
بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى
بترك ديننا وان القرآن انزل اليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له على ان لتشقى
متعلقا بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه ولا مفعولا
له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف او
اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر
بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار
فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا لفظا او معنى
فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على
الترتيب الذى هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض
لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار

الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير
وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته
فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم
عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك
فانه تعالى يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء
والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال
بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين
انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن
خلق صفة تنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل
من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام
والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان
يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن
خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن
وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني
وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته قصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء
النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ
راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما السلام
في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب
الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرا حمزة لاهله امكثوا ههنا وفي
القصص بضم الهاء في الوصل اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس
ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على
النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها
في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه
كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها
مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان

يقرب منه فلما اتيها اتى النار فوجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى
اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه
وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه
ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع
الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام
لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك
امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما
كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالوادي المقدس
تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن
عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي
نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع
لما يوحى اليك او للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر
بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصصها بالذكر وافردها بالامر للعلة
التي ناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها
في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر
غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلاتي لما روي انه عليه السلام
قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكري
ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا
اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد
اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق
الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان
يصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها
ولم تعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه
واتبع هويه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى
فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيه من العجائب
بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه
قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكؤ عليها اعتمد عليها اذا عييت او وقفت

اي طوى مرتين فانه في اللفظ والمعنى مثل ثنى مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس الوادي مرتين

على رأس القطيع وأهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ واهش وكلاهما
من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها
زاجرا لها ولي فيها مآرب أخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق
بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء
وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من
السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك
الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع
وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء
بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات
قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على
معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال ألقها
يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم
تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى
وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك
قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف
وهرب منها سنعيدها سيرتها الأولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز
بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على
الظرف اى سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيدها العصا بعد ذهابها تسير سيرتها
الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده
في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك إلى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران
تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوء
عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية أخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير
تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى
متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى
صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب إلى فرعون بهاتين الآيتين
وادعه الى العبادة إنه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري
لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه
والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع

وفائدة

ابهام

ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر ثانيا تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه
وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل
تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه
قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها
فمن قال به تمسك بقوله قد أوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا
وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع
الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة
وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق
الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه
ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى
فاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون قدم
ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال من وزيرا او هارون عطف بيان للوزير او من اهلي ولي تبيين
كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هارون او مبتدأ خبره اشدد به أزري
وأشركه في أمري على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده إنك
كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لي فيما امرتني به
قال قد أوتيت سؤلك يا موسى اى مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والمأكول ولقد مننا عليك مرة أخرى انعمنا عليك مرة في وقت آخر إذ أوحينا إلى أمك
بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى
ما لم يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به أن اقذفيه
في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف
يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام
رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا
واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع وامره بذلك واخرج الجواب
مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى
الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه
وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت

فيه

في تابوت مطلّى فوضعته فيه ثم قيّرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر
فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة على رأسها مع امرأته آسية
بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال
والقيت عليك محبة مني اى محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر
عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اى احببتك ومن احبه
الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله
فالتقطه منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني
لتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك
او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ لتصنع بكسر اللام وسكون
والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وبفتح التاء اى ليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به
امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها
وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع
فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها
فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه
اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها
وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله
خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا
وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز
وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن
الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك
اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبث فيهم عشر سنين قضاء لاوفى
الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى
كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك
لمحبتي مثله فيما خولته من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك
باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني
حيث تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا
موسى وحده وهنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان تتلقى موسى وقيل سمع
بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى

فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما
لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكانت له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو
مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت لعله يتذكر او يخشى
متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان
الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه
لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق
والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه
فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة
واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه
اذا حمله على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او
جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى
الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني
معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في
كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى انني
حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم
كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام بعد
عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان
ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام
السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى
وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك بشئ مبين
والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين
لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اوائل الامر اهم
وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اى بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به
ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص
موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة
فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال
ربنا الذي اعطى كل شئ من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق

كمال الممكن له أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول
الثاني لانه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ
خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي أعطى كل
مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله
اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها
على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع
ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر
وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد
موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا
عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون
تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك
وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء
كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء
وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم
وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده
لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او
منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو
مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد ولم يختلفوا في
الذي في النبأ وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الاودية والجبال و
البراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا
فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل
تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء
المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
امن خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان
لكم ان تنبتوا ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من
نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث
انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرق
في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا

انعامكم

انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول
الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة
اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه
آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد
بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعد عليه
ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال أجئتنا
لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا
حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك
بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت
فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به
فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق
الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان
مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة
كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما
المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم
قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم
عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على
رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ
على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان
الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد
قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب
فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب برواية رويس بالضم من الاسحات
وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال
ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا
كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او
تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون
وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه

حذراً ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف
للتثنية واعربوا المثنى تقديراً وقيل اسمها ضمير الشان محذوف وهذان لساحران خبرها
وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتداء وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه
هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو
ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او
النافية واللام بمعنى الا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء
عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه
واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل
فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم
لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه
مجمعاً عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده
والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفاً مصطفين لانه اهيب
في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفاً مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة
وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب
بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا
قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافاً الى ما اوهموا من
الميل الى البدء وبذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا
اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضاً
ظرفية تستدعي متعلقاً ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم
من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال
انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس
في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفاً من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية
او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل
للنهي وتقرير لغلبته مؤكداً بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو
الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك

تحقيراً

تحقيراً لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيماً لها اي لا
تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان ما في يمينك ما هو اعظم منها اثراً فالقه تلقف
ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة
تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته
والبزي بتشديد التاء انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب
على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية
الساحر سحراً على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر
لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول
لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت
كانه قيل انما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجداً
اي فالقى فتلقف فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك
على وجوههم سجداً لله تعالى توبة عما صنعوا واعتاباً وتعظيماً لما راوا قالوا آمنا برب هرون
وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو
اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم
راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع
وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه
لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع
ابتداء من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها
مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن
المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه
وموسى لقوله قال آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى
والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذاباً وابقى
واذوم عقاباً قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه
لما من البينات من المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض
ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكمه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل
لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة كقوله صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا

ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة
روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان
الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا
انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له نار جهنم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حيوة مهنأة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك
لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر
من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام
من الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا
فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا
يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف
المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل
كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت
حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف
دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف
وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه الغرق
والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق
فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص
اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم
بمعنى فتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده
وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة
اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله تعالى وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك
واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما
اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر
واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي عليه السلام بما فعل بآبائهم قد
انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة بمناجاة
موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين
للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعنى في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم

لذايذه

لذايذه او حلالا لذيذه وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ
ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم
غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من
حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم
اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة
يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك
اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم
الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم
بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى الامتثال لامرك والوفاء بعهدك توجب
مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك
من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر
الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم
ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة
وحسبوها باياما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له
عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله تعالى له عن المترقب بلفظ
الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيته والسامري
منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل
باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين تعين م
واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان يعني
زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو
مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على
ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي
لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا
جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اي لو خلينا وامرنا ولم
يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم
وثلاثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا

من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل
استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي
ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا لأنها آثام
فإن الغنائم لم تكن تحل بعد أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال
الحربي فقذفناها أي في النار فكذلك ألقى السامري أي ما كان معه منها روي
أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى ميعادكم لما
معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف
كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح
والتخفيف فأخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت
العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى
فنسي أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك
ما كان عليه من إظهار الإيمان أفلا يرون أفلا يعلمون ألا يرجع إليهم قولا أنه لا
يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لأن أن الناصبة
لا تقع بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم
ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى أو قول السامري كأنه أول ما
وقع عليه بصره حين طلع من الحفيرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم إنما فتنتم به
بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات على الدين قالوا لن
نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى وهذا الجواب يؤيد
الوجه الأول قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعن

أي قال له موسى لما رجع

أي تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في
قوله ما منعك ألا تسجد أفعصيت أمري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال
يا ابن أم خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما
كانا من الأب والأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة
غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم
يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل لو قاتلت
أو فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فإن
الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك قال
فما خطبك يا سامري أي ثم أقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك أي ما طلبك له
وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا

به

به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت ما لم تعلموه وفطنت بما لم تفطنوا
له وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئا إلا أحياه أو رأيت ما لم تروه
وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة قيل إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون
وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من أثر الرسول من تربة موطئه والقبضة
المرة من القبض وأطلق على المقبوض كضرب الأمير وقرئ بالصاد والأول للأخذ بجميع الكف
والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه
لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى
الطور فنبذتها في الحلي المذاب أو في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي
زينته وحسنته لي قال فاذهب فإن لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت أن تقول
لا مساس خوفا من أن يمسك أحد فيأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك
وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وإن لك
موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا
وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي لن تخلف الوعد إياه وستأتيه لا محالة فحذف
المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته
خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا ظلت
على عبادته مقيما فحذف اللام الأولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام إليها
لنحرقنه أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على أنه مبالغة من حرق إذا برد بالمبرد
ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين
في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة
المفتتنين به لمن له أدنى نظر إنما إلهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا إله إلا هو
إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل
ما يصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وإن كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة
وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لأنه وإن انتصب على التمييز في المشهور لكنه
فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف إلى مفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك
الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من أنباء ما قد سبق من أخبار
الأمور الماضية والأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك
وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه
الأقاصيص والأخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا
جميلا أو صيتا عظيما بين الناس من أعرض عنه عن ذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة

والنجاة وقيل عن الله فإنه يحمل يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره أو إثما عظيما خالدين فيه في الوزر أو في حمله والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملا أي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذي فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ أبو عمرو بالنون على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير إسرافيل وإن لم يجر ذكره لأنه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أو عميا فإن حدقة الأعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت وإخفاؤه إن لبثتم إلا عشرا أي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة إلى آخر الآيات نحن أعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم إذ يقول أمثلهم طريقة أعدلهم رأيا أو عملا إن لبثتم إلا يوما استرجاح لقول من يكون أشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل أمرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها أو الأرض وإضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن أجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا أمتا اعوجاجا ولا نتوا إن تأملت بالقياس الهندسي وثلاثتها أحوال مترتبة فالأولان باعتبار الإحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والأمت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ أي يوم إذ نسفت على إضافة اليوم إلى وقت النسف ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي داعي الله إلى المحشر قيل هو إسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الأصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع إلا همسا صوتا خفيا

ومنه الهميس لصوت أخفاف الإبل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة أي إلا شفاعة من أذن أو من أعم المفاعيل أي إلا من أذن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه فمن على الأول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية وأذن يحتمل أن يكون من الإذن أو من الأذن ورضي له قولا أي رضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع في شأنه أو قوله لأجله وفي شأنه يعلم ما بين أيديهم ما تقدمهم من الأحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعهما فإنهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الأسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الإضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لأنه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرأ ابن كثير فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص أي مثل ذلك الإنزال أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة أو يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتي بيانه وقل رب زدني علما أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحي إليك تناله لا محالة ولقد عهدنا إلى آدم ولقد أمرناه يقال تقدم الملك إليه وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه إذا أمره واللام جواب قسم محذوف وإنما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات على الأمر

اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره
قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني
آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطا
ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود
المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر
باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا
ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار
وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى
افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث
انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة
الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى فانه بيان
وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ٢
ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها وقرأ نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة والباقون
بفتحها والعاطف وان ناب عن ان لكنه نائب من حيث انه حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق
فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد
وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو
ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد
باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي
الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لزلته وزجر بليغ
لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الي كذا
فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل
توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصلا الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم
لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين

بواسطة

بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي
فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى
عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر و
المؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا
متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف ٩ الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به
ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم
اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف
بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه
معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف وبدونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا
الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم
فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى
والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة امره بان
يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها
وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم
ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه
السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا ياتينا بآية
من ربه بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من
الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات
واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على
وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا
ما كان من هذا القبيل ونبههم على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية ٢
فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها
ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب
من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع
وابو عمرو وحفص او لم تاتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف

المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره
وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او
القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق
ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك
آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها و
تركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب و
كذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات
والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه
بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر
على العمى وقيل عذاب النار اي وللنار بعد
ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه
ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه
ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات
والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول
او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا
اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين
معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار
هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا
كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير
عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما
مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة
وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم
لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى
عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب
واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة
او يوم بدر لكان عذابهم لزاما والفصل للدلالة على
استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز
عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك
على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر
ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك
بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع
الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لانهما آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل
ومن ساعاته جمع اني بالكسر والقصر او اناء بالفتح
والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم
الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب
فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة
ادوم ولذلك قال ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير
لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما
مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف
الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اخر النهار لعلك ترضى
متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات صح صح

ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى
البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل
ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء
للمفعول قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤل اليه امرنا وامركم
فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ
السواء اي الوسط الجيد والسوأى والسوء وهو الشر والسوي وهو تصغيره
ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز
ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة على محل الجملة
الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان
المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طه اعطي يوم القيمة
ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس
حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقوله
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب
او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس
حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة
من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن
في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر
او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليتكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع
حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من
الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول
عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير
واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا
بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع
او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول
موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم

افتاتون

افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعول
لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان
الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر
فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده
للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا
عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك
اختير هاهنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال
بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون
بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى
انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام
حكايته والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الآيات
الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليهم وخلطت
عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع
معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج
الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم ليس فيه ما
يناسب قول الشعراء وهو ابعد من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت
الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله نيفا واربعين
سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو ابعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من
الخوارق فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء
والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن
الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات
لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم
الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال
كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسئلوا اهل الكتاب عن حال الرسل
المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاو
رونهم في امر النبي ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا
كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما
كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا

الرسل

ويمشي في الاسواق

ابشاراً مثلهم وقيل جواب لقولهم ماله هذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين
تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد
الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو
جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل
جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد
فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن او يولد
من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في
الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم
صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر
من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة
عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة
صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها
قوما آخرين مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد
المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين
دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء
لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما
اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم
لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب
او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من
قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى
مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعويهم فما
زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل
تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعويهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا
مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو
مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين
لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والا
رض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار و
تذكرة لذوي الاعتبار وتنبيها لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي

ان

فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو
اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا
مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع
السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد
الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية و
الجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته
من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو
فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي
والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاوه المؤدي للحتف تصويرا لابطاله
ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز
فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك
والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به
مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من
في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم
عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم
او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السموات والارض او مبتدأ
خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون
منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها و
دوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله
ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلقة
بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم
يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات
والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك بزيادة الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم
لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها
لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها
مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه
متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون
بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت

فيه تفاوت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل
التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل
عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون
لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او العباد أم اتخذوا من دونه آلهة كرره
استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم
سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى
فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر
باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده
عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من
النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر
بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب
صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امتي ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم
لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه ومن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل
وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع
على انه خبر محذوف وسط التأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد
واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة
مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه
بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من
حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض
القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن
العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل
القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله
وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم
من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة
لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم

احوالهم

احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى اى يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته
ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء
والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس
ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي
البنوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي
الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا ولم يعلموا وقرأ ابن
كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام
اى كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات
واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت
باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل
كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا
وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم
يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او
بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة
السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى
المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة
من ماء وذلك لانه اعظم مواده وفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل
شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو
والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي
ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف
لا لامن الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما
قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها
سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون
الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال
الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على
وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس بعضها ويبحث عن بعضها
في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اى كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف
اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك

اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها
لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص
به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت
ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون
فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك ما يتخذ
ونك الا هزوا الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما
اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد
الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم
احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر
خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد
من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل
انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر بن
الحرث حين استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار
فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها
ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي
واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون
منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون
على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين
فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما
وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة
او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم
او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة او الحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة
ولا هم ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من

قبلك

قبلك تسلية لرسول الله فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد
له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه
قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان
اراد بكم وفي الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل
هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلؤوا منه
عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان بالسؤال على الترتيب
فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه
ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر
لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم
بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما
هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى
على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي
الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي وقرئ بضم
الياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم
وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد
به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى
شيء وفيه ثلث مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب
رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا
ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين
القسط العدل يوزن به صحايف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة
ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم
نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل
او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ
آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال

وآتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجينا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة
وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرى للمتقين اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به فى ظلماء الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه
من الشرايع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال
من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم
عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعنى القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم
له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح
واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل
موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنباءه او بلوغه حين حيث قال انى وجهت
وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه و
قومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال الصورة لا
روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى
وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال
عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين منخرطين
فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز
لمن علم فى الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم
تضليل اباءهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا ابجد تقوله ام تلعب
به قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة
البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام
الحجة عليهم وانا على ذلكم من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد
من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب
لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا مدبرين الى عيدكم ولعله
قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع

وقراء

وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ وجذاذ جمع جذاذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر
غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم
لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم
يرجعون الى الكبير فيسئلونه عن كاسرهم اذ من شان المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم
فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا
من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه
فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله
ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر
اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به
على اعين الناس بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم
يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا
يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون
اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رآى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه
او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يحسن الخط
فيما كتبته بخط رشيق ءانت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه
وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله
كبيرهم هذا مبتدأ وخبر وكذلك وقف على فعله وما روى انه عليه السلام قال
لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورته فرجعوا الى انفسهم
وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او
بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على
رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من
دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات
لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على
اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف
له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه
فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين
ان كنتم ناصرين لها نصرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض

وقيل نمروذ. قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار
وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطاعة واقامة كوني ذات برد مقام
ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا
سلاما عليه. روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق
مغلولا فرموا به فيها فقال له جبرئيل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم تحترق منه الا
وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف
عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة. وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير
انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه
اذيها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم
الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم
على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب. ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه
فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل
كثرة النعم والخصب الغالب. روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على
ما سال وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة. وكلا يعني الاربعة جعلنا
صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين. وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى
صاروا مكملين. واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات. وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها. وكانوا لنا عابدين موحدين
مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة. ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا
بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء. ونجيناه من القرية قرية سذوم التي كانت
تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها
مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له. وادخلناه في رحمتنا
في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى. ونوحا اذ
نادى من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم

من

من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد. ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه
منتصرا من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله
وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ
نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين
عالمين. ففهمناها سليمن الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي
ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا
ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث
الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان. ولعلهما قالا اجتهادا
والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة في
العبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ
المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي عليه السلام لما دخلت ناقة البراء
حايطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها
بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح
العجماء جبار. وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل
دليل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل
توافقهما بناء على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره. وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله
فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع
متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على
الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا
وان كان عجيبا عندكم. وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس
قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بؤسها. قيل كانت صفايح فحلقها وسردها
لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة
الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على
تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك
امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع. ولسليمن وسخرنا له ولعل اللام
فيه دون الاول لان الخارق فيه عايد الى سليمن نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير
مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في

وكنا بكل شيء عالمين • علما يقتضيه الحكمة فنجريه

مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل
كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجرى بامره بمشيته حال ثانية او
بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التى باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت
به منه بكرة • ومن الشياطين من يغوصون له فى البحار ويخرجون نفايسها ومن عطف
على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهى نكرة موصوفة • ويعملون عملا دون ذلك • و
يتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة كقوله
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين • ان يزيغوا عن امره
او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر بانى
مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شايع
فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال • وانت ارحم الراحمين • وصف ربه
بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال
وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك
اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى عشر سنة او ثلث عشر
١٣ ١٨
سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف
او رحمة بن افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال استحى من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى • فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه • وآتيناه اهله ومثلهم معهم • بان ولد
له ضعف ما كان او احيى ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعا
بدين • رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب
او لرحمتنا للعابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم • واسمعيل وادريس وذا الكفل
يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه •
او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف
كل • كل هؤلاء من الصابرين • على مشاق التكاليف وشدايد النوب • وادخلناهم فى رحمتنا يعنى النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين • الكاملين فى الصلاح
وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد • وذا النون • وصاحب الحوت
يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم
وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم
بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة •
للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن

ان

لغة

ان لن نقدر عليه • لن نضيق عليه • او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده
انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا • وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه
فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة
وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا • فنادى فى الظلمات
فى الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت • بانه
لا اله الا انت • سبحانك • ان يعجزك شيء • انى كنت من الظالمين • لنفسى بالمبادرة الى
المهاجرة • وعن النبى صلوات الله عليه ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
فاستجبنا له ونجيناه من الغم • بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى
بطنه وقيل ثلثة ايام • والغم غم الالتقام فى بطن الحوت • وقيل الخطيئة • وكذلك ننجى
المؤمنين • من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص • وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة
بالنون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم • وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله
ننجى فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها
اوقع من حذف حرف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان
الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تتجافى لخوف اللبس وقيل
هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر
والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره • وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا • وحيدا
بلا ولد يرثنى • وانت خير الوارثين • فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به • فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه • اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا
بتحسين خلقها وكانت حردة • انهم • يعنى المتوالدين او المذكورين من الانبياء • كانوا
يسارعون فى الخيرات • يبادرون الى ابواب الخير • ويدعوننا رغبا ورهبا • ذوى رغب
ورهب او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة او خائفين العقاب او المعصية
وكانوا لنا خاشعين • مخبتين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال
والتى احصنت فرجها من الحلال والحرام يعنى مريم • فنفخنا فيها • فى عيسى فيها اى احييناه
فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها • من روحنا • من الروح الذى هو بامرنا وحده او من جهة
روحنا جبرئيل • وجعلناها وابنها • اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين
فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى • ان هذه امتكم • ان ملة التوحيد والاسلام
ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة • غير مختلفة فيما بين الانبياء
اذ لا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع • وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر
وقرئتا بالرفع على انهما خبران • وانا ربكم • لا اله لكم غيرى • فاعبدون • لا غير • وتقطعوا امرهم

بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امرهم قطعا
منقسمة موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم
فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع
لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفي الجنس للمبالغة وانا له
لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع
على اهلها غير متصور منهم وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او
وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم
للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقدير
توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف
اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم
وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف
دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك وعدم الرجوع الى قيام الساعة
وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي
الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعنى يأجوج ومأجوج
او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون
من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم
يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا
في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد
بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم
لهم في حكم عبدتهم لما روى انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح
عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه
ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من
دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم
ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا
بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على

قبح

للاختصاص

للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ
المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس
شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون الاصنام وهم
فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة في الازل او التوفيق بالطاعة او البشرى
بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا رضي الله عنه
خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها
والحسيس صوت يحس به وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم
وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة
لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف
الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين
هذا يومكم الذي يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في
الدنيا يوم نطوى السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة
من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث
وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء
للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه و
يدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اى للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل
ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله وقرئ السجل كالدلو والسجل
كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة
مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود
بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية و
تناول القدرة القديمة لها على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا
او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد
مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر
بفعله تاكيد لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فا
ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود من بعد الذكر اى التورية وقيل المراد
بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة

ماوردوها

علين

يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها أو أمة محمد عليه السلام إن في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ
والمواعيد لبلاغا لكفاية أو لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون
العادة وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الإستيصال قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد
وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء
والثانية على العكس فهل أنتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي بالحجة
وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع فإن تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم
أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء مستوين في الإعلام أو مستوين أنا وأنتم
في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي
عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وإن أدري وما أدري أقريب أم بعيد ما
توعدون من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة إنه يعلم الجهر من القول ما
تجاهرون به من الطعن في الإسلام ويعلم ما تكتمون من الإحن والأحقاد للمسلمين
فيجازيكم عليه وإن أدري لعله فتنة لكم وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج
لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين وتمتع إلى أجل مقدر
تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال
العذاب والتشديد عليهم وقرئ رب لكم بالضم ورب أحكم على بناء التفضيل وأحكم من
الإحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون
من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به
لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله فخيب أمانيهم ونصر رسول الله عليه السلام
عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم
عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية إلا ست آيات من هذان خصمان إلى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي
أو تحريك الأشياء فيها فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير في أو إضافة المصدر إلى
الظرف على إجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها
وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها شيء عظيم هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة

الساعة

الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا
على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت تصوير
لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تُذهل وتُذهل مجهولا ومعروفا أي
تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن
هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة
أو مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كأنهم سكارى
وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم
وأذهب تمييزهم وقرئ ترى من أريتك قائما أو رؤيتك قائما بنصب الناس ورفعه على أنه
نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وإفراده بعد جمعه لأن الزلزلة يراها
الجميع وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى إجراء للسكر
مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا
يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه وأضرابه
ويتبع في المجادلة أو في عامة أحواله كل شيطان مريد متجرد للفساد وأصله العري كتب
عليه على الشيطان أنه من تولاه تبعه والضمير للشأن فأنه يضله خبر لمن أو
جواب له والمعنى كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير
فشأنه أن يضله لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية
المكتوب أو إضمار القول أو تضمين الكتب معناه ويهديه إلى عذاب السعير بالحمل على ما
يؤديه إليه يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث من إمكانه وكونه مقدورا وقرئ
من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب فإنا خلقناكم أي فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح
ريبكم فإنا خلقناكم من تراب إذ خلق آدم منه أو الأغذية التي يتكون منها المني
ثم من نطفة من مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من
مضغة قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص
فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا
التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى وأن من قدر
على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه
يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الأرحام ما نشاء أن نقره
إلى أجل مسمى هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين وقرئ
ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كأن خلقهم مدرجا لغرضين
تبيين القدرة وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف

وقرئ بالياء رفعا ونصبا ونقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم طفلا اى اطفالا من كم جريت على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه فى الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمال الكم
فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور ومنكم من يتوفى عند
بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اى يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم
والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى فى اوان
الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان
على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المضادة فان من
قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت
اى ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى
كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله
على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اى بسبب
انه الثابت فى نفسه الذى به يتحقق الاشياء وانه يحيى الموتى والا لما احيى النطفة والارض
الميتة وانه على كل شئ قدير لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما
دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة
آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلايعه وان الله يبعث من فى القبور
بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم تكرير للتأكيد
ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال
او وحى او الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف
الهدى والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا
عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة الجدال
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن
الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو
مؤداه كالغرض له له فى الدنيا خزى وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول
اى يقال له يوم القيمة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وان
الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس
من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش
فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على

وجهه

وجهه روى انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه
مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى
دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى
سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله
يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك
هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضالا يدعوا لمن
ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة اقرب من نفعه الذى
يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعوا من حيث انه
بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى
يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على
ان يدعوا تكرير للاول ومن مبتدأ وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير اى
الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع
من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله
ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل
المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فى ازالة غيظه او
جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلى غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته
فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى
سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره او تحصيل
رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور فى نفسه
هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه
ما يغيظ غيظه او الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم مسلمين استبطؤا
نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه
انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدى ولان الله يهدى به او
يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة

بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوزنا اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف

بعنف

بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا يكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال فيه تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وقرئ لولوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولليا بقلبهما يائين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال من تقع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على بنائه القديم ان لا

تشرك

تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من
حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي
فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي
فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك
كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة
الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله
من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب
لرسول الله امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ
بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول
اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة
للرجال والركبان او استئنافا فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق
يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية و
تنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد
الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه
المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم
من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها
على الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج
فيه او ندبا الى مواساة الفقراء او مساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا
البائس الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في
الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج
وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه
قرينه قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس او المعتق من تسليط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج
بن يوسف فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي
الامر ذلك وهو وامثاله تطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر
ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما

اهل

اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من
الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن
تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان
رأس الزور وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور
لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية
والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو
ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر
فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق
بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان
من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان
يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلكت نفسه هلاكا يشبه
احد الهالكين وقرأ نافع فتخطفه الطير بفتح الخاء وتشديد الطاء ذلك ومن يعظم
شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من علائم الحج وهو اوفق
لظاهر ما بعده وتعظيمها ان تختار حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى مائة بدنة فيها جمل
لابي جهل نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها
منه من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر
القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت
نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين
اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية
تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال
او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في
الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف
الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا وقربانا يتقربون به
الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره

ويجعلوا نسيكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود
على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون
نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك
وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف
والمصايب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما
رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله
الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا
يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل
يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدءا من شعائر الله من اعلام دينه
التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها
بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس
اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على
ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص
لوجه الله وصوافي على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا
وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا
القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل
من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت اليه في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ
والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما
سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة
قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن
ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا
دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه
ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى امتثال امره وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له
وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا
عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند

الاحلال

الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية
والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه
ويذرونه ان الله يدافع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون
يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور
لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ
ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين
والماذون فيه محذوف لدلالة الله عليه وقرأ ابن عامر وحفص بفتح التاء اي الذين يقاتلهم
المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون
يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم
اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين
آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين
اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا
الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم
على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع وقرأ نافع
وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة وبيع بيع النصارى
وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية
فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد
خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط
المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم
ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل
بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط
واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب
فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول
لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته
كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة

ثم اخذتهم فكيف كان نكير • انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا
والعمارة خرابا • فكاين من قرية اهلكناها • باهلاك اهلها وقرا البصريان بغير لفظ
التعظيم • وهي ظالمة • اي اهلها • فهي خاوية على عروشها • ساقطة حيطانها على سقوفها
بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية
مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية • ويجوز ان تكون خبرا بعد خبر اي هي
خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها
والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا
محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع • وبئر
معطلة • عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ
بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله • وقصر مشيد • مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن
ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها • وقيل المراد ببئر
بئر في سفح جبل بحضرموت • وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة ابن صفوان من
بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما • افلم يسيروا في الارض • حث لهم على ان يسافروا
ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك • فتكون
لهم قلوب يعقلون بها • ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال
او اذان يسمعون بها • ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم • فانها
الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار • وفي تعمى راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه • لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما
ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد • وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر • قيل لما نزل ومن كان في هذه
اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت • ويستعجلونك
بالعذاب • المتوعد به • ولن يخلف الله وعده • لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم
به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة • وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون • بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال عنده او لتمادي عذابه
وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة • وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء • وكاين من قرية • وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في
الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل • وانما عطف الاولى بالفاء
وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير • وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين
لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى • امليت لها • كما امهلتكم

وهي

وهي ظالمة • مثلكم • ثم اخذتها • بالعذاب • والي المصير • والى حكمي مرجع الجميع • قل
يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين • اوضح لكم ما انذركم به • والاقتصار على الانذار
مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين • وانما ذكر المؤمنين
وثوابهم زيادة في غيظهم • فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة • لما ندر منهم
ورزق كريم • هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله • والذين سعوا في اياتنا بالرد
والابطال • معاجزين • مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه
فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق
به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة • اولئك اصحاب الجحيم • النار
الموقدة وقيل اسم دركة • وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي • الرسول من بعثه
الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها • والنبي يعمه • ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام • ولذلك شبه النبي صلى الله عليه
وسلم علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلث مائة وثلث عشر
جما غفيرا • وقيل الرسول من جمع المعجزة كتابا منزلا عليه • والنبي غير الرسول من لا كتاب له
وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي • والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام • الا اذا تمنى
اذا زور في نفسه ما يهواه • القى الشيطان في امنيته • في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا
كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة • فينسخ
الله ما يلقي الشيطان • فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
ثم يحكم الله اياته • ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة • والله عليم • باحوال
الناس • حكيم • فيما يفعله بهم • قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت • وقيل تمنى لحرصه
على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت
عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومنوة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان
حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى • وان شفاعتهن لترتجى • ففرح
به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا
مشرك الا سجد ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية • وهو مردود عند
المحققين • وهو ان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه • وقيل تمنى
قرا كقوله • تمنى كتاب الله اول ليله • تمنى داود الزبور على رسل • وامنيته قراءته
والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي
عليه السلام • وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي

الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء
وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك
يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء
هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام
فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي
الذين آمنوا في المشكل الى صراط مستقيم وهو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه
ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في
امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيمة او اشراطها
او الموت بغتة فجأة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر
سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقيم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا
قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم
لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد
بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب
عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم
المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول
تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب من
اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم
قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في
الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض
الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد
معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير
حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما
عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج
او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور

للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه
لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو
الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب
ان الله قادر على تقليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة
ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان
ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب بصير
يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في
نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ
لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا
عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على
مخاطبة المشركين وقرئ على البناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة هو الباطل
المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان
يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام
تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي
الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة
الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى
كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله
الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف
على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك
السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية
الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية
لسائر الاجسام في الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف
رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار
وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم
يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك
سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك

اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة
المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين
ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول و
المبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى
توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد
ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم
عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب
والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في
كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان
ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته
المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل
على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما
للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب
عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة
والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق
وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين
كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم
آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين و
سطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب
سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتداء خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استينافا كما اذا وقعت خبرا او حالا منها
وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رايعة
ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل
او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرئ يدعون
بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا
لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على ما منافاة ما بين
المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له

اي للخلق هو مع الجواب المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا
يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد
بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل
الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه
عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون
عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده
او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا
الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه
مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي
يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه
وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه
لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين
للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى
الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه يرجع الامور كلها
لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا وعبر عن
الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم
به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين
له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله لله ومن اجله اعداء
دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من
غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا
لوجه الله فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير
اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتبيكم اختاركم

للدينه ونصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في
الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم
عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله
عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب
مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه
والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصبة على المصدر بفعل
دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء
او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب
لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سميكم المسلمين من قبل من
قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله
سميكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته
من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته
اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسميكم عليكم شهيدا بانه بلغكم
فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى
وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا
الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في
جامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم
فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه
في الحقيقة عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها
وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون
قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل
على ثباته اذا دخل الماضي وكذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين
ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة
الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير
وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون
خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام

روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده
وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو
معرضون عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ
من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه
بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة
وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم
للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا
الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما توجب المروة
اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي
هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك
احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال في حال التزوج او التسري او بفعل
دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه
وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس و
اعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان
بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى
فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما
يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها
وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر
والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه
لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما
وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر
الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان
يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد
اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى
وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه
تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة
او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من
طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى

مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين والجنس
فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه عليه السلام
خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه جعلنا نسله بحذف المضاف نطفة بان خلقناه
منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار
مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة
كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء
فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف
لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على
التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشأناه
خلقا آخر وهو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين
من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه
ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته
احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم
بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون
اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا
فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه
مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك
المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال
والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت
به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار
ما علمنا من صلاحهم فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او
التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي
تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل
واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها
وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل
من حرفته ويجوز ان يكون الضمير ان للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب
والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف

على

فجعلناه ثابتا مستقرا

على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشأ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل
موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون
الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه
للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد
وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث
بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشاميين ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء
لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن
ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت
ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن
وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي
الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه
اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام
لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون نسقيكم مما في بطونها من الالبان او العلف فان اللبن
يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء وقرئ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم
بفتح النون ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تأكلون
تنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل
لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر
تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك
تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق
لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله
غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون
افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره و
كفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره
او من دعوى النبوة وذلك اما لفرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل

بفتح تاء الخطاب تصحيح الصاغاني وذو والحاجات الفقراء وقطينا
جمع قاطن بمعنى مقيم والقطين الخدم والاتباع ايضا والمعنى
رايت ذوي الحاجات مقيمين حول بيوتهم لعطاء او طاربهم
لانها معاهد الكرم وموارد النعم حتى اذا ظهر الخصب انفضوا
من حولها للانتجاع والتعيش شهاب

به جنة اى جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياى او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسد عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم فى سقر من كل زوجين اثنين من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اى القول من الله ٢ باهلاكه لكفره وانما جيئ بعلى لان السابق ضار كما جيئ باللام حيث كان نافعا فى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلنى منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرأ غير ابى بكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان فى ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر بها اولوا الابصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا

ماهذا

بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم فى الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او وانكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه او وانكم لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هى الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هى النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياى قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبرائيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذى لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك من المصادر التى تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى

متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجئ الذى هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اولى المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات النبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى الى فرعون وملئه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما فكما ترى فى جانب النقصان اغبياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وقومهما يعنى بنى اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون لنا كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق فى بحر قلزم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها

قوله وهو اسم جمع للحديث تبع فيه الزمخشرى وقد مر ان اصطلاحه ان يطلق اسم الجمع على الجمع الذى ليس بقياسى كاسم المصدر على المصدر غير القياسى لا ما اصطلح عليه النحاة مرانه ما دل على الجمعية ولم يكن على شىء من اوزانها فلا يرد ان افاعيل ليس من ابنية اسم الجمع فالصواب انه جمع حديث على غير القياس شهاب

قوله مستقر من الارض منبسطة يعنى ان القرار بمعنى الثبات ويكون بمعنى مستقر ويكون الربا والهضبات قارة ثابتة فلا يعلم لا فائدة فى التوصيف به فالمراد انها ربوة فى واد فسيح منبسط بالنفس يأوى اليه او المراد انها محل صالح للقرار فيها لما فيه من الزروع والثمار وهو المناسب لقوله ومعين فقوله مستقر نعته للمضاف او للمضاف اليه ومنبسطة بمعنى فسيحة ويجوز ان يراد بها سارة فانها يستعمل بهذا المعنى شهاب

مستقرين

يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشئ او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهية اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافى ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم انى بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون فى شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم فى غمرتهم فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم فى الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير

قوله شبهها الخ يريد كما قال الطيبى ان قوله فى غمرتهم استعارة شبه جهلهم بغمرة الماء اذا وقع فيها الشخص فلا يدرى كيف يتخلص منها بجامع الوقوع فى ورطة الهلاك او تمثيل شبه حالهم مع ما هم عليه من محاولة الباطل والانغماس فيه بحال من يدخل فى الماء الغامر ثم ضرب بجامع تضييع السعى بعد الكدح فى العمل قاضى زكريا

وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول • إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون • حذرون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون • بتصديق مدلولها • والذين هم بربهم لا يشركون • شركا جليا ولا خفيا • والذين يؤتون ما آتوا • يعطون ما اعطوه من الصدقات • وقرئ يأتون ما أتوا اى يفعلون ما فعلوا من الطاعات • وقلوبهم وجلة • خائفة ان لا يقبل منهم ولا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به • أنهم الى ربهم راجعون • لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم • أولئك يسارعون في الخيرات • يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها • او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا • فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم • وهم لها سابقون • فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون • ولا نكلف نفسا الا وسعها • قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس • ولدينا كتاب • يعني اللوح او صحيفة الاعمال • ينطق بالحق • بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع • وهم لا يظلمون • بزيادة عقاب او نقصان ثواب • بل قلوبهم • قلوب الكفرة • في غمرة • في غفلة غامرة لها • من هذا • من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة • ولهم اعمال • خبيثة • من دون ذلك • متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك • هم لها عاملون • معتادون فعلها • حتى اذا اخذنا مترفيهم • متنعميهم • بالعذاب • يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة • اذا هم يجأرون • فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى • ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم • فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لا تجأروا • انكم منا لا تنصرون • تعليل للنهي اى لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا • قد كانت آياتي تتلى عليكم • يعني القرآن • فكنتم على اعقابكم تنكصون • تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى • مستكبرين به • الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله • سامرا • اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر • تهجرون • من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان

من خوف عذابهم

المنصوب المنزلة

قوله متجاوزة لما وصفوا به وصفوا الصيغة المجهول والمتجاوز عنه من الصفات انما صفات الكفار ان يكون لهم صفات اخبث مما وصفوا به او صفات المؤمنين فهم متجاوزون عما حمد الى ما ذم وقوله متخطية بالياء من التخطية بمعنى التجاوز للرقاب والصفوف سهات

اى تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة • أفلم يدبروا القول • اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله • أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين • من رسول وكتاب • او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه • أم لم يعرفوا رسولهم • بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء • فهم له منكرون • دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد • أم يقولون به جنة • فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا • بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون • لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة الحق • ولو اتبع الحق اهواءهم • بان كان في الواقع آلهة شتى • لفسدت السموات والارض ومن فيهن • كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة • بل أتيناهم بذكرهم • بالكتاب الذي هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقوله لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم • فهم عن ذكرهم معرضون • لا يلتفتون اليه • أم تسألهم • قيل انه قسيم قوله ام به جنة • خرجا • اجرا على اداء الرسالة • فخراج ربك • رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى • خير • لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه • وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة • وهو خير الرازقين • تقرير لخيرية خراجه • وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم • تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة • وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط السوي • لناكبون • لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق

قوله قطعا او ظنا الاول في ظهور الامتناع نوعا او شخصا فانه يوجب الانكار القطعي والثاني في البحث عما يدل عليه وعدم وجدانه فان انتفاء الدليل لا يوجب العلم بانتفاء المدلول قوله بحسب النوع ناظر الى قوله ام جاءهم الآية قوله او الشخص ناظر الى قوله ام لم يعرفوا رسولهم قوله او بحث ناظر الى قوله افلم يدبروا القول من حاشية مولانا السعدي

وسلوك طريقه • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعنى القحط للجوا
ولجاج التمادى فى الشىء فى طغيانهم افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة
الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة
للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت • ولقد اخذناهم بالعذاب يعنى
يوم بدر • فما استكانوا لربهم وما يتضرعون • بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم
واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون
اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله • حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه
مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك • وهو الذى انشأ
لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا
بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية • قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا
قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك
وما صلة للتاكيد • وهو الذى ذراكم فى الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل • واليه
تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم • وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف
الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة
او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر • افلا تعقلون • بالنظر
والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء
على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين • بل قالوا اى كفار مكة • مثل ما قال الاولون
آباؤهم ومن دان بدينهم • قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا
ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا • لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من
قبل ان هذا الا اساطير الاولين • الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل
فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر • قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون • ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة
بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة
من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يؤمنوا فقال • سيقولون لله • لان
العقل الصريح قد اضطرهم بادى نظر الى الاقرار بانه خالقها • قل • اى بعد ما قالوه
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان
بدأ الخلق ليس باهون من اعادته • وقرئ تتذكرون على الاصل • قل من رب السموات

السبع

قوله انشدك الله والرحم مضارع نشد منشدة بمعنى
سأل اى سألتك بالله والرحم مضطرب نزع انى قبض
وجهه فسم استعطافه وقوله تزعم نفسه عن الكفر قبل
الاسلام وقوله فقتلت يعنى فكيف تكون رحمة فنزلت
هذه الاية جوابا له
سهاب

السبع ورب العرش العظيم • فانها اعظم من ذلك • سيقولون لله • قرأ ابو عمرو ويعقوب
بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال • قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا
به بعض مخلوقاته ولا تنكروا اقدرته على بعض مقدوراته • قل من بيده ملكوت كل شىء
ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه • وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه • ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة • ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل فانى تسحرون • فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة
بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور • وانهم لكاذبون • حيث انكروا ذلك
ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد • وما كان معه من اله يساهمه فى الالوهية
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف
لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه و
استبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك
الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شىء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد • سبحان الله عما يصفون • من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده • عالم الغيب والشهادة • خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على
توافقهم فى انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه • فتعالى عما يشركون • بالفاء • قل رب اما
ترينى • ان كان لا بد من ان ترينى لان ما والنون للتاكيد • ما يوعدون • من العذاب فى الدنيا او
فى الآخرة • رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين • قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس
او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم لقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره
بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار • وانا
على ان نريك ما نعدهم لقادرون • لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم • ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء
به • وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة • ادفع بالتى هى احسن السيئة • وهو الصفح
عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين • وقيل هى كلمة التوحيد
والسيئة الشرك • وقيل هى الامر بالمعروف والسيئة المنكر • وهو ابلغ من ادفع بالحسنة
السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل • نحن اعلم بما يصفون • اى بما يصفونك
به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم • وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين • وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض

قيل ان المراد المفاضلة بين الحسنة والسيئة ان الحسنة
فى بابها ازيد من السيئة فى بابها وهذا من كل مفاضلة
بين ضدين كالعسل احلى من الخل اى زيد فى الاصناف بحلاوة امير
من الخل فى الاصناف بحامضة لا انه جمعهما اشتراكا خاصا
من الشهاب

شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع
الوسواس او لتعدد المضاف اليه • واعوذ بك رب ان يحضرون • فيحوموا حولي في
شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها اخرى
الاحوال بان يخاف عليه • حتى اذا جاء احدهم الموت • متعلق بيصفون وما بينهما
اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه
على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون • قال • تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة
لما اطلع على الامر • رب ارجعون • ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير
قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا • لعلي اعمل صالحا فيما تركت • في الايمان الذي
تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه • وقيل في المال او في الدنيا • وعنه عليه السلام
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله تعالى • واما الكافر فيقول رب ارجعون • كلا • ردع عن طلب الرجعة
واستبعاد لها • انها كلمة • يعني قوله رب ارجعون الى آخره • والكلمة الطائفة من
الكلام المنتظم بعضها مع بعض • هو قائلها • لا محالة لتسلط الحسرة عليه • ومن
ورائهم • امامهم والضمير للجماعة • برزخ • اي حائل بينهم وبين الرجعة • الى يوم يبعثون •
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا
وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة • فاذا نفخ في الصور • لقيام الساعة • والقراءة
بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة • فلا انساب بينهم •
تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه • او يفتخرون بها • يومئذ • كما يفعلون اليوم
ولا يتساءلون • ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة
الجنة والنار النار • فمن ثقلت موازينه • موزونات عقايده واعماله اي ومن كانت له
عقايد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر • فاولئك هم المفلحون •
الفائزون بالنجاة والدرجات • ومن خفت موازينه • ومن لم يكن له ما يكون له وزن
وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا • فاولئك الذين خسروا انفسهم
غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها • في جهنم
خالدون • بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك • تلفح وجوههم النار • تحرقها • واللفح
كالنفح الا انه اشد تأثيرا • وهم فيها كالحون • من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين
عن الاسنان وقرئ كلحون • الم تكن آياتي تتلى عليكم • على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن

فكنتم

فكنتم بها تكذبون • تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله • قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا • ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة
وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة • وقرئ بالكسر كالكتابة • وكنا
قوما ضالين • عن الحق • ربنا اخرجنا منها • من النار • فان عدنا • الى التكذيب • فانا ظالمون •
لانفسنا • قال اخسؤا فيها • اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت
الكلب اذا زجرته فخسأ • ولا تكلمون • في رفع العذاب او لا تكلمون راسا • قيل ان اهل
النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا
ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده • فيقولون الفا يا مالك ليقض
علينا ربك فيجابون انكم ماكثون • فيقولون الفا • ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا
اقسمتم فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا • فيجابون اولم نعمركم فيقولون رب
ارجعون فيجابون اخسؤا فيها • ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء • انه • ان الشان
وقرئ بالفتح اي لانه • كان فريق من عبادي • يعني المؤمنين • وقيل الصحابة • وقيل اهل الصفة
يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين • فاتخذتموهم سخريا • هزؤا
وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة
وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية • حتى
انسوكم ذكري • من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم • اني جزيتهم اليوم بما صبروا • على اذاكم •
انهم هم الفائزون • فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به • وهو ثاني مفعولي جزيتهم • وقرأ
حمزة والكسائي بالكسر استينافا • قال • اي الله او الملك المأمور بسؤالهم • وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار • كم لبثتم في الارض • احياء او امواتا
في القبور • عدد سنين • تمييز لكم • قالوا لبثنا يوما او بعض يوم • استقصارا لمدة لبثهم
فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها
منقضية والمنقضي في حكم المعدوم • فسئل العادين • الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت
تحقيقها فانا بما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين
يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم • وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون
ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون • قال • وفي قراءة الكوفيين
والكسائي قل • ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون • تصديقا لهم في مقالهم • افحسبتم
انما خلقناكم عبثا • توبيخ لهم على تغافلهم • وعبثا حال بمعنى عابثين • او مفعول له اي لم
نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون • معطوف على انما خلقناكم او عبثا • وقرئ حمزة والكسائي ويعقوب

قوله والواو لتعظيم المخاطب وهو الله تعالى وقد عرفت انه يكون في ضمير المتكلم والمخاطب بل والغائب والاسم الظاهر ولا عبرة بمن انكره اغترارا بكلام الرضي ومن قرنه وجعلها للملائكة بعد الاستغاثة بالله فقد تعسف واقرب منه تقدير خطاب اي يا ملائكة ربي واما اعتراض ابن مالك بانه لا يعرف احد يقول رب ارجعوني ونحوه لما فيه من ايهام التعدد فقد دفع بانه لا يلزم من عدم صدوره عنا كذلك ان لا نطلقه الله على نفسه كما في ضمير المتكلم فتأمل شهاب

قوله غبنوها بيعه لخسارة الغبن وهو بيع متاع بدون قيمته والمراد به هنا على طريق الاستعارة التمثيلية تضييع زمانه في الضلال وترك ما اعطاه الله من رأس المال وهو الاستعداد لان يربح في تجارة الكمال بفطرة الايمان وصالح الاعمال شهاب

قوله لو انكم كنتم تعلمون يحتمل لو وصلية لانها بدون الواو نادرة او غير موجودة وجوابها محذوف تقديره لو كنتم تعلمون قلة لبثكم بالنسبة للآخرة ما اغتررتم بالدنيا وعصيتم لا لما اجبتم بهذه المدة كما قدره ابو البقاء لانه لا يلايم ما ذكره المعرب من كونه تصديقا لهم فلعله يجعله ردا عليهم لا تصديقا فيصح ما قدره ويجوز ان يكون للتمني فلا يحتاج الى الجواب شهاب

بفتح التاء وكسر الجيم • فتعالى الله الملك الحق • الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه
مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه وفي حال دون حال • لا اله الا هو • فان ما عداه
عبيده • رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام
ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين • وقرئ بالرفع على انه صفة الرب
ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا • لا برهان له به • صفة لازمة لآخر
لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد • وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين
بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء
لذلك • فانما حسابه عند ربه • فهو مجاز له مقدار ما يستحقه • انه لا يفلح الكافرون
ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل والخبر اي حسابه عدم الفلاح • بدأ السورة بتقرير
فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين • ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه
فقال • وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك
الموت • وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر • وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ
باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور وهي ثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • سورة • اي هذه سورة
او فيما اوحينا اليك سورة • انزلناها • صفتها • ومن نصبها جعله مفسرا للناصب فلا
يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه • وفرضناها • وفرضنا ما فيها من الاحكام
وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها
وانزلنا فيها آيات بينات • واضحات الدلالة • لعلكم تذكرون • فتتقون المحارم وقرئ
بتخفيف الذال • الزانية والزاني • اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد • ويجوز ان يرفعا
بالابتداء والخبر • فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة • والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي • وقرئتا
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر • والزان بلا ياء
وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان
مفسدته تتحقق بالاضافة اليها • والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما
دل على ان حد المحصن هو الرجم • وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام • وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما الآخر
نسخا مقبولا او مردودا • وله في العبد ثلثة اقوال • والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل
والاصابة في نكاح صحيح • واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود • ذ يخبر عليه السلام

السلام يهوديين • ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص
له من المسلم • ولا تأخذكم بهما رأفة • رحمة • في دين الله • في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه • ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة • وقرئت بالمد على فعالة • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما
ينكل التعذيب • والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة
وقيل واحد واثنان • والمراد جمع يحصل به التشهير • الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك • اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح
الصوالح • والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء • فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة
سبب النفرة والافتراق • وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او
مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين
لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة
الجاهلية • ولذلك قدم الزاني • وحرم ذلك على المؤمنين • لانه تشبه بالفساق وتعرض
للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد • ولذلك عبر
عن التنزيه بالتحريم مبالغة • وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به • والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه • او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم
فانه يتناول المسافحات • ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال • وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا
بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد • والذين يرمون المحصنات • يقذفونهن
بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء
بقوله • ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة • والقذف بغيره مثل
يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن • والاحصان ههنا الحرية
والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا • ولا فرق فيه بين الذكر والانثى • وتخصيص
المحصنات لخصوص الواقعة • او لان قذف النساء اغلب واشنع • ولا يشترط اجتماع
الشهود عند الاداء • ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة ولكن ضرب
اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله • ولذلك نقص عدده • ولا تقبلوا لهم
شهادة • اي شهادة كانت لانه مفتر • وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك
على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما

جواب الشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوا مما بعده
ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره • واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم
الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف • واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام
للحد والاستحلال عن المقذوف • والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه
الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال
ومحل المستثنى نصب على الاستثناء • وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم
وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب • وقيل منقطع متصل بما بعده • فان الله
غفور رحيم علة للاستثناء • والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا
انفسهم • نزلت في هلال ابن امية رأى رجلا على فراشه • وانفسهم بدل من شهداء
او صفة لهم على ان الا بمعنى غير • فشهادة احدهم اربع شهادات • فالواجب شهادة
احدهم او فعليهم شهادة احدهم • واربع نصب على المصدر • وقد رفعه حمزة والكسائي
وحفص على انه خبر شهادة • بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها
انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا • واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان
وعلق العامل عنه باللام تأكيدا • والخامسة • والشهادة الخامسة • ان لعنت الله عليه
ان كان من الكاذبين • في الرمي • وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا
لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ
عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا • وبتفريق الحاكم فرقة طلاق
عند ابي حنيفة • ونفي الولد ان تعرض له فيه • وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله • ويدرؤ
عنها العذاب اي الحد • ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين • فيما رماني
به • والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين • في ذلك ورفع الخامسة
بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد • ونصبها حفص عطفا على اربع • وقرأ
نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله • ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم • متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة • ان
الذين جاؤا بالافك • بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن
وجهه • والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها • وذلك انه عليه السلام استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل
فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان
يرحلها انها دخلت الهودج فحمله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا
فجلست كي يرجع اليها منشد • وكان صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج

فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به
عصبة منكم • جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
بن ابي وزيد بن رفاعة • وحسان بن ثابت • ومسطح بن اثاثة • وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم وهي خبر ان • وقوله لا تحسبوه شرا لكم • مستأنف والخطاب للرسول وابي
بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك • بل هو خير لكم • لاكتسابكم الثواب العظيم و
ظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد
لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا • لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء
ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به • والذي تولى كبره • معظمه • وقرأ يعقوب بالضم
وهو لغة فيه • منهم • من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله بالتصريح به • والذي بمعنى الذين
له عذاب عظيم • في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق
وحسان اعمى واشل اليدين • ومسطح مكفوف البصر • لولا • هلا • اذ سمعتموه ظن
المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا • بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا
انفسكم • وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي
ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم • وانما
جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه و
لذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره • وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا
باوله • وقالوا هذا افك مبين • كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال • لولا جاؤا
عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون • من جملة
المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب عند الله اي في حكمه • ولذلك رتب
الحد عليه • ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة • لولا هذه لامتناع الشيء لوجود
غيره • والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته
في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم • لمسكم • عاجلا • في ما افضتم فيه • خضتم فيه
عذاب عظيم • يستحقر دونه اللوم والجلد • اذ • ظرف لمسكم او افضتم • تلقونه بالسنتكم
يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه • وقرئ تتلقونه على
الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه • وتلقونه بكسر حرف المضارعة • وتلقونه من القائه
بعضهم على بعض • وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب • وتثقفونه من ثقفته
اذا طلبته فوجدته • وتقفونه اي تتبعونه • وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم
اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم
به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم • وتحسبونه هينا سهلا

لا تبعة له • وهو عند الله عظيم • في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة
علق بها مس العذاب العظيم تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم
لذلك وهو عند الله عظيم • ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا • ما ينبغي وما يصح لنا
أن نتكلم بهذا • يجوز أن يكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن يكون إلى نوعه فإن قذف
آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم • سبحانك • تعجب ممن يقول ذلك • وأصله أن يذكر عند كل متعجب أو تنزيه
الله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب • أو تنزيه الله تعالى من أن
يكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها
فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله • هذا بهتان عظيم • لعظم المبهوت عليه فإن
حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها • يعظكم الله أن تعودوا لمثله • كراهة
أن تعودوا أو في أن تعودوا • أبدا • ما دمتم أحياء مكلفين • إن كنتم مؤمنين • فإن
الإيمان يمنع عنه • وفيه تهييج وتقريع • ويبين الله لكم الآيات • الدالة على الشرائع
ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا • والله عليم • بالأحوال كلها • حكيم • في تدابيره ولا يجوز
الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها • إن الذين يحبون • يريدون • أن تشيع • أن تنتشر الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة • بالحد والسعير إلى غير ذلك • والله يعلم
ما في الضمائر • وأنتم لا تعلمون • فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه
وتعالى يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • تكرير
للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة وكذا عطف قوله • وأن الله رؤوف
رحيم • على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة •
يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان • بإشاعة الفاحشة • وقرأ نافع والبزي
وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكون الطاء وقرئ بفتح الطاء • ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه
يأمر بالفحشاء والمنكر • بيان لعلة النهي عن اتباعه • والفحشاء ما أفرط قبحه • والمنكر ما أنكره
الشرع • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود
المكفرة لها • ما زكى • ما طهر من دنسها • منكم من أحد أبدا • آخر الدهر • ولكن الله يزكي
من يشاء • بحمله على التوبة وقبولها • والله سميع • لمقالتهم • عليم • بنياتهم • ولا يأتل
ولا يحلف افتعال من الألية • أو ولا يقصر من الألو • ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل
في أبي بكر وقد حلف أنه لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين •
أولوا الفضل منكم • في الدين • والسعة • في المال • وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه •
أن يؤتوا • على أن لا يؤتوا أو في أن يؤتوا • وقرئ بالتاء على الالتفات • أولي القربى والمساكين

والمهاجرين

قوله بالحد والسعير الحد جزاء القذف والسعير جزاء التجسس
لتقليبه او هو مخصوص بأمهات المؤمنين ولا حاجة الى ...
فان الحد لمن نقل من المسلمين والسعير لأبي عذرته ابن أبي
وهو لم يحد فلا يرد ان الحدود مكفرة فكيف تجمع بينهما مع
تخلف فيه سهاب

قوله والله يعاقب على ما في القلوب قال الكرماني العزم
على المعصية وسائر اعمال القلب كالحسد او محبة اشاعة
الفاحشة يؤاخذ عليها وقد فصله الغزالي رح في الاحياء
وقال النية المصممة يثاب ويعاقب عليها وان لم
يقارن الفعل وعليه بنى المص رحمه الله كلامه وان
اشتهر خلافه سهاب

قوله وشرع الحدود المكفرة لها كما في البخاري قتل ...
كفارة له قال الكرماني وهو مخصوص بغير الردة لقوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به وزعم القاضي اسمعيل وغيره
ان قتل القاتل حد وردع لغيره واما في الآخرة فالطلب
للمقتول قائم لانه لم يصل اليه حقه وفي الحديث بحاله
كحديث ابن حبان السيف محاء للخطايا ونحوه ...
من توقف فيه لحديث ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال
لا ادري الحدود كفارة لاهلها ام لا وجمع بينهما بانه ورد
اولا قبل ان يوحى اليه بذلك سهاب

والمهاجرين في سبيل الله • صفات لموصوف واحد أي ناسا جامعين لها لأن الكلام فيمن كان
كذلك • أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ من تعليل المقصود • وليعفوا • ما فرط
منهم • وليصفحوا • بالإغماض عنه • ألا تحبون أن يغفر الله لكم • على عفوكم وصفحكم وإحسانكم
إلى من أساء إليكم • والله غفور رحيم • مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه • روي أنه عليه
السلام قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب ورجع إلى مسطح نفقته • إن الذين يرمون المحصنات
العفائف • الغافلات • عما قذفن به • المؤمنات • بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا
في الرسول والمؤمنين كابن أبي • لعنوا في الدنيا والآخرة • لما طعنوا فيهن • ولهم عذاب
عظيم • لعظم ذنوبهم • وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب • وقيل مخصوص بمن قذف أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم • ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لا توبة له ولو فتشت وعيد
القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة رضي الله عنها • يوم تشهد عليهم • ظرف لما
في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف • وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم
والفصل • ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون • يعترفون بها بإنطاق الله إياها
بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب • يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق • جزاءهم المستحق • ويعلمون • لمعاينتهم الأمر • أن الله هو الحق المبين •
الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب
سواه • أو ذو الحق البين أي العادل الظاهر عدله • ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم
للمظلوم لا محالة • الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات • أي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون
كالدليل على قوله • أولئك • يعني أهل بيت النبي أو الرسول وعائشة وصفوان • مبرءون
مما يقولون • إذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه • وقيل الخبيثات والطيبات
من الأقوال والإشارة إلى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين • أي مبرءون مما يقولون فيهم
أو للخبيثين والخبيثات • أي مبرءون من أن يقولوا مثل قولهم • لهم مغفرة ورزق كريم •
يعني الجنة • ولقد برأ الله أربعة بأربعة • برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها
وموسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه • ومريم بإنطاق ولدها • وعائشة
بهذه الآيات مع هذه المبالغات • وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول وإعلاء منزلته •
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم • التي تسكنونها فإن الآجر والمعير أيضا لا يدخلان
إلا بإذن • حتى تستأنسوا • تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء
إذا أبصره • فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو لا يؤذن له •
أو من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا

قوله ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه الذي في الكشاف عن ابن عباس
انه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن هذه الآية فقال من اذنب
ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة
رضي الله عنها وهو مبالغة وتعظيم لامر الافك والا
فقد تاب مسطح كغيره وما تقدم مصرح بقبول توبته سهاب

قوله هل يراد دخوله او لا يؤذن له هكذا هو في النسخ
التي رأيناها ولا اشكال فيه واو على ظاهرها وهو
طبق ما في الكشاف ووقع في نسخة المحشي او يؤذن له
بدون لا وهي غير مستقيمة وقد تكلف لها بان او بمعنى الواو
او للتخيير في التعبير سهاب ورأيناه في نسخ بدون لا

يؤذن له فان اذن استأنس او تتعرفوا هل ثمة انسان من الانس وتسلموا على اهلها
بان يقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم
أأدخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان والتسليم
خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير
بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف
وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال لا خادم
لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن
لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا
وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات
فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور
واستثني ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم
ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف
على الباب عنه من الكراهة وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون
عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع لكم كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الرحال والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله
البيوت المسكونة وغيرها (الامتعة) والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل
مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون
نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه
كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج
ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله
خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن
بالتستر والتحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي
والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند
مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها
على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان

لانها

قوله واستثني ما اذا عرض الخ اي المستثنى من الحكم المذكور في قوله يا ايها الذين آمنوا الى هنا ما ذكر ليس الاستثناء هنا بالمعنى المصطلح بل التخصيص بامر معلوم من الشرع والعقل ونحوه فهو بمعنى الاخراج مطلقا لان الضرورات تبيح المحظورات وموضع الضرورة مستثنى من القواعد كما بين في محله والحرق والغرق لما فيهما من الحيوان ونحوه مما يهون فيستثنى لمخالفته والمنكر كالفسق لغيرهم فهو على التوزيع الاخراج مما شمله النظم لمن قال الفرق فيهما منكر لا يهون حالية لم يصب سهات

قوله وقيل حفظ الفروج الخ يعني وسترها فهو مستغرق مطلقا فلذا لم يقل من فروجهم فهذا تفسير متضمن للنكتة المذكورة ولذا قال ابو زيد كل ما في القرآن من حفظ الفروج فهو عن الزنا الا هذا فانه بمعنى الاستتار قيل ولذا مر فيه الحصر دفعه مني لفقه لما وقع في القرآن سهات

والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة
عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام
بضم الجيم ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء
بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن
واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة
القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال
لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن
وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه
عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به
راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس
عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم
والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل
طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع
او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ
من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايه
المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا
مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم
على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي
للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة
فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب
تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به

قوله وللعلماء في ذلك خلاف يحتمل ان يريد خلاف الشافعية للحنفية ويحتمل ان يريد الخلاف في تفسيره فان قيل ان المراد ان يحل فيه خلافا عندهم بل يحل للكافرة ذمية او غيرها ان تنظر من المرأة المسلمة ما عدا الكفين والقدمين والوجه او لا دلت على الخلاف جواز دخولهن الحمام معهن وعدمه سهات

وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون هنا وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلثة وكذا قرأ بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الف م

اذ لو استبد لما وجب على الولي والمولى • وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو
العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا • قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم
اتايم • وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه • ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله • رد لما عسى
يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله
غنية عن المال فانه غاد ورايح • او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى
من هذه الاية لكنه مشروط بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء • والله واسع • ذو سعة لا ينفد نعمه اذ لا ينتهي قدرته • عليم •
يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته • وليستعفف • وليجتهد في العفة وقمع
الشهوة • الذين لا يجدون نكاحا • اسبابه • ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان
التمكن منه • حتى يغنيهم الله من فضله • فيجدوا ما يتزوجون به • والذين يبتغون
الكتاب • المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد
كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع
لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض • مما ملكت ايمانكم • عبدا كان او امة
والموصول بصلته مبتدا خبره • فكاتبوهم • او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء
لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن
الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف
لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند
المحل • ان علمتم فيهم خيرا • امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف • وقد روي مثله
مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط
الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز • واتوهم من مال الله الذي اتيكم • امر للموالي
كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم • وفي معناه حط شيء من مال الكتابة
وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول • وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن
عباس الثلث • وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا • وقيل امر لعامة
المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا
لانه لا ياخذه صدقة كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة
هو لها صدقة ولنا هدية • ولا تكرهوا فتياتكم • اماءكم • على البغاء • على الزنا • كانت
كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكى بعضهن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • ان اردن تحصنا • تعففا شرط للاكراه

فانه

فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان
يكون ارتفاع النهي بارتفاع المنهي عنه • وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ
النادر • لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم • اي لهن او له ان تاب • والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد
اكراههن لهن غفور رحيم • ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان
الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات • يعني الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود • وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات
يصدقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها
بينت الاحكام والحدود • ومثلا من الذين خلوا من قبلكم • ومثلا من امثال من قبلكم
اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم • وموعظة
للمتقين • يعني ما وعظ به في تلك الايات • وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل
المراد بالايات القرآن والصفات المذكورة صفاته • الله نور السموات والارض • النور
في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفايضة من
النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا
بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم • او على تجوز اما بمعنى منور السموات
والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عليها من الانوار او بالملائكة
والانبياء • او مدبرها من قولهم للرئيس الفايق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور
او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره • واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل
الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه • او الذي به يدرك
او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به • او لمشاركتها له في توقف الادراك
عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات
الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه
الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى
ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا • ويقرب منه قول ابن عباس
معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون • واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتماله
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول
لهما • مثل نوره • صفة نوره العجيبة الشان • واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه
عليه لم يكن على ظاهره • كمشكوة • كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة • فيها مصباح

لما

سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة
المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيئ متلالئ
كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام
بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة
وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا توقد
من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان
رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها
وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو
بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد
بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية يقع الشمس عليها حينا بعد
حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون
انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان
زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة
تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير
فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من
غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور متضاعف فان نور المصباح زاد في
انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى
التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث
انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة
لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به
قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده
قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس
المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس
الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى
شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات
لتستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار
الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله ولكن جعلناه نورا نهدي به
من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة

والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها
الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في
قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من
المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية
والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي
هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها
بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية
كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم
او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة
لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث
تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في نفسها قابلة للانوار وذلك
التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان
كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل
بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت
لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرتها
كانت نورا على نور يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان
الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء
للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت
متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل
به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة
المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له
هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد
لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد
بها المساجد لان الصفة تلايمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان
ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه او يصلون
له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه
بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرا ابن

وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما
يدل عليه. وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو
رجال لا تلهيهم تجارة. لا تشغلهم معاملة رابحة. ولا بيع عن ذكر الله. مبالغة
بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة
فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء. وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها و
مبدأها. وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه. وفيه ايماء
بانهم تجار. واقام الصلوة. عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال كقوله وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا. وايتاء الزكوة. ما يجب اخراجه
من المال للمستحقين. يخافون يوما. مع ما هم عليه من الذكر والطاعة. تتقلب فيه
القلوب والابصار. تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب
ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة
وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم. ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون. احسن ما عملوا. احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من
الجنة. ويزيدهم من فضله. اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم. والله
يرزق من يشاء بغير حساب. تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية
وسعة الاحسان. والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة. والذين كفروا حالهم على ضد
ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة
كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب
اي يجري. والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية. وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ
بقيعات كديمات في ديمة. يحسبه الظمآن ماء. اي العطشان وتخصيصه
لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة. حتى اذا جاءه. جاء ما توهمه
ماء او موضعه. لم يجده شيئا. مما ظنه. ووجد الله عنده. عقابه او زبانيته
او وجد محاسبا اياه. فوفيه حسابه. استعراضا او مجازاة. والله سريع الحساب
لا يشغله حساب عن حساب. روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجا
هلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر. او كظلمات. عطف على كسراب. واو
للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات
المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب
وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا
وكالسراب في الآخرة. في بحر لجي. منسوب عميق الى اللج وهو معظم الماء. يغشيه. يغشى البحر

عوض فيه الاضافة من التاء سقوط التاء للاضافة هو مذهب الكوفيين اما البصريون فلا يسقطونها للاضافة كقوله واخلفوك عد الامر اي عدة الامر الذي وعدوا وتمامه ان الخليط اجدوا البين فانجردوا اي مضوا واسرعوا والخليط المخالط والمراد به الجمع والبين الفراق بينا ... ذكره

قوله او للتقسيم اي حال اعمالهم الحسنة لا مطلقها وانها في حال كالظلمات وفي الاخرى كالسراب لكونها هباء منثورا وخص الاول بالدنيا لقوله ومن لم يجعل الله له نورا فانه في ... الهداية والتوفيق المختص بها والاخر بالاخرة لقوله ووجد الله عنده ... وقدم احوال الاخرة التي هي اعظم واهم لاتصالها بما يتعلق بها من قوله ليجزيهم الله ثم ذكر احوال الدنيا تتميما لها شهاب عليه الرحمة

موج

البحر. موج من فوقه موج. اي امواج مترادفة متراكمة. من فوقه. من فوق الموج الثاني
سحاب. غطى النجوم وحجب انوارها. والجملة صفة اخرى للبحر. ظلمات. اي هذه
ظلمات. بعضها فوق بعض. وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة
السحاب اليها. اذا اخرج يده. وهي اقرب ما يرى اليه. لم يكد يراها. لم يقرب ان يراها
فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه. ومن لم يجعل الله له نورا
ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها. فما له من نور. خلاف الموفق الذي
له نور على نور. الم تر. الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي
او الاستدلال. ان الله يسبح له من في السموات والارض. ينزه ذاته عن كل نقص
وآفة اهل السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض
ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال
والطير. على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها
بقوله صافات. فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو
صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع
ولطف تدبيره. كل. كل واحد مما ذكر او من الطير. قد علم صلوته وتسبيحه
اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله. والله عليم بما يفعلون
او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال
من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء. ولله ملك السموات والارض
فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة
الانتهاء الى الواجب. والى الله المصير. مرجع الجميع. الم تر ان الله يزجي سحابا. يسوق
ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد. ثم يؤلف بينه. بان يكون قزعا
فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه. ثم يجعله ركاما
متراكما بعضه فوق بعض. فترى الودق. المطر. يخرج من خلاله. من فتوقه جمع
خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله. وينزل من السماء. من الغمام وكل ما علاك
فهو سماء. من جبال فيها. من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها. من
برد. بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول
وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في

والشعر المذكور لذي الرمة من قصيدة حائية له والنأي البعد والرسيس الثابت والمراد القديم العهد وهو من اضافة الصفة للموصوف وفيه اشارة الى ان كاد كغيرها في النفي والاثبات لا ان نفيها اثبات واثباتها نفي مطلقا او في بعض الاحوال كما زعمه بعض النحاة شهاب وههنا تفصيل وتحقيق للمحقق الفاضل فان شئت راجعه

قوله او علم كل اشارة الى الوجه الثاني وهو رجوع ضمير علم الى كل وقوله على تشبيه حاله اي حال كل وظاهره ان المراد بكل علمه او كل منها ومن الملائكة والثقلين لا كل مسبح وذا يصح ان الحال لتشبيه بحال ذا لا علم له وان جاز لان الدلالة على الحق اي تنزيهه الجميع والميل الطبعي الى النفع في الحيوانات وقد يوجد في الجماد كميل الاشجار الى الماء ونحوه وعليها فالاستعارة تمثيلية لا تبعية شهاب

العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد
البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل
بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج
وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة
لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو
وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهو المقدار من البرق
كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب
على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما و
زيادة الاخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك
ان فى ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولى الابصار لدلالة على وجود الصانع
القديم وكمال القدرة واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما
يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (قدرته) والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ
حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص
هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة
وقيل من ماء متعلق بدابة وليس بصلة لخلق فمنهم من يمشى على بطنه كالحية وانما
سمى الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشى على رجلين
كالانس والطير ومنهم من يمشى على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء
والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق فى
القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف
الصور والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيته ان الله على كل شىء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا ايات مبينات
للحقايق بانواع الدلايل والله يهدى من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها
الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون
امنا بالله وبالرسول نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف

قوله وقرئ يذهب اى بضم الياء من الاذهاب المتعدى بنفسه والباء زايدة اذ لا يجتمع اداتا تعدية وان جوزه بعضهم وقيل الباء بمعنى من والمفعول محذوف اى يذهب النور من الابصار شهاب

الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه السلام وقيل فى مغيرة بن وايل خاصم عليا فى ارض
فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اى واطعنا لهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول
حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة
الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم تؤمن
قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم
ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم اى ليحكم النبى فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر
الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون
فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى
ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اى الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين
لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افى قلوبهم
مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان راوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم
بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فى الحكومة بل اولئك هم الظالمون
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما
لخلل فيهم او فى الحاكم و الثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل
لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان
قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
واولئك هم المفلحون على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق والمبطل والتنبيه على ما ينبغى
بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى
ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او فى
الفرايض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقى من عمره
وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون
القاف فشبه تقه بكتف وخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا
بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم
ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة
اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة
معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما
تعملون فلا يخفى عليه سرايركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ

قوله وسلب الايمان اى قوله وما اولئك بالمؤمنين فيه عدم ايمانهم ليس لتوليهم لاقتضائه الفاء بل الامر بالعكس وترتبه على فرق بين العدم والسلب ويقابل الاول الوجود والثانى الايجاب والمراد بالحكم بانتفاء اسم الايمان لظهور امارة التكذيب الذى هو التولى يعنى انه ذكر بعده ليتضح لنا وجه الحكم بنفى وجود الايمان عنهم فتأمله شهاب
قوله وهو شرح للتولى يعنى بهذا القول وهو الجملة الشرطية شرح لتوليهم المذكور مجملا وقصد بجزائها اذا الفجائية مبالغة فيه سعدى

قال النفاعى لا تقدير فيه وطاعة مبتدا خبره معروفة وسوغ الابتداء بالنكرة انها اريد بها الحقيقة فتعم والعموم من المسوغات ولم تعرف لئلا تتوهم ان تعريفها للعهد والجملة تعليل للنهى اى لا تقسموا فان الطاعة معروفة منكم لا تخفى وكذا المعصية فلا فائدة فى اظهار ما يخالف الواقع كما ورد فى حديث اعمل عملا الا كما التقدير ذاته ونحوه وهو معنى حسن لكنه خلاف الظاهر من الحاشية الشهابية

ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم • فإن تولوا فإنما عليه • على محمد • ما حمل
من التبليغ • وعليكم ما حملتم • من الامتثال • وإن تطيعوه • في حكمه • تهتدوا
إلى الحق • وما على الرسول إلا البلاغ المبين • التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى
وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم وإن توليتم فعليكم • وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات • خطاب للرسول والأمة • أو له ولمن معه • ومن للبيان
ليستخلفنهم في الأرض • ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في
ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم • أو الوعد
في تحققه منزل منزلة القسم • كما استخلف الذين من قبلهم • يعني بني إسرائيل استخلفهم
في مصر والشام بعد الجبابرة • وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام وإذا ابتدأ ضم الألف والباقون
بفتحها وإذا ابتدؤا كسروا الألف • وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وهو
الإسلام بالتقوية والتثبيت • وليبدلنهم من بعد خوفهم • من الأعداء • أمنا • منهم
وكان رسول الله وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم
بلاد الشرق والغرب • وفيه دليل على صحة النبوة • للإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة
الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالإجماع • وقيل الخوف من
العذاب والأمن منه في الآخرة • يعبدونني • حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن • لا يشركون بي شيئا • حال من الواو
أي يعبدونني غير مشركين • ومن كفر • ومن ارتد أو كفر هذه النعمة • بعد ذلك • بعد
الوعد أو حصول الخلافة • فأولئك هم الفاسقون • الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا
بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة • وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وأطيعوا الرسول لعلكم • في سائر ما أمركم به • ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا فإن
الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة
بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون • كما علق به الهدى • لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الأرض • ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم • وفي
الأرض صلة معجزين • وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو
في القراءة بالتاء • أو الذين كفروا فاعل والمعنى لا يحسبن الكفار في الأرض أحدا معجز الله
فيكون معجزين في الأرض مفعوليه • أو لا يحسبوهم معجزين فحذف المفعول الأول لأن الفاعل
والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث • ومأواهم النار • عطف عليه من
حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لأن المقصود من النهي عن

الحسبان

وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف

قوله عشر سنين فيه أنه مخالف لما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلث عشرة سنة وموافق لمن قال إن عمره صلى الله عليه وسلم ستون سنة فإنه بعث على رأس أربعين وأقام بالمدينة عشر سنين بلا خلاف قلت اختلف الروايات في سنه عليه السلام فقيل ثلث وستون وقيل ستون والأول أصح شهاب

وفي نسخة أحدا يعجز الله

الحسبان نفي تحقيق الإعجاز • ولبئس المصير • المأوى الذي يصيرون إليه • يا أيها الذين
آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم • رجوع إلى تتمة الأحكام السالفة بعد الفراغ
عن التمثيلات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها والوعد والوعيد
على الإعراض عنها • والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال • لما روي أن غلام
أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت • وقيل أرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو
نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا
أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية • والذين لم يبلغوا الحلم منكم • والصبيان الذين لم
يبلغوا من الأحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله • ثلاث مرات • في اليوم
والليلة مرة • من قبل صلوة الفجر • لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم
ولبس ثياب اليقظة • ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات • أو الرفع خبرا لمحذوف
أي هي من قبل صلوة الفجر • وحين تضعون ثيابكم • أي ثيابكم لليقظة للقيلولة • من
الظهيرة • بيان للحين • ومن بعد صلوة العشاء • لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف • ثلاث عورات لكم • أي هي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم • ويجوز أن يكون
مبتدأ وخبره ما بعده • وأصل العورة الخلل • ومنها أعور المكان ورجل أعور • وقرأ أبو بكر
وحمزة والكسائي ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات • ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن •
بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان • وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لأنه
في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين • طوافون عليكم • أي هم
طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة
وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا الفرق بين الأوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات •
بعضكم على بعض • بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض • كذلك • مثل ذلك
التبيين • يبين الله لكم الآيات • أي الأحكام • والله عليم • بأحوالكم • حكيم • فيما شرع
لكم • وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم •
الذين بلغوا من قبلهم في الأوقات كلها • واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على
سيدته • وجوابه أن المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون
فيهم • كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم • كرره تأكيدا ومبالغة في الأمر
بالاستئذان • والقواعد من النساء • العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل • اللاتي لا يرجون
نكاحا • لا يطمعن فيه لكبرهن • فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن • أي الثياب

قوله أن لا يدخلوا إلا بإذن • ويشهد له رواية القرطبي وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا ويجوز أن يكون على تقدير المضاف أي إرادة أن لا يدخلوا تعليلا لوددت أو نهى كأن الإرادة بمعنى الطلب فيكون صيغة النهي لغير الطلب أو على حذف الجار أي لئلا يدخلوا سعدي

الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة
الخير والثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت
احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا
لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما
هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير في الامور انما المؤمنون
اى الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه
على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر
بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول
الله فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه
عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن
مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم
ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم
تفويض للامر الى راى الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه
ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فاذن لمن
علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور
لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير
عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه
اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير
اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه
وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن
بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا
تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب
او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه
مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظير
تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن
يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفو

قوله وتفخيم الاحكام المستفاد من لفظ ذلك الموضوع للاشارة الى البعيد فانه قد ينزل بعد المكانة منزلة البعد الكانى قوله بما هو المقتضى لذلك اى التبيين وهو علمه وحكمته تعالى سعد قوله فصل الخفيف اى اورده في الفاصلة ما هو المقتضى الكبير عليم حكيم لاقتضاء العلم والحكمة التبيين والمقصود منه تعقله لما ذكر هنا شهاب

قوله واستدل به اي بهذه مسئلة التفويض المذكورة في الاصول وليست مسئلة الاجتهاد كما توهم والمانع لها المعتزلة وليس الخلاف في ان يقال الحكم بما شئت ثبوتا فانه متفق على جوازه بل ان يقال الحكم بما شئت تشهيا كيف ما اتفق كما في العضد فلذلك قال ومن منع الخ ومفوضة خبر بعض انث لاضافته الى المؤنث شهاب

الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها
غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن
واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها
والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء
الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع
لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة
الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم
التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة
قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم او اولادهم او اقاربهم فيطعمونهم كراهة
ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة
او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى
طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك
وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت
امهاتكم وقرا حمزة بكسر الالف والميم والكسائي بكسر الالف وفتح الميم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا
وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم
او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد
والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك
خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج
للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل
وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا
عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في القزازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا
من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين منكم دينا وقرابة تحية من
عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صفة للتحية فانها طلب

قوله حذف المفعول وهو المؤمنين لا الرسول دون المؤمنين اي خلاف المؤمنين فانهم لا يخالفونه كما قيل لانه ابهم فان معنى مخالفة من حيث الفعل او الترك قبل ومنه ظهر انه لا يناسب كون المفعول الرسول سيما اذا عاد ضمير امره اليه فافهم
سهاب

يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته • وعن لتضمينه معنى
الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه والضمير
لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر • ان تصيبهم فتنة
محنة في الدنيا • او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة • واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه
يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب • الا ان لله
ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه • ايها المكلفون من المخالفة والموافقة
والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد • ويوم يرجعون اليه
يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق
الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم • فينبئهم بما عملوا • من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه • والله بكل شيء عليم • لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر
خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان
البركة تتضمن معنى الزيادة • وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على
تعاليه • وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف
فيه ولا يستعمل الا لله تعالى • والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به
القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه
عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او
الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية • ليكون العبد او الفرقان • للعالمين
نذيرا • للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار • وهذه الجملة وان لم تكن
معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلومة وجعلت صلة • الذي له ملك
السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب • ولم يتخذ ولدا
كزعم النصارى • ولم يكن له شريك في الملك • كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى
ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه • ثم نبه على ما يدل عليه فقال • وخلق كل شيء •
احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة
وصور واشكال معينة • فقدره تقديرا • فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص
والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة

قوله يدل على حسنه اي حسن الحذر لا مر التقدير به وقد قال ان الله لا يأمر بالفحشاء فذلك الحسن معلوم باخبار الشارع لانه حكيم لا يأمر بما ليس فيه حسن وهو غير مخالف لمذهب الاشعرية الذين منهم المص اذ الحسن والقبح عندهم شرعيان قوله بقيام المقتضي له وهو الترك وضميره للعذاب لا للحذر كما توهم قوله اي لا يحسن الحذر عن العذاب الا بعد وجود المقتضي للعذاب وهو ترك المأمور به بقرينة قوله يخالفون وقوله وذلك اي قيام مقتضي الحذر يستلزم وجوب ترك المحذر عنه وهو مخالفة الامر فيلزم وجوب امتثاله فيكون للوجوب وهو المطلوب
سهاب

قوله لما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدره تكرار لان الخلق فيه معنى التقدير فكانه قيل وقدر كل شيء فقدره واشار الى دفعه اولا بقوله فقدره وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرع عليه لغة فان الاول عبارة عن تسوية المحدث في علم الازل لما اوجبته الحكمة بتعيين ذاته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة بحال وجوده والتقدير المتفرع عليه بالفاء عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المترتبة على وجوده فلا تكرار فكانه قيل اوجد كل شيء على تقدير اوجبته الحكمة وقدره لما يصلحه ... بقوله فقدره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى متفرع على الخلق ... الاحداث المرعي فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشيء يكون بعد احداثه كانه قيل احدثه فجعل لوجوده غاية ... وثالث بقوله وقد يطلق الخلق

وهمزاولة

ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك • او فقدره للبقاء الى اجل مسمى • وقد يطلق الخلق
لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في
ايجاده حتى لا يكون متفاوتا • واتخذوا من دونه آلهة • لما تضمن الكلام اثبات التوحيد
والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما • لا يخلقون شيئا وهم يخلقون • لان عبدتهم ينحتونهم
ويصورونهم • ولا يملكون • ولا يستطيعون • لانفسهم ضرا • دفع ضر • ولا نفعا • ولا
جلب نفع • ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا • ولا يملكون اماتة احد واحياءه
اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما
ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء • وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك • كذب مصروف عن وجهه • افتراه • اختلقه • واعانه عليه قوم
آخرون • اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته • وقيل جبر
ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر • فقد جاؤا ظلما • بجعل الكلام
المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود • وزورا • بنسبة ما هو بريء منه اليه • واتى
وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته • وقالوا اساطير الاولين • ما سطره
المتقدمون • اكتتبها • كتبها لنفسه • او استكتبها • وقرئ على البناء للمفعول لانه
امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه
كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه • فهي تملى عليه بكرة واصيلا •
ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب • قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض • لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات
مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين •
انه كان غفورا رحيما • فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا • وقالوا مال هذا الرسول • ما لهذا الذي يزعم الرسالة
وفيه استهانة وتهكم • يأكل الطعام • كما نأكل • ويمشي في الاسواق • لطلب المعاش كما نمشي
والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات
فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله
انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد • لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا •
لنعلم صدقه بتصديق الملك • او يلقى اليه كنز • فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش
او تكون له جنة يأكل منها • هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون
له بستان كما للدهاقين والمياسير • نأكل • وقرأ حمزة والكسائي بالنون • وقال الظالمون •
وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه • ان تتبعون • ما تتبعون

قوله لانه امي بيان لوجه هذه القراءة واختيارها لان القراءات غير قياسية وقوله وبني الفعل للضمير فيه تسمح والمراد بني للمفعول واسند للضمير فتخريجها بناء على جواز اقامة المفعول الغير الصحيح مع وجود الصحيح كما جوزه الرضي وان منعه بعض النحاة
سهاب

الا رجلا مسحورا فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اى بشرا لا ملكا انظر كيف
ضربوا لك الامثال اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة
فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط
عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح فى نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك
الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير
وابقى جنات تجرى من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل
الجزاء وقراء ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه
الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم ويجوز
ان يكون استينافا بوعد ما يكون له فى الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل
كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى
بالمال وطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او
فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك فى الاخرة او فلا تعجب تكذيبهم
اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديد الاستعار وقيل
هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه
السلام لا تتراءى ناراهما اى لا يتقاربان بحيث يكون لاحدهما بمرأى من الاخر على المجاز
والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا
لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو
صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان
يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على
حذف المضاف واذا القوا منها مكانا فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا
لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان
عرضها كعرض السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دعوا هنالك فى ذلك المكان ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادون فيقولون
يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال لهم ذلك
وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه
يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
او لانه لا ينقطع فهو فى كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون
الاشارة الى العذاب والاستفهام والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع
الى الموصول محذوف واضافة الخلد الى الجنة للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات

الدنيا

الدنيا كانت لهم فى علم الله او اللوح او لان ما وعده الله فى تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم
بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم
مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن
ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص
لا يدرك شأو الكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة خالدين
حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود
اى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس فى دعائهم ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك والملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم
وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان
تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم نحشرهم للجزاء وقراء
ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وقرئ بكسر الشين وما يعبدون من دون الله يعم كل
معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه لعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف
او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا
لغلبة عبادها او تخص الملائكة وعزيرا والمسيح او القرينة السؤال والجواب او الاصنام
ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل فيقول اى المعبو
وهو على تلوين الخطاب وقراء ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم
ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع
وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود
بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة
ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون او
جمادات لا تقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق
بهم اضلال عبيده او تنزيها لله تعالى عن الانداد ما كان ينبغى لنا ما يصح لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا
دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله واتخذ الله ابرهيم
خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفى ولكن
متعتهم واباءهم بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن
ذكرك او التذكر لالائك والتدبر فى اياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم
واسناده الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا تنتهض حجة علينا
للمعتزلة وكانوا فى قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى

فيه للواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج
والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة
او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على
خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار
والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهي
التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة
المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون
حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه
دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا
به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون
لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة و
اصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى
جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرنا بصدق
محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا
في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في
اكمل اوقاتها او ما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى
مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه
مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب
بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر
وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او بشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع

جساس هو ابن مرة الشيباني وجارته امرأة اسمها بسوس
هي خالته والناب ناقة بسوس رماها كليب بسهم فقتلها
فغضب بسوس [illegible] فقال لنقتلن غدا فحلا هو اعظم
من ناقتك وانما عني به كليبا فقتله وابأنا اي قتلنا [illegible]
وهو التساوي في القود وابأنا بنابها بدليته والمعنى ان كليبا
مع عظم شانه [illegible] ناقة [illegible] في القتل [illegible]
[illegible] ناقة [illegible] حسن والشعار [illegible]
[illegible] كليب اي غلت ناقة [illegible] كليبا [illegible]
[illegible] ذكره الشيخ في [illegible] وفيه نزعة اعتزالية [illegible]
[illegible] لم يتفطن بها الشراح [illegible]
[illegible] على غرة [illegible]

لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة
المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا
على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهي مما يقولون
عند لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى
وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك
لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف
وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وحال اعمالهم
بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء
غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم
المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو
اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله
كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر
الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج و
التمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ
لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من
الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في
الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في
النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر
ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف يف
اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل ونزل الملائكة ونزل بحذف
نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه
فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر
يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه
من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها
من روادفه والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام

فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف
صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا ولكن ابى ان لا ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت
منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا
فى دار الندوة ففعل فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم
بدر فامر عليا بقتله وطعن ابيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات • يقول يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سبيلا • طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب بى طرق
الضلالة • يا ويلتى وقرى بالياء على الاصل ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا • يعنى من اضله
وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلنى عن الذكر عن ذكر الله •
او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى • وتمكنت منه وكان الشيطان
يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن
وانس للانسان خذولا • يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان • وقال
الرسول • محمد يومئذ او فى الدنيا بثا الى الله تعالى يا رب ان قومى قريشا اتخذوا هذا القرآن
مهجورا • بان تركوه وصدوا عنه • وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه
او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف
الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول • وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا
الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب • وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين • كما جعلناه لك
فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع • وكفى بربك هاديا
الى طريق قهرهم • ونصيرا لك عليهم • وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن • اى انزل عليه كخبر
بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة • دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل
تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان التفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله
كذلك لنثبت به فؤادك • اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه
لان حاله يخالف حال موسى وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة تعنى بحفظه و
لعله لم يستتب له فان التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة
وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده • ومنه معرفة الناسخ والمنسوخ • ومنها
انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة • وكذلك صفة مصدر محذوف
والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف • ورتلناه ترتيلا • وقراناه عليك
شيئا بعد شىء على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة او ثلث وعشرين • واصل الترتيل فى الاسنان وهو

ولاشارة الى انزاله مفرقا فانه
مدلول عليه بقوله لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة وقيل
ان يكون من كلام الكفرة ولذلك
وقف عليه فيكون حالا
او القرآن لا صفة
مصدر محذوف

تعليلها • ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك
الا جئناك بالحق الدامغ له فى جوابه • واحسن تفسيرا • وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم
او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك
فى حكمتنا ما هو احسن كشفا لما بعثت له • الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم • اى
مقلوبين او مسحوبين اليها • او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه
عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام
وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدا خبره • اولئك شر مكانا واضل
سبيلا • والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله • قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه • كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسؤلة تحقير مكانه
وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا • وقيل انه متصل بقوله
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا • ووصف السبيل بالضلال من الاسناد
المجازى للمبالغة • ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا • يوازره
فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المشاركين فى الامر متوازران
عليه • فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا • يعنى فرعون وقومه • بآياتنا فدمرناهم تدميرا
اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود
منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم ٢
لا الوقوع وقرى فدمرانهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة • وقوم نوح لما كذبوا
الرسل • كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل
او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة • اغرقناهم • بالطوفان • وجعلناهم • وجعلنا اغراقهم او
قصتهم للناس آية • عبرة • واعتدنا للظالمين عذابا اليما • يحتمل التعميم والتخصيص فيكون
وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم • وعادا وثمودا • عطف على هم فى جعلناهم او على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرى وثمود على تاويل القبيلة • واصحاب الرس • قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت ٢
فخسف الله بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه
فهلكوا • وقيل الاخدود • وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار • وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان
النبى ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذى يقال له فتح او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا
فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه
اى دسوه فى بئر • وقرونا • واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل

قوله او متعلقة قلوبهم اى هو كناية عما ذكر او استعارة تمثيلية
لان من تعلق قلبه بشىء توجه اليه بوجهه والمراد بالسفليات
الدنيا وزخارفها وما لهم فيها ولعل كون هذه بحال فى الحشر
باعتبار بقاء آثارها فتامل

مائة وعشرون. بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله. وكلا ضربنا له الامثال
بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا
تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه
ضربنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له. ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على
القرية التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة. افلم
يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله. بل كانوا لا يرجون
نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها
كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا او لا يخافون على اللغة
التهامية. واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به
أهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث
الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا
أهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا. ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا
عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها
حجج ومعجزات. لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها. ولولا في مثله
تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه
وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم. ارأيت من اتخذ الهه هويه بان اطاعه
وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية. افانت تكون
عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب
والثاني للانكار. ام تحسب بل أتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات
والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه
وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق واستكبر استكبارا وخوفا على الرياسة
ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من
الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن
اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم
تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد
الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون

ويستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم. الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل
كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام
لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك
فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف
مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر
الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل
ممدود. ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس
مقيمة على وضع واحد. ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها
على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها. ثم قبضناه الينا اي ازلناه
بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى
نفسه الذي هو في معنى الكف. قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك
مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور
او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها
فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا
عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهديه فانه يتفاوت
بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او
قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها. وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره. والنوم سباتا راحة للابدان
بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا لقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة
ومنه المسبوت للميت. وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش
او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر. وهو الذي ارسل الرياح
وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس. نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر
بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا
تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر. بين يدي رحمته يعني قدام المطر. وانزلنا من
السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود
لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب
فيه ان يغسل سبع مرات احداهن بالتراب. وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه
قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب. وتوصيف الماء به اشعار

بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها
على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات
وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك
نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم
وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها
الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالات على عظم القدرة فهو لتعداد انواع
النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معاشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى
لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في
ظربان على ان اصله اناسين فقلب النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول
بين الناس في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عام امطر من عام
ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا
ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف
عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها
من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما
لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة و
اظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين و
جاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون
في ابطال الحق فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة
السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم
مع عتوهم وظهورهم اكبر او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كل القرى وهو الذي
مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ
ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته
وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا

وذلك كدجلة يدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب
النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل
والاختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في
الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة
البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا
اي قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا
اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة
توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام
او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه
ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا
مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسئلكم
عليه من اجر على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء
الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة
فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا كليا للشبهة
الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه
بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم
فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل
عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد
الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد
سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه
الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة
نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ
وللمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فسئل

به خبيرا. فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل
او من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه. وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على
الله فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون
الرحمن مبتداء والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء
لتضمنه معنى الاعتناء. وقيل انه صلة خبيرا. واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما
تامرنا اى الذى تامرناه يعنى تامرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان. وقيل لانه كان
معربا لم يسمعوه وقرء حمزة والكسائى وقرء الباقون يامرنا بالياء على انه قول بعضهم
لبعض وزادهم اى الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان. تبارك الذى جعل فى السماء
بروجا. يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره. وجعل فيها سراجا يعنى الشمس لقوله
وجعل الشمس سراجا وقرء سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار. وقمرا منيرا. مضيئا
بالليل وقرئ وقمرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد و
العرب والعرب. وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الاخر بان
يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة
من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر. ان يتذكر الاء الله ويتفكر فى صنعه ويعلم انه لا
بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد. او اراد شكورا. ان يشكر الله على ما فيه
من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الاخر
وقرء حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه. وعباد
الرحمن. مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم
الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر
وتجار هونا. هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة
وتواضع. واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا
ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا تنافيه اية القتال لنسخه
فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام. والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما. فى الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد عن الرياء وتاخير
القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه. والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما. لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن
مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه

عنهم

قوله تسلما منكم ومتاركة فهو منصوب على المصدرية لانه مصدر مؤكد لفعله المضمر الذى قام مقامه فالتقدير نسلم منكم تسلما والجملة مقول القول والسلام المتاركة وهذا المعنى كثير فى كلام العرب وفى كتاب سيبويه قالوا سلاما اى برأة منكم لانها مكية ولم يؤمر المسلمون بمكة ان يسلموا على المشركين وانما هذا لحلى برأة منكم وتسلما لا خير بيننا وبينكم ولا شر انتهى والى هذا اشار الزمخشرى وتبعه المصنف رحمهم الله
من الشهاب

لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اى
بئست هى مستقرا ومقاما. وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف
به ترتبط الجملة باسم ان او لخزنت. وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز. والجملة تعليل
للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى. والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم. ولم يقتروا. ولم يضيقوا تضييق الشحيح
وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب. وقرء الكوفيون بفتح الياء وضم
التاء. وابو عمرو وابن كثير بكسر التاء. ونافع وابن عامر بضم الياء من اقتر. وقرئ بالتشديد
والكل واحد. وكان بين ذلك قواما. وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما
سمى سواء لاستوائهما. وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو
خبر ثان او حال مؤكدة. ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا. وقيل انه اسم كان لكنه مبنى
لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيئ عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله. اى حرمها بمعنى
حرم قتلها الا بالحق. متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون. ولا يزنون. نفى عنهم
امهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر
المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا
لهم فقال. ومن يفعل ذلك يلق اثاما. جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء. وقرئ اياما اى شدائد
يقال يوم ذو ايام اى صعب. يضاعف له العذاب يوم القيمة. بدل من يلق لانه فى معناه
كقوله. متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا. تجد حطبا جزلا ونارا تاججا. وقرء ابو بكر بالرفع على
الاستيناف او الحال وكذلك. ويخلد فيه مهانا. وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم
وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا. وقرئ مثقلا ونضعف له
العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر. ويدل عليه قوله الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات. بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة
الطاعة. وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا
وكان الله غفورا رحيما. فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات. ومن تاب عن
المعاصى بتركها والندم عليها. وعمل صالحا. يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى
الطاعة. فانه يتوب الى الله. يرجع الى الله بذلك متابا. مرضيا عند الله ماحيا للعقاب
محصلا للثواب. او يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى

قوله والابتداء فيكون تعليلا لما يقولون ويحتمل المخالفة بجعل احدهما مقولا والاخر تعليلا ثم انه يجرى فى كل منهما الوجهان
شهاب

قوله نفى عنهم امهات المعاصى وهى الشرك والقتل والزنا واصول الطاعات المالية والبدنية من العبادات والانفاق والاجر الموعود فى قوله اولئك يجزون الخ وقوله ولذلك اى لقصد التعريض وقوله اضداده اى النفى والثبوت
شهاب

البيت المذكور استشهد به النحاة على الابدال من الشرط فتلمم بمعنى تنزل وتنا متعلق به بدل من تاتنا والاستشهاد به لمجرد الابدال من المجزوم الشرط وليس بمجزوم جوابا لعدم الفائدة فيه والحطب الجزل اليابس الكبير
شهاب

قوله ويدل عليه اى على ان الانضمام المذكور وجه الدلالة ان استثناء التائب عن الكفر والمعصية جميعا يدل على ان جعلهما معطوفين المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى جميع المعاصى فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع الشرك
شيخ زاده رحمه الله

قوله او بان يثبت له لانابته واستغفاره وقد ورد فى الحديث ليتمنين اناس يوم القيمة لو انهم استكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات
شهاب

قوله عن المعاصى اى تركها وقوله او خرج عن المعاصى اى جنسها وان لم يفعله وجه الفرق بينهما وقوله يرجع الى الله بذلك اى بالتوبة والعمل الصالح فهو رجوع مخصوص وبهذا تبين مغايرة الجزاء للشرط
شهاب

الله والى ثوابه مرجعاً حسناً وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون
الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا
باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراماً معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه
والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صماً وعمياناً
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين
باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني
زيد مسلماً وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في
طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم
به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسداً وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيماً وتقليلها لان المراد اعين المتقين
وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماماً يقتدون بنا في امر الدين
باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم
طفلاً او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة
لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين
بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم
في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق
من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاماً
دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضاً ويسلم
عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي
خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون حسنت مستقراً ومقاماً مقابل ساءت
مستقراً معنى ومثله اعراباً قل ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته
او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة
والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما
ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما
اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ
فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم

من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاماً يكون جزاء التكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة
او اثره لازماً بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه
الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاماً بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب
فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية ٢٢٦ ٢٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة
والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه
حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته
والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك
واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح
وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة
ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات
العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد به الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس
لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل
انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه
الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضاً عنه واصراراً على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم
وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء المخبر به ضمناً في قوله فسيأتيهم
اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزؤن من انه كان
حقاً ام باطلاً وكان حقيقاً بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم
يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير
المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى في بابه وههنا يحتمل ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة وان يكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف او في كل
واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ الرحمة والنعمة وما كان اكثرهم مؤمنين
في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز

قوله لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا قدر ذلك لان قوله ان لا يكونوا مؤمنين تعليل لقوله لعلك باخع نفسك وليس فعلاً لفاعل الفعل المعلل فكان المناسب ذكر حرف التعليل وانما ترك لان في ان دلالة عليه او لان ذلك فعل لكن بتقدير مضاف ومر نحو قال الخيفة ان لا يؤمنوا

قوله جواب لما يقال كيف عطف الماضي على المستقبل بحرف التعقيب او الفاء السببية والماضي يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مسبباً عنه وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلاً لفظاً الا انه في قوة الماضي لانه لو ورد بدله لفظ الماضي لكان صحيحاً كما عطف اكن المجزوم على اصدق المنصوب لكونه في موضع الجزاء

قوله صنف اشارة الى ان الزوج ليس بمعناه احد القرينين من ذكر وانثى بل بمعنى نوع له نبات شتى اي انواع متشابهة وقوله كريم صفة بمعنى محمود مرضي لا بمعنى معطي

الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر
الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت
اى ائت او بأن ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم
قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان
فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له
من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا
عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجراهم مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه
مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره
وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا
يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى
ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر
على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازديادا الحبسة في اللسان
بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته
وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد
عذر منه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة
ما خاف ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل
القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف
ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
كما ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له
الى الطلبتين بوعده الدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب
في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع
يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته انا معكم يعنى موسى وهرون وفرعون
مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة
قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامدادا وليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك
تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات
وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد
كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى

او

قوله ويحتمل ان اشارة الى ان الا كلمة واحدة للعرض وياء ندائية اسقطت الفها لالتقاء الساكنين وحذف المنادى كما في الآية المذكورة ورسم باسقاط الالفين مخالف للقياس وما بعده فعل امر سهاب قوله رتب الترتيب من فاء فارسل والفتح والاشتراك من السياق وقوله معنى في محل آخر ومفعول ارسل محذوف اى ملكا او جبريل عليه السلام سهاب

قوله والخطاب لان السياق يقتضى عدم حضور هارون ولا ينافى ما ذكره في تفسير قوله اذهب انت واخوك وقوله لانه معطوف تعليل للتغليب لان كلا بمعنى ارتدع يا موسى فالخطاب له فقط وخطاب غيره بالتبعية والفاء تقتضيه فيه كما قبله وهو قوله فارسل وقيل انها فصيحة وقد قيل ان هارون كان اذ ذاك بمصر سهاب عليه الرحمة

قوله مستمعون الحقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء وهو آلة حاسة السمع الجهة الكلام والله تعالى منزه عن ذلك فسر مستمعون بسامعون وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه منتزعة من عدة امور واشار اليه بقوله مثل نفسه سحا وههنا بحث طويل ذكره الشهاب فراجعه ان شئت

او لاتحادهما في الاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل
معنا بنى اسرائيل اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم
يذهبوا معنا الى الشام قال اى فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا
في منازلنا وليدا طفلا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل
لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقى بعد
الغرق خمسين وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ما عدد
عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتى حتى
عمدت الى قتل خواصى او ممن تكفرهم الآن بالمخالفة فانه كان عليه السلام يعايشهم بالتقية
بالمخالفة فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته
او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا
من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من
المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤل اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين
من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما حكمة وجعلنى
من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم
يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه
مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل اى وتلك التربية نعمة
تمنها على ظاهرا وهى في الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب
في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه
قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو
بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال
رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف
الافراد بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اى ان كنتم
موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها
وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ
لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض
الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله
الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات
وهى واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر

قوله وبخه به اى بذلك القتل وتعظيم القتل بما في الموصول من الابهام الذى يستعمل لذلك كما في نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم كانه امر لا يمكن الاحاطة به ومعرفة كنهه سهاب

قوله او ممن تكفرهم بصيغة المجهول وفي نسخة بكفرهم من الاكفار او التكفير وكلاهما مستعملان والاول هو الاشهر والمعنى من جملة القوم الذين ادعيت كفرهم الآن وبذا الحكم منه بناء على ما عرفه من ظاهر حاله لاختلاطه بهم والتقية معهم بعدم الانكار كما اشار اليه المص والا فالانبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها سهاب

وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعى اليك وحصولى في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت بنى اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى الخصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل صح صح

قوله لما امتنع تعريف الافراد لان الفرد المعين لا يحد وانما يعرف بالاشارة وهى غير ممكنة في حقيقته وانما يعرف بخواصه وتشخصاته ومع ذلك فالاشارة الحسية ممتنعة في حقه تعالى والمراد بتعريفه بيان حقيقته سهاب

قال ربكم ورب ابائكم الاولين • عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك فى
افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التامل • قال ان رسولكم
الذى ارسل اليكم لمجنون • اسائله عن شئ ويجيبنى عن اخر وسماه رسولا على
السخرية • قال رب المشرق والمغرب وما بينهما • تشاهدون كل يوم انه ياتى بالشمس
من المغرب ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على
وجه نافع ينتظم به امور الكائنات • ان كنتم تعقلون • ان كان لكم عقل علمتم
ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم
بمثل مقالهم • قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين • عدولا الى
التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج • واستدل به على
ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بان يقول الا تستمعون من نسبة
الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه
استحق العبادة من اهله • واللام فى من المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجونى
فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك • قال
اولو جئتك بشئ مبين • اى اتفعل ذلك ولو جئتك بشئ مبين صدق
دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة
على صدق مدعى النبوة • فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل • قال فات به
ان كنت من الصادقين • فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لا بد له من
حجة • فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين • ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر • ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين • روى
ان فرعون لما راى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق • قال للملا حوله • مستقرين
حوله فهو ظرف وقع موقع الحال • ان هذا لساحر عليم • فائق فى علم السحر • يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون • بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى
الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره
واستيلائه على ملكه • قالوا ارجه واخاه • اخر امرهما وقيل احبسهما • وابعث فى المدائن
حاشرين • شرطا يحشرون السحرة • ياتوك بكل سحار عليم • يفضلون عليه فى هذا
الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائى • وقرئ بكل ساحر • فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم • لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة • وقيل
للناس هل انتم مجتمعون • فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول

قوله واستدل به اى بما ذكر هنا بقوله وما رب العالمين على ان فرعون كان يدعى الالوهية وان كان قوله ويذرك والهتك يقتضى انه يشرك ولذا قال ... بهذا انه كان يدعى الالوهية لنفسه وله الهة ايضا وهذا بعيد شهاب

تابط

تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا • او عبد رب اخا عون بن مخراق • اى ابعث احدهما
سريعا • لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين • لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا
الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين • قال نعم وانكم اذا لمن المقربين • التزم لهم الاجر والقربة عنده
زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء • وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون • اى بعد ما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون
نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة
توسلا به الى اظهار الحق • فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان
يؤتى به من السحر • فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف • تبتلع وقرا حفص بالتخفيف
ما يافكون • ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعى او افكهم تسمية للمافوك به مبالغة • فالقى السحرة ساجدين • لعلمهم بان
مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان
التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله • ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا
انفسهم كانهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق • قالوا امنا
برب العالمين • بدل من القى بدل الاشتمال او حال باضمار قد • رب موسى وهرون • ابدال
للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما • قال امنتم له قبل
ان اذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر • فعلمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم او فوا
دعكم فى ذلك وتواطاتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة
وظهور حق وقرا حمزة والكسائى وابو بكر وروح ءامنتم بهمزتين • فلسوف تعلمون
وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين • بيان له
قالوا لا ضير • لا ضرر علينا فى ذلك • انا الى ربنا منقلبون • بما توعدنا به فان الصبر عليه
محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها و
ارجاها • انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا • لان كنا • اول المؤمنين • من
اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت
اليك فلا تنس حقى • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى • وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا • وقرا نافع وابن كثير ان اسر

المدل بامره اى المتحقق له الواثق به يقال فلان يدل بفلان اى يثق به قاله الجوهرى ... وفى الشهاب ...

عنيا

بعبادي وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا
عتوا وفسادا وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ أن سر من
السير إنكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا
اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكون على أثركم
حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم فأرسل فرعون حين أخبر بسراهم
في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون على إرادة القول وإنما
استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالإضافة إلى جنوده إذ روي أنه خرج وكانت
مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع
وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل وإنهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا
وإنا لجميع حاذرون وإنا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور أشار أولا
إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم
ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك إلى أهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه
وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والأول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي
في السلاح وهو أيضا من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال أي أقوياء
قال أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر أو تامون في السلاح
فإن ذلك حدارة في أجسامهم فأخرجناهم بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب
فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية
كذلك مثل ذلك الإخراج فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام
أو الأمر كذلك فيكون خبرا لمحذوف وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم وقرئ فاتبعوهم
مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل
واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال أصحاب موسى إنا لمدركون لملحقون
وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على
أيديهم قال كلا لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم إن معي ربي بالحفظ والنصرة
سيهدين طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت
فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأوحينا
إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق أي فضرب فانفلق وصار
اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره
فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وأزلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه
حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين بحفظ البحر على

تلك

قوله لحب الصبي إلخ يقول أحب بعض الصبيان وإن كان قبيحا لحب أمه وقد أبغض الصبي لبغض أمه وإن كان حسنا [illegible] عن حسنه بكونه حادرا وحدارته لجسامته وأراد به القوة هنا — شهاب

قوله وأورثناها إلخ استعارة أي ملكناها لهم تمليك الإرث بعد غرقهم أو بعد إغراق الفراعنة إن قيل إنهم دخلوها وملكوها لكن المذكور في التواريخ أنهم لم يدخلوها في حياة موسى عليه السلام وضمير فاتبعوا الفاعل للقوم فرعون والمفعول لبني إسرائيل أي اتبعوا أنفسهم بني إسرائيل حتى لحقوهم وهو معطوف على قوله فأخرجناهم وقوله مشرقين حال — شهاب

القلزم كقنفذ بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه والنيل معروف. قوله بينها مسالك بسكك في كل منها سبط من الأسباط الاثني عشر والمراد بالفرق ما ارتفع من الماء فصار كالسرداب لا ما انفصل من الماء ثم ما قابله فلا يرد عليه أنه لا بد من كون الفرق ثلاثة عشر حتى يحصل اثنا عشر مسلكا بعدد الأسباط — شهاب

تلك الهيئة إلى أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين بإطباقه عليهم إن في ذلك لآية وأية
آية وما كان أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد
ممن بقي في مصر من القبط وبنو إسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن ربك لهو العزيز الرحيم بأوليائه
واتل عليهم على مشركي العرب نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون سألهم
ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين
فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم أو
يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يُسمعونكم أي يسمعونكم
الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم
على عبادتكم لها أو يضرون من أعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فإنهم
عدو لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو
الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها
نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى
النسب إلا رب العالمين استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه
وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور
المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى
أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين
إلى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء
السببية إن جعل الموصول مبتدأ والعاطفة إن جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف
النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الأول
مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين
للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت فهو يشفين
عطف على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان
المأكول والمشروب وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بإسناد
الإماتة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه وإنما الضرر في مقدماته وهي المرض

قوله ولا ينتقض إلخ جواب عن سؤال مقدر يمكن تقريره بأن الموت [illegible] نعمة تامة في دفعه فإنه لا يلزم من عدم إحساس ضرره [illegible] لغة وكونه مع ما بعده جوابا واحدا لخلاف الظاهر [illegible] إلا الاقتصار عليه — شهاب

نيل

ثم انه لاهل الكمال وصلة الى الجناب التى يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع
المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما
بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم • والذى يميتنى ثم يحيين • فى الاخرة • والذى
اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين • ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا
المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر
منه من الصغاير وحمل الخطيئة على كلماته الثلث انى سقيم • فعله كبيرهم • وقوله هى اختى
ضعيف لانها معاريض وليست خطايا • رب هب لى حكما • كمالا فى العلم [illegible] والعمل
استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق • والحقنى بالصالحين • ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم
به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره • واجعل لى
لسان صدق فى الاخرين • جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين و
كذلك ما من امة الا وهى محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتى يجدد اصل
دينى ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه • واجعلنى
من ورثة جنة النعيم • فى الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها • واغفر لابى • بالهداية و
التوفيق للايمان • انه كان من الضالين • طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله
كان لظنه انه كان يخفى الايمان تقية من نمروذ ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من
الاستغفار للكفار • ولا تخزنى • بمعاتبتى على ما فرطت او بنقص رتبتى عن رتبة بعض
الوراث او بتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدى او ببعثه
فى عداد الضالين وهو من الخزى بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء • يوم يبعثون •
الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين • يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم • لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصى وساير افاته او لا ينفعان
الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم
على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة • وقيل الاستثناء
مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنا الا غناه • وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة
من اتى الله بقلب سليم تنفعه • وازلفت الجنة للمتقين • بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون
بانهم المحشورون اليها • وبرزت الجحيم للغاوين • فيرونها مكشوفة ويتحسرون على
انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد • وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون
من دون الله • اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم • هل ينصرونكم • بدفع العذاب
عنكم • او ينتصرون • بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا

فيها

قوله وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وانه لا يخلف الوعد بخلاف الوعيد لان التعبير بالازلاف وهو غاية التقريب [illegible] الاقرب الى الدخول وتحققه ولذا قدم لسبق رحمته بخلاف الابراز [illegible] غاية الاراءة وقوم بعيد فهو مطمع فى النجاة كما قيل [illegible] تمّ • شهاب

فيها هم والغاوون • اى الالهة وعبدتهم • والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القى
فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها • وجنود ابليس • متبعوه من عصاة
الثقلين او شياطينه • اجمعون • تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده • والا للضمير
وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله • قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفى ضلال مبين • على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة • ويؤيده الخطاب
فى قوله • اذ نسويكم برب العالمين • اى فى استحقاق العبادة • ويجوز ان يكون الضماير للعبدة
كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة • والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدا ضلالهم
معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها • وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين
من الملائكة والانبياء كما للمؤمنين • ولا صديق حميم • اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى
مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق • وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء
فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء • او لاطلاق
الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل • فلو ان لنا كرة • تمنى للرجعة
واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه • فنكون من المؤمنين •
جواب التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون • ان فى ذلك • فيما ذكر من قصة
ابرهيم عليه السلام • لاية • لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم
ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية
والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم و
تصويره الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم
ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول • وما كان اكثرهم • اكثر قومه • مؤمنين به • وان
ربك لهو العزيز • القادر على تعجيل الانتقام • الرحيم • بالامهال لكى يؤمنوا هم او واحد من
ذريتهم • كذبت قوم نوح المرسلين • القوم مؤنث ولذلك تصغر على قويمة • وقد مر الكلام
فى تكذيبهم المرسلين • اذ قال لهم اخوهم نوح • لانه كان منهم • الا تتقون • الله فتتركوا
عبادة غيره • انى لكم رسول امين • مشهور بالامانة فيكم • فاتقوا الله واطيعون • فيما
امركم به من التوحيد والطاعة لله • وما اسئلكم عليه • على ما انا من الدعاء والنصح • من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين • فاتقوا الله واطيعون • كرره للتاكيد والتنبيه على
دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا
اجتمعا • وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء فى اجرى فى الخمس • قالوا انؤمن
لك واتبعك الارذلون • الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة • وقرا يعقوب واتباعك

الكلما

علك

قوله والا للضمير كذا فى اصح النسخ وهو ظاهرة ولو قال فللضمير كان اظهر وقد سقطت الا من بعضها وهى تحتاج الى التقدير يعنى اجمعون تاكيد لقوله وجنود ابليس فقط ان كان مبتدا خبره قالوا الخ فان كان معطوفا على ما قبله يكون اجمعون تاكيدا للضمير فى قوله فكبكبوا فيها هم وما عطف عليه وقوله وكذا الضمير المنفصل الخ يعنى ان كان جنود ابليس مبتدا فهو عائد عليه والا فهو عائد عليه وعلى ما عطف عليه لا توكيد كما توهم وقوله وما يعود اليه يعنى هم وضمير يختصمون وقالوا • شهاب

قوله لتلاقيهما فى معنى التقدير اى تقدير المعدوم وفرضه فان معنى ليت لى مالا تقدير المعدوم كما ان المعنى فى قولك لو كان لى كذا لكان كذا تقدير المعدوم الا انه فى التمنى مقرون بالطلب ولو ليس كذلك ويدل على ان لو هنا للتمنى انه نصب جوابه [illegible] او استعارة تبعية ثم شاع ممن اختلف فيه هل هو معنى وضعى او مجاز حتى صار كالحقيقة • شيخزاده والشهاب

فهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم
على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم
اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع
مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة
وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله
فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا
بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث
جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث
لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء
لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم
لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين
او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب
الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من
الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شؤم عملهم فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد الباقين من قومه ان في ذلك لآية شاعت
وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين
انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى
معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين
على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية
اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة
تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام
او بنيانا لا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ
الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا
بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد
تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم
اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله
اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد

على

قوله اظهارا لما يدعو عليهم لاجله يعني ان قوله رب ان قومي كذبون لم يقله نوح عم لافادة مضمون هذا الخبر ولا لكونه عالما بمضمونه لعلمه بانه تع عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد به اني لا ادعوك عليهم لاجل تخويفهم اياي بالرجم واستخفافهم بي لغيظ فيهم وانما ادعوك عليهم لاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك شيخ زاده

قوله دلالة مرفوع او منصوب وهو مصدر دللت فلانا على كذا اذا ارشدته اليه كما في قولهم في تعريف التشبيه هو الدلالة على مشاركة امر لامر لا مصدر دل اللفظ على كذا حتى يؤول بالدليل لقبح حمله على المصدر كما قيل فتأمل شهاب

على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا
بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين
وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة
فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من
الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة
في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب
الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي وما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون
مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما
هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين
على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم
اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما ههنا آمنين انكار لان
يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله
في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى
وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو
او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد
بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة
وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله و
اطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او
نسب حكم الآمر الى الامر مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك
عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين
الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت
الا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة
اي بعدما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على
شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم
عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر

قوله وتغيير شق النفي بتغيير ان المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو مختصر لم تكن من الواعظين للمبالغة المذكورة فان النسبة بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهي اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت حجرا صلدا ولا تبلغ في قلة الاعتداد بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ

قوله اولان النخل انثى اي لان المراد بالنخل اناثها بقرينة ذكر طلعها فيما سبق في الاتيان بها لانها هي المثمرة دون جنس النخل مطلقا فان طلعها دليل عليه لان النخل مطلقا بذكر وانثى شهاب

الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك اخذ ولجميعا فأصبحوا نادمين على
عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فأخذهم
العذاب اي العذاب الموعود إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك
لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم
لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط
المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين
اي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون الذكران
من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد أعوزتكم فالمراد بالعالمين على الأول
كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم من أزواجكم
لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون
تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل أنتم قوم عادون متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي
وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن
لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين
من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من
القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول
إني لعملكم قال للدلالة على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني وأهلي
مما يعملون اي من شؤمه وعذابه فنجيناه وأهله أجمعين أهل بيته والمتبعين له
على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين
مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فأهلكها لانها كانت مائلة الى القوم
راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين
اهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم فساء مطر
المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز
الرحيم كذب أصحاب ليكة المرسلين الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم
فلذلك قال إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر
ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء

حركتها

قوله اي تأتون من بين من عداكم فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل أتأتون أنكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين اي انكم مختصون وعلى الثاني يكون من العالمين من الذكران جمع ذكر ضد الانثى انكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم شيخزاده

حركتها على الادغام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص
بغير الف اتباعا للفظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر
إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس
بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من
القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا
الناس أشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل
والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق
قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا أتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين
منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وإن نظنك لمن الكاذبين في دعواك فأسقط
علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الأمر بالتقوى من التهديد
وقرأ حفص بفتح السين إن كنت من الصادقين في دعواك قال ربي أعلم بما تعملون
وبعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فأخذهم
عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم
فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص
السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين
واطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم
مبالاة به يدفع أن يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة
على تكذيبهم وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك تقرير لحقية
تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن
لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لأن المعاني الروحانية انما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من
التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الأمين جبريل فانه امين
الله على وحيه وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاء ونصب الروح والأمين
لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من ترك او فعل بلسان عربي مبين واضح
المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين أي
لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام
وإنه لفي زبر الأولين وإن ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة أولم يكن لهم آية على
صحة القرآن او نبوة محمد عليه السلام أن يعلمه علماء بني اسرائيل أن يعرفوه بنعته

قوله ان اراد به الروح لانه يطلق عليها كما ذكره الراغب وقوله فذاك اي فالامر ذاك اي واضح صحيح لان المدرك هو الروح وقال على قلبك دون عليك الاخصر اشارة الى انه تم نزل في الصحف كغيره من الكتب شهاب

المذكورة في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الأعجمين كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه أدخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على أنه بخلق الله تعالى وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا أفبعذابنا يستعجلون فيقولون أمطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أنذروا أهلها إلزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الإنذار وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشيطان على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم أن يتنزلوا وما يستطيعون وما يقدرون إنهم عن السمع لمعزولون لأنه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين وأنذر عشيرتك الأقربين الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان فإن عصوك ولم يتبعوك فقل إني بريء مما تعملون مما تعملونه أو من أعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه

أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الإبدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم إلى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أممتهم وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد أن وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه إنه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لأن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادد وحال محمد عليه السلام على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع وأكثرهم كاذبون أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الأكثر بالكل كقوله كل أفاك والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجموا فيخطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو أفهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون وأتباع محمد عليه السلام ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرا وقرره بقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه وإليه أشار بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول بحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا

الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون
ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا
هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن
مالك انه عليه السلام قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي
الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد
تلاه ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات
وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس
لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء
كان له من الاجر عشر حسنات عدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم
وعدد من كذب بعيسى سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن
وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو
كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار
الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه
على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات
والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبرا المحذوف الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة
هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة
وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زين لهم اعمالهم
القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم
ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر
او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم
الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن
لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة

لعموم

لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان علوم القرآن منها ما هو حكمة
كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في
بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته
اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع
الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد
المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار
مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون و
يعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على
سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم
يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين
على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما
جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على
انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين
او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في
مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد
الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي
وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام و
كفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله موسى عليه السلام وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم
تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي
به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى
لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له
او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اريد
ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل
ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في
النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني
انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة
وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم
يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به هلاك نفس

موسى وبدّل عليه قوله يا موسى لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله انى
لا يخاف لدىّ المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اى من الله او
لا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فانى
غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم
من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعل ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة
ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدّل مستانف معطوف
على محذوف اى من ظلم ثم بدّل ذنبه بالتوبة وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة
صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
آفة كبرص فى تسع آيات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن
عدّ العصا واليد من التسع ان يعدّ الاخيرين واحدا ولا يعدّ الفلق لانه لم يبعث به الى
فرعون او اذهب فى تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به قوله تعالى الى
فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بيّنة اسم
فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها
لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا ان تهدى او مبصرة
كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين
واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو
للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرى ولقد آتينا
داود وسليمن علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اى علم وقالا
الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعم كانه قال
ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت
غيرهما وتحريض العالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه
وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمن داود النبوة او العلم او الملك
بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء الناس

الطمسة جعل اسبابهم حجارة بدعاء موسى عليه السلام بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله اموالهم حجارة

الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق
والمنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت
به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد
فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها
ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمن عليه السلام مهما سمع
صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوّته والغرض الذى توخاه به ومن
ذلك ما حكى انه مرّ ببلبل يتصوت ويترقص فقال عليه السلام يقول اذا اكلت نصف
تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال عليه السلام انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا
فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة
وتألم قلب والضمير فى علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة
قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم
كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين الذى لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمن
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى
اما لان اتيانهم كان من عل او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفذه وبلغ
آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرّت النملة عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة
تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك
اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمن وجنوده
نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو
استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله فى السعة وهم لا يشعرون
انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل
استيناف اى فهم سليمن والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها
وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم
غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك اجعلنى ازع
شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لا ينفلت عنى بحيث لا انفك عنه وقرأ البزى
وورش بفتح ياء اوزعنى التى انعمت علىّ وعلى والدىّ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا
للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية
وان اعمل صالحا ترضيه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلنى برحمتك فى عبادك

يعنى ان الهمزة للتعدية ولا حاجة الى جعله تضمينا اى يسر لى الكف
وازعا اياه ومعناه اكفه واحبسه وهو مجاز عن المداومة
والملازمة ومعنى لا ينفلت بالفاء والتاء لا يذهب

الصالحين

فی عداد هم الجنة ❊ وتفقد الطیر وتعرف الطیر فلم یجد فیها الهدهد ❊ فقال ما لی لا اری
الهدهد ام کان من الغائبین ❊ ام منقطعة کانه لما لم یره ظن انه حاضر ولا یراه
لساتر او غیره فقال ما لی لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غایب فاضرب عن ذلک واخذ
یقول اهو غایب کانه یسال عن صحة ما لاح له ❊ لاعذبنه عذابا شدیدا ❊ کنتف
ریشه والقائه فی الشمس او حیث النمل تاکله او جعله مع ضده فی قفص ❊ او لاذبحنه
لیعتبر به ابناء جنسه ❊ او لیاتینی بسلطان مبین ❊ بحجة تبین عذره والحلف فی
الحقیقة علی احد الاولین بتقدیر عدم الثالث لکن لما اقتضی ذلک وقوع احد الامور
الثلثة ثلث المحلوف علیه بعطفه علیهما وقرا ابن کثیر او لیاتیننی بنونین الاولی
مفتوحة مشددة ❊ فمکث غیر بعید ❊ زمانا غیر مدید یرید به الدلالة علی سرعة
رجوعه خوفا منه وقرا عاصم بفتح الکاف ❊ فقال احطت بما لم تحط به ❊ یعنی حال
سبا وفی مخاطبته ایاه بذلک تنبیه له علی ان فی ادنی خلق الله من احاط علما
بما لم یحط به لیتحاقر الیه نفسه ویتصاغر لدیه علمه وقری بادغام الطاء فی التاء
باطباق وغیر اطباق ❊ وجئتک من سبا ❊ وقرا ابن کثیر بروایة البزی وابو عمرو
غیر مصروف علی تاویل القبیلة او البلدة والقواس بهمزة ساکنة ❊ بنبا یقین ❊
بخبر محقق روی انه علیه السلام لما اتم بناء بیت المقدس تجهز للحج فوافی الحرم واقام بها ما شاء
ثم توجه الی الیمن فخرج من مکة صباحا فوافی صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل
بها ثم لم یجد الماء وکان الهدهد رائده لانه یحس طلب الماء فتفقده لذلک فلم
یجده اذ حلق حین نزل سلیمن علیه السلام فیها فرای هدهدا واقعا فانحط الیه فتواصفا
وطار معه لینظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحکی ما حکی ولعل فی عجایب قدرة
الله وما خص به خاصة عباده اشیاء اعظم من ذلک یستکبرها من یعرفها ویستنکرها
من ینکرها ❊ انی وجدت امراة تملکهم ❊ یعنی بلقیس بنت شرحبیل بن مالک بن ریان
والضمیر لسبا او لاهلها ❊ واوتیت من کل شیء ❊ تحتاج الیها الملوک ❊ ولها عرش عظیم ❊
عظمته بالنسبة الیها والی عروش امثالها وقیل کان ثلثین ذراعا فی ثلثین عرضا
وسمکا او ثمانین فی ثمانین من ذهب وفضة مکللا بالجواهر ❊ وجدتها وقومها
یسجدون للشمس من دون الله ❊ کانهم کانوا یعبدونها ❊ وزین لهم الشیطان
اعمالهم ❊ عبادة الشمس وغیرها من قبایح افعالهم ❊ فصدهم عن السبیل ❊ سبیل الحق
والصواب ❊ فهم لا یهتدون ❊ الیه ❊ الا یسجدوا لله ❊ ای فصدهم لان لا یسجدوا
او زین لهم ان لا یسجدوا علی انه بدل من اعمالهم او لا یهتدون الی ان یسجدوا بزیادة لا
وقرا الکسائی ویعقوب الا بالتخفیف علی انها للتنبیه ویا للنداء ومناداه محذوف

اى

ای الا یا قوم اسجدوا کقوله وقالت الا یاسمع تعظک بخطبه فقلت سمیعا فانطقی واصیبی
وعلی هذا صح ان یکون استینافا من الله او من سلیمن والوقف علی لا یهتدون ویکون امرا بالسجود
وعلی الاول ذما علی ترکه وعلی الوجهین یقتضی وجوب السجود فی الجملة لا عند قراءتها وقری هلا
وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون علی الخطاب ❊ الذی یخرج الخبا فی
السموات والارض ویعلم ما تخفون وما تعلنون ❊ وصف له بما یوجب اختصاصه
باستحقاق السجود من التفرد بکمال القدرة والعلم حثا علی سجوده وردا علی من یسجد لغیره
والخبا ما خفی فی غیره واخراجه اظهاره وهو یعم اشراق الکواکب وانزال الامطار وانبات
النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فی الشیء بالقوة الی الفعل والابداع فانه اخراج ما فی
الامکان والعدم الی الوجوب والوجود ومعلوم انه یختص بالواجب لذاته وقرا حفص
والکسائی ما تخفون وما تعلنون بالتاء ❊ الله لا اله الا هو رب العرش العظیم ❊ الذی
هو اول الاجرام واعظمها والمحیط بجملتها فبین العظیمین بون عظیم ❊ قال سننظر ❊
سنتعرف من النظر بمعنی التامل ❊ اصدقت ام کنت من الکاذبین ❊ ای ام کذبت
والتغییر للمبالغة ومحافظة الفواصل ❊ اذهب بکتابی هذا فالقه الیهم ثم تول عنهم ❊
ثم تنح عنهم الی مکان قریب تتواری فیه ❊ فانظر ماذا یرجعون ❊ ماذا یرجع بعضهم
الی بعض من القول ❊ قالت ❊ ای بعد ما القی الیها ❊ یا ایها الملا انی القی الی کتاب
کریم ❊ لکرم مضمونه او مرسله او لانه کان مختوما او لغرابة شانه اذ کانت مستلقیة
فی بیت مغلقة الابواب فدخل الهدهد فی کوة والقاه علی نحرها بحیث لم تشعر به
❊ انه من سلیمن ❊ استیناف کانه قیل لها ممن هو وما هو فقالت انه ای الکتاب او
العنوان من سلیمن وانه ای المکتوب او المضمون وقرئا بالفتح علی الابدال من کتاب
او التعلیل لکرمه ❊ بسم الله الرحمن الرحیم ❊ ان لا تعلوا علی ❊ ان
مفسرة او مصدریة فیکون بصلته خبر محذوف ای هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل
من کتاب ❊ واتونی مسلمین ❊ مؤمنین او منقادین وهذا کلام فی غایة الوجازة
مع کمال الدلالة علی المقصود لاشتماله علی البسملة الدالة علی ذات الصانع وصفاته
صریحا او التزاما والنهی عن الترفع الذی هو ام الرذایل والامر بالاسلام الجامع لامهات
الفضایل ولیس الامر فیه بالانقیاد قبل اقامة الحجة علی رسالته حتی یکون استدعاء
للتقلید فان القاء الکتاب الیها علی تلک الحال من اعظم الدلالة ❊ قالت یا ایها الملا
افتونی فی امری ❊ اجیبونی فی امری الفتوی واذکروا ما تستصوبون به فیه ❊ ما کنت
قاطعة امرا ❊ ما ابت امرا ❊ حتی تشهدون ❊ الا بمحضرکم استعطفتهم بذلک لیمالؤها
علی الاجابة ❊ قالوا نحن اولوا قوة ❊ بالاجساد والعدد ❊ واولوا باس شدید ❊ نجدة

وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك
ونتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم
من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة
ان يتخطى سليمن خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان
الحرب سجال لا يدري عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم
الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير
بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى واني مرسلة اليهم
بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية
ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك
روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري و
جواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت
ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في
الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره عليه السلام ورأوا عظم شأنه تقاصرت اليه
نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل عليه السلام بالحال طلب الحق
واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء
فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها
فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد
الهدية فلما جاء سليمن اي الرسول وما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن
بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة
ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله من
النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها
عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم
والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو
قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول
اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما
كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم
يأتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله تعالى من العجائب الدالة على

عظم

قوله والاضراب الخ هو الوجه الثاني وهو ظاهر لان الاضراب انتقالي عن جملة قبله ... بمال ... معطوف على انكار ... الى بيان خبر قوله ... الامداد شهاب

عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه
ام تنكره قبل ان يأتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها
قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه
وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة
وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا
ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل
او ملك ايده الله به او سليمن نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم
وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
للعفريت كانه استبطأه منه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا
ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس
الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك
الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين
يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما رآه اي العرش مستقرا
عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا النعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد
الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار
العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله
قد مر في آية الاسراء ليبلوني ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة
واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه وءاشكر في
محلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب
لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن
كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها
بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي
ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله
ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه
الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ
ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك
من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه

ها

قوله لا اختزل اي لا اقتطع شيئا من جواهره وذهبه تفسير للامانة وان الاختزال بهذا المعنى صرح به اهل اللغة فلا عبرة بمن انكره من شراح الالفية شهاب

قوله وكنت الخ هو لعبد الله بن طاهر الحماسي وبعده رأيت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر والرائد طالب الماء والكلاء للقوم وهو حال والمناظر جمع منظر وقوله رأيت الذي الخ تفصيل لقوله اتعبتك المناظر اي اذا جعلت عينك طالبة لقلبك ما يهواه اوقعتك في ورطات لا تقدر على تحصيلها ولا تصبر على تركها شهاب

هو صح

انه اراد بذلك اختبار عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل
هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت
اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من
الآيات وقيل انه كان من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة
على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره
ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر الا على يد الانبياء اي واوتينا العلم
بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه و
يكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا لله وصدها
ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام
او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ
بالفتح على الابدال من فاعل صدها على الاول اي صدها نشوؤها بين اظهر الكفار
او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها روي انه عليه السلام امر قبل قدومها فبني قصر صحنه
من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في
صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرا
ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسؤق قال انه اي ان ما
تظنه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي
بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يريد اغراقها في اللجة واسلمت مع
سليمان لله رب العالمين فيما امر عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها
من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله
بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون
ففاجؤوا التفرق والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل
الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق
ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون
بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت
علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي
جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون

تختبرون

قوله لما فيه من الدلالة على ايمانها الخ لا يخفى انها لم تجزم بما ذكر من كونها معجزة مع ان مجرد العلم بانها معجزة لا يدل على الايمان بدون التصديق والاذعان وان دلالة في الكلام عليه وتقديره في المصر واخره عنه لما في الكشاف لما ذكر مع ما فيه من التعسف
شهاب

قوله بظني بسليمان اي بظني السوء به ولذا فسره بقوله فانها الخ وذي تبع من ملوك اليمن ويقال لهم الاذواء لان اعلامهم تصدر بذو والمراد صاحب هذا الاسم كذي يزن وهمدان بسكون الميم ودال مهملة من بلاد اليمن
شهاب

تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدا ما يحيق بهم
الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا لتسعة
باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او من السبعة او من التسعة الى العشرة
والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد الخالص
عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع
بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه
القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم
وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا
كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما
ذكرنا اذ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه و
مهلكهم كقولك ما رايت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم
وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم
انه يفرغ منا الى ثلث ايام فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمه وهلك الباقون في اماكنهم
بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر كان
لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على
انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية
من خوى البطن اذا خلا او ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى
الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك
لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون الكفر والمعاصي
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او ولقد ارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه
اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون
فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض
لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة
وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء
الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من
يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون

قوله وانما وقع تمييزا الخ يعني ان تمييز ما فوق الثلثة الى العشرة يجب ان يكون جمعا والرهط مفرد اللفظ ومع ذلك وقع تمييز التسعة لكونه في معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس كذا في حاشية شيخ زاده وفي الشهاب غير ذلك مفصلا

قوله على ان تقاسموا خبر الخ وهو على قراءة ياء الغيبة اذ لا معنى له على تقديره امرا وعلى غيره يجوز فيه الوجهان شهاب

وحلفنا انا لصادقون
بهذه المواضعة ومكرنا مكرا

قوله او خبر محذوف الظاهر انه ان او ضميره لا شيء آخر ما يحتاج للعائد ليغني عنه بقاء المحذوف في جملة خبر كان ولا يرد عليه ان الضمير الشأن لا يحذف منه كثير من النحويين حذفه فانه غير مسلم شهاب

قوله والتاء فيه اي تاء الخطاب مع انه صفة لقوم وهو اسم ظاهر من قبيل الغيبة لما اتحاد المعنى لانه متحد مع قوله انتم فحمله عليه وقد جعلوه من التغليب وجعله بعضهم
شهاب

الموصوف به في معنى المخاطب • فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم
إنهم أناس يتطهرون • يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرا ٢
فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين • قدرنا كونها من الباقين في العذاب
وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين • مر مثله • قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى أمر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه
وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والصلوة والسلام على
المصطفين من عباده شكرا على ما أنعم عليهم وعلمه ما جهل من أحوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين أو لوطا بأن يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه
بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك • آلله خير أما يشركون • إلزام لهم وتهكم بهم
وتسفيه لرأيهم إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو
مبدأ كل خير • وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء • أمن • بل أمن • خلق السموات والأرض
التي هي أصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله • وأنزل
لكم • لأجلكم • من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة • عدل به عن الغيبة إلى التكلم
لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله • ما كان لكم
أن تنبتوا شجرها • شجر الحدائق وهي البساتين من الإحداق وهو الإحاطة • أإله مع الله •
أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها بإضمار فعل
مثل أتدعون وتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين وإخراج الثانية بين بين • بل هم
قوم يعدلون • عن الحق الذي هو التوحيد • أمن جعل الأرض قرارا • بدل من أمن خلق السموات
وجعلها قرارا بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الإنسان والدواب
وجعل خلالها • أوساطها • أنهارا • جارية • وجعل لها رواسي • تتكون فيها المعادن و
تنبع من حضيضها المنابع • وجعل بين البحرين • العذب والملح • أو خليجي فارس
والروم • حاجزا • برزخا • وقد مر بيانه في الفرقان • أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون •
الحق فيشركون به • أمن يجيب المضطر إذا دعاه • المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى
اللجاء إلى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة • واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم
منه إجابة كل مضطر • ويكشف السوء • ويدفع عن الإنسان ما يسوءه • ويجعلكم خلفاء
الأرض • خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم • أإله مع الله • الذي
حفكم بهذه النعم العامة والخاصة • قليلا ما تذكرون • أي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا و
ما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة • وقرأ أبو عمرو وروح بالياء

وهشام

بالياء • وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال • أمن يهديكم في ظلمات
البر والبحر • بالنجوم وعلامات الأرض والظلمات ظلمات الليالي أضافها إلى البر
والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق • يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته • يعني المطر ولو صح أن السبب الأكثري
في تكون الريح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها
الهواء فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل
للسبب فاعل للمسبب • أإله مع الله • يقدر على مثل ذلك • تعالى الله عما يشركون •
تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده •
والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها • ومن يرزقكم من
السماء والأرض • أي بأسباب سماوية وأرضية • أإله مع الله • يفعل
ذلك • قل هاتوا برهانكم • على أن غيره يقدر على شيء من ذلك • إن كنتم
صادقين • في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية • قل لا يعلم من
في السموات والأرض الغيب إلا الله • لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة
العامة أتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب • والاستثناء منقطع و
رفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض
ففيها من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه يعم الله تعالى وأولي العلم من
خلقه وهو موصول أو موصوف • وما يشعرون أيان يبعثون • متى
ينشرون • مركبة من أي وآن • وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن • وقيل للكفرة • بل
ادارك علمهم في الآخرة • لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما
هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب
علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي • بل هم
في شك منها • كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلا • بل هم منها عمون • لا يدركون
دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السموات والأرض
نسب إلى جميعهم كما يسند فعل البعض إلى الكل والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم • وقيل
الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في
أمر الآخرة تهكما بهم • وقيل ادارك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة ٢
لانتهاء غايتها التي عندها تعدم • وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان
إذا تتابعوا في الهلاك • وأبو بكر أدرك • وأصله تفاعل وافتعل • وقرئ أأدرك

بهمزتين وآدرك بالف بينهما ، وبل ادرك ، وبل تدارك ، وبلى ادرك ، وبلى
أادرك ، وأم تدارك ، وأم ادرك ، وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك
فانكار ، وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده
اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل
انهم منها عمون اورد وانكار لشعورهم ، وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا
أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم ، والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو
نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة ، وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرار الهمزة
للمبالغة في الانكار ، والمراد من الاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة
وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة ، وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون على الخبر
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد عليه السلام ، وتقديم
هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث ، وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ،
ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار ، قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين ، تهديد عن التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل
بالمكذبين قبلهم ، والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمومنين في ترك الجرائم
ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ، ولا تكن في ضيق في حرج صدر و
قرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان ، وقرئ ضيق اى امر ضيق ، مما يمكرون ، من
مكرهم فان الله يعصمك من الناس ، ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود
ان كنتم صادقين ، قل عسى ان يكون ردف لكم ، تبعكم ولحقكم ، واللام مزيدة
للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا ، وقرئ بالفتح وهو لغة
فيه ، بعض الذي تستعجلون ، حلوله وهو عذاب يوم بدر ، وعسى ولعل
وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها ، وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا
بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم ، وعليه جرى وعد الله ووعيده ، وان ربك
لذو فضل على الناس ، بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال
وجمعها فضول وفواضل ، ولكن اكثرهم لا يشكرون ، لا يعرفون حق النعمة فيه فلا
يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوعه ، وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ،
ما تخفيه ، وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت ، وما يعلنون ، من عداوتك
فيجازيهم عليه ، وما من غائبة في السماء والارض ، خافية فيهما وهما من الصفات
الغالبة ، والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية ، او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية
وعاقبة ، الا في كتاب مبين ، بين او مبين ما فيه لمن يطالعه ، والمراد اللوح او القضاء

على الاستعارة ، ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
، كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح ، وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين ، فانهم هم المنتفعون به ، ان ربك يقضي بينهم ، بين بني اسرائيل
بحكمه ، بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ، ويدل عليه انه قرئ بحكمه ، وهو العزيز
فلا يرد قضاؤه ، العليم ، بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه ، فتوكل على الله ، ولا
تبال بمعاداتهم ، انك على الحق المبين ، وصاحب الحق حقيق بالوثوق وبحفظ
الله ونصره ، انك لا تسمع الموتى ، تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع
طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم راسا ، وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماعهم ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ، ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين ، فان استماعهم في هذه الحالة ابعد ، وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ، حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر ، وقرأ حمزة
وحده وما انت تهدي العمي ، ان تسمع ، اى ما يجدي اسماعك ، الا من
يؤمن باياتنا ، من هو في علم الله كذلك ، فهم مسلمون ، مخلصون من اسلم
وجهه لله ، واذا وقع القول ، اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث
والعذاب ، اخرجنا لهم دابة من الارض ، وهي الجساسة روي ان طولها ستون
ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي
انه عليه السلام سئل من اين تخرج فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام
تكلمهم ، من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم ، وروي انها تخرج ومعها عصى
موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه
وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ، ان الناس كانوا باياتنا ، خروجها
وسائر احوالها فانها من آيات الله ، وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح ، لا يوقنون ،
لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف
الجار ، ويوم نحشر من كل امة فوجا ، يعني يوم القيمة ، ممن يكذب باياتنا ، بيان
للفوج اى فوجا مكذبين ، ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل
للمصدقين والمكذبين ، فهم يوزعون ، يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو
عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ، حتى اذا جاؤا ، الى المحشر ، قال اكذبتم باياتي
ولم تحيطوا بها علما ، الواو للحال اى اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط
علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب ، او للعطف اى اجمعتم بين التكذيب
بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ، اماذا كنتم تعملون ، ام اى شيء كنتم تعملونه

بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا
فعلنا غير ذلك • ووقع القول عليهم • حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار
بعد ذلك • بما ظلموا • بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله • فهم لا ينطقون
باعتذار لشغلهم بالعذاب • الم يروا • ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر
وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون
الا بقدرة قاهرة • وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على
ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان • وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من
اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم • انا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه • بالنوم والقرار • والنهار مبصرا • فان اصله ليبصروا
فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • لدلالتها على الامور الثلثة • ويوم ينفخ
في الصور • في الصور او القرن • وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش
اذا نفخ في البوق • ففزع من في السموات ومن في الارض • من الهول • وعبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه • الا من شاء الله • اي ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم
جبرئيل وميكائل واسرافيل وعزرائل • وقيل الحور والخزنة وحملة العرش • وقيل الشهداء
وقيل موسى عليه السلام لانه صعق مرة • ولعل المراد ما يعم ذلك • وكل اتوه
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية • او راجعون الى امره • وقرا حمزة وحفص اتوه
على الفعل • وقرئ اتاه على التوحيد للفظ الكل • داخرين • صاغرين • وقرئ دخرين
وترى الجبال تحسبها جامدة • ثابتة في مكانها • وهي تمر مر السحاب • في السرعة
وذلك ان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها • صنع الله
مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله • الذي اتقن
كل شيء • احكم خلقه وسواه على ما ينبغي • انه خبير بما يفعلون • عالم بظواهر
الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال • من جاء بالحسنة فله خير منها • اذ
ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة • وقيل خير منها
اي حاصل من جهتها وهو الجنة • وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما تفعلون
بالتاء • وهم من فزع يومئذ آمنون • يعني به خوف عذاب يوم القيمة
وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم
الكافر والمؤمن • وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك
اليوم • وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله • وقرا الكوفيون

ونافع

ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها • ومن جاء بالسيئة • قيل بالشرك • فكبت وجوههم
في النار • فكبوا فيها على وجوههم • ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في
قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة • هل تجزون الا ما كنتم تعملون • على الالتفات او باضمار
القول اي قيل لهم ذلك • انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها • امر الرسول
بان يقول لهم ذلك بعدما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم
الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص
مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها • وقرئ التي حرمها • وله كل شيء • خلقا
وملكا • وامرت ان اكون من المسلمين • المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام • وان
اتلو القرآن • وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا او
اتباعه • وقرئ واتل عليهم وان اتل • فمن اهتدى • باتباعه في ذلك • فانما يهتدي لنفسه
فان منافعه عائدة اليه • ومن ضل • بمخالفتي • فقل انما انا من المنذرين • فلا علي
من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت • وقل الحمد لله • على نعمة
النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به • سيريكم آياته • القاهرة في الدنيا كوقعة بدر
وخروج دابة الارض او في الآخرة • فتعرفونها • انها آيات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة
وما ربك بغافل عما تعملون • فلا تحسبون ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم • وقرئ
في السبعة بالياء • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بسليمن وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي
لا اله الا الله

سورة القصص مكية قيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم • تلك آيات الكتاب المبين • نتلوا
عليك • نقراه بقراءة جبرئيل • ويجوز ان يكون نتزله مجازا • من نبا موسى وفرعون
بعض نباهما مفعول نتلو • بالحق • محقين • لقوم يؤمنون • لانهم المنتفعون به • ان
فرعون علا في الارض • استيناف مبين لذلك البعض • والارض ارض مصر • وجعل
اهلها شيعا • فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته • او اصنافا في
استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه
يستضعف طائفة منهم • وهم بنو اسرائيل • والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا
او استيناف • وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم • بدل منها وكان ذلك لان كاهنا
قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه
لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه • انه كان من المفسدين • فلذلك اجترا
على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد • ونريد ان نمن على الذين استضعفوا

في الارض ، ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ، ونريد حكاية حال ماضية معطوفة
على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسير للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من
مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقاً
استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن
ونجعلهم ائمة ، مقدمين في امر الدين ، ونجعلهم الوارثين ، كل ما كان في ملك فرعون
وقومه ، ونمكن لهم في الارض ، ارض مصر والشام واصل التمكين ان يجعل للشيء مكاناً
يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ، ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم من بني اسرائيل ، ما كانوا يحذرون ، من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم
وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع ، واوحينا الى ام موسى ، بالهام
او رؤيا ، ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه ، فاذا خفت عليه ، بان يحس به ، فالقيه
في اليم ، في البحر يريد به النيل ، ولا تخافي ، عليه ضيعة ولا شدة ، ولا تحزني ، بفراقه
انا رادوه اليك ، عن قريب بحيث تأمنين عليه ، وجاعلوه من المرسلين ، روي
انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى
على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها
من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في
تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا ، تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل
عليه ، وقرأ حمزة والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ، ان فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين ، في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم
اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى
عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به
وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء ، وقالت امرات فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت ، قرت عين لي ولك ، هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه
اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان
بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرأت ، وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ، لا تقتلوه ، خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ، عسى
ان ينفعنا ، فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه
وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه ، او نتخذه ولدا ، او نتبناه فانه
اهل له ، وهم لا يشعرون ، حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اي

وهم

وهم لا يشعرون على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري
نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه ، واصبح
فؤاد ام موسى فارغا ، صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ، ويؤيده انه قرئ
فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او
لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ، ان كادت لتبدي به ، انها كادت
لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه ، لولا ان ربطنا
على قلبها ، بالصبر والثبات ، لتكون من المؤمنين ، من المصدقين بوعد الله
او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة في جار
الواو مجرى ضمها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط ، وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله ، وقالت لاخته ، مريم ، قصيه ، اتبعي اثره وتتبعي
خبره ، فبصرت به عن جنب ، عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه
وهم لا يشعرون ، انها تقص او انها اخته ، وحرمنا عليه المراضع ، ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي
من قبل ، قصها اثره ، فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ، لاجلكم
وهم له ناصحون ، لا يقصرون في ارضاعه وتربيته ، روي ان هامان لما سمعه
قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله
فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها وقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى
عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله ، فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن
بفراقه ، ولتعلم ان وعد الله حق ، علم مشاهدة ، ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان وعد الله حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه
تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ، ولما بلغ اشده
مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ
وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين ، واستوى ، قده او عقله ، آتيناه
حكما ، نبوة ، وعلما ، بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا
يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنبأ بعد الهجرة في
المراجعة ، وكذلك نجزي المحسنين ، على احسانهم ، ودخل المدينة ، ودخل مصر

مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه

أتيا من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين الشمس من نواحيها على حين
غفلة من أهلها في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والإشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته طلب النصرة من موسى على الآخر أي على القبطي
على الذي من عدوه فسأله أن يغيثه بالإعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه
فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه أي فضرب صدره فقضى
عليه فقتله وأصله أنهى حياته من قوله وقضينا إليه ذلك الأمر قال هذا من
عمل الشيطان لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم
ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما
واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم إنه عدو مضل مبين
ظاهر العداوة قال رب إني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي
فغفر له لاستغفاره إنه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم
قال رب بما أنعمت علي قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها
لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطاف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن
أكون معينا لمن أدت معاونته إلى الجرم وعن ابن عباس أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى
وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك
فأصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فإذا الذي استنصره بالأمس
يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى إنك لغوي مبين
بين الغواية لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما أن أراد أن يبطش بالذي
هو عدو لهما لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني
إسرائيل قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس قاله الإسرائيلي
لأنه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه أو القبطي وكأنه توهم من قوله أنه الذي قتل
القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي إن تريد ما تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض
تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد أن تكون من المصلحين بين الناس فتدفع
التخاصم بالتي هي أحسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملائه فهموا بقتله
فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى
يسرع صفة لرجل أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن تخصيصه
يلحقه بالمعارف قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك

انما

قوله وإنما عده من عمل الشيطان الخ فيه أن الخطاء لا يخلو عن الإثم فلذلك شرعت فيه الكفارة فيكون صغيرة لا أقل ويدل عليه قوله فغفر له فلا يحتاج في عده من عمل الشيطان وتسميته ظلما وطلبه المغفرة إلى ما ذكره قوله في استعظام محقرات فيه استخفاف الصغيرة وذلك لا يجوز

قوله لأتوبن هو الجواب المقدر وقوله أو استعطاف هو قسم من القسم جعله المصنف قسيما له لأن المراد بالقسم ما يؤكد به الكلام الخبري وينعقد منه يمين وهذا ليس كذلك فأراد به فرده الكامل [illegible] فصار قسيما بعد ما كان قسما منه قال ابن الحاجب القسم جملة إنشائية يؤكد بها جملة أخرى فإن كانت خبرية فهو القسم لغير الاستعطاف نحو والله لأقومن غدا وإن كانت طلبية فهو للاستعطاف نحو بالله زيدني وقيل القسم الاستعطافي ما كان المقسم به مشعرا بلطف ونحو بكرمك أنت إلا أنعم علي وهنا استعطف بنعمة المغفرة وجعلها وسيلة لطلب العصمة والكلام صادق عليهما وجعل بعضهم إطلاق القسم على الاستعطاف تجوزا وعليه فالمقابلة ظاهرة وكلام ابن الحاجب وغيره يخالفه والباء متعلقة باعصمني وجملة فلن أكون متفرعة عليه والفاء على الأول عاطفة على الجواب وعلى الثاني واقعة في جواب الأمر أو الشرط المقدر

من حاشية المولى الشهاب

إنما سمي التشاور ائتمارا لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج إني لك من الناصحين
اللام للبيان وليس صلة الناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من
المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني
منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب
عليه السلام باسم مدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر
مسيرة ثمان قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به و
كان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في
الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه
وجد فوق شفيرها أمة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان أسفل منهم امرأتين تذودان تمنعان أغنامهما من الماء
لئلا تختلط بأغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى
يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول
لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه إلى السقي لهما ثم دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر
يصدر أي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وأبونا شيخ كبير
كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة
عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر
فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر أخرى
عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي لأي
شيء أنزلت إلي من خير قليل أو كثير وحمله الأكثرون على الطعام فقير محتاج
سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيرا
في الدنيا لأنه كان في سعة عند فرعون والغرض منه إظهار التبجح والشكر على ذلك
فجاءته إحداهما تمشي على استحياء أي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما
وقيل الكبرى واسمها صفورا أو صفرا وهي التي تزوجها موسى قالت إن أبي
يدعوك ليجزيك ليكافيك أجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى إنما
أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الأجر بل روي أنه لما جاءه
قدم إليه طعاما فامتنع عنه وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه
عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وإن من فعل معروفا فأهدي بشيء لم يحرم أخذه فلما
جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون
وقومه قالت إحداهما يعني التي استدعته يا أبت استأجره لرعي الغنم إن

قوله وقيل معناه الخ والمراد بالخير الخير الديني لا الدنيوي كما في الأول واللام للتعليل وصلة فقير مقدرة أي إلى الطعام أو لأمور الدنيا والغرض على هذا الوجه التبجح أي الفرح والافتخار أي لا التشكي والتضجر ولذا عبر في الأول بالخير وقدمه سه

خير من استأجرت القوي الأمين • تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق
بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين
مجرب معروف • روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت
اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه • قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني • ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني
من اجرك الله • ثماني حجج • ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي
رعية ثماني حجج • فان اتممت عشرا • عمل عشر حجج • فمن عندك • فاتمامه من عندك
تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على
معينة ومهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد
وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك • وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال • واشتقاق المشقة
من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين • في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة
قال ذلك بيني وبينك • اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه
ايما الاجلين • اطولهما او اقصرهما • قضيت • وفيتك اياه • فلا عدوان علي • لا يعتدى
علي بطلب الزيادة وكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان
او فلا اكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة و
تساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي • وقرئ ايما
كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما • علي من الغيث استهلت مواطره • واي الاجلين
ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه • وعدوان
بالكسر • والله على ما نقول • من المشارطة • وكيل • شاهد وحفيظ • فلما قضى
موسى الاجل وسار باهله • بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده
عشرا اخر ثم عزم على الرجوع • آنس من جانب الطور نارا • ابصر من الجهة التي تلي الطور
قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر • بخبر الطريق • او جذوة
عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن
لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر • قال والقى على قبس من النار جذوة • شديدا
عليها حرها والتهابها • ولذلك بينه بقوله من النار • وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها
لغات • لعلكم تصطلون • تستدفئون بها • فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن
اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى • في البقعة المباركة • متصل بالشاطئ او صلة

نودي

لنودي • من الشجرة • بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ •
ان يا موسى اني انا الله رب العالمين • هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا وهو طبقه
في المقصود • وان الق عصاك فلما رآها تهتز • اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما
رآها تهتز كأنها جان • في الهيئة والجثة او في السرعة • ولى مدبرا • منهزما من الخوف
ولم يعقب • ولم يرجع • يا موسى • نودي يا موسى • اقبل ولا تخف انك من الآمنين
عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون • اسلك يدك في جيبك • ادخلها • تخرج بيضاء
من غير سوء • عيب • واضمم اليك جناحك • يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالمتقي
الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى او بالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض
آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة • ويجوز ان
يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا
خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه • من الرهب • من اجل الرهب اي
اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك • وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو
بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما • وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات • فذانك اشارة
الى العصا واليد • وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس • برهانان • حجتان وبرهان فعلان
لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة
للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن • من ربك • مرسلا • الى فرعون وملائه انهم
كانوا قوما فاسقين • فكانوا احقاء بان ترسل اليهم • قال رب اني قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون • بها • واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا
معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف • يصدقني
بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة • اني اخاف ان يكذبون • ولساني لا يطاوعني
عند المحاجة • وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل
الى السبب • وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف • قال
سنشد عضدك باخيك • سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد وشدتها بشدة
العضد • ونجعل لكما سلطانا • غلبة او حجة • فلا يصلون اليكما • باستيلاء او حجاج
بآياتنا • متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون
اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله • انتما ومن اتبعكما
الغالبون • بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى • سحر تختلقه
لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر

أنواع السحر. وما سمعنا بهذا. يعنون السحر أو ادعاء النبوة. في آبائنا الأولين. كائنا في أيامهم. وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده. فيعلم أني محق وأنتم مبطلون. وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف بالواو أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد. ومن تكون له عاقبة الدار. العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت مجازا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما قصد بالعرض. وقرأ حمزة والكسائي بالياء. إنه لا يفلح الظالمون. لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى. وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري. نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويتطلع على الحال بقوله. فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى. كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال. وإني لأظنه من الكاذبين. أو أراد أن يبني له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة. وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض. فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها اللازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية. قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام. واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق. بغير استحقاق. وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون. بالنشور وقرأ حمزة والكسائي ونافع بفتح الياء وكسر الجيم. فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم. كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الأخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه. فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين. وحذر قومك عن مثلها. وجعلناهم أئمة. قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. أو بمنع الألطاف الصارفة عنه. يدعون إلى النار. إلى موجباتها من الكفر والمعاصي. ويوم القيمة لا ينصرون. بدفع العذاب عنهم. وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة. طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين تلعنهم الملائكة والمؤمنون. ويوم القيمة هم من المقبوحين. من المطرودين أو ممن قبح وجوههم. ولقد آتينا موسى الكتاب. التورية. من بعد ما أهلكنا القرون الأولى. أقوام نوح وهود وصالح ولوط. بصائر للناس. أنوار القلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل

وهدى. إلى الشرائع التي هي سبيل الله. ورحمة. لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله. لعلهم يتذكرون. ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت. وما كنت بجانب الغربي. يريد الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب للرسول أي ما كنت حاضرا. إذ قضينا إلى موسى الأمر. إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه. وما كنت من الشاهدين. للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم السبعون المختارون للميقات. والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله. ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر. أي ولكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه. وما كنت ثاويا. مقيما. في أهل مدين. شعيب والمؤمنين به. تتلو عليهم. تقرؤ عليهم تعلما منهم. آياتنا. التي فيهم قصتهم. ولكنا كنا مرسلين. إياك ومخبرين لك بها. وما كنت بجانب الطور إذ نادينا. لعل المراد به وقت ما أعطاه التورية وبالأول حينما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة. ولكن رحمة من ربك. ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة. لتنذر قوما. متعلق بالفعل المحذوف. ما أتاهم من نذير من قبلك. لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. لعلهم يتذكرون. يتعظون. ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا. لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لأنها مما أجيبت بالفاء تشبيها لها بالأمر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى. من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا. أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل. يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من أولاد عاد. قالوا ساحران. يعنون موسى وهرون أو موسى ومحمدا. تظاهرا. تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين. وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة

على سبب الإعجاز وقرئ اظّاهرا على الإدغام. وقالوا إنا بكلٍّ كافرون أي بكل منهما
أو بكل الأنبياء. قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما مما أنزل على موسى
وعليّ وإضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد. أتبعه إن
كنتم صادقين أنا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت
ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم. فإن لم يستجيبوا لك دعاءك إلى الإتيان بالكتاب
الأهدى فحذف المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يعدّى بنفسه إلى الدعاء وباللام
إلى الداعي فإذا عدّي إليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندا فلم
يستجبه عند ذاك مجيب. فاعلم أنما يتبعون أهواءهم إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها
ومن أضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي. بغير هدى من الله في موضع الحال
للتوكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق. إن الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى. ولقد وصّلنا لهم القول أتبعنا بعضه
بعضا في الإنزال ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد و
النصائح بالعبر. لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون. الذين آتيناهم الكتاب من
قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل الإنجيل
اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام. والضمير في من قبله للقرآن
كالمستكن في. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أي بأنه كلام الله. إنه الحق من ربنا
استيناف لبيان ما أوجب إيمانهم به. إنا كنا من قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة
على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره
في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم
صحته في الجملة. أولئك يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم
بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين. ويدرؤون
بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام أتبع الحسنة
السيئة تمحها. ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا
عنه تكرما. وقالوا للاغين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم متاركة لهم
وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه. لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا
نريدها. إنك لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخله في الإسلام. ولكن الله يهدي من
يشاء فيدخله في الإسلام. وهو أعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور
على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ بها لك عند الله قال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق

ولكني

ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت. وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا
نخرج منها. نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن
يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله أولم نمكن لهم حرما آمنا أولم نجعل مكانهم
حرما ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه تتناحر العرب حوله وهم آمنون. يجبى إليه يحمل
إليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب وفي رواية بالتاء. ثمرات كل شيء من كل أوب رزقا
من لدنا فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا
ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. ولكن أكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون
له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل إنه متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون
أن ذلك رزق من عند الله إذ لو علموا لما خافوا غيره. وانتصاب رزقا على المصدر من معنى
يجبى أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس فإنهم أحقاء بأن يخافوا
من بأس الله على ما هم عليه بقوله. وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكم من
أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب
ديارهم. فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى إذ لا يسكنها
إلا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها. إلا قليلا من شوم معاصيهم. وكنا
نحن الوارثين منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار
زمان مضاف إليه أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت. وما كان ربك وما
كانت عادته. مهلك القرى حتى يبعث في أمها في أصلها التي هي أعمالها لأن أهلها
تكون أفطن وأنبل. رسولا يتلو عليهم آياتنا لإلزام الحجة وقطع المعذرة. وما كنا
مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بتكذيب الرسول والعتو في الكفر. وما أوتيتم
من شيء من أسباب الدنيا. فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به
مدة حياتكم المنقضية. وما عند الله وهو ثوابه. خير في نفسه من ذلك لأنه لذة
خالصة وبهجة كاملة. وأبقى لأنه أبدي. أفلا تعقلون فتستبدلون الذي
هو أدنى بالذي هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ في الموعظة. أفمن وعدناه
وعدا حسنا وعدا بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود. فهو لاقيه مدركه
لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية. كمن
متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب
للتحسر على الانقطاع. ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب أو العذاب وثم للتراخي

قوله تناحر العرب أي ينحر بعضهم بعضا فيقتل بعضهم بعضا ونحره نحر الجزور والنحر لا يستعمل حقيقة إلا في ذبح الحيوان فهو استعارة هنا وقوله من كل أوب أي كل جانب وجهة وليس هذا العموم حقيقيا كما توهم فكل هنا للتكثير وأصل معناها الإحاطة شهاب

قوله وهو أبلغ في الموعظة لإشعاره بأنهم لعدم عقلهم لا يصلحون للخطاب فالالتفات لعدم الالتفات زجر لهم وبهذه النكتة للالتفات خاصة بهذا المقام شهاب

في الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر في رواية الكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها
المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتبت عليه بالفاء ويوم
يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم
تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين
حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم
الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا
غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة
وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة
على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر هوى منهم وهي تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا
ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة
بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم
يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم
كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو
للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
عطف على الاول فانه تعالى سأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت
عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمي عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن
الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من
خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها
وغيرها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك السؤال من الهول ويفوضون
الى علم الله فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا
يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما
من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان
يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب
بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له
ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا
والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع
لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف

قوله ويجوز ان يكون الذين صفة اي هو خبر ويجوز كونه صفة لهؤلاء والجملة خبرا وهذا رد على ما ذكره ابو علي في التذكرة من ان هؤلاء مبتداء والذين اغوينا خبر مبتداء محذوف اي هم الذين اغوينا وهذه الجملة خبر وجملة اغويناهم مستأنفة ولا يجوز كون الذين صفة وجملة اغويناهم خبرا لانه لم يفد غير ما افاد المبتداء الموصوف والتقييد بالظرف الفضلة لا يصيره مفيدا ... المجيب لا اصالة بان القيد الزائد صيره مفيدا ... المبتداء وصفته ولا يضره كونه فضلة فان بعض الفضلات قد يلزم في بعض المواضع كما اشار اليه بقوله وهو وان كان ...

قوله فعميت عليهم الانباء كالعمى اشارة الى ان الانباء استعيرت لذوي الارادة المتوجهين الى شيء واثبت لها العمى بطريق التخييل
قوله لكنه عكس يعني فاثبت العمى الذي هو حالهم للانباء تخييلا للمبالغة وليس من باب القلب كما ظن سعد

ونزل ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة
مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان
الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد
يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون
في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم
دلامص الى يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله
يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين
افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيامة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله
لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله
ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر
من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا
من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك
فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد
تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني
لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة
شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة
ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل
عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم
موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وكان ممن آمن به فبغى عليهم
فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون
على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير شيء
الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي

وبين في الوجه الاول نفيه والداعي لهذا دفع التكرار بين يشاء ويختار ووجه تمريضه عدم مساعدة اللغة له فانا لم نجد فيها ان الخيرة بمعنى الاختيار لا بمعنى الخير وعدم مناسبته لما بعده من قوله سبحان الله سهات

قوله كان حقه هل اله لان بل لطلب التصديق وهو المناسب لمقام ... لان من التي لطلب التعيين المقتضي لاصل الوجود نكتة اي به على زعمهم ان الهتهم موجودة تبكيتا وتضليلا سهات

قوله ولعله لم يصف الضياء بما يقابله اي يقابل المذكور وهو قوله تسكنون فيه كان يقول ضياء تتحركون فيه وتتصرفون لانه لو وصف به دل على ان الضياء انما فيه من التصرف لاجله وانه تبع وليس كذلك واما ظلمة الليل فليست مقصودة في نفسها بل النعمة ما فيه من الهدوء والسكنة والراحة سهات

قوله وذلك اي طلبه الفضل او التكبر او الظلم والحبورة بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة مصدر حبر الرجل اذا صار حبرا اي اماما مقتدى ومتبعا عليهم للقوم سهات

القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتي وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالعصبة بالياء
على اعطاء للمضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول عن ذهابها فان
العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا
بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ
فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة
اليها ولا تنس اي ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل به آخرتك
او تاخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض
نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما
اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال
وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف عليه السلام وعندي صفة له او متعلق
باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من
قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة
ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم
وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه
مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا
اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله تعالى مطلع على ذنوب المجرمين
كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء
عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا
مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل ههنا للزجر عما لا
يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا
وما فيها ولا يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة

المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى
عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت آية الزكوة فصالحه عن كل الف
على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل ليرفضوه
فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من
سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فنا
شدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان
ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا عنه الى ربه فاوحي اليه ان مر الارض بما شئت فقال
يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه
فاخذته الى العنق ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال
فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة
لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان
له من فئة اعوان مشتقة من فاوت راسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله
فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من
عدوه فانتصر اذا منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ
زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط
ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكان
عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط
الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا
فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف لاجله وقرا حفص
بفتح الخاء والسين ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد
لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها و
بلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا
ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين
ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه
ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته

وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك
ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان
العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين
روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربى اعلم من
جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو
فى ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير
للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى معادك كما
القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون
استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن
ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله
عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك
الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر
هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لا اله الا هو كل شئ هالك
الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم له الحكم القضاء
النافذ فى الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى عليه السلام من قرأ طسم القصص
كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا
شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول
فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس
الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين
متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان
معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين
من تمامه ولقولهم آمنا هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب او انفسهم متروكين
غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض
الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصايب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من
المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد
الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى
ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه

ابواه

قوله اعتدت بها جعل المعاد من العادة لا من العود لان المعنى
انه رادك الى محل اعتدته والفته ولو كان من العود وهو
بمعنى الرد كان معناه رادك الى مرد او معيدك الى معاد
ولا يخفى ركاكته سهات

ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى
ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به
الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى
وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة
يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر
والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم
على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا
الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه
او حكما يحكمونه حكمهم فحذف المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله فى الجنة وقيل
المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل
حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه
ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه
لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله و
يصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات
فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغنى عن العالمين فلا حاجة به الى
طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات
ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان
بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى
مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى وقلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم
بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه
فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان
لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما

سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت
ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمن والاحقاف • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين • فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى
انبياء الله المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة • ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى
فى الله • بان عذبهم الكفرة على الايمان • جعل فتنة الناس • ما يصيبهم من اذيتهم فى الصرف
عن الايمان • كعذاب الله • فى الصرف عن الكفر • ولئن جاء نصر من ربك • فتح وغنيمة
ليقولن انا كنا معكم • فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف
ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين • ويؤيد الاول • اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين
من الاخلاص والنفاق • وليعلمن الله الذين آمنوا • بقلوبهم • وليعلمن المنافقين •
فيجازى الفريقين • وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا • الذى نسلكه
فى ديننا • ولنحمل خطاياكم • ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا
انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد
بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة تشجيعا لهم عليه • وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم
بقوله • وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون • من الاولى للتبيين
والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم • وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم • واثقالا آخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان
ينقص من اثقال من تبعهم شئ • وليسئلن يوم القيمة • سؤال تقريع وتبكيت • عما كانوا
يفترون • من الاباطيل التى اضلوا بها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما • بعد المبعث اذ روى انه بعث على راس اربعين ودعا قومه
تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين • ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة
على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من
تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرير من البشاعة
فاخذهم الطوفان • طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام ونحوهما
وهم ظالمون • بالكفر • فانجيناه • اى نوحا • واصحاب السفينة • ومن ركب معه من
اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعون وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم
اناث • وجعلناها • اى السفينة او الحادثة • آية للعالمين • يتعظون ويستدلون
بها • وابرهيم • عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر • وقرئ بالرفع على تقدير ومن
المرسلين ابرهيم • اذ قال لقومه اعبدوا الله • ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل

عقله

عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به • او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر
باذكر • واتقوه ذلكم خير لكم • مما انتم عليه • ان كنتم تعلمون • الخير والشر
وتميزون ما هو خير مما هو شر • او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا • وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة
او ادعاء شفاعتها عند الله • او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة
ما هم عليه من حيث انه زور وباطل • وقرئ تخلقون من خلق للتكثير • وتخلقون من
تخلق للتكلف • وافكا على انه مصدر كالكذب • او نعت بمعنى خلقا ذا افك • ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا • دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه
لا يجدى بطائل • ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق
وتنكيره للتعميم • فابتغوا عند الله الرزق • كله فانه المالك له • واعبدوه واشكروا
له • متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره • او مستعدين
للقائه بهما فانه اليه ترجعون • وقرئ بفتح التاء • وان تكذبوا • وان تكذبونى فقد
كذب امم من قبلكم • من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب
لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم • وما على الرسول الا البلاغ المبين • الذى زال معه
الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب • فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم عليه
السلام الى قوله فما كان جواب قومه • ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبى عليه السلام
وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان
مساقها لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان
ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم فى قومه
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق • من مادة ومن غيرها • وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء
على تقدير القول • وقرئ يبدا • ثم يعيده • اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم
يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه • ويجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ فى كل
سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ • ان
ذلك • الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين • على الله يسير • اذ لا يفتقر فى فعله الى شئ
قل سيروا فى الارض • حكاية كلام الله تعالى لابرهيم ومحمد عليهما السلام • فانظروا كيف بدا الخلق
على اختلاف الاجناس والاحوال • ثم الله ينشئ النشاة الآخرة • بعد النشاة الاولى التى هى
الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم • والافصاح باسم
الله مع ايقاعه مبتدا بعد اضماره فى بدا والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود
بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون

والكلام في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتوارى في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اى ييئسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجيه الله من النار اى فقذفوه في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثانى مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا بسبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعايد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال انى مهاجر الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائى الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سذوم

ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم المنكر في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح لعدم مبالاتهم بها وقيل الخذف ورمى البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب المفهوم من توبيخ في استقباح ذلك او في دعوى النبوة قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سذوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او بتأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله القصير الذراع

وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك
باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها
اية بينة هي حكايتها الشائعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله
وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل
انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه في دعوى النبوة
فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب ترجف
لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على
الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا
وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من
مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند
مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي
الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون
وفرعون وهامان معطوفات على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر
الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم
معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة
وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل يبنى بيتا من حجر وجص

والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع
على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا
ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم
سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم
ما تدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان
ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة
عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر
او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل
لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان
من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا لمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر
القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا وصفه قادر
على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد
من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون
الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد
به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما
اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك
من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل
قد ينكشف له بالتكرار ما لا ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها
من حيث انها تذكر الله تعالى وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان
يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف
له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات
وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية
عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه
ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل
هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء كما قيل اخر الدواء الكي

وقيل المراد به ذو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات
الولد وقولهم يد الله مغلولة او نبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم وهو من المجادلة التي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا
لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض
باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا
اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم
الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ومن العرب واهل مكة او ممن في عهد الرسول من اهل الكتابين من يؤمن به بالقرآن
وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان
جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه
بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع
لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة
تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ
لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم
بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك
على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد بآياتنا الا
الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا
بها وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى
عليه السلام وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها
كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا الانذار
وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل
بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك
ان في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم
يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان
يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا

بصدقي

قوله وعن النبي عليه السلام اي هو بيان القول المذكور مجادلة لانه [illegible] عن انه لا تصدقوا [illegible] والتكذيب والتصديق [illegible] نقيضين [illegible] وتحديث صحيح [illegible] مروي في البخاري سهات

بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي
بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين
آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا
حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون
باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم
العذاب او هي كالمحيط بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد
على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا
بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت
من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي
الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة
ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من
فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم عليه السلام
ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا
العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا
ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة
والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او
بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر
العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا
على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا
يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره
وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم
مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب
لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم
بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن

الله

قوله واللام اي في الكافرين وظاهره انه حرف تعريف لا موصول لاجراء الكافر والمؤمن مجرى الاسماء الجامدة والمراد على العهد [illegible] وموجب الاحاطة هو الكفر على قاعدة التعليق بالمشتق [illegible]
قوله مثل كان كيت وكيت هو كناية عما لا يقصد الوصف [illegible] اي حدث من عظيم من الانتقام من المشركين وقهر المكذبين وتشفي صدور المؤمنين سعدي

لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فأنى يؤفكون
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب
وان لا يكون واحدا على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان
الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها
اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل
الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم
لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم
وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير
وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به
الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي
الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة
والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا
وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير
عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة
فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم
على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا في البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين
في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم
بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجؤا المعاودة
الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم
نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر
على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون
فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين تعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا
حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي
ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور
وتناهب افبالباطل ... ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه
الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم
الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم

ان

ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول والكتاب وفي لما استسفاه لهم بان
لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في
جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم
اي لم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا
في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم
سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا
لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه السلام من قرأ
سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون وهي ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم
في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب
واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم
وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم
باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح
المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد
ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف عليه اللعنة كذبت اجعل بيننا
اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين
فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر
وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر
الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل
به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب عنه بانه كان قبل تحريم القمار
والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه
ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم
المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل
ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين

وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين كونهم غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولي بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحته وعدم جهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة هم غافلون التي هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجازة الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم او لم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها المستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا

مغترون

مغترون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع له فيه وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت به ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بالآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وآيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار

القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو اخر النهار من عشي العين اذا
نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيها اكثر ويجوز ان يكون عشيا
معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون
صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها
مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس
بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز
الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الاية وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قاله
حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون
فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج
الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة بالموت وبالعكس ويحيي الارض
بالنبات بعد موتها بيبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه
ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء ومن اياته ان خلقكم
من تراب اي في اصل الانسان لانه خلق اصله منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون
في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع ادم
وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لتميلوا
اليها وتالفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم اي
بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها
بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف
والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن اياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته والهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا يكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها و
الوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوءمين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في
ذلك لايات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرا حفص
بكسر اللام ويؤيده وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم

ثم فاجاء كونكم بشرا منتشرين

من فضله ۔ منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية و
طلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين
بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة
ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ۔ ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ۔ سماع تفهم
واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ۔ ومن آياته يريكم البرق ۔ مقدر بان كقوله الا ايها
الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ۔ او الفعل فيه منزل منزلة
المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ۔ او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق
كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ۔ خوفا ۔ من الصاعقة
او للمسافر ۔ وطمعا ۔ في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزم المذكور فان
ارائتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل
الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل
كلمته شفاها ۔ وينزل من السماء ماء ۔ وقرئ بالتشديد ۔ فيحيي به الارض بالنبات
بعد موتها ۔ يبسها ۔ ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۔ يستعملون عقولهم في
استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ۔ ومن آياته
ان تقوم السماء والارض بامره ۔ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما
المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ۔ عطف على ان تقوم على تاويل مفرد
كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة
واحدة فيه فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد منه تشبيه سرعة ترتب اجابة الداعي
حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة
الداعي المطاع على دعائه ۔ وثم اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعاء
كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا
الثانية للمفاجاة وكذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى ۔ وله من في السموات والارض
كل له قانتون ۔ منقادون لفعله فيهم فهم لا يمتنعون عليه ۔ وهو الذي يبدؤ الخلق
ثم يعيده ۔ بعد اهلاكهم ۔ وهو اهون عليه ۔ والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة
الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ۔ ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل
اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد ۔ وله المثل
الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ۔ ومن فسر بقول لا اله الا الله
اراد به الوصف بالوحدانية ۔ الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض

يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا. وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابدآء ممكن
واعادته. الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته. ضرب لكم مثلا من
انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم. هل لكم من ما ملكت ايمانكم
من مماليككم من شركاء في ما رزقناكم من الاموال وغيرها. فانتم فيه سوآء فتكونون
انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن
الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي
تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه. كخيفتكم انفسكم. كما يخاف الاحرار بعضهم
من بعض. كذلك. مثل ذلك التفصيل. نفصل الايات. نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني
ويوضحها. لقوم يعقلون. يستعملون عقولهم في تدبر الامثال. بل اتبع الذين ظلموا.
بالاشراك. اهوآءهم بغير علم. جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه
علمه. فمن يهدي من اضل الله. فمن يقدر على هدايته. وما لهم من ناصرين. يخلصونهم
من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها. فاقم وجهك للدين حنيفا. فقومه له غير ملتفت
او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به. فطرة الله. خلقته
نصب على الاغرآء او المصدر لما دل عليه ما بعدها. التي فطر الناس عليها. خلقهم عليها
وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى
بهم اليها. وقيل العهد الماخوذ من آدم وذريته. لا تبديل لخلق الله. لا يقدر احد ان
يغيره او ما ينبغي ان يغير. ذلك. اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة
ان فسرت بالملة. الدين القيم. المستوي الذي لا عوج فيه. ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استقامته لعدم تدبرهم. منيبين اليه. راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى
وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان
الآية خطاب للرسول والامة لقوله. واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له. من الذين فرقوا دينهم. بدل من المشركين
وتفريقهم اختلافهم في ما يعبدونه على اختلاف اهوآئهم. وقرأ حمزة والكسائي فارقوا
بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به. وكانوا شيعا. فرقا تشايع كل امامها الذي اضل
دينها. كل حزب بما لديهم فرحون. مسرورون ظنا بانه على الحق. ويجوز ان يجعل فرحون
صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا. واذا مس الناس ضر. شدة. دعوا ربهم منيبين
اليه. راجعين اليه من دعاء غيره. ثم اذا اذاقهم منه رحمة. خلاصا من تلك الشدة
اذا فريق منهم بربهم يشركون. فاجا فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم
ليكفروا بما آتيناهم. اللام فيه للعاقبة. وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله. فتمتعوا.

غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا. فسوف تعلمون. عاقبة تمتعكم وقرئ
بالياء على ان تمتعوا ماض. ام انزلنا عليهم سلطانا. حجة. وقيل ذا سلطان اي ملكا
معه برهان. فهو يتكلم. تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق. بما كانوا
به يشركون. باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته. واذا
اذقنا الناس رحمة. نعمة من صحة وسعة. فرحوا بها. بطروا بسببها. وان تصبهم
سيئة. شدة. بما قدمت ايديهم. بشؤم معاصيهم. اذا هم يقنطون. فاجؤا القنوط
من رحمته. وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون. اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر. فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السرآء والضرآء كالمؤمنين. ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون. فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة. فآت ذا القربى حقه. كصلة
الرحم. واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به. والمسكين
وابن السبيل. ما وظف لهما من الزكوة. والخطاب للنبي عليه السلام او لمن بسط له و
لذلك رتب على ما قبله بالفاء. ذلك خير للذين يريدون وجه الله. ذاته او جهته اي
يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى. واولئك
هم المفلحون. حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم. وما آتيتم من ربا.
زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة. وقرأ ابن كثير بالقصر
بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا. ليربوا في اموال الناس. ليزيد ويزكو في اموالهم
فلا يربوا عند الله. فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه. وقرأ نافع ويعقوب لتربوا
اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا. وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله. تبتغون
به وجهه خالصا. فاولئك هم المضعفون. ذوو الاضعاف من الثواب
ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم
ببركة الزكوة. وقرئ بفتح العين. وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة
والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او
للتعميم كانه قال. ومن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون. الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء. اثبت له
لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا
بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك
تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال. سبحانه وتعالى عما يشركون. ويجوز
ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة

لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء ‌• وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم ‌• وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه ‌• وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة ‌• واللام للعلة او للعاقبة ‌• وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه ‌• قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استينافا للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك فقومه للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ‌• ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه ‌• يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ‌• ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة ‌• وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون ‌• والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين ‌• وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ‌• ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ‌• ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة ‌• واما الدبور فريح العذاب ‌• ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ‌• وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها ‌• وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع هبوبها ‌• والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ‌• ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار

قوله والام للعلة او للعاقبة الاول على تفسير الف وعلى الوجه الاول والثاني على تفسيره على الوجه الثاني وقد تقابل راجع لهما فتامل سهاب

قوله وتاكيد اختصاص الصلاح بالغرق الثاني المفهوم من المقابلة وكان التاكيد بتكرار ذكر من عمل صالحا وعملوا الصالحات وكان الظاهر الاختصار وان يقال ليجزيهم وتاكيد مبتدا خبره قوله تعليل له والمفهوم صفته اي لم يقتصر واتي بالظاهر الموكد لبيان ان علة الجزاء عملهم الصالح على قاعدة التعليق بالمشتق فافادة ان مبدا الاشتقاق علته له سهاب

قوله الشمال بفتح الشين والميم وبعدها الف وبسكون الميم وبعدها همزة واصول الرياح اربعة كما ذكره المص والثلاثة الاول تلقح السحاب للمطر وتجمعه فلذا كانت رحمة وكان الاكثر ذكرها مجموعة اذا اريد الرحمة ومفردة اذا اريد العذاب وقد ورد خلافه ايضا كقوله وجرين بهم بريح طيبة وقوله ولسليمان الريح والحديث المذكور اخرجه البيهقي والطبراني وهو ضعيف ولكنه ورد من طرق يجبر ضعفه سهاب

اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم ‌• وعنه عليه السلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك ‌• وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ‌• الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى ‌• وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم ‌• وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى اثر رحمت الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ‌• ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها ‌• وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ‌• ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة ‌• وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ‌• ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر والزرع فانه مدلول عليه بما تقدم ‌• وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ‌• وقوله لظلوا من بعده يكفرون ‌• جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال ‌• وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم رحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زرعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه ‌• فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ‌• ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ‌• قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا ‌• وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم ‌• وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم ‌• وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ‌• ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به ‌• الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم

لقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح حمزة وعاصم الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم ليس عين المتأخر يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها وقعت بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة ومن الانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوا وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على

الخفة

الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمن مكية وقيل الا الآية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلثون وقيل ثلث وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني به كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار لها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهو تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرأ مشابها من في اذنه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او في مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي

لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته • خلق السموات بغير عمد ترونها • استيناف وقد سبق في الرعد • والقى في الارض رواسي • جبالا شوامخ • ان تميد بكم • كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين • وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم • من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله • هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه • هذا ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته • وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به • بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر • ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم • ولقد آتينا لقمن الحكمة • يعني لقمن بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة • وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يذبح ويأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا • ان اشكر لله • لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول • ومن يشكر فانما يشكر لنفسه • لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها • ومن كفر فان الله غني • لا يحتاج الى الشكر • حميد • لا يحتاج الى الشكر حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال • واذ قال لقمن لابنه • انعم او اشكم او ماثان • وهو يعظه يا بني • تصغير اشفاق وقرا ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان الياء • وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء • وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والتشديد والبزي مثله في الاخير والباقون في الثلاثة بكسر الياء • لا تشرك بالله • قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما • ان الشرك لظلم عظيم • لانه تسوية من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه • ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن • ذات وهن او تهن وهنا • على وهن • اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال تتضاعف ضعفها • والجملة

والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا • وفصاله في عامين • وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله • وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان • ان اشكر لي ولوالديك • تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا • ومن ثمة قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك • الي المصير • فاحاسبك على شكرك وكفرك • وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم • باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما • وقيل اراد بنفي العلم به نفيه • فلا تطعهما • في ذلك • وصاحبهما في الدنيا معروفا • صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم • واتبع • في الدين • سبيل من اناب الي • بالتوحيد والاخلاص في الطاعة • ثم الي مرجعكم • مرجعك ومرجعهما • فانبئكم بما كنتم تعملون • بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به لقمان وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب ابو بكر فانه اسلم بدعوته • يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل • اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة خردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة • فتكن في صخرة او في السموات او في الارض • في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته • يات بها الله • يحضرها فيحاسب عليها • ان الله لطيف • يصل علمه الى كل خفي • خبير • عالم بكنهه • يا بني اقم الصلوة • تكميلا لنفسك • وأمر بالمعروف وانه عن المنكر • تكميلا لغيرك • واصبر على ما اصابك • من الشدائد سيما في ذلك • ان ذلك • اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به • من عزم الامور • مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد • ولا تصعر خدك للناس • لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل

مثل علاه واعلاه وعالاه • ولا تمش في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال
او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر • ان الله لا يحب كل مختال فخور • علة للنهى وتأخير
الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال الماشي مرحا لتوافق رؤس الآي • واقصد
في مشيك • توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي
تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق
دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك • وانقص منه واقصر • ان انكر الاصوات • اوحشها لصوت
الحمير • والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل • الم تروا ان
الله سخر لكم ما في السموات • بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم • وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط • واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة • محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعم وتفصيلها
في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين والخاء او القاف
كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة • ومن الناس من يجادل
في الله • في توحيده وصفاته • بغير علم • مستفاد من دليل • ولا هدى • راجع الى رسول
ولا كتاب منير • انزله الله بل بالتقليد كما قال • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما وجدنا عليه آباءنا • وهو منع صريح من التقليد في الاصول • اولو كان الشيطان
يدعوهم • يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم • الى عذاب السعير • الى ما يؤول اليه من التقليد
او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجيب • ومن
يسلم وجهه الى الله • بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص • وهو محسن • في
عمله • فقد استمسك بالعروة الوثقى • تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل
بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه • والى الله عاقبة
الامور • اذ الكل صائر اليه • ومن كفر فلا يحزنك كفره • فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة
وقرئ ولا يحزنك من احزن وليس بمستفيض • الينا مرجعهم • في الدارين • فننبئهم بما
عملوا • بالاهلاك والتعذيب • ان الله عليم بذات الصدور • فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر • نمتعهم
قليلا • تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل • ثم نضطرهم الى عذاب
غليظ • يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط • ولئن سألتهم من خلق

السموت

السموات والارض ليقولن الله • لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا
الى اذعانه • قل الحمد لله • على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم
بل اكثرهم لا يعلمون • ان ذلك يلزمهم • لله ما في السموات والارض • لا يستحق
العبادة فيهما غيره • ان الله هو الغني • عن حمد الحامدين • الحميد • المستحق للحمد وان لم يحمد
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام • ولو ثبت كون الاشجار اقلاما • وتوحيد شجرة
لان المراد تفصيل الآحاد • والبحر يمده من بعده سبعة ابحر • والبحر المحيط بسعته
مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه
للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف او الواو للحال
ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده
بالياء والتاء • ما نفدت كلمات الله • بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع
القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير • ان الله عزيز • لا يعجزه
شيء • حكيم • لا يخرج عن علمه وحكمه امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء • ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة • الا
كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة
مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • ان الله
سميع • يسمع كل مسموع • بصير • يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض
فكذلك الخلق • الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري • كل من النيرين يجري في فلكه • الى اجل مسمى • الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة
والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا
منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات • وان الله بما تعملون
خبير • عالم بكنهه • ذلك • اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع
واختصاص البارى بها • بان الله هو الحق • بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او
الثابت الهيته • وان ما تدعون من دونه الباطل • المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف
الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء • وان الله هو العلي
الكبير • مترفع عن كل شيء ومتسلط عليه • الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله • باحسانه
في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته والباء للصلة
او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح
والسكون • ليريكم من آياته • دلائله • ان في ذلك لآيات لكل صبار • على المشاق فيتعب

نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين
فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج
كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من
الخوف الشديد فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو
التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار
فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا
اغنى والراجع الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتداء
خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع
طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب
حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان
يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت
قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل
غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية
وينزل الغيث في ايانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بالتشديد ويعلم ما في الارحام ذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت
مر على سليمن فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال
كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه
تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد
لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلته وانفذ فيها وسعه
لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه
وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء
كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمن
كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي له من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل
بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما
للسورة او القرآن فمبتداء خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل
تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتداء خبره لا ريب فيه فيكون من رب
العالمين حالا من فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا
والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة
ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو
الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب
عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون
فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى
اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في
الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم
ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في
مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب
سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه يصعد اليه ويثبت في
علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان
متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره
في اللوح المحفوظ فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة
نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة
وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر
الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من
الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة
متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في
تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه
خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل
بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله عليه السلام قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته

وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول
مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم
جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين
ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا
وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا
فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر
اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا
وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم
به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون
قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت
الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا
ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا
فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا
يقدر لترى مفعول لان المعنى لو تكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما يدل عليه
صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به
الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا
عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا
فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك
المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر العاقبة والتفكر فيها

دلالة

دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون
عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن
المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه
وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه
عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق
كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في
البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس
وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين
مما تقربه عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرا حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ
يخفى واخفى والفاعل للكل هو الله وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة او استفهامية معلق عنه الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء
او لخفي الجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة
تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات
الماوى نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين
فسقوا فماويهم النار مكان جنة الماوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا
به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم
لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله
عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر
فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد
التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم
يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى

الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب كقوله
وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن
قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه
عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه
من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم
ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا
له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن
الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل
عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله
بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت
لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع انعامهم كالتبن
والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله
ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم
صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو
يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح
مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون
وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به
الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون
الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم وان الملائكة
ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من
الاجر كأنما احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله
ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه

ليكون

عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن
في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي
كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر
آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد
حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان
الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلح ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو
بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك وتوكل
على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق
للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائي
تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة
في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب
له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسيد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر
عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى
ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى
التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي
اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو
واللاي بالياء وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ
ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ
تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان
يقول للزوجة انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك
وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي
الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي بها آلى وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية
عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا
يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل
بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة
له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو
يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود

من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على

انفسهم

انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج عليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبر فظهر المخلص عن المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها

ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها
الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي
بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال
ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف
الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في
اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها
لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر بمعنى جاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة
اي باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسئولا مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في
وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان
نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل
من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او من يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على
الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا بدفع الضرر
عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا
وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او باسا
فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب
محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بالمعاونة او النفقة
في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على
الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي
يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينيه او مشبهين به او مشبهة بعينه من
الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد
او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا

منهما

منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر
بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك
الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا
ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في
الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم
من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة
ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات
في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة
عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرا عاصم بضم الهمزة وهو
لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله ولقائه ونعيم الآخرة او ايام
الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل
بحسب الحكم فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة
لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن
بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك
ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه السلام
سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون
اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق
الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا
في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا
بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لي
الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره
بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر رضوان الله عليهم اجمعين
والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر
الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل
روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال

عليه السلام أوجب طلبه، وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل، وقوله
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم تعليل
للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون
بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد به التوفيق للتوبة
إن الله كان غفورا رحيما لمن تاب. ورد الله الذين كفروا يعني الأحزاب بغيظهم
متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين، وهما حالان بتداخل أو تعاقب. وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة. وكان الله قويا على إحداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء
وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم
من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة
الديك. وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا
وقرئ بضم السين روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة
التي انهزم فيها الأحزاب فقال أتنزع لأمتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك
بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة
فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال عليه السلام لهم تنزلون على
حكمي فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم و
سبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه السلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة. وأورثكم أرضهم مزارعهم وديارهم
حصونهم وأموالهم نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روي أنه عليه السلام جعل عقارهم
للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم
بدر فقال إنما جعلت هذه لي طعمة. وأرضا لم تطؤوها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل
كل أرض تفتح إلى يوم القيمة. وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك
يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها
زخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن سراحا جميلا طلاقا من
غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة
رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن
الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها
قسيما لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن
ومالك وإحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها خيرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح

المسبب

المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق، وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة
نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند أبي حنيفة واختلف في وجوبه ٢
للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف ٢
وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا
عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها، ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات يا نساء
النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر
والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه
لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك
جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم، وقرأ البصريان
يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك
على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن
يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم بقوله وتعمل صالحا
نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء أيضا حملا على لفظ من
ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على أجرها
يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في
النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة
من جماعات النساء في الفضل فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن مخالفة حكم
الله ورضا رسوله خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور
وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب ٢
نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في
بيوتكن من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي أقررن ونقلت كسرتها
إلى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر لغة فيه
ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية
الأولى تبرجا مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل
الزمان الذي ولد فيه إبرهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى الفسوق في الإسلام
ويعضده قوله عليه السلام لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو إسلام

إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء
رسول الله صح

قال جاهلية كفر ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر ما امركن
به ونهاكن عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب
على النداء او المدح ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن المعاصي ﴿تَطْهِيرًا﴾ واستعارة الرجس للمعصية والترشيح
بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روى انه
عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخل
فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف
لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه
ليس غيرهم ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ من الكتاب الجامع بين
الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما
شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والائتمار فيما كلفن به ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المصدقين
بما يجب ان يصدق به ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ المداومين على الطاعة ﴿وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ﴾ في القول والعمل ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على الطاعات وعن المعاصي
﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾
بما وجب في مالهم ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ الصوم المفروض ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن الحرام ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بقلوبهم والسنتهم ﴿أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُم
مَّغْفِرَةً﴾ لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعاتهم والاية
وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير
نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على
الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ
وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ ما صح له ﴿إِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ اي قضى رسول الله وذكر الله
لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته

اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت
هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من
زيد ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان
يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول
لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون
وهشام يكون بالياء ﴿وَمَن يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ بين الانحراف
عن الصواب ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه
فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت
منها الا خيرا ولكنها لشرفها يتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك ﴿وَاتَّقِ اللّٰهَ﴾
في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ تعييرهم اياك به ﴿وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَن
تَخْشَاهُ﴾ ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده
بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك
ان يصمت او يفوض الامر الى ربه ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة بحيث ملها ولم
يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وقيل قضاء الوطر كناية
عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه
او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير
في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ علة للتزويج وهو دليل على ان
حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ﴾ امره الذي يريده ﴿مَفْعُولًا﴾
مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللّٰهُ لَهُ﴾ قسم
له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العساكر لارزاقهم ﴿سُنَّةَ اللّٰهِ﴾
سن ذلك سنة ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللّٰهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾

رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملئكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه

قوله وكل رسول ابو امته ظاهره انه يصح اطلاق الاب على [illegible] صلى الله عليه وسلم كما تطلق الام على زوجاته ونقل الطيبي [illegible] فتية وقرأ وفيه لا يجوز ان يقال ابو المؤمنين [illegible] الآية سهات

قوله خصوصا اشارة الى انه يجوز ان يراد العموم كما يقال [illegible] دائما قوله لكونهما مشهودين اي يحضرهما ملائكة الليل [illegible] النهار لانتقالهما فيهما وهذا يدل على فضلهما سهات

قوله وقيل الفعلان اي اذكروا وسبحوه وعرضه لانه على تفسير [illegible] يكون تنازعا لهما فلا حاجة لتعلقه بالاول على التنازع سهات

قوله بالرحمة [illegible] لصلوة الله والاستغفار لصلوة الملائكة [illegible] والاهتمام راجع لهما يعني ان المراد بالصلاة هنا معنى [illegible] لهما فهو من عموم المجاز لان استعمال اللفظ في [illegible] وان كان جائزا فيه لكن الاهتمام من الله يقتضي [illegible] الملائكة تقتضي الاستغفار والاشارة بقوله والمراد [illegible] وقيل الترحم معطوف على قوله والمراد بالصلاة [illegible] بها الترحم وامثاله عطف صلوته ودعاء عرفان في [illegible] يعطفان في المنحنى ومنه المصلي في خيول الحلبة لان [illegible] لتصلا ما تعقد به ثم وضعت للصلاة المعروفة لما [illegible] الانعطاف في الركوع والسجود وصارت حقيقة [illegible] الانعطاف الصوري الى [illegible] تجوز بها عن [illegible] الترحم والرأفة سهات

بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة لها ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدو امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن

قوله يستضاء به قال الطيبي انه تشبيه اما مركب عقلي او تمثيل منتزع من عدة امور او مفرق وكلام المصنف محتمل للوجوه [illegible] فتشبيه وذاته بالسراج وما يدعو اليه المنور والمجموع [illegible] وقوله يستضاء به بالنسبة للضالين وقوله يقتبس بالنسبة للمهتدين سهات

قوله اي ان لم يكن مفروضا لها يعني ان الامر للوجوب ولا يجب المتعة الا لمن لم يسم لها مهر ان طلقت قبل المسيس فان كانت قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولا متعة لها وجوبا

قوله ويجوز ان يؤول اي بان يؤول قوله فمتعوهن باعطاء [illegible] المتعة المتعارفة ونصف المعروف [illegible] او بان يحمل الامر على القدر المشترك بين الايجاب والندب فان المسمى لها المطلقة قبل الدخول يستحب تمتيعها بشيء زائد على نصف المسمى [illegible] عند الشافعية واما عندنا ان المطلقات اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها فيجب لها المتعة ومطلقة لم توطأ وقد سمي لها لم تجب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى ومطلقة وطئت ولم يسم لها ومطلقة وطئت وقد سمي لها فهاتان يستحب لها المتعة ولا تجب الا اذا وطئها يجب لها المتعة سواء سمي لها او لم يسم ملخصا شيخزاده

معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت
ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل
الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه
التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل
امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في
اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية
وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في
استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها
جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه
في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان
اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح
والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على
القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف
اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب
القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف
ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه
وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع
عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله
غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن
تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص
ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا
جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما
اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان
رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب
وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم

ونضم اليك وبضاجعها او نطلق من تشاء وتمسك من تشاء صح

ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما
لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير
حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد
اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق
واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن
الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة
بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها
قراءة وهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت
يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله
على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما احل لكم يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى
طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام
من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه
حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير
من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه
مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز
لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم
ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له
عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان
ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه
فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي
ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء
الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن
المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام

كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فنزلت • ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن • من الخواطر الشيطانية • وما كان لكم •
وما صح لكم • ان تؤذوا رسول الله • ان تفعلوا ما يكرهه • ولا ان تنكحوا ازواجه من
بعده ابدا • من بعد وفاته او فراقه • وخص التي لم يدخل بها لما روى ان الاشعث
بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها
قبل ان يمسها فترك من غير نكير • ان ذلكم • يعني ايذاءه ونكاح نسائه • كان عند الله عظيما •
ذنبا عظيما • وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا • ولذلك بالغ في
الوعيد عليه فقال • ان تبدوا شيئا • كنكاحهن على السنتكم • او تخفوه • في صدوركم
فان الله كان بكل شيء عليما • فيعلم ذلك فيجازيكم به • وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد • لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن
ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن • استثناء لمن لا يجب الاحتجاب
عنهم • روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن
ايضا من وراء حجاب فنزلت • وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين • ولذلك
سمي العم ابا في قوله • واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق • او لانه كره ترك الاحتجاب منهما
مخافة ان يصفا لابنائهما • ولا نسائهن • يعني نساء المؤمنات • ولا ما ملكت
ايمانهن • من العبيد والاماء • وقيل من الاماء خاصة • وقد مر في سورة النور • واتقين
الله • فيما امرتن به • ان الله كان على كل شيء شهيدا • لا يخفى عليه خافية • ان
الله وملائكته يصلون على النبي • يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه • يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه • اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك • وقولوا اللهم صل على محمد •
وسلموا تسليما • وقولوا السلام عليك ايها النبي • وقيل وانقادوا لاوامره • والآية
تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة • وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي • وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله • ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا • لانه في
العرف صار شعارا لذكر الرسل • ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا •
ان الذين يؤذون الله ورسوله • يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي • او يؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك • وذكر الله للتعظيم له • ومن
جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار معمولين • لعنهم الله •
ابعدهم من رحمته • في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا • يهينهم مع الايلام •
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا • بغير جناية استحقوا

بها

بها • فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا • ظاهرا • قيل انها نزلت في منافقين يؤذون عليا
رضي الله عنه • وقيل في اهل الافك • وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات •
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن •
يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة • ومن للتبعيض فان المرأة ترخي
بعض جلبابها وتتلفع ببعض • ذلك ادنى ان يعرفن • يميزن عن الاماء والقينات • فلا
يؤذين • فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن • وكان الله غفورا • لما سلف • رحيما •
بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها • لئن لم ينته المنافقون • عن نفاقهم
والذين في قلوبهم مرض • ضعف ايمان وقلة ثبات عليه • او فجور • عن تزلزلهم في الدين
او فجورهم • والمرجفون في المدينة • يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
من ارجافهم • واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة • سمي به الاخبار الكاذب لكونه
متزلزلا غير ثابت • لنغرينك بهم • لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء •
ثم لا يجاورونك • عطف على لنغرينك • وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول اعظم ما يصيبهم • فيها • في المدينة • الا قليلا • زمانا او جوارا قليلا •
ملعونين • نصب على الشتم او الحال • والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين • ولا يجوز ان ينتصب عن قوله • اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • لان ما
بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها • سنة الله في الذين خلوا من قبل • مصدر مؤكد
اي سن الله ذلك في الامم الماضية • وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم
بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا • ولن تجد لسنة الله تبديلا • لانه لا يبدلها او لا
يقدر احد ان يبدلها • يسئلك الناس عن الساعة • عن وقت قيامها استهزاء
وتعنتا وامتحانا • قل انما علمها عند الله • لا يطلع عليه ملكا ولا نبيا • وما
يدريك لعل الساعة تكون قريبا • شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه
على الظرف • ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم • وفيه تهديد للمستعجل
واسكات للمتعنتين • ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا • نارا شديدة
الاتقاد • خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا • يحفظهم • ولا نصيرا • يدفع العذاب
عنهم • يوم تقلب وجوههم في النار • تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار
او من حال الى حال • وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب • ومتعلق الظرف • يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا • فلن نبتلى بهذا العذاب • وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا • يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر • وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا
على جمع الجمع للدلالة على الكثرة • فاضلونا السبيلا • بما زينوا لنا • ربنا آتهم ضعفين

من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا وأضلوا. والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد
وقرأ عاصم بالباء كبيرا أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه. يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فأظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه
ومضمونه. وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص
أو اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا
به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته أو قذفوه بعيب في بدنه من
برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه. وكان عند الله وجيها
ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبد الله وجيها. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في
ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله. وقولوا قولا سديدا قاصدا إلى الحق
من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد وسداد. يصلح
لكم أعمالكم يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها. ويغفر
لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل. ومن يطع الله ورسوله
في الأوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا
إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
الإنسان. تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة
الأداء والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات
شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة
قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين. إنه كان ظلوما حيث لم يف
بها ولم يراع حقها. جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب
وقيل المراد بالأمانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي
يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن
أدائها ومنه قولهم حامل الأمانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الإباء
عنه إتيانا بما يمكن أن يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل إنه تعالى لما
خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني
فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا
عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق
عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها
عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم
اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا

لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه
فإن من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد
ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما. ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث
أنه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد إشعار بأن
كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات. وكان الله غفورا رحيما حيث
تاب على فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعتهم. قال عليه السلام من قرأ سورة الأحزاب
وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر.

سورة سبأ مكية وآيها أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا
لكمال قدرته وعلى تمام نعمته. وله الحمد في الآخرة لأن ما في الآخرة أيضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فإن الوصف يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية فقيد
الحمد بها. وتقديم الصلة للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد
لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة. وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين. الخبير ببواطن
الأشياء. يعلم ما يلج في الأرض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر كالكنوز والدفائن
والأموات. وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون. وما
ينزل من السماء كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة. وهو الرحيم الغفور
للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة
للحصر. وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة إنكار لمجيئها واستبطاء استهزاء بالوعد به
قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه. وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لإيجابه
مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده على ما مر
غير مرة. وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب
بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا يعزب بالكسر ولا أصغر من ذلك ولا
أكبر إلا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء. ويؤيده
القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه
فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في
عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون
المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح. ليجزي الذين آمنوا وعملوا

الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها أولئك لهم مغفرة ورزق
كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس
فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مثبطين
عن الإيمان من أراده أولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب أليم مؤلم
ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين أوتوا العلم ويعلم أولو العلم
من الصحابة ومن شايعهم من الأمة أو من مسلمي أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك
القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضمير ابتداء أو الحق خبره والجملة ثاني
مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين
في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة
أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي هو
التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل
ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب
إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد إنكم تنشأون خلقا جديدا بعد أن
تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على
البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه
وما بعده مضاف إليه أو محجوب بينه وبينه بأن وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى
إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى
فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه
افترى على الله كذبا أم به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل
بجعلهم إياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على أن بين الصدق والكذب واسطة
وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لأن الافتراء أخص من الكذب
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم
وإثبات لهم ما هو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص
منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ
للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الأصل صفة الضال ووصف الضلال به على
الإسناد المجازي أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ
نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل
على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء و
هزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض

ولم

ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وإنا إن نشأ نخسف بهم أو نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط
بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك إن في ذلك النظر والفكر فيهما
وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع إلى ربه فإنه يكون كثير
التأمل في أمره ولقد آتينا داود منا فضلا أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر
بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن
يا جبال أوبي معه رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك إما بخلق
صوت مثل صوته فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث
سار وقرئ أوبي من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا
أو من آتينا بإضمار قولنا أو قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة
بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الإعراب أو على فضلا
أو مفعول معه لأوبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان أصل
النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما
فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال
والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها وألنا له الحديد وجعلناه
في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بالآلة أو بقوته أن اعمل
أمرناه أن اعمل وأن مفسرة أو مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ
صابغات وهو أول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث تتناسب حلقها
أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق وردّ بأن دروعه
لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود
وأهله إني بما تعملون بصير فأجازيكم عليه ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح
وقرئ الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها
شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها
وأسلنا له عين القطر النحاس المذاب أسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء
من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه
عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة أو جملة من مبتدأ وخبر بإذن ربه
بأمره ومن يزغ منهم عن أمرنا ومن يعدل منهم عما أمرناه من طاعة سليمن وقرئ
يزغ من أزاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من
محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لأنه يذب عنها ويحارب
عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي أنهم عملوا

أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما
واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما • وجفان • وصحاف • كالجواب • كالحياض الكبار جمع
جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة • وقدور راسيات • ثابتات على
الأثافي لا تنزل عنها لعظمها • اعملوا آل داود شكرا • حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب
على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لأن العمل له شكر او الوصف له او الحال
او المفعول به • وقليل من عبادي الشكور • المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه
اكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى
نهاية • ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر • فلما قضينا عليه الموت • اي على
سليمان • ما دلهم على موته • ما دل الجن وقيل آله • الا دابة الأرض • اي الأرضة ٢
أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الأرضة
الخشبة أرضا فأرضت الخشبة أرضا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا
تأكل منسأته • عصاه من نسأت البعير اذا طردته لأنه يطرد بها • وقرأ نافع وابو عمرو
منساته بألف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة • وحمزة اذا وقف عليها
جعلها بين بين وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس
اخراجها بين بين ومنسأة على مفعالة كميضاة في ميضأة • ومن سأته • اي طرف عصاه
مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة • فلما خر تبينت الجن • علمت
الجن بعد التباس الأمر عليهم • أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين •
انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا
في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب • وذلك ان داود عليه السلام أسس بيت المقدس في موضع
فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمن عليه السلام فاستعمل
الجن فيه فلم يتم اذ دنا اجله فأعلم به فأراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا
عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان
يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا
على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة • وملك وهو
ابن ثلث عشر سنة • وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه • لقد كان
لسبأ • لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان • ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو
لأنه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله اخرجه بين بين فلم

يؤده الراوي كما وجب • في مساكنهم • في موضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب
بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث • وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح والكسائي ٢
بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع • آية • علامة دالة على وجود
الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء ٢
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمن عليهما السلام • جنتان •
بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان • وقرئ بالنصب على المدح
والمراد جماعتان من البساتين • عن يمين وشمال • جماعة عن يمين بلدهم وجماعة
عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضامها كأنه جنة واحدة • او بستانا
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله • كلوا من رزق ربكم واشكروا له •
حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بأنهم كانوا احقاء بأن يقال لهم ذلك
بلدة طيبة ورب غفور • استئناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة
التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات
من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح • قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن
فيها عاهة ولا هامة • فأعرضوا • عن الشكر • فأرسلنا عليهم سيل العرم • سيل الأمر
العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر
الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لأنه نقب عليهم سكرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به
ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا
على أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة • وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان
بين عيسى ومحمد عليهما السلام • وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط • مر بشيع
فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة • وقيل الأراك او كل شجر لا شوك له والتقدير
أكل أكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان
وأثل وشيء من سدر قليل • معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل هو الطرفاء ولا
ثمر له • وقرئا بالنصب عطفا على جنتين • ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق
مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
وقرأ ابو عمرو ذواتي أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف أكل • ذلك جزيناهم
بما كفروا • بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا
فكذبوهم • وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص • وهل نجازي الا الكفور •
وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر • وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب • وجعلنا بينهم وبين القرى

الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قُرًى ظَاهِرَةً متواصلة
يظهر بعضها لبعض وراكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الى الشام سِيرُوا فِيهَا
على ارادة القول بلسان الحال او المقال لَيَالِيَ وَأَيَّامًا متى شئتم من ليل ونهار آمِنِينَ
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او
سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا
اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل سألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى
المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد ويعقوب ربُّنا باعَد بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه
ومثله قراءة من قرأ ربنا بعُد او بعّد على النداء واسناد الفعل الى بين وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ يتحدث الناس بهم تعجبا
وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ففرقناهم غاية التفريق
حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
فيما ذكر لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ عن المعاصي شَكُورٍ على النعم وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان
يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجد ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق وحين خيله اغواءهم
وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات
او ببني آدم حين رأى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب
او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم
فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وَمَا كَانَ
لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه
الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله
والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ محافظ والزنتان متآخيتان قُلِ للمشركين ادْعُوا

الذين

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته
والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير
كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه مِنْ دُونِ اللَّهِ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب
نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب
وانه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شر فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة و
الكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية
والجملة استئناف لبيان حالهم وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ من شركة لا خلقا ولا ملكا
وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ يعينه على تدبير امرهما وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ولا
تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ
اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول
كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
بضم الهمزة حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا
للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم
بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع
على البناء للفاعل وقرئ فرّغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قَالُوا قال بعضهم لبعض
مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ في الشفاعة قَالُوا الْحَقَّ قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يريد به تقرير قوله لا يملكون قُلِ اللَّهُ اذ لا جواب سواه وفيه اشعار
بانهم وان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وَإِنَّا
أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد
بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ
الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف
المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما
الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا
ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس
في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قُل

لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون • هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات
حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين • قل يجمع بيننا ربنا • يوم القيمة
ثم يفتح بيننا بالحق • يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار • وهو الفتاح
الحاكم الفصل فى القضايا المنغلقة • العليم • بما ينبغى ان يقضى به • قل ارونى الذين الحقتم
به شركاء • لارى باى صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن
شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم • كلا • ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال
المقايسة • بل هو الله العزيز الحكيم • الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء
الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشأن
وما ارسلناك الا كافة للناس • الا رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم
ان يخرج منها احد منهم • او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار • بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون •
فيحملهم جهلهم على مخالفتك • ويقولون • من فرط جهلهم • متى هذا الوعد • اى المبشر به
والمنذر عنه • او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا • ان كنتم صادقين • يخاطبون به
رسول الله والمؤمنين • قل لكم ميعاد يوم • وعد يوم او زمان وعد واضافته الى
اليوم للتبيين • ويؤيده انه قرئ على البدل • وقرئ يوما باضمار اعنى • لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون • اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء لما قصدوه
بسؤالهم من التعنت والانكار • وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين
يديه • ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث • وقيل ان كفار مكة سألوا اهل
الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم
فغضبوا فقالوا ذلك • وقيل الذى بين يديه القيمة • ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم • اى فى موضع المحاسبة • يرجع بعضهم الى بعض القول • يتحاورون و
يتراجعون القول • يقول الذين استضعفوا • يقول الاتباع • للذين استكبروا •
للرؤسا • لولا انتم • لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان • لكنا مؤمنين •
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • انكروا انهم كانوا
صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى
وآثروا التقليد عليه • ولذلك بنوا الانكار على الاسم • وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار • اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد
بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا • اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له

اندادا • والعاطف يعطفه على كلامهم الاول • واضافة المكر الى الظرف على الاتساع
وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر • ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف • ومكر الليل من الكرور
واسروا الندامة لما رأوا العذاب • واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال
واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح
للاثبات والسلب كما فى اشكيته • وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا • اى فى اعناقهم
فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم • هل يجزون الا ما كانوا يعملون •
اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم • وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او
لنزع الخافض • وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها • تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم مما منى به من قومه • وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى
المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك فى الشهوات والاستهانة
بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا • انا بما ارسلتم به
كافرون • على مقابلة الجمع بالجمع • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا • فنحن اولى بما تدعونه
ان امكن • وما نحن بمعذبين • اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا
يهيننا بالعذاب • قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر •
ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصايص والصفات ولو كان ذلك لكرامة
وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • فيظنون ان
كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما تكون للاستدراج كما قال •
وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى قربة • والتى اما لان المراد
وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة • وقرئ
باللذى اى بالشئ الذى يقربكم • الا من آمن وعمل صالحا • استثناء من مفعول تقربكم
اى الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح • او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف • فاولئك
لهم جزاء الضعف • ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه • والاضافة اضافة المصدر
الى المفعول • وقرئ بالاعمال على الاصل • وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب
الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم • وهم فى الغرفات آمنون •
من المكاره • وقرئ بفتح الراء وسكونها • وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس • والذين
يسعون فى آياتنا • بالرد والطعن فيها • معاجزين • سابقين لانبيائنا او ظانين انهم
يفوتوننا • اولئك فى العذاب محضرون • قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له • يوسع عليه تارة ويضيق اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين

وماسبق في تخصيص فلا تكرير ﴿وما انفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ عوضا اما عاجلا
او آجلا ﴿وهو خير الرازقين﴾ فان غيره وسط في ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته
﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون﴾ تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من
شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم
مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص بالياء فيهما ﴿قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم﴾
انت الذي نواليه من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا
بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم ﴿بل كانوا يعبدون
الجن﴾ اي الشياطين حيث تمثلوا لهم اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون
لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم ﴿اكثرهم بهم مؤمنون﴾ الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا﴾ اذ الامر كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ﴿ونقول للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ عطف على لا يملك مبين للمقصود
من تمهيده ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
﴿الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه
﴿وقالوا ما هذا﴾ يعني القرآن ﴿الا افك﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع ﴿مفترى﴾ باضافته
الى الله سبحانه ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم﴾ لامر النبوة او الاسلام او للقرآن
والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ﴿ان هذا الا سحر مبين﴾
ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل وتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت تمهيدا للقول انكار عظيم له وتعجيب بليغ
منه ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ فيها دليل على صحة الاشراك ﴿وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير﴾ يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين
وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال
﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ كما كذبوا ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ وما بلغ هؤلاء
عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا
هؤلاء من البينات والهدى ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ فحين كذبوا رسلي جاءهم
انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب
لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه
بالفاء ﴿قل انما اعظكم بواحدة﴾ ارشدكم وانصحكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه

ان

قوله ولان عبادتهم الخ فان المشركين عبدوهم اولا ثم اتخذوا لهم صورا وتماثيل فعبدوها ثم حدث عبادة عيسى عليه السلام سعدي

﴿ان تقوموا لله﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب
في الامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد ﴿مثنى وفرادى﴾ متفرقين
اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ﴿ثم تتفكروا﴾
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل
او البيان او الرفع او النصب باضمار هي او اعني ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ فتعلموا ما به جنون
يحمله على ذلك او استيناف على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه
فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق
ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات
كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ﴿ان هو الا
نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة ﴿قل ما سألتكم
من اجر فهو لكم﴾ اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة ﴿فهو لكم﴾ والمراد نفي السؤال
كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه
اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة
مراد بها ما سألهم بقوله تعالى ﴿قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا﴾ وقوله ﴿لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى﴾ واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه
قرباهم ﴿ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوص
نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾
يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى
اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه ﴿علام الغيوب﴾ صفة محمولة
على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ
بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت
وبالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب ﴿قل جاء الحق﴾
اي الاسلام ﴿وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم
يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال
اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى
لا ينشئ خلقا ولا يعيد او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة
بما بعده ﴿قل ان ضللت﴾ عن الحق ﴿فانما اضل على نفسي﴾ فان وبال ضلالي عليها
لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله ﴿وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي﴾ قرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه

قوله فتعلموا ما به جنون الخ يعني ان قوله ما بصاحبكم من جنة يجوز ان يكون متعلقا بفعل مقدر معطوف على تتفكروا متعلق عنه بحرف النفي وهي كلمة ما وان يكون مستانفا للتنبيه على طريقة النظر المؤدي الى العلم بصدقه عليه السلام في دعوى الرسالة سعدي زاده

قوله نسم الساعة وهو من النسيم اول هبوب الريح الضعيفة اي بعثت في اول اشراط الساعة وضعف مجيئها وقيل هو جمع نسمة اي بعثت في ذوي ارواح خلقهم الله قبل اقتراب الساعة كانه قال في آخر النشو من بني آدم من النهاية لابن الاثير

قاله عبيد بن الابرص لما صادفه النعمان بن المنذر يوم بؤسه فاراد قتله وامره في اثناء ذلك بانشاد بعض اشعاره

انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا
عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف لرأيت فظيعا فلا فوت فلا
يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من
الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه
قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن
اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وقد
بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من
يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون
غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمها او انه من نأشت الشئ اذا طلبته وقال
رؤبة اقحمنى جار ابى الخاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا
تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور
فيكون بمعنى التناول من بعيد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب
من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم فى الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه من مكان
بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوها فى امر الرسول وحال الاخرة كما حكاه
من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى
لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد
كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل
ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان
فى الدنيا من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم
من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا فى شك مريب موقع فى الريبة
او ذى ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر مكية وآيها خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه
بمعنى الماضى جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده
يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون

اليهم

اليهم اثار صنعه اولى اجنحة مثنى وثلث ورباع ذوى اجنحة متعددة متفاوتة
بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها وكلهم الله عليه
فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى ما زاد
عليها لما روى انه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة
جناح يزيد فى الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى
مشيته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو
محال والاية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة
العقل وسماحة النفس ان الله على كل شئ قدير وتخصيص بعض الاشياء
بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم
ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وعلم وامن وصحة ونبوة فلا
ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين
لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار
بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب
على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه وهو العزيز الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان
لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه
فقال يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله
هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون
فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك غير برفع غير للحمل على محل من خالق
بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى
حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له
او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع
فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى
زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على
الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع عن طلب الاخرة والسعى لها ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب

بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة فاتخذوه عدوا في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله بان انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب للدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث لا دخلت على السبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما

اليه

اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما • والمستكن في يرفعه للكلم فان
العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه
او لله • وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة • وقرئ يصعد على البناءين والمصعد
هو الله تعالى او المتكلم به او الملك • وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن
وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج
به الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل • والذين يمكرون
السيئات • المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة
وتداورهم الرأي في احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه • لهم عذاب شديد • لا يؤبه
دونه ما يمكرون به • ومكر اولئك هو يبور • يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة
لا تتغير به كما دل عليه بقوله • والله خلقكم من تراب • بخلق آدم منه • ثم من
نطفة • بخلق ذريته منها • ثم جعلكم ازواجا • ذكرانا واناثا • وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه • الا معلومة له • وما يعمر من معمر • وما يمد في عمر من
مصيره الى الكبر • ولا ينقص من عمره • من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمر
غيره • او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة
مقابله عليه • او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا
يعاقبه الا بحق • وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في
اللوح بان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون • وقيل المراد بالنقصان
ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما • وعن يعقوب ولا ينقص
على بناء الفاعل • الا في كتاب • هو علم الله او اللوح او الصحيفة • ان ذلك على الله يسير •
اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص • وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج • ضرب مثل للمؤمن والكافر • والفرات الذي يكسر العطش والسائغ
الذي يسهل انحداره • والاجاج الذي يحرق بملوحته • وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف
وملح على فعل • ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها • استطراد
في صفة البحرين وما فيهما من النعم • او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد
لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط
احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن والكافر وان اشتركا في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على
الفطرة الاصلية دون الآخر • او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع
والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت • وترى الفلك فيه • في كل • مواخر • تشق الماء بجريها

قوله ويؤيده انه نصب العمل يعني ان الحمل هو توافق القراءات
فحيث تعين الكلم للرافعية والعمل للمرفوعية في قراءة النصب
كان الاولى ان يحمل عليه في قراءة الرفع ايضا [illegible] عليه الرحمة
وفيه انه كيف يتعين مع جواز ان يكون الرافع هو الله كما
سيأتي فتأمل سهاب

قوله المكرات السيئات يعني السيئات منصوب على انه صفة
المصدر لان مكر لازم وقد جوز نصبه على تضمين يقصدون
او يكسبون وعلى الاول فيه مبالغة للوعيد الشديد على قصده او وجود
اشارة الى عدم تأثير مكرهم ودار الندوة دار بمكة كانوا يجتمعون
فيها للتشاور وفصل الامور والندوة الاجتماع ومنه النادي
والتداور تفاعل بمعنى الادارة للرأي فيما بينهم [illegible]

قوله كقولهم لا يثيب الله [illegible] التشبيه انما هو في جعل الضمير المذكور
مرادا به غيره [illegible] فرق اذ المعمر [illegible] بمعنى واحد تخالف
العبد ثم المراد الاثابة والمعاقبة [illegible] بالتخليد [illegible]
الاطلاق والمقصود حكاية قول [illegible] مطلقا
كالمعتزلة [illegible] الغرض [illegible] وانه لا
يوافق المذهب الحق فان عصاة المؤمنين [illegible] سعد

قوله الزيادة والنقصان [illegible] فيكون المعمر والمنقوص عمره
شخصا واحدا بناء على ما ورد من الاحاديث من زيادة العمر ببعض
الاعمال الصالحة كقوله الصدقة تزيد في العمر فيجوز ان يكون
احد عمرا اذا عمل عملا وينقص من عمره اذا لم يعمله [illegible]
منه تغيير التقدير لانه في تقديره تعالى معلق [illegible]
[illegible] الازلي وقضائه المبرم لا محو ولا اثبات [illegible]
[illegible] لطول العمر سهاب

[illegible]

لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان
يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هى مدة دوره او منتهاه او يوم
القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار
بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما
مبتدءا فى قران والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على
تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم
قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا
ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو سبحانه فانه الخبير
به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي
ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فى انفسكم وما يعن لكم وتعريف
الفقراء للمبالغة فى فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان
ضعيفا والله هو الغنى الحميد المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات
حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم
او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا
تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففى الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال
ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس
اثقلها الاوزار الى حملها بحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شئ لم تجب بحمل
شئ منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى
ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على
حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم عذابه
واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر
ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصى فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقوله

من

من زكى فانما يتزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكى
والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوى الاعمى والبصير الكافر والمؤمن
وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق
ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفى الاستواء وتكريرها على
الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا
والحرور ما يهب ليلا وما يستوى الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين
والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من
يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من فى
القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه عنهم
ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه
فى المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق
ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبى او عالم ينذر عنه
والاكتفاء بذكره عن بشير للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من
قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من
قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر
كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع
ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا
فكيف كان نكير اى انكارى بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اى اجناسها او اصنافها على ان كلا منها
ذو اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد
اى ذو جدد اى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره
وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على
بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب
متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد
ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير
وفى مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال

إنما يخشى الله من عباده العلماء • إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله
فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه السلام أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولهذا اتبعه
ذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته • وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر
انعكس الأمر • وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة من التعظيم فإن المعظم
يكون مهيبا • إن الله عزيز غفور • تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على
طغيانه غفور للتائب عن عصيانه • إن الذين يتلون كتاب الله • يداومون قراءته أو متابعة
ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون
ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين • وأقاموا الصلوة وأنفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية • كيف اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة
والعلانية في المفروضة • يرجون تجارة لن تبور • لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة
للتجارة وقوله ليوفيهم أجورهم • علة لمدلوله أي ينتفي عنها الكساد وتنفق
عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك
لعاقبة ليرجون • ويزيدهم من فضله • على ما يقابل أعمالهم • إنه غفور لفرطاتهم
• شكور لطاعتهم أي يجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة • أو خبر إن ويرجون
حال من واو أنفقوا • والذي أوحينا إليك من الكتاب • يعني القرآن ومن للتبيين
أو الجنس ومن للتبعيض • هو الحق مصدقا لما بين يديه • أحقه مصدقا لما
تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه
في العقائد وأصول الأحكام • إن الله بعباده لخبير بصير • بالبواطن والظواهر
فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب • وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة في ذلك الأمور الروحانية
ثم أورثنا الكتاب • الذين اصطفينا • حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه
بالماضي لتحققه • أو أورثناه من الأمم السالفة • والعطف على أن الذين يتلون والذي
أوحينا إليك اعتراض لبيان كيفية التوريث • الذين اصطفينا من عبادنا • يعني
علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على
سائر الأمم • فمنهم ظالم لنفسه • بالتقصير في العمل به • ومنهم مقتصد • يعمل به
في أغلب الأوقات • ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله • بضم التعليم والإرشاد إلى
العمل • وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم • وقيل الظالم المجرم و
المقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت
سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون

الجنة

الجنة بغير حساب • وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون في طول المحشر ثم يتلقاهم
الله برحمته • وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد • وتقديمه لكثرة الظالمين ولأن
الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير • إشارة إلى التوريث أو الاصطفاء أو السبق • جنات عدن
يدخلونها • مبتدأ وخبر • والضمير للثلاثة أو للذين أو للمقتصد والسابق فإن المراد
بهما الجنس وقرئ جنة عدن • وجنات بفعل يفسره الظاهر • وقرأ أبو عمرو يدخلونها
على بناء المفعول • يحلون فيها • خبر ثان أو حال مقدرة • وقرئ يحلون من حليت
المرأة فهي حالية • من أساور من ذهب • من الأولى للتبعيض والثانية للتبيين
ولؤلؤا • عطف على ذهب أي من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ
ونصبه عاصم ونافع عطفا على محل من أساور • ولباسهم فيها حرير • وقالوا الحمد لله
الذي أذهب عنا الحزن • همهم من خوف العاقبة أو همهم من أجل المعاش وآفاته
أو من وسوسة إبليس وغيرها • وقرئ الحزن • إن ربنا لغفور • للمذنبين • شكور •
للمطيعين • الذي أحلنا دار المقامة • دار الإقامة • من فضله • من إنعامه
وتفضله إذ لا واجب عليه • لا يمسنا فيها نصب • تعب • ولا يمسنا فيها لغوب
كلال إذ لا تكليف فيها ولا كد • أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة • والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم • لا يحكم عليهم بموت ثان • فيموتوا • فيستريحوا
ونصبه بإضمار أن • وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون • ولا يخفف عنهم من عذابها • بل كلما خبت زيد إسعارها • كذلك
مثل ذلك الجزاء • نجزي كل كفور • مبالغ في الكفر أو الكفران • وقرأ أبو عمرو يجزى
على بناء المفعول وإسناده إلى كل • وقرئ يجازى • وهم يصطرخون فيها • يستغيثون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل • بإضمار القول • وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار بأن استخراجهم
لتلافيه وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه • أولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير • جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه
متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر • وقيل ما بين العشرين إلى الستين
وعنه عليه السلام العمر الذي أعذر الله فيه ابن آدم ستون سنة • والعطف على معنى
أولم نعمركم فإنه للتقرير كأنه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي أو الكتاب • وقيل
العقل أو الشيب أو موت الأقارب • فذوقوا فما للظالمين من نصير • يدفع العذاب

ان الله عالم غيب السموات والارض لا تخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كأنه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف والرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر

ثم

ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي ولا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنت الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات والارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كأين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضمة بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله على المصدر وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى الرسالة او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على

الأولى أي لم ينذروا فبقوا غافلين أو بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الأخر أي أرسلناك إليهم
لتنذرهم فإنهم غافلون • لقد حق القول على أكثرهم يعني قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فهم لا يؤمنون • لأنهم ممن علم أنهم لا يؤمنون • إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا • تقرير
لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم
فهي إلى الأذقان • فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم • فهم مقمحون
رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه
ولا يطأطئون رؤسهم له • وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون • وبمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم
محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الدلائل والآيات • وقرأ حمزة والكسائي
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه • وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم
وقرئ فأعشيناهم من العشى • وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي
صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يديه انثنت إلى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله
بهذا الحجر فذهب فأعماه الله • وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون •
سبق في البقرة تفسيره • إنما تنذر من اتبع الذكر • أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به • وخشي
الرحمن بالغيب • وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله أو في سريرته فلا يغتر برحمته
فإنه كما هو رحمن منتقم قهار • فبشره بمغفرة وأجر كريم • إنا نحن نحيي الموتى • الأموات
بالبعث أو الجهال بالهداية • ونكتب ما قدموا • ما أسلفوا من الأعمال الصالحة و
الطالحة • وآثارهم • الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كإشاعة باطل
وتأسيس ظلم • وكل شيء أحصيناه في إمام مبين • يعني اللوح المحفوظ
واضرب لهم مثلا • ومثل لهم من قولهم هذه الأشياء على ضرب واحد أي مثال
واحد وهو يتعدى إلى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا أصحاب القرية
على حذف مضاف أي اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا • ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل
المقدر بدلا من الملفوظ أو بيانا له • والقرية أنطاكية • إذ جاءها المرسلون • بدل من
أصحاب القرية • والمرسلون رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها وإسناده إلى نفسه في قوله
إذ أرسلنا إليهم اثنين • لأنه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس • وقيل غيرهما
فكذبوهما فعززنا • فقوينا • وقرأ أبو بكر مخففا من عزه إذا غلبه • وحذف
المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصود ذكر المعزز به • بثالث • هو شمعون فقالوا
إنا إليكم مرسلون • وذلك أنهم كانوا عبدة الأصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام

اس

السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال
أمعكما آية فقالا نعم نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض فمسحاه
فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما
ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فحبسهما ثم
بعث عيسى شمعون عليهما السلام فدخل متنكرا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا
به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت
ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له
شريك فقال صفاه وأوجزا قالا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما
قالا ما يتمنى الملك فدعى بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر
وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون
أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس عنك
سر إن إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت
آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة أيام فقام وقال إني دخلت في سبعة أودية
من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا
يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين • فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن
في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا • قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا • لا مزية
لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي إعمال ما
بإلا • وما أنزل الرحمن من شيء • وحي ورسالة • إن أنتم إلا تكذبون • في دعوى
رسالته • قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون • استشهدوا بعلم الله وهو يجري
مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم • وما علينا إلا البلاغ المبين
الظاهر المبين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فإنه لا يحسن إلا ببينة
قالوا إنا تطيرنا بكم • تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له و
تنفرهم عنه • لئن لم تنتهوا • عن مقالتكم هذه • لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم
قالوا طائركم معكم • سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم • وقرئ
طيركم • أئن ذكرتم • وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم
والتعذيب • وقد زيدت ألف بين الهمزتين • وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم • وأن
بغير استفهام • وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ • بل
أنتم قوم مسرفون • قوم عادتكم الإسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو في
الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به • وجاء من أقصى المدينة

بينة

رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر
دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة
وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة
فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه و
امحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها فالمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى
عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق
الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا هم ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي
ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على
النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع وابو عمرو بفتح
الياء اني آمنت بربكم الذي خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه
فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه
من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله
الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه
معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه
في نصر دينه وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم
على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم
الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ
من المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على
الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة
على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من
السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه
استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وما كنا منزلين وما صح في
حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك
من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة
وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح

بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا
بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا
كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه
من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه ما يأتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين
احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين
ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم
ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها و
المنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل والمفعول ويا حسره
على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله
كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها
الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع
لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان
نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض
الميتة وقرأ نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر آية او وصف
لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية
واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب
معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل
والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك
الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها
بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل
الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي
بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف
على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر
بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة

احسن من غيرها. افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه. سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته. وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق. فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام. والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة. قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم. او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم. وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما ولا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس. ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي يكل الفطن عن احصائها. تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور. العليم المحيط علمه بكل معلوم. والقمر قدرناه قدرنا مسيره. منازل اي سيره فيه منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين. البطين. الثريا. الدبران. الهقعة. الهنعة. الذراع. النثرة. الطرف. الجبهة. الزبرة. الصرفة. العواء. السماك. الغفر. الزبانا. الاكليل. القلب. الشولة. النعائم. البلدة. سعد الذابح. سعد بلع. سعد السعود. سعد الاخبية. فرغ الدلو المقدم. فرغ الدلو المؤخر. الرشاء. وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس. وقرأ الكوفيون وابن عامر القمر بنصب الراء. حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون. القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا. لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره. وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها. ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه. وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره

وكل

وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها. في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط. وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب. في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز. وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق. وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ. ولا هم ينقذون ينجون من الموت به. الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة. الى حين زمان قدر لآجالهم فيه. واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر. لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله. وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه. واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم. قال الذين كفروا يعني بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة. للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيته. انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له. ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله. ويجوز ان يكون من الله جوابا لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم. ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث. ما ينظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى. تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون. واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو به مع الاختلاس

وعن نافع بفتح فيه والاسكان وكأنه جوّز الجمع بين الساكنين اذ كان الثاني مدغما وقرأ
حمزة يخصّمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى
اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور
اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ
يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبّنا من هبّ من نومه اذا انتبه ومن
هبّنا بمعنى اهبّنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا
نياما ومن بعثنا ومن هبّنا على من الجارّة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة
لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبر محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول
عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم
الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن
الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة
واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب
التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا
قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة
وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط
به الافهام ويعزب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون
ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة
لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال
من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم
في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على
الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك
جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في في شغل
او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام

الثلثة

الثلثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدّعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا
شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون
من قولهم ادّع عليّ ما شئت بمعنى تمنّه عليّ او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها
وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها
او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي
ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب
رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته بمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على
الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين
يسار بهم الى الجنة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا
من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يُرى ألم اعهد اليكم يا بني
آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم
ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره و
جعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اِعهد بكسر حرف المضارعة
واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة
فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه
او بالشق الاخير والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض
الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان
معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي
والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام
وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة
كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على
افواههم نمنعها عن الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
بظهور آثار المعاصي ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون
ويخاصمون فيختم على افواههم ويكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على
اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق

الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار
او بجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة
السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم
على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا
مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل
ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء
كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان
يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره
ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص
بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس
وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ
فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء
من التخيلات المرغبة والمنفرة وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان
اراد قرضه على ما اختبر من طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه السلام
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع
مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا
وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل
الضمير للقرآن اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد
من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر
لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحيوة
الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع منه ويحق القول وتجب
كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان
حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم
يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث

انعاما

انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون
تمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها
ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم
اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها
منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع
او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لهم وتذليله اياها كيف امكن
التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة
بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم الظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم
وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في
النار فلا يحزنك قولهم وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك وقيل
بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى
به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما
يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله
افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه
ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي
هذا بعدما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا
هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في
نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه
بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم
منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء
صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم
ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته
كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق
عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة
المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط

السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها. الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا كالمرخ والعفار يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فتنقدح النار. فاذا انتم منه توقدون. لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة
فيما كان غضا فيبس وبلي. وقرئ من الشجر الخضر على المعنى كقوله فمالئون منها البطون. أوليس
الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما. بقادر على ان يخلق مثلهم
في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد. وعن
يعقوب يقدر. بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه. وهو
الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات. انما امره انما شأنه. اذا اراد شيئا ان يقول له
كن اي تكون. فيكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في
حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا
لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق. ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا
على يقول. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما
قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء. واليه ترجعون وعد
ووعيد للمقرين والمنكرين. وقرأ يعقوب بفتح التاء. عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت
لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية. وعنه عليه السلام
ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر
كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة. وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل
بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له
ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه. وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات
الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على
فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض
الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا. اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار
الالهية المنتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها.
او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا
قدسه على انبيائه واوليائه. او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة
والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار

او بنفوس

او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات
الله وشرائعه. او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم
مبارزة العدو. والعطف لاختلاف الذوات او الصفات. والفاء لترتب الوجود كقوله يا لهف
زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب. فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة
الى قبول الخير والتلاوة افاضة. او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير
انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس. وادغم ابو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها
لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا. ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه
تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما التحقيق فبقوله
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق. فان وجودهما وانتظامهما على
الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة. ورب
بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف. وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها
من خلقه. والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون
مشرقا تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان
الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائتان وثمانون انما يصح لو لم تختلف
اوقات الانتقال. انا زينا السماء الدنيا القربى منكم. بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب
والاضافة للبيان. ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب
على ابداله منه. او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها. او بان زينتها الكواكب فيها على
اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده
قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل. او بان زانتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز
الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء
الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة
على سطحها الازرق باشكال مختلفة. وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على
زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا. من كل شيطان
مارد خارج من الطاعة برمي الشهب. لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان
حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم. ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان
يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك
ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك
منكر. والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء
مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه. ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص

بالتشديد من تسمع وهو تطلب السماع. والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم. ويقذفون
ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده. دحورا علة اي للدحور
وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان. او حال بمعنى مدحورين. او منزوع
عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ان يكون ايضا مصدرا
كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا. ولهم عذاب اي عذاب آخر. واصب اي
دائم او شديد وهو عذاب الآخرة. الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون
ومن بدل منه. والخطف الاختلاس ولذلك عرف الخطفة. وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها واصلها اختطف. فاتبعه شهاب. واتبع بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض. وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين
ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين. فان كل نير يحصل في الجو العالي
فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحه ولا يبعد
ان يصير الحادث بما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع
وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته او وقوعه
او مصيره دحورا. واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب
الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال
ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع
ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها. ثاقب مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه
فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم. اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني
ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب. ومن
لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا
وقوله انا خلقناهم من طين لازب. فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم
سواء. وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب
الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا
ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا
تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما
لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها
ومن ذلك بدؤهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير. بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث

البعث. ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث. وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ
كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها. او عجبت من ان
ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه. والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على
معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء. وقيل
انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت. واذا ذكروا لا يذكرون. واذا وعظوا بشيء
لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم
واذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به. يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها. وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه
الا سحر مبين ظاهر سحريته. ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة
مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذا الحال اشد استنكارا
فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية
او آباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول
عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم. وسكن نافع برواية قالون وابن
عامر الواو على معنى الترديد. قل نعم وانتم داخرون صاغرون. وانما اكتفى به في الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه. وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه. فانما هي زجرة واحدة جواب شرط
مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر
الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا
هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم. وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم. وقوله
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل ايضا هو من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء. احشروا الذين ظلموا
امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل
منه الى الجحيم. وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب
مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من
الشياطين. وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم
وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية. وفيه
دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون. فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها

ليسلكوها. وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم والواو
لا يوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم. ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا
بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد
الحيل عنهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا
ويخذله. واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بتخاصمون. قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن
اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم يحلفون لهم
انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما
طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم
ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين
الطغيان. فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان
اضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا
بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا امثالهم وفيه ايماء بان غوايتهم
في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غاو بلاغواء غاو فمن اغواهم. فانهم فان الاتباع
والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية. انا كذلك
اي مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه. ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد
عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون. انكم لذائقوا
العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل. وما تجزون الا
ما كنتم تعملون الا مثل عملكم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير
في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف
والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار. اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض
اللذة. ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت
بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه
خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا

في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان
لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون
وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون. يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر
كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون
او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء
او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذا
قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة
او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته
بارض العدى من خشية الحدثان. لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله
اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه على ما يعمه
لانه من عظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في
الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج
دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها. وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على
ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء. كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام
المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
الشراب. قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي
للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم
وعليهم في الدنيا. قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك
لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق. ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء. قال اي ذلك القائل هل
انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم
وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم
سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على
وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل
بالمضارع. فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه. قال تالله ان كدت
لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا

بنعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيه أفما نحن بميتين عطف على
محذوف أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين
إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال ونصبها
على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار ولعله
تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا
وتعريضا للقرين بالتوبيخ إن هذا لهو الفوز العظيم يحتمل أن يكون من كلامه وأن يكون كلام
الله لتقرير قوله والإشارة إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن من العذاب لمثل هذا
فليعمل العاملون أي لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة
بالآلام والانصرام وهو أيضا يحتمل الأمرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم
شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على التمييز أو الحال وفي ذكره دلالة على أن ما
ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الأفهام
وكذلك الزقوم لأهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به
الشجرة الموصوفة إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء في
الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر
على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق
إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها حملها
مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل أو الطلوع من الشجر كأنه رؤوس الشياطين
في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين
حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك فإنهم لآكلون منها من
الشجر أو طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها ثم إن لهم عليها
بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما في شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء من
حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب والأول مصدر سمي به ثم إن مرجعهم
مصيرهم لإلى الجحيم إلى دركاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها
وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
آن يوردون إليه كما يورد الإبل إلى الماء ثم يوردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم
إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد
بتقليد الآباء في الضلال والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم
وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك

قوله أي بمن شأنه الموت إشارة إلى أنه الصفة المشبهة الدالة على الثبوت ولتوجيه الاستثناء ليكون متصلا وضمير هي للموتة الأولى وقوله متناولة إلخ توجيه للموتة بناء على الوحدة بأن موت القبر بعد السؤال داخلة في الأولى لأن ما بينهما من الحياة غير معتد به لأنه ليس إعادة تامة ولا قارة شهاب

قوله وقيل على الاستثناء المنقطع هو فيما قبله استثناء مفرغ من مصدر مقدر وعلى هذا المعنى لكن الموتة الأولى كانت لنا في الدنيا كما في قوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى شهاب

أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين أنبياء أنذروهم من العواقب فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة إلا عباد الله المخلصين إلا الذين تنبهوا بإنذارهم
فأخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح أي الذين أخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول
صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فإنهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم
ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد إجمالها أي ولقد دعانا حين أيس من
قومه فلنعم المجيبون أي فأجبناه أحسن الإجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها
ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه وأهله من الكرب العظيم من الغرق أو من أذى
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين إذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين إلى يوم القيامة
إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وأزواجهم وتركنا عليه في
الآخرين من الأمم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه
تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا
إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة فإنه مجازاة له على إحسانه
إنه من عبادنا المؤمنين تعليل لإحسانه بالإيمان إظهارا لجلالة قدره وأصالة أمره
ثم أغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وإن من شيعته ممن شايعه في الإيمان وأصول
الشريعة لإبراهيم ولا يبعد اتفاق شرعيهما في الفروع أو غالبا وكان بينهما ألفان وستمائة
وأربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح إذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة
من معنى المشايعة أو بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب أو من العلائق
خالص لله أو مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه إخلاصه
له كأنه جاء به متحفا إياه إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الأولى
أو ظرف لجاء أو سليم أئفكا آلهة دون الله تريدون أي أتريدون آلهة دون الله
إفكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر أنهم على الباطل ومبنى
أمرهم على الإفك ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها إفك في نفسها
للمبالغة أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف أو حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب
العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته أو أشركتم به
غيره أو أمنتم من عذابه والمعنى إنكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته
أو يجوز الإشراك به أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام وهو كالحجة على ما قبله
فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها أو في علمها أو في كتابها ولا منع منه مع
أن قصده [illegible] أن يعيد معهم فقال إني سقيم أراهم أنه استدل

قوله فحذف منها ما حذف هو محتمل لأن يريد بالمحذوف القسم لدلالة اللام عليه والمخصوص بالمدح وهو نحن وقوله فأجبناه بيان لحاصل المعنى أو المحذوف ما ذكر وجملة فأجبناه أحسن إجابة لأن المدح يحسن بجواب يقتضي تقدمه على أحسن الوجوه شهاب

قوله هذا الكلام يعني قوله سلام على نوح في العالمين إذ لو لم يحك نصب لأنه مفعول تركنا كما قرأ به ابن مسعود فهو مبتدأ وخبر وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من معنى الدعاء والحكاية إما بتركنا لتضمنه معنى القول بناء على مذهب الكوفيين أو بقول مقدر أي تركنا قولهم سلام على نوح وقوله يسلمون تسليما إشارة إلى أنه اسم مصدر التسليم كان منصوبا على المصدرية على الأصل وإذا كان سلاما من الله لا من الآخرين فتقديره وقلنا سلام ومفعول تركنا على هذا محذوف كما ذكره شهاب

بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب
اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج
عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول
لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين
هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله
الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم
لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء
وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لضرب مقدر
فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل
وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم
بعدما رجعوا فراوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه فى
قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرا حمزة على بناء
المفعول من ازف اى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من
وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم
اليه قال اتعبدون ما تنحتون من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما
تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم
ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف
على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجح على
الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة
من الجحمة وهى شدة التاجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا
فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار
عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث
اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق
وعده او لفرط توكله او البناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه
السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب
هب لى من الصالحين بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة
يعنى الولد لان لفظة الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشرناه بالولد

بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما واى حلم مثل
حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين
وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكور
تشهد عليه فلما بلغ معه السعى اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه
متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما
لم يكن معا كانه قال فلما بلغ معه السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب
اكمل فى الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك يحتمل انه راى ذلك
او انه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف
انه من الله ثم راى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له فلذلك سميت الايام
الثلثة بالتروية والعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة
ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا
ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح
ولدا ان سهل الله عليه حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله خرج السهم على
عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا
الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق
كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روى انه
عليه السلام سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل
الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
والزوائد من الراوى وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الراى وانما شاوره فيه وهو
حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن
نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائى
ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة الراء
وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرا ابن عامر بفتح التاء
افعل ما تؤمر اى ما تؤمر به او الاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى
انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه
الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل

على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله
من الصابرين على الذبح او على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما
لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا
خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه
على الارض فهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى تغيرا
يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده
او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم و
الاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب
لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما
وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما
لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا
كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من
جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر
ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره
او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله
فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا
ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات فاخذه
فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم عليه السلام وانما قال وفديناه
لانه المعطي له والامر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان
من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي
الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى
تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من
الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين
خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما

يوجد

يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل
على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا
وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه
بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى
والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى
وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ
في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من
عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين
سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي
حرف ابي وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه
الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدون وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم
كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة
اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته
وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب
آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد
المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس كسيناء وسينين
وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع
وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين
ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله تعالى والكل لا يناسب
نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا

في الغابرين ثم دمرنا الآخرين • سبق بيانه • وانكم يا اهل مكة • لتمرون
عليهم • على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه • مصبحين • داخلين
في الصباح • وبالليل • اي ومساء او نهارا وليلا • ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها
المرتحل صباحا والقاصد لها مساء • افلا تعقلون • افليس فيكم عقل تعتبرون به
وان يونس لمن المرسلين • وقرئ بكسر النون • اذ ابق • هرب • واصله الهرب من سيد
لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه • الى الفلك المشحون
المملوء • فساهم • فقارع اهله • فكان من المدحضين • فصار من المغلوبين بالقرعة
واصله المزلق عن مقام الظفر • روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل
ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت
القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء • فالتقمه الحوت • فابتلعه من
اللقمة • وهو مليم • داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه • وقرئ بالفتح
مبنيا من ليم كمشيب في مشوب • فلولا انه كان من المسبحين • الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين • للبث في بطنه الى يوم يبعثون • حيا وقيل ميتا • وفيه حث على
اكثار الذكر وتعظيم لشانه • ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء
فنبذناه • بان حملنا الحوت على لفظه • بالعراء • بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر
او نبت • روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح
حتى انتهوا الى البر فلفظه • واختلف في مدة لبثه • فقيل بعض يوم • وقيل ثلثة ايام
وقيل سبعة • وقيل عشرون • وقيل اربعون • وهو سقيم • مما ناله • قيل صار بدنه
كبدن الطفل حين يولد • وانبتنا عليه • اي فوقه مظلة عليه • شجرة من يقطين
من شجرة تنبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه • يفعيل من قطن بالمكان
اذا قام به • والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه
ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة
اخي يونس • وقيل التين • وقيل الموز يغطي بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره
وارسلناه الى مائة الف • هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى • والمراد به ما
سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم • او يزيدون • في مرأى الناظر اي اذا
نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر • والمراد الوصف بالكثرة • وقرئ بالواو • فآمنوا
فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره • فمتعناهم الى حين • الى اجلهم المسمى • ولعله
انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب

الشرايع

الشرايع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر
السورة • فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون • معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
صلى الله عليه وسلم اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا
لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا
لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات
اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة و
تفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم • واستهانتهم بالملائكة
حيث انثوهم • ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا • والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص
هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل
للاستفهام عن التقسيم • ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون • وانما خص علم المشاهدة
لان امثال ذلك لا تعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف
مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم • الا
انهم من افكهم ليقولون ولد الله • لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه • وانهم لكاذبون
فيما يتدينون به • وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث • اصطفى البنات على البنين • استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء
اخذ صفوة الشيء • وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها
عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله
ما لكم كيف تحكمون • بما لا يرتضيه عقل • افلا تذكرون • انه منزه عن ذلك • ام لكم
سلطان مبين • حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته • فأتوا بكتابكم
الذي انزل عليكم • ان كنتم صادقين • في دعواكم • وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • يعني
الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة • وقيل قالوا ان الله صاهر
الجن فخرجت الملائكة • وقيل قالوا الله والشيطان اخوان • ولقد علمت الجنة انهم • ان
الكفرة او الانس والجنة ان فسرت بغير الملائكة • لمحضرون • في العذاب • سبحان الله عما
يصفون • من الولد والنسب • الا عباد الله المخلصين • استثناء من المحضرين منقطع او
متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون • فانكم وما تعبدون
عود الى خطابهم • ما انتم عليه • على الله • بفاتنين • مفسدين الناس بالاغواء • الا من
هو صال الجحيم • الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة • وانتم ضمير لهم
ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب • ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة

ساداً مسدّ الخبر اى انكم والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه
بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا من هو صال الجحيم الا مستوجباً للنار وقرئ صالُ بالضم على
انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب
كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية
كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على
عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر
الله تعالى فى تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم
ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون
بذلك وقالوا سبحان الله تنزيهاً له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا
الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها
لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون
فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به
ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعات وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط
الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائماً من غير فترة دون
غيرهم وقيل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له
مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلوة
والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اى مشركى قريش لو ان عندنا ذكراً
من الاولين كتاباً من الكتب التى نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا
العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اى لما جاءهم الذكر الذى هو اشرف الاذكار
والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات
لانتظامها فى معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك
عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة
على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب
فى الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف
يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ نزل على اسناده
الى الجار والمجرور ونزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباحهم واللام للجنس والصباح

مستعار

مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الهجوم والغارة
فى الصباح سموا الغارة صباحاً وان وقعت فى وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون
ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الا
خرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة
واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته
السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم
بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من تبعهم من
النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون
على رسله وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فليكن فى آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن
والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمناً بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين
وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول
اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره
والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم للسورة وبالجر على تاويل الكتاب والقرآن
ذى الذكر الواو للقسم ان جعل صاد اسماً للحرف ومذكوراً للتحدى او الرمز بكلام مثل
صدق محمد صلى الله عليه وسلم او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل
مقسماً به والجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر
بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمداً صلى الله عليه وسلم لصادق او قوله
بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه بل الذين كفروا به
فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين
الاضراب ايضاً من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة
او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير
فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم
اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكباراً وشقاقاً فنادوا استغاثة
او توبة واستغفاراً ولات حين مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس

زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الأحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص كائن لهم وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اى وليس حين مناص او ولا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الأحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله والعاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال عليه السلام قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر

لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوية بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كأنه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم

يشد بعضنا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه
اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة
واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل
الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من
التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب
ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب
الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب
فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة
وهي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع
وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرء حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد
للمومنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من
القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب
استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته
تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات
لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن
فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن
نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه اذني اهمال
ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى
مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما
ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره
ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على
تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين
تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها
يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال
هذا صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه
الآية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين
لان الحشر جملة ادل على القدرة منه متدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر
كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه

وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما
ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة
الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن
البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه
غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة
او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل
او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار
وانما سمي اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة
وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في
وصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ
الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر
ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل
من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا
او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف
اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن
حينئذ واذ الثانية اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع
منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من
يدخل عليه فانه عليه السلام جزاء زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه الملائكة على صور انسان في يوم خلوة
قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى
بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق ولا
تشاطط ولا تشطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط
الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض
ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرء حفص بفتح ياء
ولي نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي
وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة

بان جاء بحجاج لم اقدر ان ارده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث تزوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله تعالى بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمن عليه السلام ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها افتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسائلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين

كقوله

كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضيه الحكمة فيها او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمن نعم العبد اي نعم العبد سليمن اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمن عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا الى الله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب

غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه انه روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله تعالى وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمن عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء من بعدي انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين

كل

كل بناء وغواص بدل منه واخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب وهو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجبه كثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه

صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه
لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه
في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابرهيم وحده
لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار
اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجلية والعلوم الشريفة فعبر بالايدي
عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض
بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا
بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم الاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة
بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في
الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام
بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر
واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل
واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في
قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من
الليسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه
مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم
مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم
او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن
مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله
جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال
والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران
لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان
من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين
حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي
للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات
لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من الترب فكانه مسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان

الحساب

الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا
ماله من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين
لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفرش
مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم
مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز
ان يكون مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم
والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حفص
وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين واخر اي مذوق او عذاب اخر وقرا البصريان
واخر اي ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب
في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق
وقرئ بالكسر وهو لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا
النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها
لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال منه اي مقولا
فيهم لا مرحبا اي ما اتاهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا
قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم و
اضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه
من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع
ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا
اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن
عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا
نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم
الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا
اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما
على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ
ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك اي الذي حكينا عنهم لحق

لابد أن يتكلموا به ❊ تمر بين ما هو فقال ❊ تخاصم أهل النار ❊ وهو بدل من حق أو خبر محذوف
وقرئ بالنصب على البدل من ذلك ❊ قل إنما أنا منذر ❊ أنذركم عذاب الله ❊ وما من إله إلا الله
الواحد ❊ الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته ❊ القهار ❊ لكل شيء ❊ رب السموات والأرض
وما بينهما ❊ منه خلقها وإليه أمرها ❊ العزيز ❊ لا يغلب إذا عاقب ❊ الغفار ❊ الذي يغفر ما يشاء
من الذنوب لمن يشاء ❊ وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين
وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لأن المدعو به هو الإنذار ❊ قل هو ❊ أي ما أنبأتكم به من أني
نذير من عقوبة من هذا صفته وأنه واحد في الألوهية ❊ وقيل ما بعده من نبأ آدم ❊ نبأ عظيم ❊
أنتم عنه معرضون ❊ لتمادي غفلتكم فإن العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه
الحجج الواضحة أما على التوحيد فما مر وأما على النبوة فقوله ❊ ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ
يختصمون ❊ فإن إخباره عليه السلام عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في
الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي ❊ وإذ متعلق بعلم أو
محذوف إذ التقدير من علم بكلام الملإ الأعلى ❊ إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين ❊ أي إلا أنما
كأنه لما جوز أن الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله إنما أنا منذر
ويجوز أن يرتفع بإسناد يوحى إليه ❊ وقرئ إنما بالكسر على الحكاية ❊ إذ قال ربك للملائكة
إني خالق بشرا من طين ❊ بدل من إذ يختصمون مبين له فإن القصة التي دخلت إذ عليها
مشتملة على تقاول الملائكة وإبليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في
البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو إنذار المشركين على
استكبارهم على النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بإبليس على استكباره على آدم هذا ومن
الجائز أن يكون مقاولة الله إياهم بواسطة ملك ❊ وأن يفسر الملأ الأعلى بما يعم الله والملائكة
فإذا سويته ❊ عدلت خلقته ❊ ونفخت فيه من روحي ❊ وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته
إلى نفسه لشرفه وطهارته ❊ فقعوا له ساجدين ❊ تكرمة وتبجيلا له ❊ وقد مر الكلام فيه
في البقرة ❊ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان ❊ وصار ❊ من الكافرين ❊
باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة أو كان منهم في علم الله ❊ قال يا إبليس
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ❊ خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم ❊ والتثنية
لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل ❊ وقرئ على التوحيد ❊ وترتيب الإنكار عليه
للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم ❊ أو بأنه الذي تشبث به في تركه ❊ وهو لا يصلح للمانعية إذ
للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص ❊ أستكبرت أم كنت من العالين ❊
تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق التفوق ❊ وقيل استكبرت الآن أم لم تزل كنت من
المستكبرين ❊ وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة أم عليها أو بمعنى الإخبار ❊ قال أنا خير منه

ابداء

قوله وتثنية ما يشعر الخ وهو القهار والعزيز وتقديم القهار على غيره مما وصف الله به الواحد لأن المقام مقام إنذار فناسب الاهتمام به فتقدم وكرر وقوله لأن المدعي وقع في نسخة المدعو له وهو بمعنى المطلوب شهاب

قوله أي لأنما توجيه لقراءة الجمهور بالفتح بأنه على تقدير اللام لأنه يطرد حذفها مع أن وأن قوله بإسناد يوحى فالمعنى لا يوحى إلي إلا الإنذار وعلى الكسر المعنى ما يوحى إلي إلا هذا القول ويجوز أن يقدر القول فيه وكلامه محتمل له شهاب

قوله ومن الجائز الخ دفع لما يقال من أن التقاول لم يكن بين الملأ الأعلى فقط بل بين الله وبينهم ولا يصح جعل الله من الملأ الأعلى بأن تكليم الله لهم كان بواسطة من الملائكة فالتقاول إنما وقع بينهم أو يقال بأن المراد بالملأ الأعلى ما عدا البشر فيشمله بطريق التغليب بقرينة وإذ قال ربك للملائكة ولا يلزم إثبات جهة له تعالى شهاب

فخر والله

قوله تكبرت من غير استحقاق كما يدل عليه سين الطلب وكذا قال في البقرة الاستكبار طلب التكبر بالتشبع أو هو من مقابلته لقوله كنت من العالين لأنه لا تقابله إلا إذا أول بما ذكر أو بما بعده ومن جعل استكبرت بمعنى أحدثت الكبر والعلو أم أنت قديما كذلك شهاب

إبداء للمانع وقوله ❊ خلقتني من نار وخلقته من طين ❊ دليل عليه ❊ وقد سبق الكلام
فيه ❊ قال فاخرج منها ❊ من الجنة أو السماء أو من الصورة الملكية ❊ فإنك رجيم ❊ مطرود
من الرحمة ومحل الكرامة ❊ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ❊ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون
قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ❊ مر بيانه في الحجر ❊ قال فبعزتك ❊ فبسلطانك
وقهرك ❊ لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ❊ الذين أخلصهم الله لطاعته
وعصمهم من الضلالة ❊ أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين ❊ قال فالحق والحق
أقول ❊ أي فأحق الحق وأقوله ❊ وقيل الحق الأول اسم الله تعالى ❊ ونصبه بحذف حرف القسم
كقوله إن عليك الله أن تبايعا ❊ وجوابه لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين
وما بينهما اعتراض ❊ وهو على الأول جواب محذوف ❊ والجملة تفسير للحق المقول ❊ وقرأ عاصم
وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق يميني أو قسمي أو الخبر أي أنا الحق ❊ وقرئا مرفوعين على حذف
الضمير من أقول كقوله كله لم أصنع ❊ ومجرورين على إضمار حرف القسم في الأول وحكاية لفظ
المقسم به في الثاني للتوكيد وهو شائع فيه إذا شارك الأول ❊ وبرفع الأول وجر بنصب الثاني
وتخريجه على ما ذكرنا ❊ والضمير في منهم للناس إذ الكلام فيهم ❊ والمراد من منك من جنسك ليتناول
الشياطين ❊ وقيل الثقلين ❊ وأجمعين تأكيد له أو للضميرين ❊ قل ما أسألكم عليه من أجر ❊
أي على القرآن أو تبليغ الوحي ❊ وما أنا من المتكلفين ❊ المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم
من حالي فأنتحل النبوة وأتقول القرآن ❊ إن هو إلا ذكر ❊ عظة ❊ للعالمين ❊ للثقلين ❊ ولتعلمن
نبأه ❊ وهو ما فيه من الوعد والوعيد أو صدقه بإتيان ذلك ❊ بعد حين ❊ بعد الموت
أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام ❊ وفيه تهديد ❊ وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية إلا قوله يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ تنزيل الكتاب ❊ خبر
محذوف مثل هذا أو مبتدأ خبره ❊ من الله العزيز الحكيم ❊ وهو على الأول صلة التنزيل أو خبر
ثان أو حال عمل فيها معنى الإشارة أو التنزيل ❊ والظاهر أن الكتاب على الأول السورة وعلى
الثاني القرآن ❊ وقرئ تنزيل بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ أو الزم ❊ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
ملتبسا بالحق أو بسبب إثبات الحق وإظهاره وتفصيله ❊ فاعبد الله مخلصا له الدين ❊ ممحضا
له الدين من الشرك والرياء ❊ وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الأمر ❊ وتقديم الخبر
لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا وأجراه مجرى المعلوم المقرر
لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ❊ ألا لله الدين الخالص ❊ أي ألا هو الذي وجب اختصاصه
بأن يخلص له الطاعة فإنه المتفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر

والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى
والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ
خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم
بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة
وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا
به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا في ما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة
والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم
وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما
عادما البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ
لا موجود سواه الا هو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب
استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم
قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب
المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب
من الحقيقة المشتركة والتعين المخصص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى
الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس
او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار
العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته
الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة
وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم
جعل منها زوجها استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوءا به من خلق الانسان
لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير
اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف
هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها
فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية
اي جعلها شفعا وزوجا
وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء وانزل لكم وقضى وقسم لكم فان قضاياه
وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة
الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز
يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما

فيها

قوله فانهم يرجون الخ بيان ان الاختلاف بينهم على هذا الوجه والحكم مجازا ايضا عما تقرر من ادخال الملائكة وعيسى الجنة وادخالهم النار تمييزا بينهم ونحوه لا يجري في عبدة الاصنام والكلام معهم ولذا تركه شهاب

قوله وثم للعطف على محذوف او على واحدة لانه في الاصل اسم مشتق فيجوز عطف الفعل عليه كقوله صافات ويقبضن وقوله وحدت بالتخفيف يقال وحد يحد وحدا كعلم ويجوز تشديده واسم الفاعل قد يكون للمضي وانما يمتنع ارادته اذا عمل فلا وجه لما قيل انه لا دلالة له على المضي فيشكل العطف نعم لو عطف على اللفظ دون دلالة وثم على هذين الوجهين على حقيقتها قوله او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين لان خلق حواء من ضلعه اعظم في القدرة الباهرة من خلقه من تراب لانه سبق مثله فكم ذي روح خلق منه بدون واسطة ولو لم يحمل على التفاوت الرتبي لم يصح العطف بها لان خلقها متقدم على خلقهم ولذا اوله بعضهم بالفعل المذكور بان المراد بخلقهم اخراجهم من ظهره في عالم الذر او غير ذلك شهاب

فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد
مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة الرحم والبطن والمشيمة او الصلب
والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك
لا اله الا هو اذ لا يشاركه في خلقه غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك
ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به
رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو
عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو
ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى
عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع
العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد
او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعوا اليه اي الضر الذي كان
يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثل الذي في قوله وما خلق الذكر
والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا
غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند
له واقناط للكافر من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار
على سبيل الاستئناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل
ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى
بل ام من هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت
لله بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل لله اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت
وقرأ نافع بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة
ربه في موقع الحال او الاستئناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل
العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي
القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ
يذكر بالادغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة

قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر اختلف العلماء في الكفر هل هو برضاه تعالى ام لا فذهب بعض الاشعرية كالنووي الى ان الكفر برضاه وقوله ولا يرضى لعباده الكفر المراد بالعباد فيها المؤمنون المخلصون منهم والاضافة للتشريف كما نقله السخاوي وقال انه وقع في عصره البحث فيه والمنكرة على الحنفية كالعيني ونقله ابن الهمام عن الاشعري وامام الحرمين والقطب في انه دائر على تفسيره فمن قال الرضى والارادة بمعنى فيقابله الكره ذهب الى الاول وخص العباد هنا ومن فسره بالمحبة او بالارادة مع ترك الاعتراض ويقابله السخط ذهب الى الثاني وعمم العباد فاحفظه شهاب

قوله والضلال والاضلال الخ يعني ان اللام هنا لام العاقبة والمآل لترتب ما ذكر على ما جعل وهي استعارة من لام التعليل الداخلة على الغرض استعيرت لما ذكر كما تحقق لكن فيه ان الضلال ليس نتيجة جعل الانداد بل سبب مقدم عليه والمراد بالنتيجة ما تؤدي اليه الفعل والغرض ما يقصد ترتبه على الفعل ملخصا الشهاب

العلمية بعد نفيها باعتبار القوة صح

قوله للتعليل لانه جواب سؤال تقديره لم يجتهد في العبادة والعبودية فقيل لانه يحذرها قوله نفي لاستواء الفريقين المؤمن والكافر او المطيع والعاصي قوله وقيل تقرير للاول عطف على ما قبله بحسب المعنى او التقدير الذين يعلمون والذين لا يعلمون هم القانتون وغيرهم فينبغي ان يحسب المعنى او المراد بالاول غير الاول وانما ذكر على طريق التشبيه كما تخيل لا يستوي القانت وغيره كما لا يستوي العالم والجاهل فيكون ذكره على سبيل التمثيل ففيه تاكيد من وجه آخر شهاب ملخصا

في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية ۞ وأرض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن منه ۞ إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها ۞ أجرهم بغير حساب أجرا لا يهتدي إليه حساب الحساب وفي الحديث أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل ۞ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين موحدا له ۞ وأمرت لأن أكون أول المسلمين وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن قصب السبق في الدين بالإخلاص أو لأنه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الأول بتقييده بالعلة والإشعار بأن العبادة المقرونة بالإخلاص وإن اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهي أيضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم في الإخلاص والبدء بنفسه في الدعاء إليه بعد الأمر به ۞ قل إني أخاف إن عصيت ربي بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ۞ عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه ۞ قل الله أعبد مخلصا له ديني أمر بالإخبار عن إخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والإخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لأطماعهم ولذلك رتب عليه قوله ۞ فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم ۞ قل إن الخاسرين الكاملين في الخسران ۞ الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم بالإضلال يوم القيامة حين يدخلون النار بدل الجنة لأنهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده ۞ ألا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين ۞ لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل أطباق من النار هي ظلل لآخرين ۞ ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ۞ يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي ۞ والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ۞ أن يعبدوها بدل اشتمال منه ۞ وأنابوا إلى الله وأقبلوا إليه بشراشرهم عما سواه ۞ لهم البشرى بالثواب على ألسنة الرسل والملائكة عند حضور الموت ۞ فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قوله لأن قصب السبق الخ أي لأن إحراز قصب السبق فيه مقدر وإحرازه كناية عن السبق والتقدم وفي نسخة حيازة قصب السبق فلا تقدير فيه وأصله أنهم كانوا في سباق الخيل يضعون في نهاية ميدانه قصبة مغروزة كل من يأتي أولا يأخذها فيعلم بذلك سبقه لغيره ثم صار مثلا في كل سبق وجعل هذا علة لأولويته في الشرف والرتبة شهاب

قوله وقيل الخ التفسير السابق على أن المراد بأهليهم من تبعهم وأنهم عدم في الضلال وهذا على هذا فالأهل الأتباع خلقا و... شرهم كما فصله المصرح شهاب

وضع

وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل ۞ أولئك الذين هداهم الله لدينه ۞ وأولئك هم أولوا الألباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها ۞ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه ۞ فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسول عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والإشعار بالجزاء المحذوف ۞ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض ۞ مبنية بنيت بناء المنازل على الأرض ۞ تجري من تحتها الأنهار أي من تحت تلك الغرف ۞ وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى الوعد ۞ لا يخلف الله الميعاد لأن الخلف على الله نقص وهو محال ۞ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر ۞ فسلكه فأدخله ۞ ينابيع في الأرض هي عيون ومجار كائنة فيها أو مياها نابعات فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر أو الحال ۞ ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ۞ ثم يهيج يتم جفافه لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته ۞ فتراه مصفرا من يبسه ۞ ثم يجعله حطاما فتاتا ۞ إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر بها ۞ لأولي الألباب إذ لا يتذكر به غيرهم ۞ أفمن شرح الله صدره للإسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث إن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للإسلام ۞ فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق وعنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله ۞ وخبر من محذوف دل عليه ۞ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لأن القاسي من أجل الشيء أشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ۞ ذكر شرح الصدر وأسنده إلى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده إليه ۞ أولئك في ضلال

قوله لذلك أي للتأكيد لأن المراد إنقاذه من العذاب إذ إصابته في النار كأنه هو محقق الإنكار وقوله وللدلالة الخ من حكم عليه العذاب الشرط وهو معنى كونه حق عليه العذاب لأنه لو لم يكن كذلك لم يكن الجزاء في محله وقوله ويجوز الخ فلا تكرار فيه حينئذ وقوله للدلالة على ذلك أي على أن من حكم عليه الخ والجزاء المحذوف فأنت تنقذه شهاب

قوله أو مياها نابعات الخ يعني أنه اختلف في الينبوع هنا فقيل هو اسم جامد للماء وقيل هو للموضع الذي يخرج منه فجركه فيه وانتصاب ينابيع على الحال على الوجه الأول أي فأدخله في الأرض نابعات وعلى المصدر على الثاني أي فأدخله إدخالا في ينابيع على أن يكون ينابيع ظرفا للمصدر المحذوف وليت شعري لم ارتكب الحذف ولم يجعله ظرفا للفعل المذكور على معنى فسلكه في ينابيع شيخ زاده

قوله من حيث إن الصدر الخ بيان للتجوز والعلاقة فيه على أن شرح الله صدره استعارة تمثيلية أو الصدر مجاز عن النفس بعلاقة الحلول فإن الصدر محل القلب وهو مجوف فيه لحم صنوبري لطيف متكون من صفوة الأغذية وبه تتعلق النفس الناطقة بواسطة بسائر البدن تعلق التدبير والتصرف وكذلك النفس هي القابلة للإيمان والإسلام فالروح في كلامه بمعنى النفس الأخيرة المذكورة لأنها تسمى روحا والمراد بالنفس الناطقة والمتعلق بفتح اللام محل التعلق وللنفس اللام وفي نسخة بالنفس عطف على الروح فاعمل لكن الأولى أحسن شهاب

قوله من أجل ذكره الخ يعني أن من فيه للتعليل والسببية وفيها معنى الابتداء لنشأته عنه ولذا قيل إنها ابتدائية وإذا قيل قست منه فالمراد أنه سبب لقسوته وإذا قيل قست عنه فالمعنى أن قسوته جعلته متباعدا عن قبوله وجعل ذكره استعماله وقد فرق بعض الشعراء لكن الأول أبلغ المص لأن قسوة القلب تقتضي عدم ذكر الله وجعله سببا للقسوة تعدى بعن وذكره تعالى مما يلين القلوب فكونه سببا للقسوة يدل على شدة الكفر الذي جعل سبب الرقة سببا للقسوة شهاب

مبين يظهر للناظر بادي نظر والآية نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده الله نزل
أحسن الحديث يعني القرآن روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة
فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للإسناد إليه
وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه
تشابه أبعاضه في الإعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة
مثاني جمع مثنى أو مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك
القرآن سور وآيات والإنسان عروق وعظام وأعصاب أو جعل تمييزا من متشابها
كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز
خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واستدل به على تكفير المبتدعة
فإنهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأه ما علم مجيء الرسول
به صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به الجنس ليتناول
الرسل والمؤمنين لقوله أولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي
هو الرسول والمصدق هو أبو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز
واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس بزيادة
الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والإطلاق للإشعار بأن أصل
أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه والتعدية بإلى لتضمين معنى السكون
والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك أي الكتاب
هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما
له من هاد يخرجه من الضلال أفمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه
لأنه يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم
القيامة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين أي لهم
فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بالموجب لما يقال لهم
وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون أي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب
الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر
ببالهم أن الشر يأتيهم منها فأذاقهم الله الخزي الذل في الحياة الدنيا كالمسخ
والخسف والقتل والسبي والإجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم أكبر لشدته ودوامه
لو كانوا يعلمون لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ٢

ولقد

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج إليه الناظر في أمر دينه لعلهم
يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا أو مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه
ما وهو أبلغ من المستقيم واختص بالمعاني وما قيل المراد بالعوج الشك استشهادا بقوله
وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب تخصيص له ببعض
مدلوله لعلهم يتقون علة أخرى مرتبة على الأولى ضرب الله مثلا رجلا
للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك
على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون
فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره
وتوزع قلبه والموحد لمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا
وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون
سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت
بها أو حذف منها ذا ورجل سالم أي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن
للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده
وقرئ مثلين للإشعار باختلاف النوع أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير
للمثلين فإن التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة
سواه لأنه المنعم بالذات والمالك على الإطلاق بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره من فرط جهلهم إنك ميت وإنهم ميتون فإن الكل بصدد الموت وفي
عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لأنه مما سيحدث ثم إنكم على تغليب
المخاطب على الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت
على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في الشرك واجتهدت في الإرشاد والتبليغ
ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا
آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا
فمن أظلم ممن كذب على الله بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق
وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه من غير توقف وتفكر في أمره
أليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم واللام تحتمل
العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فإنهم مكذبون بما علم صدقه وهو
ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأه ما علم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به بالتكذيب
والذي جاء بالصدق وصدق به الجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أولئك

هم المتقون. وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون. وقيل الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر رضي الله
عنه وذلك يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز. وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق
به الناس فأداه إليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصُدِّق
به على البناء للمفعول. لهم ما يشاؤون عند ربهم في الجنة. ذلك جزاء المحسنين
على إحسانهم. ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا. خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا
كفر كان غيره أولى بذلك أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم
مقصرون مذنبون وأن ما فرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى
السيء كقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان. وقرئ أسواء جمع سوء. ويجزيهم أجرهم
ويعطيهم ثوابهم بأحسن الذي كانوا يعملون. فتعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة
الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها. أليس الله بكاف عبده استفهام إنكار للنفي مبالغة
في الإثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
عباده وفسر بالأنبياء. ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فإنهم قالوا إنا نخاف
أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها. وقيل إنه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها أحذركها
فإن لها لشدة فعمد إليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه السلام
لأنه الآمر له بما خوف عليه. ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع
ولا يضر فما له من هاد يهديه إلى الرشاد. ومن يهد الله فما له من مضل إذ لا راد لفعله
كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه. ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية. قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره. أي أرأيتم بعد ما تحققتم
أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل يكشفنه. أو أرادني برحمة بنفع
هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني. وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته. قل حسبي الله كافيا في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر
بهذا التقرير أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير أو شر. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزل ذلك. وإنما قال كاشفات وممسكات بناء على ما يصفونها به من
الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها. عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بأن الكل منه. قل
يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث
من المكان للزمان. وقرئ مكاناتكم. إني عامل أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة
في الوعيد والإشعار بأن حاله عليه السلام لا تقف فإنه تعالى يزيده على مر الأيام

ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون. من
يأتيه عذاب يخزيه. فإن خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر. ويحل
عليه عذاب مقيم. دائم وهو عذاب النار. إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم
فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم. بالحق ملتبسا به. فمن اهتدى فلنفسه
إذ نفع به نفسه. ومن ضل فإنما يضل عليها. فإن وباله لا يتخطاها. وما أنت عليهم
بوكيل. وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت. الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع
تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا
وهو في النوم. فيمسك التي قضى عليها الموت. ولا يردها إلى البدن. وقرأ حمزة والكسائي
قُضي بضم القاف وكسر الضاد والموتُ بالرفع. ويرسل الأخرى. أي النائمة إلى بدنها
عند اليقظة. إلى أجل مسمى. هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الإرسال
وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما نسبة مثل
شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة
فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه. إن في ذلك
من التوفي والإمساك والإرسال. لآيات. على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون. في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها
باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها
وإرسالها حينا بعد حين إلى توفي آجالها. أم اتخذوا. بل اتخذ قريش. من دون الله شفعاء
يشفع لهم عند الله. قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون. أيشفعون ولو كانوا على هذه
الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم. قل لله الشفاعة جميعا. لعله رد
لما عسى يجيبون به وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم. والمعنى أنه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال. له ملك السموات
والأرض. فإنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه. ثم إليه
ترجعون. يوم القيمة فيكون الملك له أيضا حينئذ. وإذا ذكر الله وحده. دون آلهتهم
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة. انقبضت ونفرت. وإذا ذكر الذين من دونه
يعني الأوثان. إذا هم يستبشرون. لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الأمرين
حتى بلغ الغاية فيهما فإن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز
أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا المفاجأة. قل اللهم فاطر السموات والأرض
عالم الغيب والشهادة. التجئ إلى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في أمرهم وعجزت في عنادهم وشدة

شكايتهم فإنه القادر على الأشياء والعالم بالأحوال كلها. أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون. فأنت وحدك تقدر أن تحكم بيني وبينهم. ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة. وعيد شديد وإقناط كلي لهم من الخلاص
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون. زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم في الوعد. وبدا لهم سيئات ما كسبوا. سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون. وأحاط بهم جزاؤه. فإذا مس الإنسان ضر دعانا
إخبار عن الجنس بما يغلب فيه. والعطف على قوله وإذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان
مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر
الآلهة فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما
اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم. ثم إذا خولناه نعمة منا أعطيناه إياها تفضلا فإن
التخويل مختص به. قال إنما أوتيته على علم. أي على علم مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه
لما لي من استحقاقه أو من الله تعالى بي واستيجابي. والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا
فللنعمة والتذكير لأن المراد شيء منها. بل هي فتنة. امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما
قاله. وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ بالتذكير. ولكن أكثرهم لا يعلمون
ذلك وهو دليل على أن الإنسان للجنس. قد قالها الذين من قبلهم. الهاء لقوله إنما أوتيته
على علم عندي لأنها كلمة أو جملة. وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه
فإنه قاله ورضي به قومه. فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. من متاع الدنيا.
فأصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لأنه
في مقابلة أعمالهم السيئة رمزا إلى أن جميع أعمالهم كذلك. والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء
المشركين ومن للبيان أو للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا. كما أصاب أولئك وقد
أصابهم فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم. وما هم بمعجزين. فائتين
أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم
سبعا. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. بأن الحوادث كلها من الله تعالى بوسط أو بغيره
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم. أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف والمعاصي وإضافة
العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن. لا تقنطوا من رحمة الله. لا تيأسوا من
مغفرته أولا وتفضله ثانيا. إن الله يغفر الذنوب جميعا. عفوا ولو بعد بعد وتقييده
بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على إطلاقه فيما عدا الشرك قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية
والتعليل بقوله إنه هو الغفور الرحيم. على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل والاختصاص

المقتضي للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة
فضلا عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع
الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما روي أنه عليه
السلام قال ما أحب أن يكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت
ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وما روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن
وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس فنزلت
وقيل في عياش ووليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا أو في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فإنها
لا تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والإخلاص
في العمل وتنافي الوعيد بالعذاب. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم. القرآن
أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله
ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة. من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة
وأنتم لا تشعرون. بمجيئه فتتداركون. أن تقول نفس. كراهة أن تقول. وتنكير نفس
لأن القائل بعض الأنفس أو للتكثير كقول الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني
كريم ينفض الرأس مغضبا. يا حسرتى. وقرئ بالياء على الأصل. على ما فرطت. قصرت
في جنب الله. في جانبه أي في حقه وهو طاعته. قال سابق البربري أما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله إن السماحة
والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة
وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله. وإن كنت لمن الساخرين
المستهزئين بأهله ومحل إن كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر. أو تقول لو
أن الله هداني بالإرشاد إلى الحق لكنت من المتقين. من الشرك والمعاصي. أو تقول حين
ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين. في العقيدة والعمل وأو للدلالة
على أنه لا يخلو من هذه الأقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين. رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هداني من
معنى النفي وفصله عنه لأن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق
للوجود لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة
الله في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ
بالتأنيث للنفس. ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله. بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ
الولد وجوههم مسودة. بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة

حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو أليس في جهنم مثوى مقام
للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ
ينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم اقسامه
وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا
له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو
على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا
يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاختصاص
لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته
اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات
الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة
على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة
في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد
والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده
بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم
له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد
بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف
الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط
الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة
للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح
وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب

قوله وعطف الخسران يعني انه يحتمل ان يكون الخسران
سبب الحبوط لكنه كان الظاهر ان يقول فيه فتكون
من الخاسرين فترك الفاء واعادة اللام يقتضي انه جزاء

على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن
كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما
قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا
ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام
بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه
قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة
الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من
شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم
نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح
به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون
وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب
كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل
سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات
يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة
ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة
بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح
المحفوظ تقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص
ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو
اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة
والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو
عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤوها فتحت

ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي يحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء
وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه
لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة
وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة
وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص
بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثويهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم
فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مُتسببة عنه كما قال عليه السلام
ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة
فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال
اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة
وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو
الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من
الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين
وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد
مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء
للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه
يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض
يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من
اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي
يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول
العرش اي حوله ومن مزيدة او للابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده
والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به
وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي
بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم
في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق

والقائلون

والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه
الله ثواب الخائفين وعنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة غافر مكية وآيها خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم امال ابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح
الميم على التحريك لالتقاء الساكنين او النصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث
او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص
الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من
الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه
لم يرد بها زمان مخصوص وكذا شديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف
اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط
الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين
اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك
لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها
والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات
الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي
المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر
على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما
الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم
فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس
جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في
دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن في التجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم
اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على
الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم
وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ
بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم
بالاهلاك جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو

وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب
على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال
على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات
الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم
له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون
بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح
اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم
بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله
ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته
سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما
يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان يوجب النصح والشفقة وان
تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة ربنا
اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي
وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في
عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو
تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم
الاول اي ادخل معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة
عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور
الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات
العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في
الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته
في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني
الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة
بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له
لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة
الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا

امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا
فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك
قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه
تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث
وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياآن
ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به
ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا
وانكارهم للبعث فهل الى خروج من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط
قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اي الذي انتم فيه بانه بسبب انه
اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية
كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة
حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدي العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي
يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من
السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي
كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا
من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما
ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم
وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من
حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته
لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات
او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي
وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأ من
والامر هو الملك المبلغ يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية
الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق
يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون
والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون

لا يستترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما

يريه

يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في

التحذير واظهار الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل لهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضمير لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه منهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ولتتصوبوه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كان عليه دأبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن افرائيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسولا مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك اي مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مسرف

في العصيان مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتيهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مشرفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لأظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا

لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو بيان لما قبله وكذلك ثم يعطف على الاول وعلى الاول
فان ما بعده ايضا تفصيل لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا. تدعوننى لاكفر بالله بدل او بيان
فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام. واشرك به ما ليس لى به بربوبيته
علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح
الا عن ايقان. وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع بصفات الالوهية من كمال القدرة
والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب
والغفران. لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله. انما تدعوننى
اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى حق عدم دعوة المتكلم الى عبادتها اصلا
لانها جمادات ليس لها ما يقتضى الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة
لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة
له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما
ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية
الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فتنقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه
كالرشد والرشد. وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين فى الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها. فستذكرون. فسيذكر بعضكم بعضا
عند معاينة العذاب. ما اقول لكم من النصيحة. وافوض امرى الى الله ليعصمنى من كل
سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم فكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله. فوقيه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى. وحاق بال فرعون بفرعون
وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك. وقيل بطلبة المؤمن من قومه
فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا
فقتلهم. سوء العذاب الغرق والقتل والنار. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا.
جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال
منها او من الال وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك
لارواحهم كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنهما ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض
على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على
بقاء النفس وعذاب القبر. ويوم تقوم الساعة هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة
قيل لهم ادخلوا ال فرعون يا ال فرعون. اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا

فيه

فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص ادخلوا على الامر
للملائكة بادخالهم النار. واذ يتحاجون فى النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا. فيقول الضعفؤا للذين استكبروا تفصيل له. انا كنا لكم تبعا تباعا
كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز. فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين
او مصدر كشيئا فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من
صلة مغنون. قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو
قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة
كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب. ان الله قد حكم بين العباد بان
ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه. وقال الذين فى النار لخزنة
جهنم اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل ولبيان محلهم فيها ويحتمل ان
يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر. ادعوا ربكم يخفف عنا يوما
قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف
ومن العذاب بيانه. قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم الحجة
وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة. قالوا بلى قالوا
فادعوا فانا لا نجترى عليه اذ لم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة
وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ضياع لا يجاب. انا لننصر رسلنا والذين امنوا
بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة. فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى
فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب
الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة
على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين. يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من
الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا غير الكوفيين
ونافع بالتاء. ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم. ولقد اتينا موسى
الهدى ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع. واورثنا بنى اسرائيل الكتاب
وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية. هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا. لاولى
الالباب لذوى العقول السليمة. فاصبر على اذى المشركين. ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه
واستشهد بحال موسى وفرعون. واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك
بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك بالنصر واظهار الحق ٢

وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا • ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح ابن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الايات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم • لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه بامر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون • لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم • وما يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء • والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل • قليلا ما يتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او للكفار • وقرا الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة • ان الساعة لاتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به • وقال ربكم ادعوني • اعبدوني • استجب لكم • اثبكم لقوله • ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين • صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة • او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها • وقرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء • الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه • لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس • والنهار مبصرا • يبصر فيه او به • واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال • ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل ولا يعبا به لم يقل لمفضل • ولكن اكثر الناس لا يشكرون • لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم • ذلكم • المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية • الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو • اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها • وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة

للاوصا

للاوصاف المذكورة • فانى تؤفكون • فكيف ومن اي وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره • كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون • اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتاملها • الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة • وصوركم فاحسن صوركم • بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات • ورزقكم من الطيبات • اللذائذ • ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين • فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال • هو الحي المنفرد بالحياة الذاتية • لا اله الا هو • اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته • فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين • اي الطاعة من الشرك والرياء • الحمد لله رب العالمين • قائلين له • قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي • من الحجج والايات العقلية او من الايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها • وامرت ان اسلم لرب العالمين • ان انقاد له او اخلص له ديني • هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا • اطفالا • والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم • اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله • ثم لتكونوا شيوخا • ويجوز عطفه على لتبلغوا • وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين • وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا • ومنكم من يتوفى من قبل • من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد • ولتبلغوا • ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة • ولعلكم تعقلون • ما في ذلك من الحجج والعبر • هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا • فاذا اراده • فانما يقول له كن فيكون • فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة • والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد • الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون • عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه • او للتوكيد • الذين كذبوا بالكتاب • بالقران او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا • من سائر الكتب او الوحي والشرائع • فسوف يعلمون • جزاء تكذيبهم • اذ الاغلال في اعناقهم • ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه • والسلاسل • عطف على الاغلال او مبتدا خبره • يسحبون في الحميم • والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال • وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية • والسلاسل بالجر حملا على المعنى الحاصل اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا لباء

ويدل عليه القراءة به. ثم في النار يسجرون. يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض. ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا. غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن. كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين. حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا. ذلكم الاضلال. بما كنتم تفرحون في الارض. تبطرون وتتكبرون. بغير الحق. وهو الشرك والطغيان. وبما كنتم تمرحون. تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ. ادخلوا ابواب جهنم. الابواب السبعة المقسومة لكم. خالدين فيها. مقدرين الخلود. فبئس مثوى المتكبرين. عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى. فاصبر ان وعد الله. بهلاك الكفار. حق. كائن لا محالة. فاما نرينك. فان نرك. وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها. بعض الذي نعدهم. في الدنيا وهو القتل والاسر. او نتوفينك. قبل ان تراه. فالينا يرجعون. يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك مقصود ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانما نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض. ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك. اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم اشخاص معدودة. وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله. فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها. فاذا جاء امر الله. بالعذاب في الدنيا والآخرة. قضي بالحق. بانجاء المحق وتعذيب المبطل. وخسر هنالك المبطلون. المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها. الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون. فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر. ولكم فيها منافع. كالالبان والجلود والاوبار. ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم. بالمسافرة عليها. وعليها في البر. وعلى الفلك في البحر تحملون. وانما قال وعلى الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب و

والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة. ويريكم آياته. دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته. فاي آيات الله. اي اي آية من تلك الآيات. تنكرون. فانها لظهورها لا تقبل الانكار. وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه. افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض. ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم. فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون. ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات. بالمعجزات او الآيات الواضحات. فرحوا بما عندهم من العلم. واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن. وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم. فلما راوا باسنا. شدة عذابنا. قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. يعنون الاصنام. فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا. لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان روية الباس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الروية. سنت الله التي قد خلت في عباده. اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة. وخسر هنالك الكافرون. اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له.

سورة حم السجدة مكية وآيها اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم. حم. ان جعلته مبتدا فخبره. تنزيل من الرحمن الرحيم. وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره. كتاب. وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة

على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية ٭ فصلت اياته ٭ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى
وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى او فصلت بين
الحق والباطل ٭ قرانا عربيا ٭ نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة
قراته وفهمه ٭ لقوم يعقلون ٭ لقوم يعلمون العربية ٭ او لاهل العلم والنظر وهو صفة
اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت ٭ والاول اولى لوقوعه بين الصفات ٭ بشيرا
ونذيرا ٭ للعاملين به والمخالفين له ٭ وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف
فاعرض اكثرهم ٭ عن تدبره وقبوله ٭ فهم لا يسمعون ٭ سماع تأمل وطاعة ٭ وقالوا
قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ٭ اغطية جمع كنان ٭ وفى اذاننا وقر ٭ صمم واصله
الثقل ٭ وقرئ بالكسر ٭ ومن بيننا وبينك حجاب ٭ يمنعنا عن التواصل والرؤية لك
ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة
ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم
ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم
فاعمل ٭ على دينك او فى ابطال امرنا ٭ اننا عاملون ٭ على ديننا او فى ابطال امرك
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ٭ لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقى منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل ٭ فاستقيموا
اليه ٭ فاستقيموا فى افعالكم متوجهين اليه ٭ او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص
فى العمل ٭ واستغفروه ٭ مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على
ذلك فقال ٭ وويل للمشركين ٭ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله ٭ الذين لا يؤتون
الزكوة ٭ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل ٭ وفيه دليل على
ان الكفار مخاطبون بالفروع ٭ وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان
والطاعة ٭ وهم بالاخرة هم كافرون ٭ حال مشعرة بان امتناعهم من الزكوة لاستغراقهم
فى طلب الدنيا وانكارهم الاخرة ٭ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل ٭ او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته ٭ وقيل نزلت
فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون ٭ قل ائنكم
لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ٭ فى مقدار يومين او نوبتين وخلق فى كل نوبة
ما خلق فى اسرع ما يكون ٭ ولعل المراد من الارض ما فى جهة السفل من الاجرام البسيطة
ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم
به الحادهم فى ذاته وصفاته ٭ وتجعلون له اندادا ٭ ولا يصح ان يكون له ند ٭ ذلك الذى

الذى خلق الارض فى يومين ٭ رب العالمين ٭ خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها
وجعل فيها رواسى ٭ استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة
من فوقها ٭ مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون منافعها
معرضة للطلاب ٭ وبارك فيها ٭ واكثر خيرها بان تخلق فيها انواع النبات والحيوان
وقدر فيها اقواتها ٭ اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به ٭ او اقوات تنشأ
منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها ٭ وقرئ وقسم فيها اقواتها ٭ فى اربعة
ايام ٭ فى تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشر والى الكوفة فى خمسة
عشر ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين
والتصريح على الفذلكة ٭ سواء ٭ اى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام
ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير فى اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على
هى سواء ٭ للسائلين ٭ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق
الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها الاقوات للطالبين لها ٭ ثم استوى الى السماء
قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى الى غيره
والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك
دحيها ٭ ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها ٭ وهى دخان ٭ امر ظلمانى
ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التى ركبت منها ٭ فقال لها وللارض ائتيا
بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة و
الكائنات المتنوعة ٭ او ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب
للرتبة او الاخبار ٭ او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد
عرفت ما فيه ٭ او ليأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده
قراءة واتيا من المواتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما ٭ طوعا او كرها
شئتما ذلك او ابيتما ٭ والمراد اظهار كمال قدرته ٭ ووقوع وجوب مراده لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال ٭ قالتا اتينا طائعين ٭
منقادين بالذات ٭ والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات
عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون ٭ وما قيل انه تعالى
خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير ٭ وانما قال طائعين
على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين ٭ فقضاهن سبع سموات ٭
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن ٭ والضمير للسماء على المعنى او مبهم ٭ وسبع
سموات حال على الاول وتمييز على الثانى ٭ فى يومين ٭ قيل خلق السموات يوم الخميس

والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة • وأوحى في كل سماء أمرها • شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا • وقيل أوحى إلى أهلها بأوامره • وزينا السماء الدنيا بمصابيح • فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها • وحفظا • أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا • وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا • ذلك تقدير العزيز العليم • البالغ في القدرة والعلم فإن أعرضوا • عن الإيمان بعد هذا البيان • فقل أنذرتكم صاعقة • فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة • مثل صاعقة عاد وثمود • وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا • إذ جاءتهم الرسل • حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى • من بين أيديهم ومن خلفهم • من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة • وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم إذ قد بلغهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين إلى الإيمان بهم أجمعين • ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان • ألا تعبدوا إلا الله • بأن لا تعبدوا أو أي لا تعبدوا • قالوا لو شاء ربنا • إرسال الرسل • لأنزل ملائكة • برسالته • فإنا بما أرسلتم به • على زعمكم • كافرون • إذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا • فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق • فتعظموا فيها على أهلها بغير استحقاق • وقالوا من أشد منا قوة • اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم أن الرجل ينزع الصخرة فيقتلعها بيده • أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة • قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره • وكانوا بآياتنا يجحدون • يعرفون أنها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا • فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا • باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع أو شديدة الصوت في هبوبها من الصرير • في أيام نحسات • جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن آخر شباط من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء • لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا • إضافة العذاب إلى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله • ولعذاب الآخرة أخزى • وهو في الأصل صفة المعذب وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة • وهم لا ينصرون • بدفع

العذاب

العذاب عنهم • وأما ثمود فهديناهم • فدللناهم على الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده • ومنونا في الحالين وبضم الثاء • فاستحبوا العمى على الهدى • فاختاروا الضلالة على الهدى • فأخذتهم صاعقة العذاب الهون • صاعقة من السماء فأهلكتهم وإضافتها إلى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة • بما كانوا يكسبون • من اختيار الضلالة • ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون • من تلك الصاعقة • ويوم يحشر أعداء الله إلى النار • وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى • وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء • فهم يوزعون • يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة أهل النار • حتى إذا ما جاؤها • إذا حضروها • وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور • شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • بأن ينطقها الله أو يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا • سؤال توبيخ أو تعجب • ولعل المراد به نفس التعجب • قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء • أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل شيء ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة • وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون • يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود • وأن يكون استئنافا • وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم • أي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب • ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون • فلذلك اجترأتم على ما فعلتم • وذلكم • إشارة إلى ظنهم هذا وهو مبتدأ • وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم • خبران له • ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا • فأصبحتم من الخاسرين • إذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين • فإن يصبروا فالنار مثوى لهم • لا خلاص لهم عنها • وإن يستعتبوا • يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون • فما هم من المعتبين • المجابين إليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص • وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين • أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة • وقيضنا • وقدرنا • لهم • للكفرة • قرناء • أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر • وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة

للمعاوضة • فزينوا لهم ما بين ايديهم • من امر الدنيا واتباع الشهوات • وما خلفهم • من امر الاخرة وانكاره • وحق عليهم القول • اي كلمة العذاب • في امم • في جملة امم كقوله • ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا • ففي آخرين قد افكوا • وهو حال من الضمير المجرور • قد خلت من قبلهم من الجن والانس • وقد عملوا مثل اعمالهم • انهم كانوا خاسرين • تعليل لاستحقاقهم العذاب • والضمير لهم وللامم • وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه • وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى • لعلكم تغلبون • اي تغلبونه على قراءته • فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا • المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار • ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون • سيئات اعمالهم وقد سبق مثله • ذلك • اشارة الى الاسوء • جزاء اعداء الله • خبره • النار • عطف بيان للجزاء او خبر محذوف • لهم فيها • في النار • دار الخلد • فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة • جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون • ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو • وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس • يعني شياطين النوعين الحاملين على الضلال والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء • نجعلهما تحت اقدامنا • ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل • ليكونا من الاسفلين • مكانا او ذلا • ان الذين قالوا ربنا الله • اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته • ثم استقاموا • في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع الاقرار • وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها • تتنزل عليهم الملائكة • فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر • الا تخافوا • ما تقدمون عليه • ولا تحزنوا • على ما خلفتم • وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة • وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون • في الدنيا على لسان الرسل • نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا • نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة • وفي الآخرة • بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم • ولكم فيها • في الآخرة • ما تشتهي

انفسكم

انفسكم • من اللذائذ • ولكم فيها ما تدعون • ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب فهو اعم من الاول • نزلا من غفور رحيم • حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف • ومن احسن قولا ممن دعا الى الله • الى عبادته • وعمل صالحا • فيما بينه وبين ربه • وقال انني من المسلمين • تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه • والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين • ولا تستوي الحسنة ولا السيئة • في الجزاء وحسن العاقبة • ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي • ادفع بالتي هي احسن • ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات • وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة • ولذلك وضع احسن موضع الحسنة • فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم • اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق • وما يلقيها • وما يلقى هذه السجية • وهي مقابلة الاساءة بالاحسان • الا الذين صبروا • فانها تحبس النفوس عن الانتقام • وما يلقيها الا ذو حظ عظيم • من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة • واما ينزغنك من الشيطان نزغ • نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء • وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر • فاستعذ بالله • من شره ولا تطعه • انه هو السميع • لاستعاذتك • العليم • بنيتك او بصلاحك • ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر • لانهما مخلوقان مأموران مثلكم • واسجدوا لله الذي خلقهن • الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لم يعلم ولا يختار • ان كنتم اياه تعبدون • فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى • فان استكبروا • عن الامتثال • فالذين عند ربك • من الملائكة • يسبحون له بالليل والنهار • اي دائما لقوله • وهم لا يسأمون • اي لا يملون • ومن آياته انك ترى الارض خاشعة • يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل • فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت • تزخرفت وانتفخت بالنبات • وقرئ ربأت اي زادت • ان الذي احياها • بعد موتها • لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير • من الاحياء والاماتة

إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والإلغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على إلحادهم أفمن يلقى في النار خير أمّن يأتي آمنا يوم القيامة قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إخماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد إنه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا أو مستأنف وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن وإنه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم أو ما يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم إن ربك لذو مغفرة لمن آمن لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآناً أعجمياً جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي أكلام أعجمي ومخاطب عربي إنكار مقرر للتحضيض والأعجمي للذي يقال لا يفهم كلامه وللكلامه وقرئ أعجمي وهو منسوب إلى العجم وقرأ هشام أعجمي على الإخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته بجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو الدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبه والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامّهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على الذين آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وإنهم وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة أو من القرآن مريب يوجب الاضطراب من عمل صالحاً فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها إذ لا يعلمها إلا هو وما تخرج من ثمرة من أكمامها من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضاً وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا مقروناً بعلمه واقعاً حسب تعلقه به ويوم يناديهم أين شركائي بزعمكم قالوا آذناك أعلمناك ما منا من شهيد من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم أو لا يرونه وظنوا وأيقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الإنسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وإن مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل أو لي دائماً لا يزول وما أظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بالكلية تكبراً والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق

والغرب على وجهٍ خارقٍ للعادة. وفي أنفسهم ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم
أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة. حتى يتبين لهم أنه الحق
الضمير للقرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو التوحيد أو لله. أولم يكف بربك. أولم يكف
ربك. والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل ولم تحصل الكفاية ولا تزاد في الفاعل إلا مع كفى
أنه على كل شيء شهيد. بدل منه. والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق
له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة. أو مطلع
فيعلم حالك وحالهم أو لم يكف الإنسان رادعًا عن المعاصي أنه تعالى مطلع على كل شيء
لا يخفى عليه خافية. ألا إنهم في مرية شك. وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية
من لقاء ربهم بالبعث والجزاء. ألا إنه بكل شيء محيط. عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها
مقتدر عليها لا يفوته شيء منها. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل

سورة الشورى مكية حرف عشر حسنات وآيها ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. حم عسق. لعله اسمان
للسورة ولذلك فصل بينهما وعُدّا آيتين وإن كانا اسمًا واحدًا فالفصل ليطابق سائر
الحواميم. وقرئ حم سق. كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. أي مثل
ما في هذه السورة من المعاني أوحى أو إيحاء مثل إيحائها أوحى الله إليك وإلى الرسل قبلك. وإنما
ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وأن إيحاء مثله
عادته. وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو
مصدر ويوحى مسند إلى إليك. والله مرتفع بما دل عليه يوحى. والعزيز الحكيم صفتان
له مقرِّرتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة أو بالابتداء كما في قراءة نوحي
بالنون. والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان. وقوله له ما في السموات
وما في الأرض وهو العلي العظيم. خبران له. وعلى الوجوه الأخر استئناف مقرر
لعزته وحكمته. تكاد السموات يتفطرن. يتشققن من عظمة الله. وقيل من ادعاء
الولد له. وقرأ البصريان وأبو بكر ينفطرن. والأول أبلغ لأنه مطاوع فطّر وهذا
مطاوع فطر. وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر. من فوقهن. أي
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية. وتخصيصها على الأول لأن أعظم الآيات
وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة. وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق
الأولى. وقيل الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس. والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الأرض. بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب
المقربة إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي

فيما

فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد. وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
ألا إن الله هو الغفور الرحيم. إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته. والآية
على الأول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب إليه وأن عدم
معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته. والذين اتخذوا من دونه أولياء. شركاء وأندادًا. الله حفيظ عليهم
رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها. وما أنت عليهم بوكيل. بموكل بهم أو بموكول
إليه أمرهم. وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا. الإشارة إلى مصدر يوحي أو إلى معنى
الآية المتقدمة فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة. فيكون الكاف مفعولًا به وقرآنًا
عربيًا حال منه. لتنذر أم القرى. أهل أم القرى وهي مكة. ومن حولها. من العرب
وتنذر يوم الجمع. يوم القيمة يجمع الخلائق فيه أو الأرواح والأشباح أو العمال
والأعمال. وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم. وقرئ
لينذر بالياء والفعل للقرآن. لا ريب فيه. اعتراض لا محل له. فريق في الجنة وفريق في
السعير. أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولًا ثم يفرقون. والتقدير منهم فريق
والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه. وقرئا منصوبين على الحال منهم أي وتنذر يوم
جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري الثواب والعقاب. ولو
شاء الله لجعلهم أمة واحدة. مهتدين أو ضالين. ولكن يدخل من يشاء في رحمته
بالهداية والحمل على الطاعة. والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير. أي ويدعهم بغير
ولي ولا نصير في عذابه. ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد إذ الكلام في الإنذار
أم اتخذوا. بل اتخذوا من دونه أولياء. كالأصنام. فالله هو الولي. جواب شرط
محذوف مثل إن أرادوا أولياء بحق فالله الولي بالحق. وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير. كالتقرير لكونه حقيقًا بالولاية. وما اختلفتم. أنتم والكفار. فيه من شيء
من أمر من أمور الدين والدنيا. فحكمه إلى الله. مفوض إليه يميز المحق عن المبطل بالنصر
أو بالإثابة والمعاقبة. وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم
من كتاب الله. ذلكم الله ربي عليه توكلت. في مجامع الأمور. وإليه أنيب. أرجع
في المعضلات. فاطر السموات والأرض. خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره. جعل لكم.
وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لإلى الله. من أنفسكم. من جنسكم. أزواجًا
نساء. ومن الأنعام أزواجًا. أي وخلق للأنعام من جنسها أزواجًا. أو خلق لكم من
الأنعام أصنافًا أو ذكورًا وإناثًا. يذرؤكم. يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه
الذرو والذر. فيه. أي في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجًا يكون

بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير • ليس كمثله شيء • اذ ليس مثله شيء يزاوجه
ويناسبه • والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه
عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى • ونظيره قول رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لدنه • ومن قال الكاف فيه زائدة
لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرنا • وقيل مثله صفته اذ ليس كصفته صفة
وهو السميع البصير • لكل ما يسمع ويبصر • له مقاليد السموات والارض • خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • يوسع ويضيق على قدر مشيته • انه بكل شيء عليم
فيفعله على ما ينبغي • شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما
وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى • اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما
من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله • ان اقيموا الدين • هو
الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله • ومحله النصب على البدل من مفعول
شرع او الرفع على الاستيناف كأنه جواب وما ذلك المشروع • او الجر على البدل من هاء به
ولا تتفرقوا فيه • ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • كبر على المشركين • عظم عليهم • ما تدعوهم اليه •
من التوحيد • الله يجتبي اليه من يشاء • يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين • ويهدي
اليه • بالارشاد والتوفيق • من ينيب • يقبل اليه • وما تفرقوا • يعني الامم السالفة • وقيل
اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب • الا من بعد ما جاءهم العلم • العلم
بان التفرق ضلال متوعد عليه • او العلم بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم او اسباب
العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها • بغيا بينهم • عداوة او طلبا للدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك • بالامهال • الى اجل مسمى • هو يوم القيمة او آخر اعمارهم
المقدرة • لقضي بينهم • باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا • وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم • يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه
وسلم او المشركين الذين اوتوا القرآن من بعد اهل الكتاب • وقرئ ورثوا وورثوا • لفي شك
منه • من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن • مريب •
مقلق او مدخل في الريبة • فلذلك • فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته
فادع • الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت • وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في
موضع الى لافادة الصلة والتعليل • واستقم كما امرت • واستقم على الدعوة كما امرك
الله • ولا تتبع اهواءهم • الباطلة • وقل آمنت بما انزل الله من كتاب • يعني جميع الكتب
المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض • وامرت لاعدل بينكم • في تبليغ الشرائع

والحكومات

والحكومات • والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية •
الله ربنا وربكم • خالق الكل ومتولي امرهم • لنا اعمالنا ولكم اعمالكم • وكل مجازى بعمله
لا حجة بيننا وبينكم • لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال
ولا للخلاف مبدأ سوى العناد • الله يجمع بيننا • يوم القيمة • واليه المصير • مرجع
الكل لفصل القضاء • وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى يكون منسوخة
باية القتال • والذين يحاجون في الله • في دينه • من بعد ما استجيب له • من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه • او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره
يوم بدر • او بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به • حجتهم
داحضة عند ربهم • زائلة باطلة • وعليهم غضب • بمعاندتهم • ولهم عذاب شديد
على كفرهم • الله الذي انزل الكتاب • جنس الكتاب • بالحق • ملتبسا به بعيدا من الباطل
او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام • والميزان • والشرع الذي يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به • او آلة الوزن اوحى باعدادها • وما
يدريك لعل الساعة قريب • اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل
قبل ان يفاجئ اليوم الذي فيه يوزن اعمالك ويوفى جزاؤك • وقيل تذكير القريب لانه
بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث • يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
استهزاء • والذين آمنوا مشفقون منها • خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب
ويعلمون انها الحق • الكائن لا محالة • الا ان الذين يمارون في الساعة • يجادلون فيها
من المرية • او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج
ما عند صاحبه بكلام فيه شدة • لفي ضلال بعيد • عن الحق فان البعث اشبه الغائبات
الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه • الله لطيف بعباده
بر بهم بصنوف من البر لا يبلغها الافهام • يرزق من يشاء • اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا
من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته • وهو القوي • الباهر القدرة • العزيز •
المنيع الذي لا يغلب • من كان يريد حرث الآخرة • ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه
فائدة تحصل بعمل الدنيا • ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة • والحرث في الاصل القاء
البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه • نزد له في حرثه • فنعطيه بالواحد عشرا
الى سبعمائة فما فوقها • ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها • شيئا منها على ما قسمنا
وماله في الآخرة من نصيب • اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى • ام لهم شركاء •
بل الهم شركاء • والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم • شرعوا لهم • بالتزيين • من
الدين ما لم يأذن به الله • كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا • وقيل شركاؤهم اوثانهم

واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء الله. واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به وصور من سنّة لهم. ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة. لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم. وان الظالمين لهم عذاب اليم. وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة. ترى الظالمين فى يوم القيمة. مشفقين. خائفين. مما كسبوا من السيئات. وهو واقع بهم. اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا. والذين امنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات. فى اطيب بقاعها وانزهها. لهم ما يشاؤن عند ربهم. اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم. ذلك. اشارة الى ما للمؤمنين. هو الفضل الكبير. الذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا. ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات. ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده. وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره. وقرئ يبشر من ابشر. قل لا اسئلكم عليه. على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم. الا المودة فى القربى. ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى. وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط لكن اسألكم المودة. وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القرابة متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله. روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما. وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح. وقرئ الا مودة فى القربى. ومن يقترف حسنة. ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وقيل نزلت فى ابى بكر ومودته لهم. نزد له فيها. فى الحسنة. حسنا. بمضاعفة الثواب. وقرئ يزد اى يزد الله. وحسنى. ان الله غفور. لمن اذنب. شكور. لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة. ام يقولون. بل ايقولون. افترى على الله كذبا. افترى محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى النبوة او القرآن. فان يشاء الله يختم على قلبك. استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشاء الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه. وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم. ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور. استيناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لو كان

عما يقوله

الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذى لا مرد له. وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان. وهو الذى يقبل التوبة عن عباده. بالتجاوز عما تابوا عنه. والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة. وعن على رضى الله عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة. ولتضييع الفرائض الاعادة. ورد المظالم. واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية. واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية. والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. ويعفوا عن السيئات. صغيرها وكبيرها لمن يشاء. ويعلم ما تفعلون. فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة. وقرأ حمزة والكسائى وحفص ما تفعلون بالتاء. ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه. ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله. او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها. ويزيدهم من فضله. على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة. والكافرون لهم عذاب شديد. بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل. ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء. وهذا على الغالب واصل البغى تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية. ولكن ينزل بقدر. بتقدير. ما يشاء. ما اقتضته مشيته. انه بعباده خبير بصير. يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم. روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت. وقيل فى العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا. وهو الذى ينزل الغيث. المطر الذى يغيثهم من الجدب. ولذلك خص بالنافع. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد. من بعد ما قنطوا. ايسوا منه. وقرئ بفتح النون. وينشر رحمته. فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان. وهو الولى. الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته. الحميد. المستحق للحمد على ذلك. ومن اياته خلق السموات والارض. فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم. وما بث فيهما. عطف على السموات او الخلق. من دابة. من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة. وهو على جمعهم اذا يشاء [illegible] فى اى وقت يشاء. قدير. متمكن منه. واذا كما يدخل الماضى يدخل المضارع. وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم. فبسبب معاصيكم. والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه. ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من السببية. ويعفو عن كثير من

الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب
اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه • وما انتم بمعجزين في الارض • فائتين
ما قضي عليكم من المصائب • وما لكم من دون الله من ولي • يحرسكم عنها • ولا نصير
يدفعها عنكم • ومن آياته الجوار السفن الجارية • في البحر كالاعلام • كالجبال • قالت
الخنساء • وان صخرا لتأتم الهداة به • كانه علم في رأسه نار • ان يشا يسكن الريح • وقرئ
الرياح • فيظللن رواكد على ظهره • فيبقين ثوابت على ظهر البحر • ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور • لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر
في آلائه • او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر • او يوبقهن
او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة • والمراد اهلاك اهلها لقوله • بما كسبوا
واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله
ويعف عن كثير • اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا من
على العفو منهم • وقرئ ويعفو على الاستيناف • ويعلم الذين يجادلون في آياتنا
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع
جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب • وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف
وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم
وتحذير آخرين • ما لهم من محيص • محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل • فما
اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا • تتمتعون به مدة حياتكم • وما عند الله • من ثواب
الآخرة • خير وابقى • لخلوص نفعه ودوامه • وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث
ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية
وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت • للذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون • والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
والذين وما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون
على ضميرهم خبر للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب • وقرأ حمزة والكسائي
كبير الاثم • والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة • نزلت في الانصار دعاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له • وامرهم شورى بينهم • ذو شورى
لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور
وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور • ومما رزقناهم ينفقون • في سبيل الخير • والذين
اذا اصابهم البغي هم ينتصرون • على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم
بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ
عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعن المتغلب مذموم

لانه اجتراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع من التعدي فقال
وجزاء سيئة سيئة مثلها • وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل
به • فمن عفا واصلح • بينه وبين عدوه • فاجره على الله • عدة مبهمة تدل على عظم الموعود
انه لا يحب الظالمين • المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام • ولمن انتصر بعد
ظلمه • بعد ما ظلم وقد قرئ به • فاولئك ما عليهم من سبيل • بالمعاتبة والمعاقبة • انما
السبيل على الذين يظلمون الناس • يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا
عليهم • ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم • على ظلمهم وبغيهم • ولمن
صبر • على الاذى • وغفر • ولم ينتصر • ان ذلك لمن عزم الامور • اي ان ذلك منه
فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به • ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده • من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه • وترى الظالمين لما رأوا العذاب
حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا • يقولون هل الى مرد من سبيل • اي الى رجعة
الى الدنيا • وتراهم يعرضون عليها • على النار ويدل عليها العذاب • خاشعين من الذل
متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل • ينظرون من طرف خفي • اي يبتدئ نظرهم الى
النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف • وقال الذين آمنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم • بالتعريض للعذاب المخلد • يوم القيمة • ظرف لخسروا
والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا رأوهم على تلك الحال • الا ان الظالمين في عذاب
مقيم • تمام كلامهم او تصديق من الله لهم • وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون
الله ومن يضلل الله فما له من سبيل • الى الهدى او النجاة • استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي
يوم لا مرد له من الله • لا يرده الله بعد ما حكم به • ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اي من قبل
ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده • ما لكم من ملجأ يومئذ • مفر • وما لكم من نكير • انكار لما
اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم • فان اعرضوا فما
ارسلناك عليهم حفيظا • رقيبا او محاسبا • ان عليك الا البلاغ • وقد بلغت • وانا اذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها • اراد بالانسان الجنس لقوله • وان تصبهم سيئة بما
قدمت ايديهم فان الانسان كفور • بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها
ولم يتأمل سببها هذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
فيه • وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها
عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع الضمير في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم • لله ملك السموات
والارض • فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء • يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا

ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال واعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين
جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل ولان مساق الآية للدلالة
على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله تعالى لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام
في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك
عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين الاقسام
المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له
ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من
حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث
المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى
والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز
الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به
الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل
اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول
ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف
والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب
ظرفا وقعت احوالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا
واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه
وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة
بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اي الروح
او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر
فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك
الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين
والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له
ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية الا قوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

اكنت تدري قبل الوحي الكتاب اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان
بتفاصيل ما تضمنه الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا
الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له تما لا ريب

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين
انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب
القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء
استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما
يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي
تفهموا معانيه وانه عطف على انا بالاستيناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ
فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظ عندنا عن التغيير
لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم
لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال
منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده
ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك
الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي
انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض
او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه
بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف
صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من
انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة
علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية
مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي
في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم
المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم مخبرا عنهم ومضى
مثل الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول صلى الله عليه
وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم
مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو
الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف
الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها
لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك

والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا اى زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم والذى خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اى ظهور ما يركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الى الله او لانه مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة فى ام للانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين بما مر فى الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشأ فى الحلية اى او جعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات وهو فى الخصام فى المجادلة غير مبين مقرر لما تدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى او من هذا حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظيره

ذلك

ذلك اغلاه وغالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقص رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا ومدة بينهما ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة ويسألون اى عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزءا وان له بنات وهى الملائكة ويسألون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفى مشيته عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ

عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد وتمسك بالدليل فانه اشرف آبائهم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل ابرهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمت ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون التصرف فيما هو اعلى منه ورحمت ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس

امة

قوله استثناء منقطع لعدم دخوله فيما قبله لان ما مختصة بغير ذوي العلم وكأنه لا يناسب تغليبهم عليه تعالى لان تغليب غير العقلاء ... وهذا بناء على انهم لم يكونوا يعبدون الله او ان عبادته مع الشرك في حكم العدم ... ما عامة لذوي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام فهو متصل وقوله او صفة معطوف على قوله استثناء يعني ان الا بمعنى غير صفة لما ... موصوفة لان غير وما بمعناه لا يتعرف بالاضافة في مثله فلا يكون صفة لما اذا كانت موصولة. شهاب

امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى الضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفع نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضمير للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب

قوله وعلة اي فاللام الاولى صلة لتعديه باللام فهو بمنزلة المفعول به والثانية تعليلية فهو بمنزلة المفعول له وليس المراد انها للتعليل والثانية بدل منه كما قيل لان الفعل ... في بعض النسخ علة له والضمير راجع للفعل المفهوم من السياق وقيل راجع لمن يكفر بالرحمن ... لان علل الفعل بعد تعلق الاول به جعل علة له وهذا المثال المذكور لان معنى القميص ليكون له قميصا فلا لغة فيه كما توهم. شهاب

قوله وفيه اشارة الى قوله ورحمة ربك الخ وقوله والآخرة ... وذلك اشارة الى الزخرف الماضي وحتى يجتمع غاية لعدم الجعل وغاية له وهو اجعلها وقوله مخل به اي بما لهم في الآخرة وقوله لما فيه اي في التمتع. شهاب

معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسم بمكابدة عنايه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ
انكم بالكسر وهو يقوي الأول • أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي • انكار تعجيب من أن
يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث
صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء
قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت • ومن كان في ضلال مبين • عطف على العمي
باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى • فإما
نذهبن بك • أي فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة
لام القسم في استجلاب النون المؤكدة • فإنا منهم منتقمون • بعدك في الدنيا والآخرة
أو نرينك الذي وعدناهم • أو أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب • فإنا عليهم
مقتدرون • لا يفوتوننا • فاستمسك بالذي أوحي إليك • الآيات من الشرائع وقرئ
أوحى على بناء الفاعل وهو الله تعالى • انك على صراط مستقيم • لا عوج له • وانه لذكر
لك • لشرف لك • ولقومك وسوف تسألون • أي عنه يوم القيمة وعن قيامكم
بحقه • واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا • أي واسأل أممهم وعلماء دينهم
أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون • هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت
في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه
ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين •
يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام
الى التوحيد • فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون • فاجؤوا وقت ضحكهم منها أي
استهزؤا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها • وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها •
الا وهي بالغة أقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها أكبر مما يقاس اليها
من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري أو الا وهي مختصة
بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار • وأخذناهم بالعذاب • كالسنين
والطوفان والجراد • لعلهم يرجعون • على وجه يرجى رجوعهم • وقالوا يا أيه
الساحر • نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لانهم كانوا
يسمون العالم الباهر ساحرا • ادع لنا ربك • أي تدعو لنا فينكشف عنا العذاب
بما عهد عندك • بعهده عندك من النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف

العذاب

العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة • اننا لمهتدون •
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون • فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء • ونادى
فرعون في قومه • في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم
قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار • أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك
ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس • تجري من تحتي • تحت قصري أو أمري أو بين يدي
في جناني والواو اما عاطفة لهذه الأنهار على الملك فتجري حال منها أو واو حال وهذه
مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبرها • أفلا تبصرون • ذلك • أم أنا خير مع هذه المملكة
والبسطة • من هذا الذي هو مهين • ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي
القلة • ولا يكاد يبين • الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرياسة • وأم اما منقطعة
والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من أسباب فضله أو متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى
أفلا تبصرون فتعلمون أني خير منه • فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب • أي فهلا ألقي
اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق
من ذهب • وأساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ به
وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة والقي عليه أسورة
وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى • أو جاء معه الملائكة مقترنين • مقرونين
يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن • أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن •
فاستخف قومه • فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم • فأطاعوه
فيما أمرهم به • انهم كانوا قوما فاسقين • فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق • فلما آسفونا
أغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من أسف اذا اشتد غضبه • انتقمنا منهم
فأغرقناهم أجمعين • في اليم • فجعلناهم سلفا • قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم • وقرأ حمزة والكسائي بضم
السين واللام جمع سليف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال
ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة سلفت • ومثلا للآخرين • وعظة لهم أو
قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون • ولما ضرب ابن مريم
مثلا • أي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أو غيره بأن قال النصارى أهل الكتاب وهم يعبدون
عيسى ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أو على قوله واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا أو أن محمدا صلى الله عليه وسلم يريد أن نعبده كما عبد المسيح • اذا قومك • قريش
منه • من هذا المثل • يصدون • يضجون فرحا لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار

ملزمًا به • وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون
عنه • وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف • وقالوا ءآلهتنا خير ام هو • اي آلهتنا خير عندك
ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه • او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان
يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك • او آلهتنا خير ام محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده
وندع آلهتنا • وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما • ما ضربوه لك الا
جدلا • ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل • بل هم
قوم خصمون • شداد الخصومة حراص على اللجاج • ان هو الا عبد انعمنا عليه • بالنبوة
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل • امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك
الشبهة • ولو نشاء لجعلنا منكم • لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا
بدلكم • ملائكة في الارض يخلفون • ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان
كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها
ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب
الى الله سبحانه • وانه • وان عيسى لعلم للساعة • لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة
يعلم به دنوها • او لان احياء الموتى يدل على ان قدرة الله عليه • وقرئ لعلم اي علامة
ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا • وفي الحديث ينزل عيسى بن مريم عليه السلام على ثنية
بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس
في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل
النصارى الا من آمن به • وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها
فلا تمترن بها • فلا تشكن فيها • واتبعون • واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل
هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم امر ان يقوله • هذا • الذي ادعوكم اليه • صراط مستقيم
لا يضل سالكه • ولا يصدنكم الشيطان • عن المتابعة • انه لكم عدو مبين •
ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية • ولما جاء عيسى بالبينات
بالمعجزات او آيات الانجيل او بالشرائع الواضحات • قال قد جئتكم بالحكمة • بالانجيل
او الشريعة • ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه • وهو ما يكون من امر الدين
لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم يبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم
بامور دنياكم • فاتقوا الله واطيعون • فيما ابلغه عنه • ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه • بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع
هذا صراط مستقيم • الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام

او استيناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك • فاختلف الاحزاب • الفرق
المتحزبة • من بينهم • من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث
اليهم • فويل للذين ظلموا • من المتحزبين • من عذاب يوم اليم • القيامة • هل ينظرون الا الساعة • هو
الضمير لقريش او للذين ظلموا • ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون • غافلون عنها لاشتغالهم
بامور الدنيا وانكارهم لها • الاخلاء • الاحباء • يومئذ بعضهم لبعض عدو • اي
يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب • الا المتقين
فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد • يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا
انتم تحزنون • حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ • الذين آمنوا بآياتنا
صفة للمنادى • وكانوا مسلمين • حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان
هذه العبارة آكد • ادخلوا الجنة انتم وازواجكم • نساؤكم المؤمنات • تحبرون • تسرون
سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم • او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة • او تكرمون
اكراما يبالغ فيه • والحبرة المبالغة فيما وصف بالجميل • يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
الصحاف جمع صحفة • والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له • وفيها • وفي الجنة • ما تشتهيه
الانفس • وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل • وتلذ الاعين • بمشاهدته
وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ • وانتم فيها خالدون •
فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال
وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون • وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث
لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها
والتي اورثتموها صفتها والخبر بما كنتم تعملون • وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون • بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل
تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم
الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة • ان المجرمين • الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل
قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار • في عذاب جهنم خالدون • خبر
ان او خالدون خبر والظرف متعلق به • لا يفتر عنهم • لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا
سكنت قليلا والتركيب للضعف • وهم فيه • في العذاب • مبلسون • آيسون من النجاة
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين • مر مثله غير مرة وهم فصل • ونادوا يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما • ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون
تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا وقالوا ليقض علينا ربك • والمعنى سل ربنا ان يقضي
علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة

قال انكم ماكثون • لا خلاص لكم بموت ولا غيره • لقد جئناكم بالحق • بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك • ولكن اكثركم للحق كارهون • لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا • في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته • فانا مبرمون • امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم • حديث نفسهم بذلك • ونجواهم • وتناجيهم • بلى • نسمعها • ورسلنا والحفظة مع ذلك • لديهم • ملازمون لهم • يكتبون • ذلك • قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين • منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلول للازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به • وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له • او الآنفين منه • او من ان يكون له من عبد يعبد اذا اشتد انفه • او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة • وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم • سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون • عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها • فذرهم يخوضوا • في باطلهم • ويلعبوا • في دنياهم • حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • اي القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله • مستحق لان يعبد فيهما • والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولهم هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله • والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار • وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالهية • وهو الحكيم العليم • كالدليل عليه • وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما • كالهواء • وعنده علم الساعة • العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها • واليه ترجعون •

للجزاء • وقرأ نافع وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد • ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة • كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله • الا من شهد بالحق وهم يعلمون • بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه • ومنفصل ان خص بالاصنام • ولئن سألتهم من خلقهم • سألت العابدين والمعبودين • ليقولن الله • لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره • فانى يؤفكون • يصرفون من عبادته الى عبادة غيره • وقيله • وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره • يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون • او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف • وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه • فاصفح عنهم • فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم • وقل سلام • تسلم منكم ومتاركة • فسوف يعلمون • تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • حم والكتاب المبين • القرآن • والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة • في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية • او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية • انا كنا منذرين • استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله • فيها يفرق كل امر حكيم • فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها • ويجوز ان يكون صفة ليلة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها بقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام • وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق اي يفرقه الله ونفرق بالنون • امرا من عندنا • اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف • وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به • او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا • انا كنا مرسلين • رحمة من ربك • بدل من انا كنا منذرين اي انا

انزلنا القرآن لان من عادتنا الارسال للرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة ❊ انه هو السميع العليم ❊ يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته ❊ رب السموات والارض وما بينهما ❊ خبر آخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ❊ ان كنتم موقنين ❊ اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ❊ لا اله الا هو ❊ اذ لا خالق سواه ❊ يحيى ويميت ❊ كما تشاهدون ❊ ربكم ورب آبائكم الاولين ❊ قرئا بالجر بدلا ❊ بل هم فى شك يلعبون ❊ رد لكونهم موقنين ❊ فارتقب ❊ فانتظر لهم ❊ يوم تاتى السماء بدخان مبين ❊ يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين ❊ يغشى الناس ❊ يحيط بهم صفة الدخان وقوله ❊ هذا عذاب اليم ❊ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ❊ مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم ❊ انى لهم الذكرى ❊ من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة ❊ وقد جاءهم رسول مبين ❊ بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ❊ ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ❊ قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون ❊ انا كاشفوا العذاب ❊ بدعاء النبى عليه السلام فانه دعا فرفع القحط ❊ قليلا ❊ كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم ❊ انكم عائدون ❊ الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ❊ ومن فسره بما فى القيمة اوله بالشرط والتقدير ❊ يوم نبطش

البطشة

البطشة الكبرى ❊ يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه ❊ انا منتقمون ❊ لا لمنتقمون فان ان تحجز عنه او بدل من يوم ياتى وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ❊ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ❊ امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم ❊ وجاءهم رسول كريم ❊ مكرم على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ❊ ان ادوا الى عباد الله ❊ بان ادوهم الى وارسلوهم معى او بان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول عليه السلام برسالة او دعوة ❊ انى لكم رسول امين ❊ غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر ❊ وان لا تعلوا على الله ❊ ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله عليه السلام وان كالاولى فى وجهيها ❊ انى آتيكم بسلطان مبين ❊ علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى ❊ وانى عذت بربى وربكم ❊ التجات اليه وتوكلت عليه ❊ ان ترجمون ❊ ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى وقرئ عت بالادغام ❊ وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ❊ فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ❊ فدعا ربه ❊ بعد ما كذبوه ❊ ان هؤلاء ❊ بان هؤلاء ❊ قوم مجرمون ❊ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول ❊ فاسر بعبادى ليلا ❊ اى فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرا ابو عمرو بوصل الهمزة من سرى ❊ انكم متبعون ❊ يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم ❊ واترك البحر رهوا ❊ مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير شيئا ليدخله القبط ❊ انهم جند مغرقون ❊ وقرئ بالفتح بمعنى لانهم ❊ كم تركوا ❊ كثيرا تركوا ❊ من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ❊ محافل مزينة ومنازل حسنة ❊ ونعمة ❊ وتنعم ❊ كانوا فيها فاكهين ❊ متنعمين وقرئ فكهين ❊ كذلك ❊ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك ❊ واورثناها ❊ عطف على الفعل المقدر او على تركوا ❊ قوما آخرين ❊ ليسوا منهم فى شيء وهم بنوا اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر ❊ فما بكت عليهم السماء والارض ❊ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه ❊ وقيل تقديره فما بكت اهل السماء والارض ❊ وما كانوا منظرين ❊ ممهلين الى وقت آخر ❊ ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ❊ من استعباد فرعون وقتل ابنائهم ❊ من فرعون ❊ بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله

عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته ‧ وقرئ من فرعون على الاستفهام
تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة ‧ انه كان عاليا ‧ متكبرا ‧ من المسرفين ‧ في العتو
والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من
بينهم ‧ ولقد اخترناهم ‧ اخترنا بني اسرائيل ‧ على علم ‧ عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علمنا
بانهم يزيغون في بعض الاحوال ‧ على العالمين ‧ لكثرة الانبياء منهم او على عالمي زمانهم ‧ وآتيناهم
من الآيات ‧ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ‧ ما فيه بلاء مبين ‧ نعمة جلية
او اختبار ظاهر ‧ ان هؤلاء ‧ يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه
مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ‧ ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى ‧ ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية
ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات ‧ وقيل لما قيل لهم انكم
تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما
الموتة التي من شانها كذلك الا الموتة الاولى ‧ وما نحن بمنشرين ‧ بمبعوثين ‧ فأتوا بآبائنا ‧
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ‧ ان كنتم صادقين ‧ في وعدكم ليدل عليه
اهم خير ‧ في القوة والمنعة ‧ ام قوم تبع ‧ تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى
سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه ‧ وعنه عليه السلام
ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي ‧ وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم
الاقيال لانهم يتقيلون ‧ والذين من قبلهم ‧ كعاد وثمود ‧ اهلكناهم ‧ استيناف بمآل قوم
تبع والذين من قبلهم هددبه كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف
به ‧ انهم كانوا مجرمين ‧ بيان للجامع المقتضي للاهلاك ‧ وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما ‧ وما بين الجنسين ‧ وقرئ وما بينهن ‧ لاعبين ‧ لاهين وهو دليل على صحة
الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ‧ ما خلقناهما الا بالحق ‧ الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل
من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ‧ ولكن اكثرهم لا يعلمون ‧ لقلة نظرهم ‧ ان يوم الفصل
فصل الحق والباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه ‧ ميقاتهم
وقت موعدهم ‧ اجمعين ‧ وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم
الفصل ‧ يوم لا يغني ‧ بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل
لا له للفصل ‧ مولى ‧ من قرابة او غيرها ‧ عن مولى ‧ كان ‧ شيئا ‧ شيئا من الاغناء ‧ ولا هم
ينصرون ‧ الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام ‧ الا من رحم الله ‧ بالعفو عنه
وقبول الشفاعة فيه ‧ ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء ‧ انه هو العزيز ‧
لا ينصر منه من اراد تعذيبه ‧ الرحيم ‧ لمن اراد ان يرحمه ‧ ان شجرت الزقوم ‧ وقرئ بكسر

الشين

الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات ‧ طعام الاثيم ‧ الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه ‧ كالمهل ‧ وهو ما يمهل في النار حتى يذوب ‧ وقيل دردي
الزيت ‧ تغلي في البطون ‧ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام
او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما ‧ كغلي الحميم ‧ غليانا مثل غليه ‧ خذوه
على ارادة القول والمقول له الزبانية ‧ فاعتلوه ‧ فجروه ‧ والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره
بقهر ‧ وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان ‧ الى سواء الجحيم ‧ وسطه ‧ ثم
صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ‧ كان اصله يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم
للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع ‧ ذق انك انت العزيز الكريم ‧ اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا
على ما كان يزعم ‧ وقرأ الكسائي انك بالفتح اي لانك او عذاب انك ‧ ان هذا ‧ اي هذا العذاب
ما كنتم به تمترون ‧ تشكون وتمارون فيه ‧ ان المتقين في مقام ‧ في موضع اقامة ‧ وقرأ
نافع وابن عامر بضم الميم ‧ امين ‧ يامن صاحبه عن الآفات والانتقال ‧ في جنات وعيون ‧
بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق ‧ خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف ‧ والسندس ما رق
من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة ‧ متقابلين ‧ في مجالسهم
ليستأنس بعضهم ببعض ‧ كذلك ‧ الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك ‧ وزوجناهم بحور
عين ‧ قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء ‧ والحوراء البيضاء ‧ والعيناء عظيمة العينين
واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها ‧ يدعون فيها بكل فاكهة ‧ يطلبون ويأمرون
باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان ‧ آمنين ‧ من
الضرر ‧ لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ‧ بل يحيون فيها دائما ‧ والاستثناء
منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة ‧ والمؤمن يشارفها
بالموت ويشاهدها عنده وكانه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت
وكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ‧ ووقيهم
عذاب الجحيم ‧ وقرئ ووقيهم على المبالغة ‧ فضلا من ربك ‧ اي اعطوا كل ذلك عطاء
وتفضلا منه ‧ وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ‧ ذلك هو الفوز العظيم ‧ لانه خلاص
عن المكاره وفوز بالمطالب ‧ فانما يسرناه بلسانك ‧ سهلناه حيث انزلناه بلغتك
وهو فذلكة للسورة ‧ لعلهم يتذكرون ‧ لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا
فارتقب ‧ فانتظر ما يحل بهم ‧ انهم مرتقبون ‧ منتظرون ما يحل بك ‧ عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم قيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف بأحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم به معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات الثلث في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح تؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب أليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله

اولئك لهم عذاب مهين

ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ٢٢

وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم
والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا أي القرآن أو اتباع الشريعة
بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة
من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أم منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة أن نجعلهم أن نصيرهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات أي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم
ومماتهم بدل منه إن كان الضمير للموصول الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى انكار أن يكون
حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص سواء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وإن كان
للثاني فحال منه أو استيناف يبين المقتضي للانكار وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير
الأول والمعنى انكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق
والصحة في الحيوة أو استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ
مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم
هذا أو بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والأرض بالحق كأنه دليل
على الحكم السابق من حيث أن خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من
الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن وإذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس
بما كسبت عطف على بالحق لأنه في معنى العلة أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته
أو ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما
ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لأنه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة
هواه لأنه كان أحدهم يستحسن حجرا فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه وأضله
الله خذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه
فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله أفلا
تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة أو الحال إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها
نموت ونحيا أي نكون أمواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا
ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيى بعض أو يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك
حيوة ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وما يهلكنا إلا
الدهر إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه وما لهم بذلك

من

من علم يعني نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال أو انكار البعث
أو كليهما إن هم إلا يظنون إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا
به وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينات له
ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم
صادقين وإنما سمى حجة على حسبانهم ومساقهم أو على أسلوب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع فإنه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم
يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه فإن من قدر على الابتداء
قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل
على وقوعها وإذا كان كذلك أمكن الإتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع
للجزاء ولكن أكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه
ولله ملك السموات والأرض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون أي يخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل أمة جاثية
مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أي جالسة
على أطراف الأصابع لاستيفازهم كل أمة تدعى إلى كتابها صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب
كل على أنه بدل الأول وتدعى صفة أو مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول
على القول هذا كتابنا أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم
ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان إنا كنا نستنسخ نستكتب
الملائكة ما كنتم تعملون أعمالكم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب
وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم أي فيقال لهم ألم يأتكم رسلي فلم تكن
آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة
فاستكبرتم عن الإيمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الإجرام وإذا قيل إن وعد
الله حق كائن هو أو متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها إفراد للمقصود وقرأ حمزة
بالنصب عطفا على اسم إن قلتم ما ندري ما الساعة أي أي شيء الساعة استغرابا لها
إن نظن إلا ظنا أصله نظن ظنا فأدخل حرف النفي والاستثناء لإثبات الظن ونفي
ما عداه كأنه قال ما نحن إلا نظن ظنا أو لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم أكده
بقوله وما نحن بمستيقنين أي لإمكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا
من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا
على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها وحاق بهم ما كانوا

به فيته تنزون، وهو الجزاء. وقيل اليوم ننسيكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به، واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه. ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها. ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها. وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها. وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء. ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه. فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته. وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها. وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب.

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا. واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له. والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت، ويجوز ان يكون ما مصدرية. معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله. قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة. وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية. ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد. او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم وهو ... الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا. وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني، واثرة اي شيء اوثرتم به، واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء، فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه، والمكسورة بمعنى الاثرة، والمضمومة اسم ما يؤثر. ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا. وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما

عباد

عباد مسخرون مشغولون باحوالهم. واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم. وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال. وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين. واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات. قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه، والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها. ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليهم بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة. لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه. ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب. قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم. هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته. كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار، وهو وعيد بجزاء افاضتهم. وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم. قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف. وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع. وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب، ولا لتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي، وما اما موصولة منصوبة به او استفهامية مرفوعة. وقرئ يفعل اي يفعل الله. ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه، وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين. وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة. قل أرأيتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به، ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله، والشاهد هو عبد الله بن سلام، وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم. على مثله مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله. فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق. واستكبرتم عن الايمان. ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم، ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين. وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم. لو كان الايمان او ما اتى به محمد عليه السلام

خيرا ما سبقونا اليه، وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة، وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه، واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين، ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال، وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى ولما بين يديه وقد قرئ به، لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه، لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء، وبشرى للمحسنين عطف على محله، ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد، فلا خوف عليهم من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط، اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية، وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء، ووصينا الانسان بوالديه حسنا، وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا، حملته امه كرها ووضعته كرها، ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر، وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله، والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله اي وقته، والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده، ثلاثون شهرا، كل ذلك بيان لما يكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء، ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما، حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله، وبلغ اربعين سنة، قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا، ان اشكر نعمتك

التي

التي انعمت علي وعلى والدي، يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها، وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه، وان اعمل صالحا ترضيه، نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله تعالى، واصلح لي في ذريتي، واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي، اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك، واني من المسلمين المخلصين لك، اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا، يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه، ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما، في اصحاب الجنة، كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم، وعد الصدق، مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد، الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا، والذي قال لوالديه اف لكما، مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص، وفي اف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل، اتعدانني ان اخرج ابعث، وقرا هشام اتعداني بنون واحدة مشددة، وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم، وهما يستغيثان الله، يقولان الغياث بالله منك او يسالانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان، ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه، ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم الذي كتبوها، اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه، في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة، من الجن والانس بيان للامم، انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف، ولكل من الفريقين، درجات مما عملوا، مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهاهنا جاءت على التغليب، وليوفيهم اعمالهم جزاءها، وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون، وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب، ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها، وقيل تعرض النار عليهم فقلبت مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض، اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم، وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرا بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين، طيباتكم لذاتكم، في حياتكم الدنيا باستيفائها، واستمتعتم بها، فما بقي لكم منها شيء، فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به، بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب

الاستكبار بالباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد
يعنى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع
فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر
من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده
والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى
عن الشيء انذار عن مضرته انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم
قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب
على الشرك ان كنت من الصادقين فى وعدك قال انما العلم عند الله اى
لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به
فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكنى اريكم
قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما رأوه عارضا سحابا عرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم
والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اى يأتينا بالمطر
بل هو اى قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هى ريح
ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء
من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون
الا بمشيته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ
يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل
ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون
الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح
فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ حمزة والكسائى
وعاصم لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزى القوم المجرمين
روى ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت
الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم
وقذفتهم فى البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهى احسن من ما
ههنا لانه يوجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما او شرطية محذوفة
الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى او فى شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر
او صلة كما فى قوله يرجى المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول
اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا لهم

سمعا

سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على
شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو
القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من
حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط
وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من
دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما
قربانا وآلهة بدل وعطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب
وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع
الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذى هو اثره صرفهم عن الحق
وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك
اى ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك
والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما
حضروه اى القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض
اسكتوا لنسمعه فلما قضى اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل
وهو ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم ولوا الى قومهم منذرين اى منذرين
مخوفين داعين بامر الرسول صلى الله عليه وسلم اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده قالوا يا قومنا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا
بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق من العقائد والى طريق
مستقيم من الشرايع يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض
ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم
هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان
لا ثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى آدم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز
فى الارض اذ لا ينجى منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك فى
ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذى خلق السموات
والارض ولم يعى بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا
تنقطع بالايجاد بقادر على ان يحيى الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر

والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبداء اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول عليه السلام ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل هو مبتداء خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد وهي مدنية وآيها سبع او ثمان وثلثون وتسمى سورة القتال

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه

على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه بما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيته لكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتداء خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموهم من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا اي بعد الاسر واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي ينقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض

عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل و يضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بالفعل الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد وتقديره امثل اهل

الجنة

اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من كمن زين له وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا للانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استيناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة وغائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقام مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبر محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل الاشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد بدا امارتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وح لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت

سعادة المؤمن وشقاوة الكافر فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل
النفس باصلاح احوالها واعمالها وهضمها بالاستغفار لذنبك ۝ وللمؤمنين والمؤمنات ۝
ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم ۝ وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار
بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى
والله يعلم متقلبكم ومثويكم ۝ فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه
واعدوا لمعادكم ۝ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ۝ اى هلا نزلت سورة فى امر
الجهاد ۝ فاذا انزلت سورة محكمة ۝ مبينة لا تشابه فيها ۝ وذكر فيها القتال ۝ اى الامر
به ۝ رايت الذين فى قلوبهم مرض ۝ ضعف فى الدين وقيل نفاق ۝ ينظرون اليك نظر
المغشى عليه من الموت ۝ جبنا ومخافة ۝ فاولى لهم ۝ فويل لهم افعل من الولى وهو القرب
او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم ۝ طاعة وقول
معروف ۝ استيناف اى امرهم طاعة ۝ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم
لقراءة ابى يقولون طاعة ۝ فاذا عزم الامر ۝ اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده
اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله ۝ اى فيما زعموا من الحرص على
الجهاد او الايمان ۝ لكان ۝ الصدق ۝ خيرا لهم ۝ فهل عسيتم ۝ فهل يتوقع منكم ۝ ان توليتم ۝
امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ۝ ان تفسدوا فى الارض
وتقطعوا ارحامكم ۝ تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى
الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على
الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على
لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن
يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة
الرحم ۝ وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع ۝ اولئك ۝ اشارة الى المذكورين ۝
الذين لعنهم الله ۝ لافسادهم وقطعهم الارحام ۝ فاصمهم ۝ عن استماع الحق ۝ واعمى ابصارهم ۝
فلا يهتدون سبيله ۝ افلا يتدبرون القرآن ۝ يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
حتى لا يجسروا على المعاصى ۝ ام على قلوب اقفالها ۝ لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر
وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم
او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة
واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال
المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ۝ ان الذين ارتدوا على ادبارهم ۝ الى ما كانوا عليه من
الكفر ۝ من بعد ما تبين لهم الهدى ۝ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ۝ الشيطان سول

لهم

لهم ۝ سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء ۝ وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو
التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده
بقولهم هما يتساولان ۝ وقد قرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم
واملى لهم ۝ ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب
واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او الاستيناف ۝ وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول
وهو ضمير الشيطان او لهم ۝ ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله ۝ اى قال اليهود ۝
للذين كفروا بالنبى بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين
للمشركين ۝ سنطيعكم فى بعض الامر ۝ فى بعض اموركم او فى بعض ما تأمرون به كالقعود
عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم
والله يعلم اسرارهم ۝ ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص
اسرارهم على المصدر ۝ فكيف اذا توفتهم الملائكة ۝ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ ۝
وقرئ توفيهم وهو يحتمل المضارع والماضى المحذوف احد تائيه ۝ يضربون وجوههم
وادبارهم ۝ تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ۝ ذلك ۝ اشارة الى
التوفى الموصوف ۝ بانهم اتبعوا ما اسخط الله ۝ من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه
وسلم وعصيان الامر ۝ وكرهوا رضوانه ۝ ما يرضيه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات
فاحبط اعمالهم ۝ لذلك ۝ ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ۝ ان لن يبرز
الله لرسوله وللمؤمنين ۝ اضغانهم ۝ احقادهم ۝ ولو نشاء لاريناكهم ۝ لعرفناكهم بدلائل
تعرفهم باعيانهم ۝ فلعرفتهم بسيماهم ۝ بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب
كررت فى المعطوف ۝ ولتعرفنهم فى لحن القول ۝ جواب قسم محذوف ۝ ولحن القول اسلوبه
او امالته الى جهة تعريض وتورية ۝ ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب
والله يعلم اعمالكم ۝ فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ۝ ولنبلونكم ۝ بالامر
بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة ۝ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ۝ على مشاقها
ونبلو اخباركم ۝ ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها او قبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاة
المؤمنين فى صدقها وكذبها ۝ وقرأ ابو بكر الافعال الثلثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب
ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ۝ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ۝ هم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر ۝ لن يضروا
الله شيئا ۝ بكفرهم وصدهم ۝ او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف
المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ۝ وسيحبط اعمالهم ۝ ثواب حسنات اعمالهم بذلك او
مكائدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل

والجلاء عن اوطانهم * يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
بما ابطل به هولاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه
دليل على احباط الطاعات بالكبائر * ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم
كفار فلن يغفر الله لهم * عام فى كل من مات على كفره وان صح فى اصحاب القليب ويدل
بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره لسائر ذنوبه * فلا تهنوا * فلا تضعفوا
وتدعوا الى السلم * ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ
ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين * وانتم الاعلون * الاغلبون
والله معكم * ناصركم * ولن يتركم اعمالكم * ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا
قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه تعطيل ثواب العمل وافراد
منه * انما الحيوة الدنيا لعب ولهو * لا ثبات لها * وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم *
ثواب ايمانكم وتقويكم * ولا يسئلكم اموالكم * جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير
كربع العشر وعشره * ان يسئلكموها فيحفكم * فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف
المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله * تبخلوا * فلا تعطوا * ويخرج اضغانكم *
ويضغنكم على الرسول صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون
او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالياء والتاء ورفع اضغانكم * ها انتم هولاء *
اى انتم يا مخاطبون هولاء الموصوفون وقوله * تدعون لتنفقوا فى سبيل الله * استيناف
مقرر لذلك او صلة هولاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما
فمنكم من يبخل * ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة * ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه * فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى
لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق * والله الغنى وانتم الفقراء * فما يأمركم به فهو لاحتياجكم
فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم * وان تتولوا * عطف على وان تؤمنوا * يستبدل
قوما غيركم * يقم مقامكم قوما آخرين * ثم لا يكونوا امثالكم * فى التولى والزهد
فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه
وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة *

سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وهى تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم * انا فتحنا لك
فتحا مبينا * وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة
كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره

على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى
الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء
حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة وقد عرف
كونه فتحا للرسول عليه السلام فى سورة الروم * وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا
لك ان تدخل مكة من قابل * ليغفر لك الله * علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار
والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك
بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة * ما تقدم من ذنبك وما تأخر *
جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه * ويتم نعمته عليك * باعلاء الدين
وضم الملك الى النبوة * ويهديك صراطا مستقيما * فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة * وينصرك الله نصرا عزيزا * نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور
فوصف بوصفه مبالغة * هو الذى انزل السكينة * الثبات والطمأنينة * فى قلوب
المؤمنين * حتى تثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام * ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم * يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفوس عليها * او انزل فيها
السكون الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم
بالله واليوم الآخر * ولله جنود السموات والارض * يدبر امرها فيسلط بعضها على
بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته * وكان الله عليما * بالمصالح
حكيما * فيما يقدر ويدبر * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها * علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض
من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها
فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او
جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال * ويكفر عنهم سيئاتهم *
يغطيها ولا يظهرها * وكان ذلك * اى الادخال والتكفير * عند الله فوزا عظيما *
لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز * ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات * عطف على يدخل الا اذا جعلته
بدلا فيكون عطفا على المبدل * الظانين بالله ظن السوء [illegible] بالضم وهما لغتان غير
ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما
فى الاصل مصدر * وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم * عطف لما استحقوه
فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن

سببٌ للإعداد والغضب سببٌ له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت
مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا
على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه
وتقووه بتقوية دينه ورسوله عليه السلام وتوقروه وتعظموه وتسبحوه
وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوا وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو
الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي
وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله لان المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على سبيل
التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا
عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفي بمبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما
هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح
فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ٢٢
الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف
العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا فلم يكن لنا
من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من
الله شيئا فمن يمنعكم من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة
وخلل في المال والاهل عقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا
ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم
فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنهم ان المشركين ٢٢
يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة
واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء
او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين
عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله
وبرسوله فهو كافر وبانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها

نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة
من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت
رحمتي على غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها
يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة
بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك
والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل
لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل
تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم
الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين
قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة
التخلف ستدعون الى قوم اولي بأس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون
اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم
يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه
الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس
والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله
اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل
عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء
لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل
الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل
التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب
وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي
الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة و
بايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا تفروا عنه وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما فى
قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح
واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها
وهى ما يفئ على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعنى مغانم خيبر وكف ايدى
الناس عنكم ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان او ايدى قريش بالصلح
ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان
او صدق الرسول عليه السلام فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه عن الحديبية او وعد
المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف وعجل مثل لتسلموا
ولتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة
بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة
بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة
وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها
استولى فاظفركم بها وهى مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شئ قديرا
لان قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا
ينصرهم سنة الله التى قد خلت من قبل اى سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن
مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلى ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذى كف ايديهم عنكم ايدى كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة فى
داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل
خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به ابو حنيفة على ان مكة فتحت
عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا
طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو
بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى
معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة
وقرئ والهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد
مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول
صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى

المحصر

المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال
ووطئتنا وطا على حنق وطئ المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام ان آخر
وطئة وطئها الله بوج وهو واد بطائف كان آخر وقعة النبى صلى الله عليه وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم
فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف
عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه
ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين
جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله فى رحمته
علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك
ليدخل الله فى رحمته اى توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم
او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبى اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر
او ظرف لعذبنا او صدوكم فى قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التى تمنع
اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار
والثبات وذلك ما روى انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب
بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان يخلى له قريش مكة
من القابل ثلثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب
هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله
ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله اهل مكة
فقال عليه السلام اكتب ما تريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم
فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة
او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد و
اضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم
واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شئ عليما فيعلم اهل كل شئ وييسره
له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين
وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم

فلما تأخر قالت بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه
في رؤياه ﴿بالحق﴾ ملتبسا به فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام
القابل ويجوز أن يكون بالحق صفة مصدر محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق وهو
القصد إلى التمييز بين الثابت على الإيمان والمتزلزل فيه وأن يكون قسما إما باسم الله
تعالى أو بنقيض الباطل وقوله ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ جوابه وعلى الأولين جواب قسم
محذوف ﴿إن شاء الله﴾ تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أو إشعارا بأن بعضهم لا
يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبي عليه السلام لأصحابه
﴿آمنين﴾ حال من الواو والشرط معترض ﴿محلقين رؤسكم ومقصرين﴾ أي محلقا
بعضكم ومقصرا آخرون ﴿لا تخافون﴾ حال مؤكدة أو استيناف أي لا تخافون
بعد ذلك ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ من الحكمة في تأخير ذلك ﴿فجعل من دون ذلك﴾
من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة ﴿فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب
المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ ملتبسا به
أو بسببه ولأجله ﴿ودين الحق﴾ وبدين الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليغلبه
على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا وإظهار فساد ما كان باطلا أو بتسليط
المؤمنين على أهله إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعد
من الفتح ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على أن ما وعده كائن أو على نبوته بإظهار المعجزات
﴿محمد رسول الله﴾ جملة مبينة للمشهود به ويجوز أن يكون رسول الله صفة
ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ ﴿والذين معه﴾ معطوف عليه وخبرهما ﴿أشداء
على الكفار رحماء بينهم﴾ وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى
أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله ﴿أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين﴾ ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ لأنهم مشتغلون بالصلوة في أكثر
أوقاتهم ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ الثواب والرضاء ﴿سيماهم في وجوههم
من أثر السجود﴾ يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه
إذا أعلمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن في الجار
﴿ذلك﴾ إشارة إلى الوصف المذكور أو إشارة مبهمة يفسرها كزرع ﴿مثلهم في التورية﴾
صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾ عطف عليه أي ذلك
مثلهم في الكتابين وقوله ﴿كزرع﴾ تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع
خبره ﴿أخرج شطأه﴾ فراخه يقال أشطأ الزرع إذا أفرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر
برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة

وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا ﴿فآزره﴾ فقواه
من الموازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزار وهي الإعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
فأزره كأجره ﴿فاستغلظ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظ ﴿فاستوى على سوقه﴾
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة ﴿يعجب الزراع﴾ بكثافته
وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الإسلام ثم
كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ علة لتشبيههم
بالزرع في زكائه واستحكامه أو لقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة وأجرا عظيما﴾ فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا﴾ أي لا تقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كل ما يمكن أو ترك لأن
المقصود نهي التقديم رأسا أو لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده
قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم ﴿بين يدي الله ورسوله﴾
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الإنسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى
لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له و
إشعار بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله ﴿واتقوا الله﴾ في التقديم أو مخالفة الحكم
﴿إن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي﴾ أي إذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض﴾ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من
صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للأدب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته
كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد
الاستبصار والمبالغة في الإيقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به
﴿أن تحبط أعمالكم﴾ كراهة أن تحبط فيكون علة للنهي أو لأن تحبط على أن النهي عن الفعل المعلل
باعتبار التأدية لأن في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضم
إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة وقد روي أن ثابت بن قيس كان في أذنه وقر وكان
جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال
يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي
قد حبط فقال عليه السلام لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة

وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله
مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك
كانا يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى
ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام
صلة محذوف او الفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا باصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب
اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر
طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين
احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لجعل
عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد
بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف
ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان
المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان
يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي
القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء
ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات
متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع
بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت
الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا
بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن
الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت
بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا
بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان
يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم
من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر

فاطلق

فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع
لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام
بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما
سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق
والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من
حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بما
بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة
اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار
ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد
ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله
على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك
لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني
المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان و
كراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك
منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي
اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره معدى بنفسه الى مفعول
واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول
آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع
عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا
للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى
ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم
باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة

جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما تعدّت عليها
على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر وانما
اطلق الفىء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين
فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح
بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا فى
كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت فى قتال
حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان
الباغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فىء الى امر الله وانه يجب
معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة انما المؤمنون اخوة
من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل
وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا
بين اخويكم ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير
والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله فى مخالفة حكمه والاهمال
فيه لعلكم ترحمون على تقويكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى لا يسخر بعض
المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم
مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع او جمع لقائم كزائر وزور
والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الرجال قوامون على النساء وحيث فسر
بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن
لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استيناف
بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين
ان يكن فهى على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اى لا يعب بعضكم بعضا فان
المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا
تدعوا بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين
خصوصا اذ روى ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى اتت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها فهلا قلت ان ابى هرون
وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اى
القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين
وما يباح كالظن فى الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر و
الاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كأنه يثم الاعمال اى
يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه
من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل
للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم
بعضا بالسوء فى غيبته سئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه
فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان يأكل لحم
اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا ميتا وتعقيب ذلك بقوله
فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع
واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب
عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه صلى الله عليه وسلم فقال
ما عندى شىء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما
رجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا
ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر
بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا

وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول عليه السلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا فى ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك

ان

ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب مولها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض وتضمن الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا يفسره ما بعده ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله تعالى عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اى انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسادهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى

أو القرآن لما جاءهم وقرئ لِما بالكسر فهم في أمر مريج مضطرب من مرج الخاتم
في أصبعه إذا جرج وذلك قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة إنه كاهن أفلم
ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم
كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج
فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق والأرض مددناها بسطناها وألقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان
للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبتا عن الفعل الأخير ونزلنا من السماء ماء مباركا
كثير المنافع فأنبتنا به جنات أشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من
شأنه أن يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة إذا
حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ
باصقات لأجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع
أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لأنبتنا أو مصدر فإن الإنبات رزق
وأحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا أرضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت
هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس
وثمود وعاد وفرعون أراد إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده وإخوان لوط إخوانه
لأنهم كانوا أصهاره وأصحاب الأيكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل
أي كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل
عليهم وعيدي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أفعيينا بالخلق
الأول أفعجزنا بالإبداء حتى نعجز عن الإعادة من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة
فيه للإنكار بل هم في لبس من خلق جديد أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم
في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم
شأنه والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا
أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن أقرب إليه من حبل الوريد
تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال
والموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا لأن

ترده إذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أي هو أعلم بحاله من كل قريب
حين يتلقى أي يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين فإنه
أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبيط العبد
عن المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام الحجة يوم يقوم الأشهاد عن
اليمين وعن الشمال قعيد أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجليس
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله وإني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل
للواحد والمتعدد لقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول
ما يرمي به من فيه إلا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله
يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات
فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق
لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون
ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بأن عبر عنه بلفظ الماضي
وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو
والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر والموعود الحق أو الحق الذي ينبغي أن
يكون من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له أو مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة
الحق بالموت على أنها الشدة اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به أو على
أن الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها إليه للتهويل وقرئ سكرات الموت
ذلك أي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للإنسان ونفخ في الصور
يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه
والإشارة إلى المصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان أحدهما
يسوقه والآخر يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه وأعماله ومحل
معها النصب على الحال من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا
على إضمار القول والخطاب لكل نفس إذ ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة أو للكافر فكشفنا
عنك غطاءك الغطاء الحاجب لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والألف
بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للأبصار وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء
الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون

وتوحيد الأول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس ❊ وقال قرينه ❊ قال الملك الموكل عليه ❊ هذا ما لدي عتيد ❊ هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي ❊ أو الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها بإغوائي وإضلالي وما إن جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فبدلها أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف ❊ ألقيا في جهنم كل كفار ❊ خطاب من الله للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر ❊ وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا ❊ أو الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ❊ ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة ❊ عنيد ❊ معاند للحق ❊ مناع للخير ❊ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة ❊ وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه ❊ معتد ❊ متعد ❊ مريب ❊ شاك في الله وفي دينه ❊ الذي جعل مع الله إلها آخر ❊ مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره ❊ فألقياه في العذاب الشديد ❊ أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه ❊ قال قرينه ❊ أي الشيطان المقيض له ❊ وإنما استؤنفت كما يستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فإنه جواب لمحذوف دل عليه ❊ ربنا ما أطغيته ❊ كأن الكافر قال هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته بخلاف الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ❊ ولكن كان في ضلال بعيد ❊ فأعنته عليه فإن إغواء الشيطان إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا إلى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ❊ قال ❊ أي قال الله ❊ لا تختصموا لدي ❊ أي في موقف الحساب فإنه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الأول ❊ وقد قدمت إليكم بالوعيد ❊ على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي أي لا تختصموا عالمين بأني أوعدتكم ❊ والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم ❊ ويجوز أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا عليه ❊ وعلى قوله ❊ ما يبدل القول لدي ❊ أي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل فإن دلائل العفو يدل على تخصيص الوعيد ❊ يدل على تخصيص الوعيد ❊ وما أنا بظلام للعبيد ❊ فأعذب من ليس لي تعذيبه ❊ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ❊ سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير ❊ والمعنى أنها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لأملأن ❊ أو أنها مع السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم ❊ وقرأ نافع

وأبو

وأبو بكر يقول بالياء ❊ والمزيد إما مصدر كالمجيد أو مفعول كالمبيع ❊ ويوم مقدر باذكر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك إشارة إليه فلا يفتقر إلى تقدير مضاف ❊ وأزلفت الجنة للمتقين ❊ قربت لهم ❊ غير بعيد ❊ مكانا غير بعيد ❊ ويجوز أن يكون حالا ❊ وتذكيره لأنه صفة محذوف أي شيئا غير بعيد ❊ أو على زنة المصدر ❊ أو لأن الجنة بمعنى البستان ❊ هذا ما توعدون ❊ على إضمار القول والإشارة إلى الثواب أو مصدر أزلفت ❊ وقرأ ابن كثير بالياء ❊ لكل أواب ❊ رجاع إلى الله بدل من المتقين بإعادة الجار ❊ حفيظ ❊ حافظ لحدوده ❊ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ❊ بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ❊ ولا يجوز أن يكون في حكمه لأن من لا يوصف به ❊ أو مبتدأ خبره ❊ ادخلوها ❊ على تأويل يقال لهم ادخلوا فإن من بمعنى الجمع ❊ وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول أو صفة لمصدر أي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو العقاب بعد غيب أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد ❊ وتخصيص الرحمن للإشعار بأنهم رجوا رحمته وخافوا عقابه ❊ أو بأنهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ❊ ووصف القلب بالإنابة إذ الاعتبار برجوعه إلى الله تعالى ❊ بسلام ❊ سالمين من العذاب وزوال النعم ❊ أو مسلما عليكم من الله وملائكته ❊ ذلك يوم الخلود ❊ يوم تقدير الخلود لقوله ادخلوها خالدين ❊ لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ❊ وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ❊ وكم أهلكنا قبلهم ❊ قبل قومك ❊ من قرن هم أشد منهم بطشا ❊ قوة كعاد وفرعون ❊ فنقبوا في البلاد ❊ فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها ❊ أو جالوا في الأرض كل مجال حذر الموت ❊ والفاء على الأول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب ❊ وأصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه ❊ هل من محيص ❊ أي لهم من الله أو من الموت ❊ وقيل الضمير في نقبوا لأهل مكة أي ساروا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لأنفسهم ❊ ويؤيده أنه قرئ فنقبوا على الأمر ❊ وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو خفاف مراكبهم ❊ إن في ذلك ❊ فيما ذكر في هذه السورة ❊ لذكرى ❊ لتذكرة ❊ لمن كان له قلب ❊ أي قلب واع يتفكر في حقائقه أو ألقى السمع ❊ أو أصغى لاستماعه ❊ وهو شهيد ❊ حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره ❊ وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ❊ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ❊ مر تفسيره مرارا ❊ وما مسنا من لغوب ❊ من تعب وإعياء ❊ وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ❊ فاصبر على ما يقولون ❊ ما يقول المشركون من إنكارهم البعث فإن من قدر على

خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر
والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه
حامدًا لله على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
غروبها يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه
بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت
وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع
الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل
بعد المكتوبات واستمع لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم
للمخبر به يوم يناد المناد اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب
بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم
نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة
الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور
وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا
المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعًا مسرعين ذلك حشر
بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك
لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان
او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع
به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروًا
يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب
التي تذري الخلايق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال
فالحاملات وقرًا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل
او اسباب ذلك وقرئ وقرًا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرًا فالسفن
الجارية في البحر سهلًا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرًا

صفة

صفة مصدر محذوف اي جريًا ذا يسر فالمقسمات امرًا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف
السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من
التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلًا تذرو
الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابًا فتحمله فتجري به باسطة الى حيث امرت به فتقسم المطر
انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه
الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرايق والمراد
اما الطرايق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل
بها الى المعارف او النجوم فان لها طرايق او انها تزينها كما تزين الموشى طرايق الوشي
جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك
كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي
قول مختلف في الرسول عليه السلام وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر
وتارة انه مجنون او في القران او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه
اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرايق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها
يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم او القران او الايمان
من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف اليه بالنسبة او يصرف من صرف في
علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن
القول المختلف وبسببه ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما و
قرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل
الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى
اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسئلون
ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم
هم على النار يفتنون يحرقون جواب السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون وفتح
يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولًا لهم هذا
القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز
ان يكون هذا بدلًا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتيهم
ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتيهم حسن مرضي متلقى بالقبول
انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك

او هو يوم هم على النار يفتنون

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لإحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفى اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض آيات للموقنين اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها على الماء واختلاف اجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفى انفسكم اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفى السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انها مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحققه ونصبه على الحال من المستكن فى لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزه ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحى الله اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد وقيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف المكرمين اى مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال سلام اى عليكم سلام

عدل

عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اى انتم قوم وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه او للانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤا للشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون فلما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنهم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد فى الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الاسلام والايمان وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفى موسى عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه

الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن
الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم
لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون
كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو
مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم
تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه
الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة
وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا
من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن
دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح
لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة
ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما
فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة
وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق
او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها
ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا
زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات
وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان
والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى
نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه
ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر عنه اني لكم منه نذير
مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم
اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او بما يفسره لان ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها

اتواصوا

اتواصوا به اي كان الاولين والآخرين اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا
بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع
لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم
بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض
بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى
تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيى
بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافي ظاهر قوله ولقد ذرأنا
لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا
بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان
السادات مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل
ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق
كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين
شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل
نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان
الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم
بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح
هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين
وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طاح
من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور
مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ
او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور
الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما
ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين
او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن

وعمارته بالمعرفة والاخلاص • والسقف المرفوع يعني السماء • والبحر المسجور اي المملو وهو
المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت • روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا
يسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط • ان عذاب ربك لواقع • لنازل • ما له من
دافع • يدفعه • ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال
قدرة الله تعالى وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة • يوم تمور السماء
مورا • تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج • ويوم ظرف
وتسير الجبال سيرا • اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء • فويل يومئذ للمكذبين
اي اذا وقع ذلك فويل لهم • الذين هم في خوض يلعبون • اي في الخوض في الباطل
يوم يدعون الى نار جهنم دعا • يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى
اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء
فيكونون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر
محكيه • هذه النار التي كنتم بها تكذبون • اي يقال لهم ذلك • افسحر هذا • اي كنتم
تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار
والتوبيخ • ام انتم لا تبصرون • هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه
وهذا تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما
سكرت ابصارنا • اصلوها فاصبروا او لا تصبروا • اي ادخلوها على اي وجه شئتم
من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها • سواء عليكم • اي الامران الصبر وعدمه
انما تجزون ما كنتم تعملون • تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع
كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع • ان المتقين في جنات ونعيم • في اية جنات
واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم • فاكهين • ناعمين متلذذين بما
آتيهم ربهم • وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو • ووقيهم ربهم عذاب
الجحيم • عطف على آتيهم ان جعلت ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن
في الظرف والحال من فاعل اتى او مفعوله او منهما • كلوا واشربوا هنيئا • اي اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه • بما كنتم تعملون • بسببه
او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه
متكئين على سرر مصفوفة • مصطفة • وزوجناهم بحور عين • الباء لما في
التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما
في التزويج من معنى الالصاق والقرن • عطف • والذين آمنوا • على حور اي قرناهم بازواج
حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدا خبره ألحقنا بهم وقوله • واتبعتهم ذريتهم بايمان

اعتراض

اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع للمبالغة في كثرتهم والتصريح
فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين
لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او للاشعار بانه
يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان • الحقنا بهم ذريتهم • في دخول الجنة او الدرجة
لما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم • وما التناهم
وما نقصناهم • من عملهم من شيء • بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء
باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ايضا ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه
وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت • وآلتناهم من آلت يولت
وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد • كل امرئ بما كسب رهين • بعمله مرهون عند
الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها • وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون • اي زدناهم
وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم • يتنازعون فيها • يتعاطون هم وجلساؤهم
بتجاذب • كأسا • خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله • لا لغو فيها ولا
تأثيم • اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما
هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول • وقرأهما ابن كثير والبصريان
بالفتح • ويطوف عليهم • اي بالكأس • غلمان لهم • اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم
اولادهم الذين سبقوهم • كأنهم لؤلؤ مكنون • مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم
وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة
البدر على سائر الكواكب • واقبل بعضهم على بعض يتساءلون • يسأل بعضهم بعضا
عن احواله واعماله • قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين • خائفين من عصيان الله
معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة • فمن الله علينا • بالرحمة او التوفيق • ووقانا
عذاب السموم • عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد
انا كنا من قبل • من قبل ذلك في الدنيا • ندعوه • نعبده او نسأله الوقاية
انه هو البر • المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه • الرحيم • الكثير الرحمة • فذكر
فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم • فما انت بنعمت ربك • بحمد الله وانعامه
بكاهن ولا مجنون • كما يقولون • ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون •
ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت • فعول من منه اذا
قطعه • قل تربصوا فاني معكم من المتربصين • اتربص هلاككم كما تتربصون
هلاكي • ام تأمرهم احلامهم • عقولهم • بهذا • بهذا التناقض في القول

فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا
كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن
اداتها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام
يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه
المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين
في زعمهم اذ فيهم كثير ممن تحدوا فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز
ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء
ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء
من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم
ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة
ومعنى الهمزة فيها للانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق
السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى
يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم المصيطرون الغالبون على الاشياء
يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين
فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت
مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم
البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا ان
يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسئلهم اجرا على تبليغ
الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك
زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم
يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله
عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير
للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين
يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد
من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما
يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء
ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه
على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم

الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم
يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا
اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين
ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو
عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم
لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا
في حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب
الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة
ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد من الرياء ولذلك افرده
بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ
بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام من قرا سورة الطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه

سورة والنجم مكية وآيها ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا
فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم
عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون
اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن
او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد
له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر
لان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل
فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى
فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء
في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل
استوى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل
ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
صلى الله عليه وسلم وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول صلى الله عليه وسلم
فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استر

معتلق كتدلي الثمر ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدَّلْو والدَّوالي الثمر المعلق
فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما
او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما يوحي بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به
او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب
بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر
او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه
ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل
هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذّب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه
على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة
فان كلا من المجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب
افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا
جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما
غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام
في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر
والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق
واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي
شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها
جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة
ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل
يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوز بل اثبته اثباتا صحيحا
مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى من
آيات ربه الكبرى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية
ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات
على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى

ومناة

ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش
بنخلة فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي
ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن
ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها
القرابين ومنه منى وقرئ مناءة مفعلة من النوء كأنهم يستمطرون الانواء عندها
تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى
من التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه
الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله
افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر
لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان
هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها
لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها
من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها
باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق
ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله
بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون الا الظن الا توهم ان ما هم عليه
حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الرسول او الكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة و
معنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة
وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس
لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك
فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي
كل واحد منهم تسمية الانثى بان يسموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون

وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اى امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم انما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا ليجزى الذين اساؤا بما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم بذلك ويجزى الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين نصب على الصفة او المدح او رفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصى والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت الذى تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان

اعطاه

ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابرهيم الذى وفى وفر واتم ما التزمه وامر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يتحمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة فى الاسلام سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما فى الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عند بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر كالنشاة وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضاء له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عاد لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وادغام التنوين فيها وقرأ

في رواية الورش عاد الولى بادغام التنوين في اللام وقالون م

وقرأ نافع وابو عمرو كذلك مع جعل الواو همزة • وثمود • عطف على عادا لان ما بعده
لا يعمل فيه • فما ابقى • الفريقين • وقوم نوح • ايضا عطف عليه • من قبل • من قبل عاد
وثمود • انهم كانوا هم اظلم واطغى • من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه
ويضربونه حتى لا يكون به حراك • والمؤتفكة • والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهي قرى قوم لوط • اهوى • بعد ان رفعها فقلبها • فغشاها ما غشى • فيه تهويل و
تعميم لما اصابهم • فباي آلاء ربك تتمارى • تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد • والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من
العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين • هذا نذير من النذر الاولى •
اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين
الاولين • ازفت الازفة • دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة • ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه
لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله • او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه
سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعاقبة • افمن هذا الحديث • يعني القرآن
تعجبون • انكارا • وتضحكون • استهزاء • ولا تبكون • تحزنا على ما فرطتم
وانتم سامدون • لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او مغنون
لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء • فاسجدوا لله واعبدوا •
اي واعبدوه دون الآلهة • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات

سورة القمر مكية • بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة • وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر •
روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر • وقيل معناه
سينشق يوم القيمة • ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله • وان يروا آية يعرضوا • عن تأملها والايمان
بها • ويقولوا سحر مستمر • مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته
فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته • او مار ذاهب لا يبقى • وكذبوا
واتبعوا اهواءهم • وما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره • وذكرهما بلفظ
الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة • وكل امر مستقر • منته الى غاية من
خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته
ثبت واستقر • وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار • وبالكسر والجر على انه صفة

صفة امر • وكل معطوف على الساعة • ولقد جاءهم • في القرآن • من الانباء • انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة • ما فيه مزدجر • ازدجار من تعذيب او وعيد • وتاء الافتعال
تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب • وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها • حكمة
بالغة • غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف • وقرئ بالنصب حالا
من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها • فما تغن النذر •
نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر
منه او المصدر بمعنى الانذار • فتول عنهم • لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم • يوم
يدع الداع • اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط
الياء اكتفاء بالكسر للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر • الى شيء نكر • فظيع
تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيمة • وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف
وقرئ نكر بمعنى انكر • خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث • اي يخرجون من قبورهم
خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول • وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث
وقرئ خاشعة على الاصل • وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعا وانما حسن ذلك
ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل • وقرئ خشع
ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا • كانهم جراد منتشر • في الكثرة والتموج والانتشار
في الامكنة • مهطعين الى الداع • مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه • يقول
الكافرون هذا يوم عسر • صعب • كذبت قبلهم قوم نوح • قبل قومك • فكذبوا عبدنا
نوحا • وهو تفصيل بعد اجمال • وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب • او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل • وقالوا مجنون •
هو مجنون • وازدجر • وزجر عن التبليغ بانواع الاذية • وقيل انه من جملة قيلهم اي
هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته • فدعا ربه اني • باني • وقرئ بالكسر على ارادة
القول • مغلوب • غلبني قومي • فانتصر • فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم
فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر • منصب وهو
مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها • وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا
بالتشديد لكثرة الابواب • وفجرنا الارض عيونا • وجعلنا الارض كلها كانها عيون
منفجرة • واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة • فالتقى الماء • ماء السماء وماء
الارض • وقرئ الماءان لاختلاف النوعين • والماوان بقلب الهمزة واوا • على امر قد قدر •
على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت • او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر

ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض او على امر قد قدره الله وهو هلاك قوم
نوح بالطوفان • وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة • ودسر ومسامير
جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وصفة السفينة اقيمت مقامها من حيث انها
شرح لها يؤدي مؤداها • تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا • جزاء لمن كان
كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته
ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير • وقرئ لمن كفر اي الكافرين • ولقد
تركناها اي السفينة او الفعلة • آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر • فهل من مدكر
معتبر • وقرئ مذتكر على الاصل • ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها • فكيف كان
عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد • والنذر يحتمل المصدر والجمع • ولقد يسرنا
القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها • للذكر للادكار والاتعاظ
بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ • فهل
من مدكر متعظ • كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر • وانذاري لهم بالعذاب قبل
نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم • انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت
في يوم نحس شؤم • مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم
وصغيرهم فلم يبق احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر • تنزع الناس
تقلعهم • روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح منها وصرعتهم موتى • كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه
ساقط على الارض • قيل شبهوا بالاعجاز لانه طيرت رؤسهم فطرحت اجسادهم
وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى • فكيف كان
عذابي ونذر • كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق في الدنيا والثاني لما يحيق بهم
في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر • كذبت ثمود بالنذر بالانذار
او المواعظ او الرسل • فقالوا ابشرا منا [illegible] من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده • وقرئ بالرفع على الابتداء • والاول اوجه للاستفهام
واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم • نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر
كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له • وقيل السعر
الجنون ومنه ناقة مسعورة • أألقي الذكر الكتاب والوحي • عليه من بيننا
وفينا من هو احق منه بذلك • بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه
سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة • من الكذاب الاشر الذي حمله

اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه • وقرأ ابن عامر وحمزة
ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح • وقرئ الاشر كقولهم
حذر في حذر • والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير • انا مرسلوا
الناقة مخرجوها وباعثوها • فتنة لهم امتحانا لهم • فارتقبهم • فانتظرهم وتبصر
ما يصنعون • واصطبر على اذاهم • ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها
يوم ولهم يوم • وبينهم لتغليب العقلاء • كل شرب محتضر يحضره صاحبه في
نوبته او يحضر عنه غيره • فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود • فتعاطى
فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها او فتعاطى السيف فقتلها • والتعاطي تناول الشيء
بتكلف • فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل
فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها
او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء • وقرئ بفتح
الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم
الا آل لوط نجيناهم بسحر • في سحر وهو آخر الليل او مسحرين • نعمة من عندنا انعاما منا
وهو علة لنجينا • كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة • ولقد انذرهم
لوط • بطشتنا اخذتنا بالعذاب • فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم • فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
كسائر الوجه • روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم
فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال • ولقد
صبحهم بكرة • وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين • عذاب
مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار • فذوقوا عذابي ونذر • ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر • كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض
لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه
والايقاظ لئلا تغلبهم السهو والغفلة • وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما • ولقد جاء آل فرعون النذر • اكتفى بذكرهم عن ذكره
للعلم بانه اولى بذلك • كذبوا باياتنا كلها يعني الآيات التسع • فاخذناهم اخذ عزيز
لا يغالب • مقتدر لا يعجزه شيء • اكفاركم يا معشر العرب • خير من اولئكم •
الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودنيا عند الله • ام لكم براءة في الزبر ام
نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله • ام يقولون نحن جميع

وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر ...

جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا يرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التالم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذووا الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مدنية وايها ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن فقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن

العاطف

العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والاوقات والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال اجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويستوفى به الحقوق والمواجب وهو تشريع الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرا ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايه الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى ادم من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من

تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان
لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما
افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب
المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما
تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما
او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ
حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال
الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما
يتعلق بالبحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز
الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب
او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع
وابو عمرو ويعقوب يُخرَج وقرئ نُخرِج ويُخرِج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما
تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا
اربع حسان ولهن اربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ
حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر
كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق
مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها
وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من
الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت
وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما رتب على
افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم
مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على
الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا
ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء

ربكما

قوله ولو استقريت جهات الموجودات الخ هذا تفسير آخر على ان الوجه ليس بمعنى الجارحة مجازا عن الذات بل بمعنى الجهة التي تقصد ويتوجه اليها فانه موضوع لهذا لغة ايضا لا بمعنى القصد والمراد المقصود كما توهم قال سعدي
استاذنا المقدسي قدس الله روحه ما هو في حد ذاته عدم الا بالنظر الى بقائه على ما هو عليه بحسب الذات الا الجهة التي تليها الحق اي يتولاها بفضله ويفيضها عليه من عنده فالمعنى ما سوى الحق من الممكنات فان اي قابل للفناء في حد ذاته لولا نظر الحق اليه وافاضته خلع الوجود عليه لما حصل له تشريف الوجود وليبقى على ما كان عليه وهو مفقود فلم يبق بعد نظر الحق اليه على الفناء الذي كان ثابتا له في حد ذاته وبالنظر اليه نفسه فيمكن ان يراد بالوجه العمل الصالح كما في بعض التفاسير ومعنى قوله يلي جهته يتقرب به اليه ويقصد به الجهة التي امرنا بالتوجه اليها وهو قد كان في حيز العدم فلما فعله العبد ممتثلا امره ابقاه له الى ان يجازيه عليه ولك ان تقول هو بالقبول صار غير قابل للفناء لما ان الجزاء عليه قام مقامه وهو باق وقال بعض مشايخنا ذلك الوجه الموصوف بعدم الفناء قيوميته تعالى للموجودات وهي صفة له تعالى غير قابلة للفناء في ذاتها ونؤمن بها كما اخبر الله وان جرينا على مذهب السلف من ان الوجه واليد ونحوها صفات نثبتها ولا نشتغل بكيفياتها ولا بتأويلها صح وصفها بانها غير قابلة للفناء في حد ذاتها قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية و احاطة الديمومية وقال ابن عطاء الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار انتهى وعلى هذا فهو تفسير آخر لكن في سياقه تسمح لانه ظاهر في خلافه او تقول الوجه بمعنى الذات ايضا لكنها ذات العبد والمخلوق واضافته للرب ليست بيانية بل لامية والمعنى الا الذات من حيث استقبالها ربها ووقوفها في محراب قربها وضمير ذاته لمن وهو تفسير واحد وهذا هو الاقرب والاشبه بمقاصده فافهم وقال بعض علماء العصر خلخالي
يريد بيان كون من عليها فانيا مع الاتصاف بالوجود وبيان فائدة لفظ الوجه وهو ان الموجودات الممكنة لها جهات ووجوه من ذواتها وصفاتها واحوالها وتلك الجهات والوجوه كلها هالكة وفانية في حد ذاتها الا الوجه الموجود الذي يلي جهته تعالى ويكون منسوبا اليه فانه الباقي وحده وذلك الوجه الباقي يطلق عليه لفظ الوجود ولكونه مظهر النور الالهي المنور لما قال الله الذي هو نور السموات والارض وبهذا التقرير اندفع توهم التدافع بين تفسير الوجه اولا بالذات وثانيا بالذي يلي جهته فتأمله فانه من مزال الاقدام وقد طلع الصباح فاطفئ المصباح
من حاشية مولانا الشهاب الخفاجي عليه الرحمة كتبه الفقير محمد راغب الوزير اثناء المطالعة ببلدة الرها

قوله وقيل تهديد لما كان الفراغ لغة يقتضي سابقة شغل والفراغ لشئ يقتضي لاحقيته ايضا استعمل الثاني للتهديد كانه فرغ عن كل شئ لاجله فلا شغل له سواه فيدل على التوفر في النكاية وهو كناية فيمن يصح عليه ومجاز في غيره كما فيما نحن فيه قوله اى سنقصد اليكم يعني انه ضمن معنى القصد او حمل عليه اذ هو متعدي بالى بخلاف الفراغ فانه لا يتعدى بها واما القراءة المشهورة فلا يحتاج لهذا كما توهم واراد ان الفراغ على ضربين فراغ عن شغل وقصد لشئ فتأمل من الشهاب

ربكما تكذبان اى مما يسعف به سؤلكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايه الثقلان اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده ساففرغ لك فان المتجرد للشئ اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ نحس وهو جمع كصحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة ❊ تحوي الغنائم او يموت كريم

كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان اى مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم

قوله ان قدرتم اصل الاستطاعة طلب طواعية الفعل وتأتيه ثم جعل نفسه بمعنى نفي الارادة والقدرة فلذا فسره بما ذكر ثم انه تعالى لما ذكر انه لا مخلص للعباد وعقبه بقوله ان استطعتم الى بيان انهم لا يقدرون على الخلاص من جزائه وعقابه اذا اراده من الشهاب

البيت للاعشى من قصيدة والسليط الزيت وما يوقد به المصابيح وقيل ومنه السلطان لتنويره الوجود بعدله وضمير فيه للضوء او للسراج وقوله مذاب فسره من يرسل بمعنى يصب والاقتصار على الصفر مطلق من الشهاب قوله حمراء كوردة فهو تشبيه بليغ وقوله على التجريد البديع لانه بمعنى كانت منها او فيها وردة مع ان المقصود انها نفسها وردة وقوله تحوي الغنائم اى تحوزها وفي رواية تحوي الغنائم بنصب ظرفا لارحلن وقوله او يموت بالنصب اى الا ان يموت كريم وعنى بالكريم نفسه على طريق التجريد وهو محل الاستشهاد اذ لو لم يجرد من نفسه كريما لقال او اموت مختصر الشهاب

قوله مما يكون بعد ذلك قيل لم يكن انشقاق السماء من الآلاء وجعله من النعم باعتبار انه مقدمة لدخول الجنة وما معه فيه تدبر وقوله ذودا ذودا الذود طائفة من الابل واستعارة لهم تشبيها بالبهائم وقوله واما قوله فوربك الخ توفيق بين الآيتين بانه باعتبار المواقف فنفي السؤال عنهم في موقف لا ينافي السؤال عنه في اخر وقد يقدم نظيره او السؤال المنفي سؤال التعرف والمثبت سؤال التوبيخ والتقريع وهذا جواب اخر مخير بما ذكره المصنف فلا وجه لتغييره ويحمل مختصر الشهاب قوله مجموعا بينهما بغل ونحوه او فرادى بحذف وقوله وقيل بالنواصي تارة فالواو بمعنى او التقسيم ولذلك مرضه لانه خلاف الظاهر قوله تعالى هذه جهنم التي الخ بتقدير القول لهم مقدر معطوف على قوله يؤخذ او مستأنفة في جواب ماذا يقال لهم لانه مظنة للتوبيخ والتقريع او حال من اصحاب النواصي وكان الاصل التي كذبتم بها فعدل عنه الى ما ذكر للدلالة على استمرار ذلك وبيانا لوجه توبيخهم وعلته وقوله يحرقون بها بيان للواقع او بيان انه اريد من الطواف بها وهو الظاهر مختصر الشهاب

ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من
النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه
الذي يقف فيه العباد للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه
ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين جنتان جنة
للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما
او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى
بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او
اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها
التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث
شاؤوا في الاعالي والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فبأي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت
البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في
معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني
وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتين تدل على
جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين
والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل
على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت
والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان هل
جزاء الاحسان الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان
ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا
ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على
الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج

به

به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان اي نساء خيرات فخففت لان خير الذي
بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة
اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاولين وهم اصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم
فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف
ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان
العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب
والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم
ربك تعالى من حيث انه يطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة
او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر
بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها سبع او تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة
اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل
اذكر او كانت كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين يقع نفس تكذب
على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي
او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث
صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في
الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة
تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان
لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر
الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت
تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل
من اذا وقعت وبست الجبال بسا فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق
اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا
وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية

واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم و[illegible] مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين [illegible] اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه السلام وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرد قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام

على

على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلا ما يتصور لاهل المدن شبه اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا ينقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمتنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كرر الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله او آباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في قوله لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها

الضالون المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم • لآكلون من شجر من
زقوم • من الأولى للابتداء والثانية للبيان • فمالئون منها البطون • من شدة الجوع
فشاربون عليه من الحميم • لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على
المعنى ولفظه • وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها • فشاربون شرب
الهيم • الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء • وقال
ذو الرمة • فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد • صداها ولا يقضي عليها هيامها • وقيل
الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم
خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض • وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من
الآخر من وجه فلا اتحاد • هذا نزلهم يوم الدين • يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم
بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم لأن النزل ما يعد
للنازل تكرمة له • وقرئ نزلهم بالتخفيف • نحن خلقناكم فلولا تصدقون • بالخلق
متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أو بالبعث فإن من قدر على
الإبداء قدر على الإعادة • أفرأيتم ما تمنون • أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف
وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى أمناها • أأنتم تخلقونه • تجعلونه بشرا
سويا • أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت • قسمنا عليكم ووقتنا موت
كل بوقت معين • وما نحن بمسبوقين • لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير
وقته • أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا غلبته عليه • على أن نبدل أمثالكم •
على الأول حال أو علة لقدرنا • وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض • وعلى الثاني
صلة • والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم
جمع مثل • وننشئكم في ما لا تعلمون • في خلق أو صفات لا تعلمونها • ولقد علمتم
النشأة الأولى فلولا تذكرون • أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال • وفيه دليل على صحة القياس • أفرأيتم
ما تحرثون • تبذرون حبه • أأنتم تزرعونه • تنبتونه • أم نحن الزارعون
المنبتون • لو نشاء لجعلناه حطاما • هشيما • فظلتم تفكهون • تعجبون أو تندمون
على اجتهادكم فيه • أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه • والتفكه التنقل
بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث • وقرئ فظلتم بالكسر • وفظلتم على
على الأصل • إنا لمغرمون • لملزمون غرامة ما أنفقنا • أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
وقرأ أبو بكر أإنا على الاستفهام • بل نحن قوم محرومون • حرمنا رزقنا • أو محدودون
لا مجدودون • أفرأيتم الماء الذي تشربون • أي العذب الصالح للشرب • أأنتم

انز

أنزلتموه من المزن • من السحاب واحده مزنة • وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب
أم نحن المنزلون • بقدرتنا • والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام • لو نشاء
جعلناه أجاجا • ملحا أو من الأجيج فإنه يحرق الفم • وحذف اللام الفاصلة بين جواب
ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه أو الاكتفاء بسبق ذكرها
أو تخصيص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد • فلولا تشكرون •
أمثال هذه النعم الضرورية • أفرأيتم النار التي تورون • تقدحون • أأنتم أنشأتم
شجرتها أم نحن المنشئون • يعني الشجرة التي منها الزناد • نحن جعلناها • جعلنا نار الزناد
تذكرة • تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس أو في الظلام أو تذكيرا وأنموذجا لنار جهنم
ومتاعا • ومنفعة • للمقوين • للذين ينزلون القواء وهي القفر • أو للذين خلت بطونهم
أو مزاودهم من الطعام من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها • فسبح باسم ربك العظيم •
فأحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشيء ذكره • والعظيم صفة للاسم
أو الرب • وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع النعم صنعه وإنعامه إما لتنزيهه
تعالى عما يقولون الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أو للتعجب من أمرهم في غمط
نعمه أو للشكر على ما عددها من النعم • فلا أقسم • إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو فأقسم
ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء
ويدل عليه قراءة فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه • بمواقع النجوم •
بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر
لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها • وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات
نزولها • وقرأ حمزة والكسائي بموقع • وإنه لقسم لو تعلمون عظيم • لما في المقسم
به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة • ومن مقتضيات رحمته أن لا
يترك عباده سدى • وهو اعتراض بين المقسم والمقسم عليه • وفي اعتراض فإنه اعتراض
بين القسم والمقسم عليه • ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة • إنه لقرآن كريم •
كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي
في جنسه • في كتاب مكنون • مصون وهو اللوح • لا يمسه إلا المطهرون • لا يطلع
على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة • أو لا يمس القرآن إلا المطهرون
من الأحداث فيكون نفيا بمعنى نهي أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر • وقرئ المتطهرون
والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره • والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم
بالاستغفار لهم والإلهام • تنزيل من رب العالمين • صفة ثالثة أو رابعة للقرآن
وهو مصدر نعت به • وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا • أفبهذا الحديث • يعني القرآن

انتم مدهنون • متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا
به • وتجعلون رزقكم • اى شكر رزقكم انكم تكذبون • اى بمانحه حيث تنسبونه
الى الانواء • وقرئ شكركم اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به
وتكذبون اى بقولكم فى القرآن انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانواء • فلولا اذا بلغت
الحلقوم • اى النفس • وانتم حينئذ تنظرون • حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو
للحال • ونحن اقرب • ونحن اعلم • اليه • الى المحتضر • منكم • عبر عن العلم بالقرب الذى
هو اقوى سبب الاطلاع • ولكن لا تبصرون • لا تدركون كنه ما يجرى عليه • فلولا
ان كنتم غير مدينين • اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا ذلله
واستعبده واصل التركيب الذل والانقياد • ترجعونها • ترجعون النفس الى مقرها وهو
عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهى بما فى حيزها دليل
جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم
بآياته • ان كنتم صادقين • فى تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها
الحلقوم • فاما ان كان من المقربين • اى ان كان المتوفى من السابقين • فروح • فله استراحة
وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة • وريحان
ورزق • وجنة نعيم • ذات تنعم • واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك • يا صاحب
اليمين • من اصحاب اليمين • اى من اخوانك يسلمون عليك • واما ان كان من المكذبين
الضالين • يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب
لهم ما اوعدهم به • فنزل من حميم وتصلية جحيم • وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار
ودخانها • ان هذا • ان الذى ذكر فى السورة او فى شان الفرق • لهو حق اليقين • اى حق
الخبر اليقين • فسبح باسم ربك العظيم • فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه • عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • سبح لله ما فى السموات والارض • ذكر هنا
وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان
ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات
ومجيئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح
من كل شيئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له فى نصحته
اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه • وهو العزيز الحكيم • حال يشعر بما هو
المبدأ للتسبيح • له ملك السموات والارض • فانه الموجد لها والمتصرف فيها • يحيى ويميت

استيناف

استيناف او خبر لمحذوف وحال من المجرور فى له • وهو على كل شيئ • من الاحياء
والاماتة وغيرهما • قدير • تام القدرة • هو الاول • السابق على سائر الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها • والآخر • الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها
مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب والآخر الذى تنتهى اليه
المسببات او الاول خارجا والآخر ذهنا • والظاهر والباطن • الظاهر وجوده
لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيئ والعالم
بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين
وهو بكل شيئ عليم • يستوى عنده الظاهر والخفى • هو الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض • كالبذور • وما يخرج منها
كالزروع • وما ينزل من السماء • كالامطار • وما يعرج فيها • كالابخرة
وهو معكم اينما كنتم • لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال • والله بما تعملون بصير
فيجازيكم عليه • ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه • له ملك السموات
والارض • ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما • والى الله ترجع
الامور • يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور
بمكنوناتها • آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه •
من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى بالحقيقة له لا لكم او التى
استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له
على النفس • فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير • وعد فيه مبالغات جعل
الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر
ووصفه بالكبر • وما لكم لا تؤمنون بالله • اى وما تصنعون غير مؤمنين كقولك
ما لك قائما • والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم • حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى
اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات • وقد اخذ ميثاقكم
اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان • قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو
للحال من مفعول يدعوكم • وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول • ان كنتم مؤمنين •
لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه • هو الذى ينزل على عبده آيات بينات
ليخرجكم • اى الله او العبد • من الظلمات الى النور • من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وان الله بكم لرؤف رحيم • حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من
الحجج العقلية • وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله • فيما يكون قربة اليه • ولله ميراث
السموات والارض • يرث كل شيئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك

فإنفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى لا يستوي منكم من
أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة • بيان لتفاوت المنفقين باختلاف
أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الأفضل منها بعد الحث
على الإنفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة
ما بعده عليه والفتح فتح مكة إذ عز الإسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق
من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا أي بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى أي وعد
الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء
أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه
فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه فإنه أول من آمن وأنفق في
سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك • من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا • من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه
وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحري أكرم المال وأفضل الجهات له • فيضاعفه له
أي يعطي أجره أضعافا • وله أجر كريم • أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في
نفسه ينبغي أن يتوخى وإن لم يضاعف فكيف وقد يضاعف أضعافا كثيرة • وقرأ عاصم
فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكأنه قال أيقرض الله أحد
فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر يضعفه منصوبا • يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات • ظرف لقوله وله أو فيضاعفه أو مقدر باذكر • يسعى نورهم
ما يوجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنة • بين أيديهم وبأيمانهم • لأن السعداء يؤتون صحائف
أعمالهم من هاتين الجهتين • بشراكم اليوم جنات • أي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
بشراكم أي المبشر به جنات أو بشراكم دخول جنات • تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم • الإشارة إلى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة
يوم يقول المنافقون والمنافقات • بدل من يوم ترى • للذين آمنوا انظرونا •
انتظرونا فإنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف • أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا
إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور من بين أيديهم • وقرأ حمزة أنظرونا على
أن اتئادهم ليلحقوا به إمهال لهم • نقتبس من نوركم • نصب منه • قيل ارجعوا وراءكم
إلى الدنيا • فالتمسوا نورا • بتحصيل المعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة فإنه يتولد
منها أو إلى الموقف فإنه من ثمة يقتبس أو إلى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فإنه لا سبيل
لكم إلى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو الملائكة • فضرب بينهم • بين المؤمنين
والمنافقين • بسور • بحائط • له باب • يدخل فيه المؤمنون • باطنه • باطن السور

أو الباب • فيه الرحمة • لأنه يلي الجنة • وظاهره من قبله العذاب • من جهته لأنه يلي النار
ينادونهم ألم نكن معكم • يريدون موافقتهم في الظاهر • قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم
بالنفاق • وتربصتم • بالمؤمنين الدوائر • وارتبتم • وشككتم في الدين • وغرتكم الأماني
كامتداد العمر • حتى جاء أمر الله • وهو الموت • وغركم بالله الغرور • الشيطان أو الدنيا
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية • فداء • وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء • ولا من الذين كفروا
ظاهرا وباطنا • مأواكم النار هي مولاكم • هي أولى بكم كقول لبيد فغدت كلا
الفرجين تحسب أنه • مولى المخافة خلفها وأمامها • وحقيقته محراكم أي مكانكم
الذي يقال فيه هو أولى بكم كقولك هو مئنة الكرم أي مكان قول القائل إنه لكريم
أو مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع • أو متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها • وبئس المصير • النار • ألم يأن للذين
آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله • ألم يأت وقته يقال أنى الأمر يأني أنيا وأنى وأنا
وقرئ ألم يئن من آن يئين بالهمز بمعنى أنى • ولما يأن • روي أن المؤمنين كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت • وما نزل من الحق • أي
القرآن وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر
الله • وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل • ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل • عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء • والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب
فيما حكي عنهم • فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم • أي يطال عليهم الزمان بطول
أعمارهم وآمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم • وقرئ الأمد وهو الوقت الأطول
وكثير منهم فاسقون • خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة • اعلموا
أن الله يحيي الأرض بعد موتها • تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لإحياء
الأموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة • قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون •
كي يكمل عقلكم • إن المصدقين والمصدقات • إن المتصدقين والمتصدقات وقد
قرئ بهما • وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أي الذين صدقوا الله ورسوله • وأقرضوا
الله قرضا حسنا • عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لأن معناه الذين اصدقوا أو
صدقوا وهو على الأول للدلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص • يضاعف
لهم ولهم أجر كريم • معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير أنه لم يجزم لأنه خبر إن
وهو مسند إلى لهم أو إلى ضمير المصدر • والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم • أي أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء أو هم المبالغون
في الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله

ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل الشهداء عند ربهم خبر مبتداء وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج ييبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول او قيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك ان تثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا

بما

بما اتيكم بما اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حال الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتداء خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية

اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهى
المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو
المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كانها منسوبة الى
الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
وقيل متصل فان ما كتبنا عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود
منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف
قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها
واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اى فما رعوا جميعا
حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
ونحوها اليه فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقها ومن ذلك الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما
نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من رحمته
لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم
السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى
عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى
الذى يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اى ليعلموا ولا مزيدة
ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولا يعلم بادغام النون فى الياء اهل الكتاب ان لا
يقدرون على شئ من فضل الله ان هى المخففة والمعنى انهم لا ينالون شيئا مما ذكر
من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا
يقدرون على شئ من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصونها
بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على
شئ من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا
ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل
فى الحروف المفردة الفتح عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا

سورة المجادلة مدنية وقيل بالله ورسوله العشر الاول مكى وباقيها مدنى وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك فى

زوجها

زوجها وتشتكى الى الله روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن
الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت
ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت
هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام والمجادلة تتوقعان ان الله
يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام
دالها فى السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب
ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم
الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر والحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم انثى وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان الجاهلية
واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر
وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اى على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائى
ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول
صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو
ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا
محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه
مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه
وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ
التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى
حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظر شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند
الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار
اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية
او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة
استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء
للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة
بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر
عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة
ذلك قبل التكفير ذلكم اى ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية
الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية فمن لم يجد

اى رقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
فان افطر بغير عذر لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر
عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك فمن لم يستطع اى
الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابى المفرط
ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل فى الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة وقال ابو
حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع
الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك
اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله
ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم
عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اى الذين لا يقبلونها
عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ان الذين يحادون
الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير حد الاخر او يضعون او
يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت
الكب كما كبت الذين من قبلهم يعنى كفار الامم الماضية وقد انزلنا ايات
بينات تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وللكافرين عذاب
مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر
جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اى على رؤس
الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصيه الله احاط به عددا لم يغب منه
شئ ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه شئ
الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى
ثلثة ما يقع من تناجى ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين و
يجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع
الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة
من حيث انه مشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان
الاية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار
او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ
ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين

ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم
ما يجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى
بان جعلت لا لنفى الجنس اين ما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت
باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام
وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب مثله وهو يفتعلون من النجوى واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله
سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون فى انفسهم فيما
بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم
عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وعن
يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء
عن معصية الله واتقوا الله الذى اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه
مجازيكم عليه انما النجوى اى النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه
المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم وليس
الشيطان او التناجى بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلا يبالوا بنجويهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل
لكم تفسحوا فى المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى
اى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا
على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كالصلوة
او الجهاد او ارتفعوا فى المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين
فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف
الجنان فى الاخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات

عما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد
رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد
لمن لم يمتثل الامر واستكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر
تعظيم الرسول عليه السلام وانفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والتمييز بين
المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه
منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله
عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء
مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك
التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية
لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة
بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر
وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى
منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام
بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين
تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون
مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم
ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته
فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين الشيطان فدخل عبد الله بن
نبتل المنافق وكان ازرق فقال له عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف
بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا
ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون

دمائهم

دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله
بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل
الاول عذاب القبر وهو عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له اي لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم منكم ويحسبون
انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة
تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون
الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ
عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها وهو مما
جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب
الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على
انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله تعالى كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي
اي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز
لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو
كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كانوا المحادون اقرب الناس اليهم
اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج
العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه
وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير
للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب
الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير
على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المبعوث في التورية بالنصرة
فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى

مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبحانه الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر اليه او فى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى الضمير للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتيهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف فى قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اى يملأها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الاتها وايدى المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولى الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه فى الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالسبى والقتل كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الآخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اى شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون وتجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة على الواو وعلى اصل كرهن

فباذن

فباذن الله فبامره وليخزى الفاسقين علة لمحذوف اى فعلتم او اذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه السلام امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بنى النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فئ بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على خلاف المذكور كيلا يكون اى الفئ الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفئ ذا تداول بينهم او اخذة غلبة تكون بينهم ودولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية وما آتيكم الرسول فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفة رسوله عليه السلام ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفئ بفئ بنى النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين

الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوءو الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد
بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوءوا
الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان
لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين
تبوءو الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في
صدورهم في انفسهم حاجة ما يحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد
والغيظ والغبطة مما اوتوا مما اعطى المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون
على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن
واحدة وزوجها عن احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي
فروجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين جاءو من
بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون
بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان
تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم لنخرجن معكم
في قتالكم وخذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم
لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل
على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار
انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ
ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد
مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم
من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار
رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته
ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين

الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم
وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو وفتحة الدال بأسهم بينهم
شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل
لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله
ورسوله تحسبهم جميعا صح

مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقايدهم واختلاف مقاصدهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم
كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا
قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير
كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة
كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الامر المأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ
عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس
وقيل ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله
على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه في النار لغو
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه باليوم
او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس
النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير
للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه
بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها
او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا
الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر
اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك
عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه
والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه
وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من
الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه
في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله
الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ

بالفتح وهو لغة فيه **السلام** ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة **المؤمن** واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار **المهيمن** الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء **العزيز الجبار** الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه **المتكبر** الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا **سبحان الله عما يشركون** اذ لا يشاركه في شيء من ذلك **هو الله الخالق** المقدر للاشياء على مقتضى حكمته **البارئ** الموجد لها بريئا من التفاوت **المصور** الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليك بكتابي المسمى بمنتهى المنى **له الاسماء الحسنى** لانها دالة على محاسن المعاني **يسبح له ما في السموات والارض** لتنزهه عن النقايص كلها **وهو العزيز الحكيم** الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مكية وآيها ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء** نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره **تلقون اليهم بالمودة** تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل **وقد كفروا بما جاءكم من الحق** حال من فاعل احد الفعلين **يخرجون الرسول واياكم** اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه **ان تؤمنوا بالله ربكم** بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان **ان كنتم خرجتم** عن اوطانكم **جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي** علة للخروج

وعدة

وعدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا **تسرون اليهم بالمودة** بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة **وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم** اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية **ومن يفعله منكم** اي يفعل الاتخاذ **فقد ضل سواء السبيل** اخطأه **ان يثقفوكم** يظفروا بكم **يكونوا لكم اعداء** ولا ينفعكم القاء المودة اليهم **ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء** ما يسوءكم كالقتل والشتم **وودوا لو تكفرون** وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم **لن تنفعكم ارحامكم** قراباتكم **ولا اولادكم** الذين توالون المشركين لاجلهم **يوم القيمة يفصل بينكم** يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد المهملة والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم **والله بما تعملون بصير** فيجازيكم عليه **قد كانت لكم اسوة حسنة** قدوة لما يؤتسى به **في ابراهيم والذين معه** صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت **اذ قالوا لقومهم** ظرف لخبر كان **انا برءاء منكم** جمع برئ كظريف وظرفاء **ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم** اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه **وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده** فينقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة **الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك** استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه **وما املك لك من الله من شيء** من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه **ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير** متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا** بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله **واغفر لنا** ما فرط **ربنا انك انت العزيز الحكيم** ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي **لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة** تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله

بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم
المشركون وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في
في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم اى لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء بالاحسان لان قوله ان تبروهم بدل من الذين
وتقسطوا اليهم بالقسط اى تعدلوا ان الله يحب المقسطين العادلين روى ان
قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا
فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج
المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن
يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين
آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على
ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في
قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب
بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل فلا
ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستيناف
وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من
جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي لزمه رد مهورهن اذ
روى انه عليه السلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمي مسلمة
فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن بشرط ايتائهم
في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر
بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح
المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم
اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله
يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استينافا او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل

او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه حكمته وان
فاتكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير
والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى
نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك
مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر
روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل
معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا
الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه
السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا
يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية
الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
يعني عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ
لهم فيها لعنادهم الرسول المبعوث في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من
اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم
تقولون ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا
فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
[illegible]
في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر

حذف الفهامع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتبارهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه • ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا • مصطفين • مصدر وصف به • كانهم بنيان مرصوص • في تراصهم من غير فرجة • حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه • واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا • يا قوم لم تؤذونني • بالعصيان والرمي بالادرة • وقد تعلمون اني رسول الله اليكم • بما جئتكم من المعجزات • حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه • وقد لتحقيق العلم • فلما زاغوا • عن الحق • ازاغ الله قلوبهم • صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب • والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة • واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل • ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم • اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا • في حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول ياتي من بعدي • والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل • اسمه احمد • يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين عليهم السلام • فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين • الاشارة الى ما جاء به او اليه • وتسميته سحرا للمبالغة • ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام • ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام • اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام • اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله • وتسمية اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت • وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه • والله لا يهدي القوم الظالمين • لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم • يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا • واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا اباك • او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته • بافواههم • بطعنهم فيه • والله متم نوره • مبلغ غايته بنشره واعلائه • وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة • ولو كره الكافرون • ارغاما لهم • هو الذي ارسل رسوله بالهدى • بالقران او المعجزات • ودين الحق

والملة

والملة الحنيفية • ليظهره على الدين كله • ليغلبه على جميع الاديان • ولو كره المشركون • لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك • يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم • وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم • استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال غيرهم • والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك • ذلكم خير لكم • يعني ما ذكر من الايمان والجهاد • ان كنتم تعلمون • ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله • يغفر لكم ذنوبكم • جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم • وتبعد جعله جوابا لهل ادلكم • لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة • ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم • الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة • واخرى تحبونها • ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة • وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل • وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وفتح قريب • وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر • وفتح قريب عاجل • وبشر المؤمنين • عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليه اجلا وعاجلا • يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله • وقرا الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله • كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله • اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله • قال الحواريون نحن انصار الله • فالاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص • والثانية اضافة الفاعل الى المفعول • والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى لقومه • او كونوا انصارا كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله • والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلا • فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة • اي بعيسى • فايدنا الذين امنوا على عدوهم • بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى • فاصبحوا ظاهرين • فصاروا غالبين • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى عليه السلام مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه •

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم • وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح • هو الذي بعث في الاميين • اي العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن • رسولا منهم • من جملتهم اميا مثلهم • يتلوا عليهم آياته • مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم • ويزكيهم • من خبائث العقائد والاعمال • ويعلمهم الكتاب والحكمة • القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن سواه معجزة لكفاه • وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين • من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول عليه السلام تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام يدل عليها • وآخرين منهم • عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم • وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع • لما يلحقوا بهم • بعد وسيلحقون • وهو العزيز • في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة • الحكيم • في اختياره وتعليمه • ذلك فضل الله • ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله • يؤتيه من يشاء • تفضلا وعطية • والله ذو الفضل العظيم • الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة • مثل الذين حملوا التورية • علموها وكلفوا العمل بها • ثم لم يحملوها • لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها • كمثل الحمار يحمل اسفارا • كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا • بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله • اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا • والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا • تهودوا • ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس • اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه • فتمنوا الموت • فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة • ان كنتم صادقين • في زعمكم • ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم • بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي • والله عليم بالظالمين • فيجازيهم على اعمالهم • قل ان الموت الذي تفرون منه • وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم • فانه ملاقيكم • لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم • وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة • ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون • بان يجازيكم عليه • يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة • اي اذن لها • من يوم الجمعة • بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة • وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع الناس فيه • واول جمعة جمعها

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما قدم المدينة اقام بقبا الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف • فاسعوا الى ذكر الله • فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة • وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها • وذروا البيع • واتركوا المعاملة • ذلكم خير لكم • اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى • ان كنتم تعلمون • الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم • فاذا قضيت الصلوة • اديت وفرغ منها • فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله • اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة • وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله • واذكروا الله كثيرا • واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة • لعلكم تفلحون • بخير الدارين • واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها • روي انه عليه السلام كان يخطب الجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت • وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته • او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك • وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه • وتركوك قائما • اي على المنبر • قل ما عند الله • من الثواب • خير من اللهو ومن التجارة • فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما • والله خير الرازقين • فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله • الشهادة اخبار ناشئ عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع • ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله • والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • لانهم لم يعتقدوا ذلك • اتخذوا ايمانهم • حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد • وقرئ ايمانهم • جنة • وقاية عن القتل والسبي • فصدوا عن سبيل الله • صدا او صدودا • انهم ساء ما كانوا يعملون • من نفاقهم وصدهم • ذلك • اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان • بانهم آمنوا • بسبب انهم آمنوا ظاهرا • ثم كفروا • سرا • او آمنوا اذا راوا آية

ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم لضخامتها وصباحتها وإن يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغي إلى كلامهم. كأنهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم أي تسمع لما يقولون مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية من العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر. وقرأ أبو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف أو على أنه كبدن في جمع بدنة. يحسبون كل صيحة عليهم أي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز أن يكون صلة والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر إلى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على أن الضمير للمنافقين. قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته تعالى أن يلعنهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق. وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها إعراضا واستكبارا عن ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار. سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر إن الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الإصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق. هم الذين يقولون أي للأنصار لا تنفقوا على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض بيده الأرزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله. يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل روي أن أعرابيا نازع أنصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشكا إلى ابن أبي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وإذا رجعنا إلى المدينة فليخرج الأعز الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل على هذه القراآت مصدر أو حال على تقدير مضاف كخروج أو إخراج أو مثل. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم. يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر

العبادات

العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي إليها للمبالغة ولذا قال ومن يفعل ذلك أي اللهو بها وهو الشغل فأولئك هم الخاسرون لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. وأنفقوا مما رزقناكم بعض أموالكم ادخارا للآخرة من قبل أن يأتي أحدكم الموت أي يرى دلائله فيقول رب لولا أخرتني أمهلتني إلى أجل قريب أمد غير بعيد فأصدق فأتصدق وأكن من الصالحين بالتدارك وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ أبو عمرو وأكون منصوبا عطفا على فأصدق وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح. ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها إذا جاء أجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه. وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق.

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات والأرض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل على سواء. ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه إليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر إيمانه موفق لما يدعوه إليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب أعمالكم. خلق السموات والأرض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فأحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة ثم زينكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات وإليه المصير فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم. يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم كليا كان أو جزئيا لأن نسبة المقتضي لعلمه إلى الكل واحد وتقديم تقرير القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء. ألم يأتكم أيها الكافرون نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم هود ونوح وصالح فذاقوا وبال أمرهم ضرر كفرهم في الدنيا وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام ثقيل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب أليم في الآخرة. ذلك أي المذكور من الوبال والعذاب بأنه بسبب أن الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا أبشر يهدوننا أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل

وتولوا عن التدبر بالبينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني
عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان ما في حيزها
قل بلى اي تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحا[سبة]
والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه
ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه
يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع
لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن
يغبن فيه بعضهم بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس
مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور
الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر
بالنون فيهما ذلك الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه
جامع المصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل
له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه
للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل
وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى
القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا
البلاغ المبين اي فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا
هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين
آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر
الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك
المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد
معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما
اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله و
طاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا
في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه

الفوز العظيم

الخير

الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي فعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على
على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا
او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا
باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله
شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا
يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام
معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه
فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت
ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة
بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من
حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم
الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام
بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن
وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال
جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها
ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول
والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة
الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود
الله اشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها
للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن
آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب
او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا

لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي رحمه الله وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضائق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم وهي ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال وخبره قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره

يسرا

يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم وقدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا

وقرأ نافع وابن عامر بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب وتعظيم لما
رزقوا من الثواب الله الذى خلق سبع سموات مبتداء وخبر ومن الارض
مثلهن اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا
ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما علة لخلق او يتنزل
او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيها اثنا عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى
لم تحرم ما احل الله لك روى انه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة او
حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل
شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة وسودة وصفية فقلن له انا
نشم منك رائحة المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغى مرضات ازواجك تفسير لتحرم
او حال من فاعله او استيناف لبيان الداعى اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه
لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة
على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته
بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشية حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا
استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ
لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى
بلفظ اليمين كما قيل والله مولكم متولى امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم
المتقن فى افعاله واحكامه واذ اسر النبى الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا
تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فلما
نبأت به اى فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع
النبى صلى الله عليه وسلم على الحديث اى على افشائه عرف بعضه عرف الرسول
حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه
ما فعلت بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فانه
لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس
ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير فانه
اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لعائشة وحفصة على الالتفات للمبالغة
فى المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل

قلوبكما

قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله
والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه و
من صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون
وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة
وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس
فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق
الكل لا ينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو
يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام سائحات صائمات سمى
الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط
العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات
والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات
واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم
انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما
اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلى امرها وهم الزبانية غلاظ شداد
غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال
الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل
او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك عند دخولهم
النار والنهى عن الاعتذار لانه لا عذر لهم والعذر لا ينفعهم يا ايها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة فى النصح وهو صفة للتائب فانه ينصح نفسه
بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهو الخياطة
كانها تنصح ما خرق من الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر
والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء

على المعاصي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان
يعزم على ان لا يعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع
جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي
ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا
معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل يتفاوت انوارهم
بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذ بلغ الرفق
مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرات نوح وامرات لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون
بما بينهم وبين النبي عليه السلام والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الازواج اغناء ما وقيل ادخلا اي
لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرات فرعون
شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله تعالى
مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلا درجات المقربين ونجني من فرعون
وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين
له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرات فرعون تسلية للارامل التي
احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي مريم او الجبلة من
روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه
المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتابه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل
عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل
وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار
بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم
فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من

النساء

النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرأ سورة لم تحرم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده
الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل
ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما
قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم
ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه
واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع في
طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا
من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت
موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب
منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت
النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق
جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف
وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة
صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى
يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى
والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل
ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة
اخرى متاملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي
لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك
اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد
عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج
فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها

والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم
بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس
وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم
عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين
وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب
السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور
تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل
لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من
الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير
اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا
في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف
اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب
او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء
الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون
فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما
لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين
ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين
لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به
الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب
للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب
يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم
وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم
من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير
المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة
والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد وروي ان المشركين كانوا يتكلمون
فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله عليه السلام فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع

اله

اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك
فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير
ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها
لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور المرجع
فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم
او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى
في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية
الفا وهو قراءة ابي عمرو ونافع ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون
وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف
نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم ح ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل
للتفرقة بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن
الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء انه
بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم تنظروا في امثال هذا الصنع
فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون
الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج
مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ
وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون
الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم
بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي
مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع
والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل
المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة

قوله مستوى الاجزاء لانه اذا لم تستو اجزاؤه لم يستقم سطحه وعدم استواء الاجزاء اختلافها ارتفاعا وانخفاضا قوله والمراد تمثيل المشرك تعريف الى الكبين للعهد وهما الكب والسوى والسالكين الطريق المستقيم ومقابله فيهما تمثيلات لا اربعة كما بينوهم وفي كل منها استعارة تمثيلية وقوله ولعل الاكتفاء اشارة الى انه ذكر المسلك في ان في دون الكفاء بما يوهم من قوله يكب من ان طريقه معوج وغير مستو كما اشار اليه اولا بقوله لوعورة طريقه وقوله للاشعار هو المرجح لتركه في الاول دون الثاني قوله كمشى المتعسف هو الذى يمشى في غير الطريق ويركب ما لا يليق فانه لا يسمى طريقا لان اصل الطريق ما تطرقه الاقدام وهذا ليس كذلك وفي عبارته تسامح الكاف على غير الممثل به اذ المشى لا يصلح مثالا للطريق وفي بعض النسخ تمشى بمعنى اسم مكان فلعل احدى الميمين سقطت

طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله أمن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسالكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فيكب وبالسوى البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر وما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما رأوه اي الوعد بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل أرأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منكم ومنا وقرأ الكسائي بالياء قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا ينال بالدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحروف والقلم وهو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف

القلم

الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الالة واجراؤها مجرى اولي العلم لاقامتها مقامهم او لاصحابه او الحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا يمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن او الموافقة والفاء للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي حقارة العقل هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثماني عشر من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب

وابو بكران كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين الا ان كان ذا
مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة
كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره
لانه اذا طاع للغنى فكانه شرطه للطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف
وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية
الاذلال كقولهم جدع انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود
وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد
بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام
ويترك لهم ما اخطاه المنجل والقته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة
فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا
فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله
وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء
عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف
من ربك مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم
ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها
او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه
او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا اليه او بان اخرجوا اليه
غدوة وتعدية الفعل بعلى لما تضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام
بغدو العدو المتضمن معنى الاستعلاء ان كنتم صارمين قاطعين فانطلقوا وهم
يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود
للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على
اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول
كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من
حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم
عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على
النكد او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل
الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله

يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة
اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما
راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن بعد ما تاملوا وعرفوا
انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا
الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله
حيث ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان
يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم
بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من
انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها
وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير
والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي
بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه
لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي
في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل
المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما
يزعم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما
نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد
له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء
فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه
واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئت باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية
للمدروس او استينافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة
بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها
حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك
الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فلياتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه

الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيهاً على مراتب النظر وتزييفاً لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن يكون التسوية من الله نفى بهذا أن يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان وتنكيره للتهويل والتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال ويدعون إلى السجود توبيخاً على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيمة أو يدعون إلى الصلوة لأوقاتها إن كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته أو لزوال القدرة عليه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا أو زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله إلي فإنا أكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم حسبوه تفضيلاً لهم على المؤمنين وأملي لهم وأمهلهم إن كيدي متين لا يدفع بشيء وإنما سمى إنعامه استدراجاً بالكيد لأنه في صورته أم تسألهم أجراً على الإرشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك أم عندهم الغيب اللوح أو المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظاً في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا أن تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالأرض الخالية عن الأشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بأن رد الوحي إليه أو استنبأه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أولى وفيه دليل على خلق الأفعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حل به ما حل فأراد أن يدعو على المنهزمين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم إن هي المخففة

واللام دليلها والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزراً بحيث يكادون يزلّون قدمك ويرمونك من قولهم نظر إلي نظراً يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك أي ليهلكونك لما سمعوا الذكر أي القرآن أي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون إنه لمجنون حيرة في أمره وتنفيراً عنه وما هو إلا ذكر للعالمين لما جننوه لأجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلاً وأمتنهم رأياً عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها الأمور أي يعرف حقيقتها أو تقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي وهو مبتدأ خبره ما الحاقة وأصله ما هي أي أي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها وما أدراك ما الحاقة وأي شيء أعلمك ما هي أي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن يبلغها دراية أحد وما مبتدأ وأدراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالأفزاع والأجرام بالانفطار والانتثار وإنما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على أنها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر عاتية شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف أو صفة جيء به لنفي ما يتوهم من أنها كانت من اتصالات فلكية إذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية أيام حسوماً متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدراً منتصباً على العلة بمعنى قطعاً أو المصدر لفعله المقدر حالاً أي تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت أيام العجوز من صبيحة الأربعاء إلى الغروب

الاربعاء الاخير ولذا سميت عجوز الايام عجز الشتاء اولان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها • فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها • في مهابها او في الليالي والايام صرعى • موتى جمع صريع • كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية • متآكلة الاجواف • فهل ترى لهم من باقية • من بقية او نفس باقية او بقاء • وجاء فرعون ومن قبله • ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه • ويدل عليه انه قرئ ومن معه • والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها • بالخاطئة • بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها • فاخذهم اخذة رابية • زايدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح • انا لما طغى الماء • جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله • حملناكم • اي اباءكم وانتم في اصلابهم • في الجارية • في سفينة نوح • لنجعلها لكم • الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين • تذكرة • عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته • وتعيها • وتحفظها • وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك • اذن واعية • من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه • والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف • فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة • لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل • وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور • والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم • وحملت الارض والجبال • رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة • فدكتا دكة واحدة • فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية • فيومئذ • فحينئذ • وقعت الواقعة • قامت القيامة • وانشقت السماء • لنزول الملائكة • فهي يومئذ واهية • ضعيفة مسترخية • والملك • الجنس المتعارف بالملك • على ارجائها • جوانبها جمع رجى بالقصر • ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك • ويحمل عرش ربك فوقهم • فوق الملائكة الذين هم على الارجاء

او

اوفوق الثمانية لانها في نية التقديم • يومئذ ثمانية • ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى • وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله • ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال • يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم • وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل • لا تخفى منكم خافية • سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال تبلى السرائر • وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل • فاما من اوتي كتابه بيمينه • تفصيل للعرض • فيقول • تبجحا • هاؤم اقرؤا كتابيه • ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها • هاء يا رجل • وهاء يا امرأة • وهاؤما يا رجلان او يا امرأتان • وهاؤم يا رجال • وهاؤن يا نسوة • ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن • والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل • واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل • اني ظننت اني ملاق حسابيه • اي علمت • ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا • فهو في عيشة راضية • ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم • في جنة عالية • مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار • قطوفها • جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة • والقطف بالفتح مصدر • دانية • يتناولها القاعد • كلوا واشربوا باضمار القول • وجمع الضمير للمعنى • هنيئا • اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا • بما اسلفتم • بما قدمتم من الاعمال الصالحة • في الايام الخالية • الماضية من ايام الدنيا • واما من اوتي كتابه بشماله فيقول • لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة • يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه • يا ليتها • يا ليت الموتة التي متها • كانت القاضية • القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي كانه صادف فيها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا • ما اغنى عني ماليه • مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى • هلك عني سلطانيه • ملكي وتسلطي على الناس

او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا • خذوه • يقول الله لخزنة النار • فغلوه ثم الجحيم صلوه • ثم لا تصلوه الا الجحيم وهو النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس • ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا • اى طويلة • فاسلكوه • فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة • انه كان لا يؤمن بالله العظيم • تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك • ولا يحض على طعام المسكين • ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله • ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقايد الكفر بالله واشنع الرذايل البخل وقسوة القلب • فليس له اليوم ههنا حميم • قريب يحميه • ولا طعام الا من غسلين • غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون • اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها • فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلانا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف • بما تبصرون وما لا تبصرون • بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها • انه • ان القرآن • لقول رسول • يبلغه عن الله فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول عن نفسه • كريم • على الله وهو محمد عليه السلام او جبريل • وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون بما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم • ولا بقول كاهن • كما تدعون اخرى • قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم • وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكير مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها يتوقف على تذكر احوال الرسول عليه السلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما • تنزيل • هو تنزيل • من رب العالمين • نزله على لسان جبريل • ولو تقول علينا بعض الاقاويل • سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك • لاخذنا منه باليمين • بيمينه • ثم لقطعنا منه الوتين • اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون

عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة • فما منكم من احد عنه • عن القتل او المقتول • حاجزين • دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس • وانه • وان القرآن • لتذكرة للمتقين • لانهم المنتفعون به • وانا لنعلم ان منكم مكذبين • فنجازيهم على تكذيبهم • وانه لحسرة على الكافرين • اذا راوا ثواب المؤمنين • وانه لحق اليقين • اليقين الذى لا ريب فيه • فسبح باسم ربك العظيم • فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك • عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • سال سائل بعذاب واقع • اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الاية او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء او الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر او فى الاخرة وهو عذاب النار • للكافرين • صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم • ليس له دافع • يرده • من الله • من جهته لتعلق ارادته به • ذى المعارج • ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها • تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة • استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم

كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل
في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما
لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح
جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال
واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره
او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او بسال سيل لان المعنى قرب وقوع العذاب
فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا
من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا
اى يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في
مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا
فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما
ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لا يطلب
من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع
عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب
يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على
ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه
فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى
تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند
الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على
يفتدي اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة
على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او
بدل او للقصة ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو الذهب الخالص وقيل علم
للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص
او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة
وهي جلدة الراس تدعوا تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز
من جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من
قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى
وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا

شديد

شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير
السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة
لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا
المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال
المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة
الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل
على العاجل وتلك ناشئة عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم
على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة
والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا
فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه
ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض
يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ
ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا ينكرون [illegible] ما علموه من حقوق الله وحقوق
العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم
يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم
بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه
الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فيها فمال الذين
كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى
وكان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن
بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم
لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع عن هذا الطمع انا
خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب
عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها
او انهم مخلوقون من اجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالعلم فمن لم يستكملها لم يتبوء في

قوله احوال مقدرة ١ لانه في حال الخلق لم يكن كذلك وانما حصل
له ذلك بعد تمام عقله ودخوله تحت التكليف اذا اريد اتصافه
بذلك بالفعل وان اريد مبدأ هذه الامور من الامور الجبلية
والطبائع الكلية المندرجة فيها ملكة الصفات بالقوة
كانت الحال غير مقدرة بل محققة لحصول الشباب وفيه تفصيل
قوله استثناء ا لما في الكشاف من ان الاستثناء والتصحيح
لو كانوا مجبولين عليه لاقتضائه تحققه في المهد بل قبله وبهم
كغيرهم في حال الطفولية ولذا خصه بالمطبوعين لانه المذكور
في الكشاف ولانه المشكل لا لترجيح الوجه الثاني كما توهم لانه
يخالفه ما ذكره قريبا ولم يبين انه متصل او منفصل وقد
جوز فيه الانقطاع لانه لما وصف من ادبر وتولى معللا
بهلعه وجزعه قال لكن المصلين في مقابلتهم اولئك في
جنات ثم كر على السابقين بقوله فما للذين كفروا
تخصيصا بعد تعميم عودا على المستهزئين الذين كسبتم
السورة بسؤالهم او هو متصل بمعنى انهم لم يستمروا خلقهم
على الهلع فان الاول لما كان تعليلا كان معناه خلقنا مستمرا
على الهلع والجزع الا المصلين فانهم لم يستمر خلقهم على ذلك
وعلى الثاني حمل كلام المص وهو وان لم يصرح به فانه عند التامل
كالصريح فيه فتدبر من الشهاب

منازل الكاملين او استدلال بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون مر فى آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص بضم الصاد والنون والباقون بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سأل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم

سورة نوح مكية وآيها سبع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير ان على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة والطوفان قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر فى الشعراء نظيره وفى ان يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذى قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب الحيوة الدنيا كانهم شاكون فى الموت قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع حق الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الىّ من فرط كراهة دعوتى او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من صر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعى استكبارا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى

دعوتهم

اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا او يلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع فى قلوبهم و قيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسبت اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصونى فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم

المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه كالحزن او جمع كالاسد ومكروا مكرا كبارا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا يقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم

النارية

قوله ولا تذرن هؤلاء خصوصا يعني خصت هذه الاصنام بعد ... اعتناء بشانها لانها كانت اعظم اصنامهم ... وقوله انتقلت الى العرب اى نقل عنهم اسماءها وصورها ... لانه بعيد بقاؤها بعد الطوفان وفي القاموس ... واحد منها مختصر الشهاب

قوله عطف على رب انهم عصوني اشارة الى ان الواو في قوله ولا تزد الظالمين من كلام نوح عم لا استئنافية ... عطف الانشاء على الاخبار فلا احتراز عن ذلك حمل الكلام على انه عليه السلام قال كل واحد من هذين القولين ... احدهما رب انهم عصوني ... الا ضلالا فحكى الله تعالى احد قوليه وحكى قوله الاخر بعطفه على القول الاول بلفظ قال اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الاية من حاشية شيخزاده

قوله والتعقيب يعني ان اريد عذاب الآخرة فلعدم الاعتداد ... استعارة بتشبيه تخلل ما لا يعتد به لعدم ... ان يعقبه لم يتخلل ... وهو للعموم وتخصيص النفي ... الاثبات وقوله من الدار او الدور اي ... فعلى الاول معناه لا تدع فيها ... والثاني من يدور ويتحرك على الارض ... لاجتماعهما ... ساكنة من الشهاب

قوله والنفر ما بين الثلثة والعشرة هذا هو المشهور ... فانه يطلق على فوق العشرة كما ذكره صاحب القاموس ... الاربعين مختصر الشهاب

النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها واخبر الله به رسوله عليه السلام فقالوا انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانه من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استيناف ومقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته وسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك لظنهم ان احدا لا يكذب على الله كذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن والانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم ان الانس ظنوا كما ظننتم ان ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم

قوله وفيه دلالة الخ فيما ذكر هنا دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ووجه الدلالة على عدم رؤية هؤلاء المذكورين هنا ظاهر للتصريح بانه علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة وقد وقع في الاحاديث انه رآهم ويجمع بين ذلك بتعدد القصة كما فصله الشهاب وغيره من المحشين والمفسرين

قوله قرأ ابن كثير والبصريان الخ قيل كلامه هنا في تفصيل القراءات لا يخلو عن خبط وتخبط وملخصه ان المشددة في هذه السورة على اقسام قسم ليس معه واو العطف ولا خلاف بين القراء في فتحه او كسره حسبما اقتضته العربية فلا خلاف في فتح اوحي الي انه استمع لانه مصدر نائب الفاعل وقوله انا سمعنا قرآنا لا خلاف في كسره لانه محكي بالقول وقسم معه الواو وهو اربع عشرة احداها لا خلاف في فتحه وهو وان المساجد والثانية وانه لما قام كسرها ابن عامر وابو بكر وفتحها الباقون والاثنتا عشرة وهي وانه تعالى جد ربنا وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا لمسنا السماء وانا كنا وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون وهي مفترقة بالوجهين والكلام في توجيهها كما ستسمعه مختصر الشهاب

عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع والسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله فى الارض كائنين فى الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا فى الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى عليه السلام مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اى النبى عليه السلام وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار

والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا فليس ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبى عليه السلام ليوافق ما بعده قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا وملتجا الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عنى ولو آية ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون فى الدنيا كوقعة بدر او الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا اهو ام هم قل ان ادرى ما ادرى اقريب ما توعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اى على الغيب المخصوص به تعالى الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدى المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحى او ليعلم الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هى محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شئ عددا حتى القطر والرمل عن النبى صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمداً صلى الله عليه وسلم او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوح الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه لانه كان نائماً او مرتعداً لما دهشه بدء الوحي متزملاً في قطيفة او تحسيناً له اذ روي انه كان يصلي متلففاً ببقية مرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيهاً له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلاً نصفه او انقص منه قليلاً او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلاً وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر والاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلاً اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجاً انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق ومضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقاً وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا

ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلاً واسد مقالاً او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحاً طويلاً تقلباً في مهامك واشتغالاً بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق يستدعي فراغاً وقرئ سبخاً اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلاً ونهاراً وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلاً وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلاً رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلاً مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجراً جميلاً بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلاً زماناً او امهالاً قليلاً ان لدينا انكالاً تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيماً وطعاماً ذا غصة طعاماً ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذاباً اليماً ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه الا الله تعالى ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة ٢٢ متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيباً رملاً مجتمعاً كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلاً منثوراً من هيل هيلاً اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولاً يا اهل مكة شاهداً عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولاً يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذاً وبيلاً ثقيلاً من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوماً عذاب يوم

يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله تعالى او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه استعار الأدنى للأقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه فقال وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء الفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وما تقدموا لانفسكم من خير من اجر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ وهو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبرئيل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن من شئ فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوة محبوب فى غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر لا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن بعبادتك على الله مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى فى احضر الوغا بالرفع

وربك ولوجهه اوامره • فاصبر • فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف و
اذى المشركين • فاذا نقر • نفخ • في الناقور • في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت • والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين
ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم • واذا ظرف لما
دل عليه قوله • فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين • فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير • غير يسير • تاكيد يمنع ان
يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين • ذرني ومن خلقت
وحيدا • نزل في الوليد بن المغيرة • ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني
اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد
المحذوف اي ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله
تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما • وجعلت
له مالا ممدودا • مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع
والتجارة • وبنين شهودا • حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر
لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه
او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم • قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم
رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام • ومهدت له تمهيدا • وبسطت
له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
الرياسة والتقدم • ثم يطمع ان ازيد • على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما
لانه لا مزيد على ما اوتي • او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة
المنعم ولذلك قال • كلا انه كان لآياتنا عنيدا • فانه ردع له عن الطمع وتعليل
للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة
عن الزيادة • قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتى هلك • سارهقه
صعودا • ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد
وعنه عليه السلام الصعود جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي
فيه كذلك ابدا • انه فكر وقدر • تعليل للوعيد او بيان للعناد • والمعنى انه
فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه • فقتل كيف قدر •
تعجيب من تقديره استهزاء به • او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من
قولهم قتله الله ما اشجعه • اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو
عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم

السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس
والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه ليعلو ولا يعلى • فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل
رأيتموه يتعاطى شعرا وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب
فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه • ثم قتل كيف قدر • تكرير للمبالغة • وثم
للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها • ثم نظر • في امر القرآن مرة
بعد اخرى • ثم عبس • قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه • وبسر • اتباع لعبس • ثم ادبر
عن الحق او الرسول عليه السلام • واستكبر • عن اتباعه • فقال ان هذا الا سحر يؤثر •
يروى ويتعلم • والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من
غير تلبث وتدبر • ان هذا الا قول البشر • كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها
• ساصليه سقر • وما ادراك ما سقر • تفخيم لشانها • وقوله • لا تبقي ولا تذر • بيان
لذلك او حال من سقر • والعامل فيها معنى التعظيم • والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا
تدعه حتى تهلكه • لواحة للبشر • مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس • وقرئت بالنصب على
الاختصاص • عليها تسعة عشر • ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها • والمخصص لهذا
العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة
والطبيعية السبع • او ان جهنم سبع دركات • ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب
بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف
يتولاه • وواحدة بعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه
ملك او صنف • او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوات
فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاه الزبانية • وقرئ
تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع
عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون المجموع
تسعين • وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة • ليخالفوا جنس المعذبين فلا
يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله •
روي ان ابا جهل لما سمع ان عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان

ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير صح

تبطشوا برجل منهم فنزلت • وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا • وما
جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر
عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به
واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين • وللعل المراد الجعل
بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب • اى ليكتسبوا اليقين
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم
ويزداد الذين آمنوا ايمانا • بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له • ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون • اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة
الايمان ونفى لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة • وليقول الذين فى قلوبهم مرض
شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة • والكافرون
الجازمون فى التكذيب • ماذا اراد الله بهذا مثلا • اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب
استغراب المثل • وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب • كذلك يضل الله من
يشاء ويهدى من يشاء • مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدى المؤمنين • وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ
لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقايقها وصفاتها وما يوجب اختصاص
كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة • وما هى • وما سقر او عدة الخزنة ٢
او السورة • الا ذكرى للبشر • الا تذكرة لهم • كلا • ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها
والقمر والليل اذ ادبر • اى ادبر كقبل بمعنى اقبل • وقرأ نافع ويعقوب وحمزة وحفص
اذ ادبر على المضى • والصبح اذا اسفر • اضاء • انها لاحدى الكبر • لاحدى البلايا الكبر اى
البلايا الكبر كثيرة • وسقر واحدة منها • وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا
للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعا بقاصعة فجمعت على قواصع • والجملة جواب القسم
او تعليل لكلا • والقسم معترض للتاكيد • نذيرا للبشر • تمييز اى لاحدى الكبر انذارا
او حال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة • وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر • بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير
والتخلف عنه • او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر • كل نفس بما كسبت رهينة • مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلقت
للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين • الا اصحاب اليمين • فانهم فكوا ٢
رقابهم بما احسنوا من اعمالهم • وقيل هم الملائكة او الاطفال • فى جنات • لا يكتنه
وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او ضميرهم فى قوله • يتساءلون عن المجرمين

اى

اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه
وقوله • ما سلككم فى سقر • بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا
بها • قالوا لم نك من المصلين • الصلوات الواجبة • ولم نك نطعم المسكين • ما يجب
اعطاؤه • وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع • وكنا نخوض مع الخائضين
نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه • وكنا نكذب بيوم الدين • اخره لتعظيمه
اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة • حتى اتانا اليقين • الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين • لو شفعوا لهم جميعا • فما لهم عن التذكرة
معرضين • اى معرضين عن التذكير يعنى القرآن او ما يعمه • ومعرضين حال • كأنهم حمر
مستنفرة • شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة
فرت من قسورة • اى اسد فعولة من القسر وهو القهر • بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة • قراطيس تنشر وتقرأ • وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه
وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا
كلا • ردع عن اقتراحهم الآيات • بل لا يخافون الآخرة • فلذلك اعرضوا عن
التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف • كلا • حقا • انه تذكرة • واى تذكرة • فمن شاء
ذكره • فمن شاء ان يذكره • وما يذكرون الا ان يشاء الله • ذكرهم ومشيتهم كقوله
وما تشاؤون الا ان يشاء الله • وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله • وقرأ نافع
تذكرون بالتاء • وقرئ بهما مشددا • هو اهل التقوى • حقيق بان يتقى عقابه
واهل المغفرة • حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم • عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه
وسلم وكذب به بمكة

سورة القيمة وآيها تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم
القيمة • ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع فى كلامهم قال امرؤ القيس
فلا وابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر • وقد مر الكلام فيه فى قوله فلا
اقسم بمواقع النجوم • ولا اقسم بالنفس اللوامة • بالنفس المتقية التى تلوم ٢
النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان
اجتهدت فى الطاعة • او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة • او بالجنس لما
روى انه عليه السلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة
ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت • او نفس
آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة [illegible] الى القيمة لان المقصود من

اقامتها مجازا لها. ايحسب الانسان. يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من
يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ابي ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله
هذه العظام. ان لن نجمع عظامه. بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول
بلى نجمعها. قادرين على ان نسوي بنانه. نجمع سلامياته ونضم بعضها الى
بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام. او على ان نسوي بنانه
الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى. وقرئ
بالرفع نحن قادرون. بل يريد الانسان. عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما
وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام. ليفجر امامه.
ليدوم على فجوره فيما يستقبله من زمانه. يسأل ايان يوم القيمة. متى يكون
استبعادا او استهزاء. فاذا برق البصر. تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق
فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه
وقرئ بلق من بلق الباب اي انفتح. وخسف القمر. وذهب ضوءه. وقرئ على
بناء المفعول. وجمع الشمس والقمر. في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا
ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر
الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او
بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس. وتذكير الفعل لتقدمه
وتغليب المعطوف. يقول الانسان يومئذ اين المفر. اي الفرار يقوله قول الآيس
من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان. كلا. ردع عن طلب المفر. لا وزر.
لا ملجأ. مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل. الى ربك يومئذ المستقر.
اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم. او الى مشيئته موضع قرارهم
يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار. ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر.
بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله. او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من
سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده. او بما قدم من مال تصدق به او بما اخر فخلفه
او باول عمله وآخره. بل الانسان على نفسه بصيرة. حجة بينة على اعماله لانه
شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء.
ولو القى معاذيره. ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر
او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى
وفيه نظر. لا تحرك به. بالقرآن. لسانك. قبل ان يتم وحيه. لتعجل به.

به لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك. ان علينا جمعه. في صدرك. وقرآنه.
واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي. فاذا قرأناه. بلسان جبريل عليك. فاتبع
قرآنه. قراءته وكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك. ثم ان علينا بيانه. بيان ما اشكل
عليك من معانيه. وهو دليل على جواز تاخير البيان من وقت الخطاب وهو اعتراض
بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم
الامور واصل الدين فكيف بها في غيره. او يذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات
وقيل الخطاب مع الانسان المذكور. والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة
قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد
جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار والتأمل فيه
ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه. كلا. ردع للرسول عليه السلام عن عادة العجلة
او للانسان على الاغترار بالعاجل وقوله. بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة. تعميم
للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان
والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى. ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما. وجوه يومئذ ناضرة. بهية متهللة. الى ربها ناظرة. تراه
مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه. ولذلك قدم المفعول
وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره. وقيل منتظرة انعامه ورد
بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه
لا يعدى بالى. وقول الشاعر. واذا نظرت اليك من ملك. والبحر دونك زدتني نعما.
بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء. ووجوه يومئذ باسرة. شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه. تظن. تتوقع
اربابها. ان يفعل بها فاقرة. داهية تكسر الفقار. كلا. ردع عن ايثار الدنيا على
الآخرة. اذا بلغت التراقي. اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير
ذكر لدلالة الكلام عليها. وقيل من راق. وقال الحاضرون اصحابها من يرقيه
مما به من الرقية. او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة
او ملائكة العذاب من الرقي. وظن انه الفراق. وظن المحتضر ان الذي نزل
به فراق الدنيا ومحابها. والتفت الساق بالساق. والتوت ساقه بساقه
فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة. الى ربك يومئذ
المساق. سوقه الى الله وحكمه. فلا صدق. ما يجب تصديقه او فلا صدق
ماله اي فلا زكاه. ولا صلى. ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب

ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه
يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام
مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من
من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر
ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى
وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر
بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لا يكون فى الدنيا
فيكون فى الآخرة الم يك نطفة من منى تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال
آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة … كان مؤمنا

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام
تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع
ذى الأكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود
لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر
والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان
الجنس لقوله تعالى انا خلقنا الانسان او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه
من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف
النطفة به لان المراد بها مجموع من ماء الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء
فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد
كاعشار وأكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا
اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة
نبتليه فى موقع الحال مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال
الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة
الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على
الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اى بنصب الدلائل وانزال

الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى
هديناه فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه
وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ
اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل
واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به المتوغل فيه انا
اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها
يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير
الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة
ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهى فى
الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته
وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق
فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم
ماء او من محل من كأس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص
او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اى ملتذا او ممزوجا بها وقيل
الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها
حيث شاؤوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله
لانه سئل عنه فاجيب عنه بذلك وهو ابلغ من وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا
فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه
اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى ويطعمون الطعام على حبه
حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعنى اسارى الكفار
فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه
او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن
الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة
لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله عنها انها تبعث
بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا
انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافأة منكم يوما عذاب يوم
عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته قمطريرا شديد

العبوس كالذى يجمع مابين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة • فوقيهم الله شر ذلك اليوم • بسبب خوفهم وتحفظهم عنه • ولقيهم نضرة وسرورا • بدل عبوس الفجار وحزنهم • وجزيهم بما صبروا • بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال • جنة • بستانا ياكلون منه • وحريرا • يلبسونه • وعن ابن عباس رضى الله عنه ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلثة ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك • متكئين فيها على الارائك • حال من هم فى جزيهم او صفة لجنة • لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا • يحتملها وان يكون حالا من المستكن فى متكئين • والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ • وقيل الزمهرير القمر فى لغة طى قال • وليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير ما زهر • والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر • ودانية عليهم ظلالها • حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة • وذللت قطوفها تذليلا • معطوف على ما قبله او حال من دانية • وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤا • ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب • واباريق بلا عرى • كانت قوارير قوارير من فضة • اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها راس الآية • وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير • قدروها تقديرا • اى قدروها فى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه • او قدروها باعمالهم الصالحات فجاءت على حسبها • او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم • وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له • ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا • ما يشبه الزنجبيل فى الطعم • وكانت العرب يستلذون

الشراب الممزوج به • عينا فيها تسمى سلسبيلا • لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء • والمراد به ان ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه • وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح • ويطوف عليهم ولدان مخلدون • دائمون • اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا • من صفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض • واذا رايت ثم • ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع • رايت نعيما وملكا كبيرا • واسعا • وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه • هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضئ بانوار قدس الجبروت • عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق • يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم او حسبتهم • او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم • وقرا نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب • وقرا ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس • واستبرق بالرفع عطفا على ثياب • وقراهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائى بالجر على سندس • وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب • وحلوا اساور من فضة • عطف على ويطوف عليهم • ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء بما عملوه بايديهم حليا وانوارا يتفاوت تفاوت الذهب والفضة • او حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد • وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين • وسقاهم ربهم شرابا طهورا • يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى • ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى منتهى درجة الصديقين • ولذلك ختم به ثواب الابرار • ان هذا كان لكم جزاء • على اضمار القول • والاشارة الى ما عد من ثوابهم • وكان سعيكم مشكورا • مجازى عليه غير مضيع • انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا • مفرقا منجما لحكمة اقتضته • وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به • فاصبر لحكم ربك • بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم • ولا تطع منهم آثما او كفورا • اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه • او للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به • والتقسيم

باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور. واذكر اسم ربك بكرة واصيلا. وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما. ومن الليل فاسجد له. وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء. وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص. وسبحه ليلا طويلا. وتهجد له طائفة طويلة من الليل. ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم. امامهم او خلف ظهورهم. يوما ثقيلا. شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه. نحن خلقناهم وشددنا اسرهم. واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب. واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا. واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية. ولذلك جيء باذا. او بدلنا غيرهم ممن يطيع. واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية. ان هذه تذكرة. الاشارة الى السورة او الايات القريبة. فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا. تقرب اليه بالطاعة. وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم. وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء. ان الله كان عليما. بما يستاهل كل احد. حكيما. لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته. يدخل من يشاء في رحمته. بالهداية والتوفيق للطاعة. والظالمين اعد لهم عذابا اليما. نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا.

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا. اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين. او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين. او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته

والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله. او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة فنشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته. وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال. عذرا او نذرا. مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف. او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر. ونصبهما على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين. او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية. وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف. انما توعدون لواقع. جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة. فاذا النجوم طمست. محقت او محيت او اذهب نورها. واذا السماء فرجت. صدعت. واذا الجبال نسفت. كالحب ينسف بالمنسف. واذا الرسل اقتت. عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره. وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل. لاي يوم اجلت. اي يقال لاي يوم اخرت. وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله. ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت. ليوم الفصل. بيان ليوم التأجيل. وما ادراك ما يوم الفصل. ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله. ويل يومئذ للمكذبين. اي بذلك. وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه. ويومئذ ظرفه او صفته. الم نهلك الاولين. كقوم نوح وعاد وثمود. وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه. ثم نتبعهم الآخرين. ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة. وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام. كذلك. مثل ذلك الفعل. نفعل بالمجرمين. بكل من اجرم. ويل يومئذ للمكذبين. بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب. الم نخلقكم من ماء مهين. نطفة مذرة ذليلة. فجعلناه في قرار مكين. هو الرحم. الى قدر معلوم. الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة. فقدرنا. فقدرنا على ذلك او فقدرناه. ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد. فنعم القادرون

نحن • ويل يومئذ للمكذبين • بقدرتنا على ذلك او على الاعادة • الم نجعل الارض
كفاتا • كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع
او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على
الارض باعتبار اقطارها • احياء وامواتا • منتصبان على المفعولية • وتنكيرهما
للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات • او الحالية من مفعوله
المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون
المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت • وجعلنا فيها رواسى شامخات
جبالا ثوابت طوالا • والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير • واسقيناكم
ماء فراتا • بخلق الانهار والمنابع فيها • ويل يومئذ للمكذبين • بامثال هذه
النعم • انطلقوا • اى يقال لهم انطلقوا • الى ما كنتم به تكذبون • من العذاب • انطلقوا
خصوصا • وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا • الى
ظل • يعنى ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم • ذى ثلث شعب • يتشعب
لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب • وخصوصية الثلاث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو
القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره
ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره • لا ظليل
تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل • ولا يغنى من اللهب • وغير مغن عنهم من حر
اللهب شيئا • انها ترمى بشرر كالقصر • اى كل شررة كالقصر فى عظمها • ويؤيده
انه قرئ بشرار • وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة • وقرئ كالقصر بمعنى
القصور كرهن ورهن • وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج • وكالقصر وهى اصل
العنق والهاء للشعب • كانه جمالات • جمع جمال او جمالة جمع جمل • صفر • فان
الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر • وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة
وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة • وعن يعقوب ورويس جمالات بالضم جمع جمالة
وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون • اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع
كلا نطق • او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف • وقرئ بنصب اليوم
اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ • ولا يؤذن لهم فيعتذرون • ويل يومئذ
للمكذبين • عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه

مطلقا

مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن فاوهم ذلك
ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه • هذا يوم الفصل • بين الحق والمبطل • جمعناكم
والاولين • تقرير وبيان للفصل • فان كان لكم كيد فكيدون • تقريع لهم على كيدهم
للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم • ويل يومئذ للمكذبين • اذ لا حيلة لهم فى التخلص
من العذاب • ان المتقين • من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين • فى ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون • مستقرون فى انواع الترفه • كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
اى مقولا لهم ذلك • انا كذلك نجزى المحسنين • فى العقيدة • ويل يومئذ للمكذبين
يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد • كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون • حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا
لهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم • ويل
يومئذ للمكذبين • حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل • واذا
قيل لهم اركعوا • اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا • اذ روى انه نزل حين امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبى فانها مسبة • وقيل
هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون • لا يركعون • لا يمتثلون واستدل
به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع • ويل يومئذ للمكذبين
فباى حديث بعده • بعد القرآن • يؤمنون • اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته
مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة • قال النبى عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات

سورة النباء كتب له انه ليس من المشركين وهى مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون • اصله عن
ما فحذف الالف لما مر • ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه
كانه لفخامته خفى جنسه فيسأل عنه • والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن
البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم
ويتراؤنهم اى يدعونهم ويرونهم او للناس • عن النبأ العظيم • بيان للشان المفخم
او صلة يتساءلون • وعم متعلق بمضمر مفسر به • ويدل عليه قراءة يعقوب
عمه • الذى هم فيه مختلفون • بجزم النفى والشك فيه • او بالاقرار والانكار
كلا سيعلمون • ردع عن التساؤل ووعيد عليه • ثم كلا سيعلمون • تكرير
للمبالغة • وثم للاشعار بان الوعيد الثانى اشد • وقيل الاول عند النزع والثانى
فى القيمة • او الاول للبعث والثانى للجزاء • وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير
قل لهم ستعلمون • الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا • تذكير ببعض ما عاين

من عجايب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا • وقرئ مهدا اى انها لهم كالمهد للصبى مصدر سمى به ما يمهد لينوم عليه • وخلقناكم ازواجا • ذكرا وانثى • وجعلنا نومكم سباتا • قطعا عن الاحساس والحركة لستراحة القوى الحيوانية وازاحة لكلالها • اوموتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا • وجعلنا الليل لباسا • غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء • وجعلنا النهار معاشا • وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به اوحيوة تبعثون فيه عن نومكم • وبنينا فوقكم سبعا شدادا • سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور • وجعلنا سراجا وهاجا • متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت اوبالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر • والمراد الشمس • وانزلنا من المعصرات • السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض اومن الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير • وانما جعلت مبدء الانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه • لنخرج به حبا ونباتا • ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش • وجنات الفافا • ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق • اولفيف كشريف اولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار • وملتفة بحذف الزوايد • ان يوم الفصل كان • فى علم الله او فى حكمه • ميقاتا • حدا يوقت به الدنيا وتنتهى عنده اوحدا للخلايق ينتهون اليه • يوم ينفخ فى الصور • بدل اوبيان ليوم الفصل • فتاتون افواجا • جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم • وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع • وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار • وبعضهم اشد نتنا من الجيف • وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا • والجائرين فى الحكم • والمعجبين باعمالهم • والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم • والساعين بالناس الى السلطان • والتابعين للشهوات المانعين حق

الله والمتكبرين الخيلاء • وفتحت السماء • وشقت السماء • وقرء الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا • فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب • اوفصارت ذات ابواب وسيرت الجبال • اى فى الهواء كالهباء • فكانت سرابا • مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها • ان جهنم كانت مرصادا • موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار اوخزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل اومجدة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان • وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا • مرجعا ومأوى • لابثين فيها • وقرء حمزة لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لوصح ان الحقب ثمانون سنة اوسبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا • حالا من المستكن فى لابثين اونصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا • ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب • ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له • والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار اوالنوم • وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم • وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى • وقرء حمزة والكسائى وحفص بالتشديد جزاء وفاقا • اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها • اووافقها وفاقا • وقرئ وفاقا فعالا من وفقه كذا • انهم كانوا لا يرجون حسابا • بيان لما وافقه هذا الجزاء • وكذبوا بآياتنا كذابا • تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع فى كلام الفصحاء • وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه • وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم اوالمكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة • اوكانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه • وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين اومكاذبين ويؤيده قراءة كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه • وكل شئ احصيناه • وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا • مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط

او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا • مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات
ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الاية اشد
ما في القرآن على اهل النار • ان للمتقين مفازا • فوزا او موضع فوز • حدائق
واعنابا • بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض
وكواعب • نساء فلكت ثديهن اترابا • لدات • وكاسا دهاقا • ملآنا وادهق
الحوض ملأه • لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا • وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا
او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا • جزاء من ربك • بمقتضى وعده عطاء
تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء • وقيل منتصب به نصب
المفعول به • حسابا • كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب
اعمالهم • وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك • رب السموات والارض
وما بينهما • بدل من ربك • وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء • الرحمن
صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب • وبالرفع في قراءة ابي بكر • وفي قراءة حمزة
والكسائي بجر الاول ورفع الثاني وحده على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره • لا يملكون
منه خطابا • والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض
عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا
وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه • يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا • تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء
الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا
كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم • ويوم ظرف للا يملكون • او
للا يتكلمون • والروح ملك موكل على الارواح او جنسها • او جبريل او خلق اعظم
من الملائكة • ذلك اليوم الحق • الكائن لا محالة • فمن شاء اتخذ الى ربه • الى ثوابه
مآبا • بالايمان والطاعة • انا انذرناكم عذابا قريبا • يعني عذاب الآخرة وقربه
لتحقق وقوعه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت • يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه • يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام • وقيل هو الكافر
لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم • وما
موصولة منصوبة بينظر • او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء
قدمت يداه • ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او في هذا اليوم فلم ابعث • وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا

فيود

فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب
يوم القيمة

سورة النازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا • هذه
صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في
النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان • او نفوسا غرقة في الاجساد • وينشطون
اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها • ويسبحون
في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار
الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها
لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات • او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من
الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون
امره • او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع
الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور
اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع
حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت
العبادات • ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة
سمى الاولى نزعا والثانية نشطا • او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها
تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم
الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات
او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في
مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات • او صفات انفس
الغزاة • او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون
في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها • او صفات خيلهم فانها
تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى
دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر • اقسم الله بها على
قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه • يوم ترجف الراجفة • وهو منصوب
به • والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال
لقوله يوم ترجف الارض والجبال • او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة
الاولى • تتبعها الرادفة • التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة

الثانية والجملة في موقع الحال • قلوب يومئذ واجفة • شديدة الاضطراب من الوجيف
وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة • اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك
اضافها الى القلوب • يقولون ائنا لمردودون • لمبعوثون • في الحافرة • في الحالة الاولى
يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان الى حافرته اى طريقته التي جاء فيها
فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله تعالى عيشة راضية • او تشبيه القابل
بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي
حفرة • ائذا كنا • وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة • بالية
وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ • قالوا تلك اذا كرة
خاسرة • ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا
بها وهو استهزاء منهم • فانما هي زجرة واحدة • متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها
فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية • فاذا هم بالساهرة • فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها • والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي
ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم • هل اتيك حديث
موسى اليس قد اتيك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان
يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم • اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى • قد
مر بيانه في سورة طه • اذهب الى فرعون انه طغى • على ارادة القول وقرئ ان
اذهب لما في النداء من معنى القول • فقل هل لك الى ان تزكى • هل لك ميل الى ان تتطهر
من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد • واهديك الى ربك
وارشدك الى معرفته • فتخشى • باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد
المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا • فاريه الاية الكبرى
اى فذهب وبلغ فاريه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم
والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة • فكذب وعصى
فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر • ثم ادبر • عن الطاعة
يسعى • ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه
فحشر • فجمع السحرة او جنوده • فنادى • في المجمع بنفسه او بمناد • فقال انا ربكم الاعلى
على كل من يلي امركم • فاخذه الله نكال الاخرة والاولى • اخذا منكرا او سمعه في
الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى
وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا

مؤكدا مقدرا بفعله • ان في ذلك لعبرة لمن يخشى • لمن كان في شأنه الخشية • ءانتم
اشد خلقا • اصعب خلقا • ام السماء • ثم بين كيف خلقها فقال • بناها • ثم
بين البناء فقال • رفع سمكها • اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب
في العلو رفيعا • فسويها • فعدلها او فجعلها مستوية • او فتممها بما يتم به كمالها
من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه • واغطش
ليلها • اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم • وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها
واخرج ضحيها • وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحيها يريد النهار • والارض
بعد ذلك دحيها • بسطها ومهدها للسكنى • اخرج منها ماءها • بتفجير العيون
ومرعيها • ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها
حال باضمار قد او بيان للدحو • والجبال ارسيها • اثبتها • وقرئ والارض والجبال
بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية • متاعا لكم ولانعامكم
تمتيعا لكم ولمواشيكم • فاذا جاءت الطامة • الداهية التي تطم اى تعلو على
سائر الدواهي • الكبرى • التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة
التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار • يوم يتذكر الانسان
ما سعى • بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول
المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية • وبرزت الجحيم
واظهرت • لمن يرى • لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت • ولمن راى
ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد • او انه
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار • وجواب فاذا
جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل • فاما من طغى
حتى كفر • واثر الحيوة الدنيا • فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب
النفس • فان الجحيم هي الماوى • هي ماواه • واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم
بان صاحب الماوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدا • واما من خاف مقام ربه
مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد • ونهى النفس عن الهوى • لعلمه بانه
مرد • فان الجنة هي الماوى • ليس له سواها ماوى • يسئلونك عن الساعة ايان
مرسيها • متى ارساؤها • اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى
السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه • فيم انت من ذكريها • في اي شيء انت
من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها
لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استاثره الله تعالى بعلمه • وقيل فيم انكار لسؤالهم

وانت من ذكريها مستانف معناه انت ذكر من ذكرها اى علامة من اشراطها فان
فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب
الى ربك منتهيها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار
من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى
عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا في الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم او ضحاه كقوله
تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى فى القيمة حتى يدخل

سورة الاعمى مكية وايها اثنان واربعون اية

الجنة قدر صلوة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه
الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم
تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض
عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن
عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة
وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين بينهما الف
بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار فى الاقدام على قطع كلام
الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال
تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله وما يدريك لعله يزكى اى واى شىء يجعلك
داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان
لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى اى يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل
الضمير فى لعله للكافر انك طمعت فى تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك
اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرا عاصم بالنصب جوابا
للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض له بالاقبال عليه واصله تتصدى
وقرا ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اى تتعرض وتدعى الى التصدى
وما عليك الا يزكى وليس عليك باس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك
الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه
اعمى لا قايد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل

ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى و
تلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة
مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب
المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره فى صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة
او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة
منزهة عن ايدى الشياطين بايدى سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون
الكتب من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين الله ورسله او الامة جمع
سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت
وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون
لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب
من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اى
شىء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدء حدوثه والاستفهام
للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح
له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره
ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له
سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه
باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان
الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء
انشره وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية
واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان
وقت النشور غير معين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان
عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه
الغاية ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى
طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف
مبين لكيفية احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال
ثم شققنا الارض شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد
الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعنى الرطبة
سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات

أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب. وفاكهة وأبا ومرعى من أبّ إذا أمّ لأنه يؤم
وينتجع أو من أبّ لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء. متاعا
لكم ولأنعامكم فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف. فإذا جاءت الصاخة
أي النفخة وصفت بها مجازا لأن الناس يصخون لها. يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه أو للحذر من مطالبتهم بما
قصّر في حقهم وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من
صاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه
أي يهمه. وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من إسفار الصبح. ضاحكة مستبشرة بما ترى
من النعيم. ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة. ترهقها قترة يغشاها
سواد وظلمة. أولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا إلى الكفر الفجور فلذلك يجمع
إلى سواد وجوههم الغبرة. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم
القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا الشمس كورت لفت من كورت
العمامة إذا لففتها بمعنى رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لف أو لف ضوؤها
فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره أو ألقيت عن فلكها من طعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعا
والتركيب للإدارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها أولى لأن إذا الشرطية
تطلب الفعل. وإذا النجوم انكدرت انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر
أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر. وإذا الجبال سيرت عن وجه الأرض أو في الجو
وإذا العشار النوق اللواتي على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء عطلت تركت
مهملة أو السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف. وإذا الوحوش حشرت جمعت
من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم حشرت السنة
بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد. وإذا البحار سجرت أحميت أو ملئت بتفجير بعضها
إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف. وإذا النفوس زوجت قرنت بالأبدان
أو كل منها بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الشياطين
وإذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق
العار بهم من أجلهن. سئلت بأي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى
بقوله تعالى أأنت قلت للناس وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وإنما قيل قتلت
على الإخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية. وإذا الصحف نشرت يعني صحف الأعمال

فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر أو لكثرة الصحف
أو شدة التطاير. وإذا السماء كشطت قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن
الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير. وإذا الجحيم سعرت
أوقدت إيقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد. وإذا
الجنة أزلفت قربت من المؤمنين. علمت نفس ما أحضرت جواب إذا
وإنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام
الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة
النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة. فلا أقسم
بالخنس الكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات
ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس
من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر. والليل إذا عسعس
أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر. والصبح
إذا تنفس أي أضاء عبر به عن إقبال روح ونسيم. إنه أي القرآن لقول رسول
كريم يعني جبريل عليه السلام فإنه قاله عن الله تعالى. ذي قوة كقوله شديد
القوى. عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة. مطاع في ملائكته. ثم
أمين على الوحي. وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للأمانة
وتفضيلا لها على سائر الصفات. وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل
بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليهما وسلم حيث عد فضائل جبريل واقتصر
على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي
قولهم إنما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة
بينهما. ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالأفق المبين
بمطلع الشمس الأعلى. وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره
من الوحي إليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وحمزة
وعاصم وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد
من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من
طرف اللسان وأصول الثنايا العليا. وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة
للسمع وهو نفي قولهم إنه لكهانة وسحر. فأين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه
في أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب. إن هو إلا ذكر للعالمين

تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم أن يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله
من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها
إلا أن يشاء الله إلا وقت أن يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق عليكم
باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انفطرت
انشقت وإذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة وإذا البحار فجرت فتح
بعضها إلى بعض فصار الكل بحرا واحدا وإذا القبور بعثرت قلب ترابها وأخرج
موتاها وقيل إنه مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى
علمت نفس ما قدمت من عمل أو صدقة وأخرت من سنة أو تركة ويجوز
أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب إذا يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار
فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي
فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان فإنه
يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على
أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي
خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة
على أن من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الأعضاء سليمة
مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء
أو معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أي عدل
بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة
فارقت خلقة سائر الحيوانات في أي صورة ما شاء ركبك أي ركبك في أي
صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك
وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله
وقوله بل تكذبون بالدين إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي في الاغترار والمراد بالدين
الجزاء أو الإسلام وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق
لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والإهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند
الله تعالى لتعظيم الجزاء إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون
لأجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها
وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما
أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أي
كنه أمره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله
تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل
من يوم الدين أو الخبر لمحذوف قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت
كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة وصدقة

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف
البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس طفيف أي حقير روي أن أهل المدينة كانوا
أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم
إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت
فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكوة إلا حبس عنهم القطر الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون
أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وإنما أبدل على بمن للدلالة على
أن اكتيالهم لما لهم على الناس أو اكتيال يتحامل فيه عليهم وإذا كالوهم أو وزنوهم أي إذا
كالوا للناس أو وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله ولقد
جنيتك أكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك أو كالوا مكيلهم فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فإنه يخرج الكلام
عن مقابلة ما قبله إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع لا في المباشرة
وعدمها ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره ألا
يظن أولئك أنهم مبعوثون فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح
فكيف بمن تيقنه وفيه إنكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه الله تعالى
لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون أو بدل من الجار والمجرور
ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الإنكار والتعجيب وذكر الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى والتعبير عنه برب العالمين
مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن
البعث والحساب إن كتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفي سجين
كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم

أي مسطور أو معلّم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، فعيل من السجن لقّب به الكتاب لأنه سبب الحبس، أو لأنه مطروح كما قيل تحت الأرضين في مكان وحش، وقيل اسم المكان والتقدير ما كتاب السجّين، أو محل كتاب مرقوم فحذف المضاف. ويل يومئذ للمكذبين بالحق أو بذلك. الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة أو موضحة أو ذامّة. وما يكذب به إلا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الإعادة. أثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث شغلته عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين من فرط جهله وإعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل. كلا ردع عن هذا القول. بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم إلى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل، فإن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم إن العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسودّ قلبه. والرين الصدأ، وقرأ حفص بل ران بإظهار اللام. كلا ردع عن الكسب الرائن. إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين، ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلا لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك، أو قدّر مضافا مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم. ثم إنهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلونها. ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية. كلا تكرير للأول ليعقب بوعد الأبرار كما عقب بوعيد الفجار إشعارا بأن التطفيف فجور والإيفاء بر، أو ردع عن التكذيب. إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره. يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على ما فيه يوم القيمة. إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك على الأسرة في الحجال ينظرون إلى ما يسرهم من النعم والمتفرجات. تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه، وقرأ يعقوب تُعرف على بناء المفعول ونضرةُ بالرفع. يسقون من رحيق شراب خالص. مختوم ختامه مسك أي مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين، ولعله تمثيل لنفاسته، أو الذي له ختام أي مقطع هو رائحة المسك، وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء أي ما يختم به ويقطع. وفي ذلك يعني الرحيق أو النعيم. فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون. ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها، سميت تسنيما لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها. عينا يشرب بها المقربون فإنهم يشربونها صرفا لأنهم

لم يشتغلوا بغير الله تعالى، ويمزج لسائر أهل الجنة، وانتصاب عينا على المدح أو الحال من تسنيم، والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله. إن الذين أجرموا يعني رؤساء قريش. كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين. وإذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم، وقرأ حفص فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال. وما أرسلوا عليهم حافظين يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار، وقيل يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون. على الأرائك ينظرون حال من يضحكون. هل ثوب الكفار هل أثيبوا ما كانوا يفعلون، وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء. قال النبي صلى الله عليه من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيمة.

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام، وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة. وأذنت لربها واستمعت له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له. وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد، يقال حُق بكذا فهو محقوق وحقيق. وإذا الأرض مدت بسطت بأن تزال جبالها وآكامها. وألقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والأموات. وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها. وأذنت لربها في الإلقاء والتخلية. وحقت للإذن، وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة، وجوابها محذوف للتهويل بالإبهام، أو بالاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار، أو بدلالة قوله يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه عليه، وتقديره لاقى الإنسان كدحه. أي جهدا يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه، أو فملاقيه، ويا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك اعتراض، والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه. فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه. وينقلب إلى أهله مسرورا إلى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره. فسوف يدعوا

تبورًا يتمنى الثبور ويقول واثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرًا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلّى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويُصْلى لقوله ونصله جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورًا بطرًا بالمال والجاه فارغًا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرًا عالمًا باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرًا لتركبن طبقًا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقًا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزًا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيامة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روى انه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ما رأيت رسول الله سجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية وآياتها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجًا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي صلى الله عليه وسلم وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلائق او عكسه فان الخالق يطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانهم قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق روي مرفوعًا ان ملكًا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلامًا ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهمًا من كنانتي وتقول باسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر اهل نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود

ليشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون
يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم • وما نقموا منهم • وما انكروا منهم
الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد • استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب • ووصفه بكونه عزيزا غالبا
يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه • وقرر ذلك بقوله • الذى له ملك
السموت والارض والله على كل شئ شهيد • للاشعار بما يستحق ان يؤمن به
ويعبد • ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات • بلوهم بالاذى • ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم • بكفرهم • ولهم عذاب الحريق • العذاب الزائد فى الاحراق
بتفتينهم • وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روى
ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير • اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه • ان
بطش ربك لشديد • مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف • انه هو يبدئ
ويعيد • يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى
الاخرة • وهو الغفور • لمن تاب • الودود • المحب لمن اطاع • ذو العرش • خالقه
وقيل المراد بالعرش الملك • وقرئ ذى العرش صفة لربك • المجيد • العظيم فى ذاته
وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة • وجره حمزة والكسائى صفة
لربك او للعرش • ومجده علوه وعظمته • فعال لما يريد • لا يمتنع عليه مراد
من افعاله وافعال غيره • هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود • ابدلهما من
الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه • والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما
حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم • بل الذين
كفروا فى تكذيب • لا يرعوون عنه • ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء
فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم • والله
من ورائهم محيط • لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط • بل هو قرآن مجيد
بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى • وقرئ قرآن
مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد • فى لوح محفوظ • من التحريف • وقرا نافع
محفوظ بالرفع صفة للقرآن • وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء
السابعة الذى فيها اللوح • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات •

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم • والسماء والطارق • والكوكب
البادى فى الليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل
للبادى فيه • وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب • المضئ كانه يثقب الظلام
بضوءه فينفذ فيه او الافلاك • والمراد به الجنس او معهود بالثقب وهو زحل
عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه • ان كل نفس لما
عليها • اى ان الشان كل نفس لعليها • حافظ • رقيب • فان هى المخففة واللام الفاصلة
وما زائدة • وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية و
الجملة على الوجهين جواب القسم • فلينظر الانسان مم خلق • لما ذكر ان كل نفس
عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا
يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته • خلق من ماء دافق • جواب الاستفهام
وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع • والمراد الممتزج من الماءين
فى الرحم لقوله • يخرج من بين الصلب والترائب • بين صلب الرجل وترائب المراة
وهى عظام صدرها • ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل
عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء • ومقرها
عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة
فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة
وهو النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية
المنى فلذلك خصا بالذكر • وقرئ الصلب بفتحتين وبضمتين وفيه لغة رابعة
وهى صالب • انه على رجعه لقادر • والضمير للخالق ويدل عليه خلق • يوم تبلى
السرائر • تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها
وهو ظرف لرجعه • فما له • فما للانسان • من قوة • من منعة فى نفسه يمتنع بها
ولا ناصر • يمنعه • والسماء ذات الرجع • ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك
عنه • وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او
لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان
يراد بالسماء السحاب • والارض ذات الصدع • ما تتصدع عنه الارض من النبات
او الشق بالنبات والعيون • انه • ان القرآن • لقول فصل • فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل • فانه جد كله • انهم • يعنى اهل مكة • يكيدون كيدا • فى ابطاله
واطفاء نوره • واكيد كيدا • واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث
لا يحتسبون • فمهل الكافرين • فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم

أمهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعما أنهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعا أو اختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء أحوى يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبرئيل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ مع أنك أمي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه أيضا كذلك من الآيات وقيل نهي والألف للفاصلة كقوله تعالى السبيلا إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم أسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو نفي النسيان رأسا فإن القلة تستعمل للنفي إنه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وإنه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الأمر إن نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم لقوله وما أنت عليهم بجبار أو لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا أمكن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب

الذكرى الأشقى الكافر فإنه أشقى من الفاسق أو الأشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فإنه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم أو ما في الدرك الأسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد أفلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى من الزكاء أو تطهر للصلوة أو أدى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله تعالى أقم الصلوة لذكري ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبر يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للأشقين على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء والآخرة خير وأبقى فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له إن هذا لفي الصحف الأولى الإشارة إلى ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف إبرهيم وموسى بدل من الصحف الأولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل أتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة أو النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت أناها في الحر ليس لهم طعام إلا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم أو المراد طعامهم مما تتحاماه الإبل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام أحد الأمرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة أو متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل أو القدر لا تسمع أنت يا مخاطب أو الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا

تلغوا فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم • فيها عين جارية • تجري ماءها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم • فيها سرر مرفوعة • رفيعة السمك او القدر • واكواب • جمع كوب وهو اناء لا عروة له • موضوعة • بين ايديهم • ونمارق • مساند جمع نمرقة بالفتح والضم • مصفوفة • بعضها الى بعض • وزرابي • وبسط فاخرة جمع زربية • مبثوثة • مبسوطة • افلا ينظرون • نظر اعتبار • الى الابل كيف خلقت • خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوالا الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة • والى السماء كيف رفعت • بلا عمد • والى الجبال كيف نصبت • فهي راسخة لا تميل • والى الارض كيف سطحت • بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الثلثة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط و المركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال تعالى • فذكر انما انت مذكر • فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ • لست عليهم بمصيطر • بمتسلط • وقرأ هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام • الا من تولى وكفر • لكن من تولى وكفر • فيعذبه الله العذاب الاكبر • يعني عذاب الآخرة وقيل الاستثناء متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض • ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه • ان الينا ايابهم • رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام • ثم ان علينا حسابهم • في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والفجر • اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته • وليال عشر • عشر ذي الحجة ولذلك

قسم

قسر الفجر بعرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليالي عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام • والشفع والوتر • والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوة ووترها • او بيومي عرفة والنحر وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ غير حمزة والكسائي والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر • والليل اذا يسر • اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق • هل في ذلك • القسم او المقسم به • قسم • حلف او محلوف به • لذي حجر • يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله • الم تر كيف فعل ربك بعاد • يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه • ارم • عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث • ذات العماد • ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها • التي لم يخلق مثلها في البلاد • صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة • وثمود الذين جابوا الصخر • قطعوه واتخذوه منازل كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا • بالواد • وادي القرى • وفرعون ذي الاوتاد • لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد • الذين طغوا في البلاد • صفة المذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع • فاكثروا فيها الفساد • بالكفر والظلم • فصب عليهم ربك سوط عذاب • ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به

الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه
بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة من العذاب
كالسوط اذا قيس الى السيف • ان ربك لبالمرصاد • المكان الذي يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب • فاما
الانسان • متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا
يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها • اذا ما ابتليه ربه
اختبره بالغنى واليسر • فاكرمه ونعمه • بالجاه والمال • فيقول ربي
اكرمن • فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الانسان • والفاء لما في اما
من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل
ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله • واما اذا ما ابتليه فقدر عليه
رزقه • اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه
فيقول ربي اهانن • لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة
الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا • مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه
ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل
والاخلال به لا يكون اهانة • وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء
في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن
عامر فقدر بالتشديد • بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين
اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم
بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم • وقرأ
الكوفيون ولا تحاضون • وتاكلون التراث • الميراث واصله الوراث • اكلا لما
ذا لم • اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون
انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك • وتحبون
المال حبا جما • كثيرا مع حرص وشره • وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب ولا
يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء • كلا • ردع لهم عن ذلك وانكار
لما بعده وعيد عليه • اذا دكت الارض دكا دكا • دكا بعد دك حتى صارت
منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا • وجاء ربك • اي ظهرت آيات قدرته
وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته
والملك صفا صفا • بحسب منازلهم ومراتبهم • وجيء يومئذ بجهنم • كقوله تعالى

وبرزت

وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام
سبعون الف ملك يجرونها • يومئذ • بدل من اذا دكت والعامل فيهما • يتذكر
الانسان • اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها • وانى له
الذكرى • اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول
التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة • يقول يا ليتني قدمت لحياتي • اي
لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة
على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه
فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد • الهاء لله اي لا يتولى
عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد
من الزبانية مثل ما يعذبونه • وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول
يا ايتها النفس المطمئنة • على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله تعالى
فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر
دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي
لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها • ارجعي الى ربك • الى امره او موعده
بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في
عالم القدس او بالبعث • راضية • بما اوتيت • مرضية • عند الله • فادخلي في
عبادي • في جملة عبادي الصالحين • وادخلي جنتي • معهم او في زمرة المقربين
فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي
التي فارقت عنها وادخلي دار قراري التي اعدت لك • عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في ساير الايام كان له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم • لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد • اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله
عليه وسلم فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل
حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل ما تريد
ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح • ووالد • عطف على هذا البلد •
والوالد آدم او ابرهيم عليهما السلام • وما ولد • ذريته • او محمد عليه الصلوة والسلام
والتنكير للتعظيم وايثار ما على من بمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت • لقد
خلقنا الانسان في كبد • تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه

المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت
وما بعده وهو تسلية للرسول بما كان يكابد من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم
الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه
اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان
ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا
لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة
للرسول صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك
فيسأله عنه يعني ان الله تعالى يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك
بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر
بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي
الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك
الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها
لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله تعالى وما ادريك ما العقبة فك رقبة
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من
مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا
مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة
والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن
كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله تعالى وما
ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من
الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة
لاستقلاله واشتراط ساير الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا
بالصبر على طاعة الله تعالى وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده تعالى او بموجبات
رحمة الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما
نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة الشمال
او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى
عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ
ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها
ضوءها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع
الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا
جليها اذا جلى الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض
ولما كانت واوات العطف نوايب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النايبة
مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف
بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر
خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما
بنيها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء
القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها وكذلك افراد ذكره
وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات
مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها
بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت
نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما
او التمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل وهو جواب القسم
وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم
عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى
درجات القوة النظرية ويذكرهم عظايم الآية ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه
الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس
والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما
دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة
والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب
طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية
واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى
اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن
سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد
والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا
ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما

حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق
عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه
فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك
ولا يخاف عقباها اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض
الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وايها احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اى
يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال الظلمة
الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذى خلق صنفى
الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوا وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى
ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة
الحسنى وهى ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التى
تؤدى الى يسر وراحة لدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام
واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى
بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار
وما يغنى عنه ماله نفى او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى او
تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا
او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا
للآخرة والاولى فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او
فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها اى لا يلزمها مقاسيا
شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه
اشقى ووصفه بقوله الذى كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها الاتقى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم من ذلك
صليها فلا يخالف الحصر السابق الذى يؤتى ماله يصرفه فى مصارف الخير لقوله
يتزكى فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد
بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن

محذوف

محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب
الذى يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة
يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر
ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وايها احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى ووقت ارتفاع
الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لانه الساعة التى فيه كلم موسى ربه والقى
السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا
والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم
الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك
ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم
وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل
روى ان الوحى تأخر عنه صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف
او لزجره صلى الله عليه وسلم سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره
فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من
الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه
تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك فى الآخرة
او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا تزال تتصاعد فى الرفعة والكمال ولسوف يعطيك
ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما
ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير
ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها
مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما
فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل
ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال ووجدك
ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر
وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة
وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا
فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه
على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر

فلا تزجر ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فإن التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى بعدد كل يتيم وسائل

سورة الانشراح مكية وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك وقيل إنه إشارة إلى ما روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانا وعلما ولعله إشارة إلى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ عبأك الثقيل ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة أو جهله بالحكم والأحكام أو حيرته أو تلقي الوحي أو ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بالنبوة وغيرها وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالألقاب ولذا زاد لك ليكون إبهاما قبل إيضاح فيفيد مبالغة ﴿فإن مع العسر﴾ كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم ﴿يسرا﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في إن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ﴿إن مع العسر يسرا﴾ تكرير للتأكيد أو استئناف وعدة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتين أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلوة والسلام لن يغلب عسر يسرين فإن العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أو الجنس واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد يغاير ما أريد بالأول ﴿فإذا فرغت﴾ من التبليغ ﴿فانصب﴾ فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل إذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة أو فإذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء ﴿وإلى ربك فارغب﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر وحده على إسعافه وقرئ فرغب أي رغب الناس إلى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا

مغتم

ففرج عني

سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والتين والزيتون﴾ خصهما من الثمار بالقسم لأن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث إنه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وإدام ودواء وله دهن كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الأرض المقدسة أو مسجدا دمشق وبيت المقدس أو البلدان ﴿وطور سينين﴾ يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي فيه ﴿وهذا البلد الأمين﴾ أي الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ يريد به الجنس ﴿في أحسن تقويم﴾ تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ بأن جعلناه من أهل النار أو إلى أسفل سافلين وهو النار وقيل أرذل العمر فيكون ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ منقطعا ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ لا ينقطع أو لا يمن به عليهم وهو على الأول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له ﴿فما يكذبك﴾ فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقا ﴿بعد بالدين﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للإنسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الإعادة والجزاء على ما مر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فإذا مات أعطاه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه أو مستعينا به ﴿الذي خلق﴾ أي الذي له الخلق أو الذي خلق كل شيء ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال ﴿خلق الإنسان من علق﴾ أو الذي خلق الإنسان فأبهم أولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله تعالى نزل أولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته ﴿اقرأ﴾ تكرير للمبالغة أو الأول مطلق والثاني للتبليغ أو في الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ ﴿وربك الأكرم﴾

الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبر في ان كان صلاته هذه ودعاؤه الى الله آمرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل ولان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احواله محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية

ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدئ فيها او انزل جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبرئيل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان آية

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاوثان منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي في يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء او الرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها

اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان تحدث فيها ما دلت على الاخبار او انطاقها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشف من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد

على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا فى الصحف او ميز ما فى الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه فى الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فى كثرتهم و ذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو فى عيشة فى عيش راضية ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم تكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فمأويه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية او مدنية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهى بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين والتكرير للتاكيد والاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها من مكان قريب او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذى الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر مكية وآيها ثلث آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفى خسر ان الناس لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق الثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصى او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام فى جانب الخسران كرم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى ياتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او فى وليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد

أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الإدغام. يحسب أن ماله أخلده تركه خالدا في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة. كلا ردع له عن حسبانه. لينبذن ليطرحن. في الحطمة في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يطرح فيها. وما أدراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية. نار الله تفسيرها. الموقدة التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره. التي تطلع على الأفئدة تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألما أو لأنه محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال القبيحة. إنها عليهم مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته قال تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة. في عمد ممددة أي موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ

سورة الفيل مكية محمد وأصحابه صلى الله عليه وعلى أصحابه وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وإنما قال كيف ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فإنها من الإرهاصات إذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول وقصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول فأرسل الله تعالى طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ ألم تر جدا في إظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام. ألم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها. في تضليل في تضييع وإبطال بأن دمرهم وعظم شأنها. وأرسل عليهم طيرا أبابيل جماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط. ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لأنه اسم جمع أو إسناده إلى ضمير ربك.

من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من أسجل وهو الدلو الكبير أو الإسجال وهو الإرسال أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون. فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن تأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل إيلافهم رحلة الشتاء والصيف أي الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون أو بمحذوف مثل اعجبوا أو بما قبله كالتضمين في الشعر أي جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار فشبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم وإطلاق الإيلاف ثم إبدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لإلاف بغير ياء بعد الهمزة. فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع أي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام. وآمنهم من خوف خوف أصحاب الفيل أو التخطف في بلدهم ومسايرهم أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع آيات أو ست

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همزة إلحاقا بالمضارع ولعل التصدير بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف. الذي يكذب بالدين بالجزاء أو الإسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله. فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو أبو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه أو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقرئ يدع أي يترك. ولا يحض أهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء. فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها. الذين هم يراؤون يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها. ويمنعون الماعون الزكاة أو ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف

الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك وكذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخلق والخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية إن شانئك اي ان من ابغضك لبغضه لك هو الأبتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا أعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد اي وما عبدتم في وقت ما عابدا لما أنا عابد ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما ليطابق ما عبدتم دونه لانه الاعلم بما كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وللمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع

منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرأ نافع وحفص وهشام ولي بفتح الياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وآيها ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فيقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي انه عليه الصلوة والسلام لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستصغارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام اني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله إنه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال صلى الله عليه وسلم انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهو كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة ابي لهب مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت وخسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا أبي لهب نفسه كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه وانذر

عشيرتك الأقربين جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وآخرته. وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب وقرأ ابن كثير بإسكان هاء لهب وتب إخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه أنه قرئ وقد تب أو الأول إخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ما أغنى عنه ماله نفي لإغناء المال عنه حين نزل به التباب أو استفهام إنكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه أو مكسوبه بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والأتباع أو عمله الذي ظن أنه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على أنه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مشددا ومخففا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى أو مبتدأ وفي جيدها خبره وهي أم جميل أخت أبي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول وتحمل زوجها على إيذائه أو النميمة فإنها توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد مما مسد أي فتل ومنه رجل ممسود الخلق أي مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها أو بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال أو الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار

سورة الإخلاص مكية [illegible] وآيها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة إلى العائد لأنها هي هو أو لما سئل عنه أي الذي سألتم عنه هو الله إذ روي أن قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على أنه لا بد منه في قل يا أيها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لأن سورة الكافرون مشاقة الرسول عليه السلام أو موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون منه وأما هذه فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بأن يدعو إليه أخرى الله الصمد السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إذا قصد وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها لم يلد لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله أو ليطابق قوله ولم يولد وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا أحد أي لم يكن أحد يكافئه أي يماثله من صاحبة وغيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للأهم ويجوز أن يكون حالا من المستكن في كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأها فقال صلى الله عليه وسلم وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق ما يفلق عنه أي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فإنه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها سيما ما يخرج من أصل كالعيون والأمطار والنبات والأولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم

القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان
يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة
من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار
الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم
وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه
من قوله تعالى الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت
دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها
اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله
في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء اللاتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان
يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض
عليه الصلوة والسلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل عليه السلام بموضع
السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقرأهما عليه وكان كلما قرأ آية انحلت
عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم
ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم
الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها
بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد
اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك
الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار
الانسان بل الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه
كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها
وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد
غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاصول المقربة للمضرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ
سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مكية مختلف فيها وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة

المتقدمة

المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه
السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها
بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم
ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا
والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها
غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من
النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات
كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق
للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة
اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد
البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس [illegible] كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس
الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور
الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في
المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل
الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس
او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل
بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي
كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى
لله الحمد على الاتمام والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الكرام

ليست هذه الخاتمة للمصنف وانما كتبها الكاتب في النسخة المنقول عنها — الحمد لله على الاتمام

الحمد لله على التوفيق ونستغفره من كل ذنب وتقصير لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك فلك الحمد مولانا قبل الرضى ولك الحمد بعد الرضى ولك الحمد حتى ترضى عنا
دائما ابدا لرب العالمين وافضل الصلوة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه
اجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هو حسبي وثقتي

اما بعد حمد الله ذي الانعام الذي وفقني لاحراز
نعمة الاتمام فاقول قد تشرفت بمطالعة انوار التنزيل
الذي هو مظهر لاسرار التأويل اوان توليتي بالقضاء
وتحريرها ايام حكومتي بولاية الرقة مع عدة من حواشيه
المتداولة وشروحه المتعارفة بقدر الوسع والطاقة
وقد كنت اثناء ذلك ارجع التفاسير الموجودة عندي
من التفسير الكبير والارشاد ونيسابوري وخصوصا
الكشاف مع ما وجد من حواشيه وشروحه وذلك
عند الاشتغال بثقل الامارة والحكومة والابتلاء
بمشاق النقل والحركة منقلبا من بلدة الى اخرى كما
ان قول [illegible] ليوما بحزوى ويوما بالعقيق
ويوما بالعقيق [illegible] ويوما بالخليصاء وارجو من الله

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه
محمد واله وصحبه اجمعين وقد وفقني المولى الجليل
الى اتمام هذا التفسير الجليل المسمى بانوار التنزيل
واسرار التاويل على يد اضعف العباد واحوجهم الى رحمة
المولى الجليل خادم القرآن الجليل علي بن محمد الرشيدي
بلدا والحنفي مذهبا جعله الله ولوالديه سترا و
حجابا من النار وسببا لدخول الجنان مع الابرار
وجعله الله نافعا للعلماء الاخيار ومزيلا للشبهة عن
قلوب المتحيرين بالافكار فنسألك اللهم يا من انزل
على رسوله الكتاب وانزل التورية والانجيل من قبل
وانزل الفرقان ان تعم بالمغفرة لكاتبه ولوالديه
ولمؤلفه وقاريه ولناظر فيه انك انت
المنان وتغفر لجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات وتصلي على خير خلقه
محمد واله وصحبه وخلفائه الراشدين
من بعده ابي بكر وعمر وعلي وعثمان
رضوان الله عليهم
اجمعين

وكان الفراغ من كتابته ... مصطفى زاده ... [illegible]

وكان الفراغ من تسويده في غرة ... شهر ربيع الاول ... سنة ١١٥٧

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد ... عين الصدور ... [illegible]
وكفى عبده